كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي
أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم
صاحب السمو الملكي
الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود
أجزل الله مثوبته

المجلد السابع

دار كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

رفع
المساهم

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي
أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم
صاحب السمو الملكي
الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود
أجزل الله مثوبته

المجلد السابع

دار كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

ح دار كنوز إشبيليا والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر للنشر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٣٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٤-٠١-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٧)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧.٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

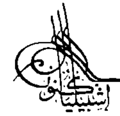
رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٤-٠١-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٧)

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨- ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث رقم (٤٣٢)

٤٣٢- وعن أَبي موسى الأشعري ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ دَفَعَ اللهُ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًا أَوْ نَصْرَانِيًا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ))[١].

وفي رواية عَنْهُ، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ المُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الجِبَالِ، يَغْفِرُهَا الله لَهُمْ)) رواه مسلم[٢].

قوله: ((دَفَعَ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِن النَّارِ)) مَعنَاهُ مَا جَاءَ في: حديث أبي هريرة ﷺ: ((لِكُلِّ أَحَدٍ مَنْزِلٌ في الجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ في النَّارِ، فَالمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ الجَنَّةَ خَلَفَهُ الكَافِرُ في النَّارِ؛ لأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِذَلِكَ بِكفْرِهِ))[٣].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

فكاكك: الفكاك: التخليص[٤].

الشرح الأدبي

جعل الله عز، وجل لكل إنسان مقعداً في الجنة، ومقعداً في النار، فإذا صلح عمله نال مقعده من الجنة، وإذا ساء عمله نال مقعده في النار، وهذا الحديث فيه شفاء لقلوب المؤمنين من وجهين: أحدهما أنه بشارة للمسلم باستقراره في الجنة، وفكاكه من النار، الثاني: أنه يقلي نصرانياً أو يهودياً في النار، وكأنه ﷺ يعلم ما يفعلونه

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٦٧/٤٩.

(٢) برقم ٢٧٦٧/٥١ وزاد: (ويضعها على اليهود والنصارى).

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤٣٤١ ولفظه: (ما منكم من أحد إلا وله منزلان، منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا مات، فدخل النار، ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى: أولئك هم الوارثون). قال البوصيري في الزوائد ص ٥٦٢: هذا إسناد صحيحٌ على شرط الشيخين.

(٤) رياض الصالحين ٢١٢.

بالمسلمين في كل زمان، ومكان، وقوله :(هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ) كأنه كناية عن ميراثه المقعد المخصص للمسلم الذي نجى من النار، ونال مقعده من الجنة، يعني كان لك منزل في النار لو كنت استحقيته دخلت فيه فلما استحقه هذا الكافر صار كالفكاك لك من النار؛ لأنك نجوت منه، وتعين الكافر له فألقه في النار فداءك، والتعبير بالفكاك، يوحي بالتحرر من القيود، والرواية الثانية في قوله :(يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ المُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الجِبَالِ يَغْفِرُهَا اللَّه لَهُم) كناية عن سعة رحمة الله تعالى، وعظمة مغفرته، وهي خبر أريد به لازم فائدته، وهو الترغيب في التوبة والاستغفار مع الرجاء.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الله العظيم على المسلمين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عظم ذنوب الكافرين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عدل الله يوم القيامة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الله العظيم على المسلمين:

لقد امتن الله على عباده المسلمين بأن هداهم إلى الإسلام ووفقهم إلى عمل الطاعات وإلى ترك الذنوب والمعاصي، كما امتن عليهم بأن أدخلهم الجنة. وهذا واضح من الحديث "هذا فكاكك من النار"، وفي رواية "بذنوب مثل الجبال يغفرها الله لهم".

وفي رواية أخرى عند مسلم: "لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه النار يهوديًا أو نصرانيًا".

قال النووي: (ومعنى هذا الحديث [أن] المؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار لاستحقاقه ذلك بكفره. ومعنى فكاكك من النار أنك كنت معرضًا لدخول النار وهذا فكاكك، لأن الله تعالى قدّر لها عددًا يملؤها، فإذا دخلها الكفار بكفرهم وذنوبهم صاروا في معنى الفكاك للمسلمين)[1]. وتعقب ابن حجر قول النووي ونقل

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١٨.

كثيرًا من أقوال العلماء منها قول البيهقي يحتمل أن الفداء في قوم كانت ذنوبهم كفرت عنهم في حياتهم، ويحتمل أن يكون هذا القول لهم في الفداء بعد خروجهم من النار بالشفاعة، وقال غيره: يحتمل أن يكون الفداء مجازًا عما يدل عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يدخل أحدًا الجنة إلا أري مقعده من النار ولو أساء ليزداد شكرًا ولا يدخل النار أحد إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة))[1])[2]. ليزداد المؤمن فرحًا ورضا فعبر عنه بلازمه لأن الراضي الشيء يشكر من فعل له ذلك، ويزداد الكافر حسرة للزيادة في تعذيبه[3].

ونقل الطيبي عن القاضي ناصر الدين البيضاوي قوله: (لما كان لكل مكلف مقعد في الجنة ومقعد في النار، فمن آمن حق الإيمان بدل مقعده من النار بمقعد من الجنة، ومن لم يؤمن فبالعكس وكانت الكفرة كالخلف للمؤمنين في مقاعدهم من النار والنائب منابهم فيها، وأيضًا لما سبق القسم الإلهي بملء جهنم [﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[4]] كان ملؤها من الكفار خلاصًا للمؤمنين ونجاة لهم من النار، فهم في ذلك للمؤمنين كالفداء والفكاك، ولعل تخصيص اليهود والنصارى بالذكر لاشتهارهما بمضادة المسلمين، ومقابلتهما إياهم في تصديق الرسول المقتضى لنجاتهم)[5].

وقال النووي: (وقد جاء عن عمر بن عبدالعزيز والشافعي رحمهما الله أنهما قالا: هذا الحديث أرجى حديث للمسلمين، وهو كما قالا. لما فيه من التصريح بفداء كل مسلم وتعميم الفداء، ولله الحمد)[6].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٥٩.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٤٠٥.

(٣) المرجع السابق ١١/٤٥٠، ٤٥١.

(٤) سورة السجدة، آية: ١٣.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٠/١٧٤.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٩/١٧/٨٩.

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: ((لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَلاَ أَنَا. إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ))(١).

قال ابن حجر: (قال الرافعي في الحديث: إن العامل لا ينبغي أن يتكل على عمله في طلب النجاة ونيل الدرجات، لأنه إنما عمل بتوفيق الله وإنما ترك المعصية بعصمة الله، فكل ذلك بفضله ورحمته)(٢).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: عظم ذنوب الكافرين:

إن الكفار أعظم الناس ذنوبًا، لأنهم كفروا بالله وأشركوا معه سبحانه غيره من مخلوقاته، لذلك كان عقابهم أليمًا وعظيمًا، كما يتضح في هذا الحديث. ففي رواية "يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفرها الله لهم" قال النووي: (معناه أن الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين ويسقطها عنهم ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين، ولابد من هذا التأويل لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(٣) ويحتمل أن يكون المراد آثامًا كان للكفار سبب فيها بأن سنُّوها فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى ويوضع على الكفار مثلها لكونهم سنوها، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزر كل من يعمل بها)(٤).

وعلى الاحتمال الأخير يمكن الاستشهاد بقول النبي ﷺ ((ولا تقل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل))(٥).

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾(٦) قال ابن القيم: (أخبر سبحانه أنه أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٦٣، ومسلم ٢٨١٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٢/١١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٦٣، والإسراء، آية: ١٥

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١٨، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٠١/٧، ٢٠٢.

(٥) أخرجه البخاري ٧٣٢١، ومسلم واللفظ له ١٦٧٧.

(٦) سورة الحديد، آية: ٢٥.

الناس بالقسط وهو العدل، ومن أعظم القسط التوحيد وهو رأس العدل وقوامه وإن الشرك ظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(١) فالشرك أعظم الظلم، والتوحيد أعدل العدل، فما كان أشدّ منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر، وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له، وما كان أشد موافقة لهذا المقصود فهو أوجب الواجبات وأفرض الطاعات. فتأمل هذا الأصل حق التأمل واعتبر به تفاصيله تعرف به حكمة أحكم الحاكمين وأعلم العالمين فيما فرضه على عباده وحرّمه عليهم وتفاوت مراتب الطاعات والمعاصي.

فلما كان الشرك بالله منافيًا بالذات لهذا المقصود كان أكبر الكبائر على الإطلاق، وحرّم الله الجنة على كل مشرك، وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد، وأن يتخذوهم عبيدًا لهم، لما تركوا القيام بعبوديته، وأبى الله سبحانه أن يقبل من مشرك عملاً، أو يقبل فيه شفاعة أو يستجيب له في الآخرة دعوة، أو يقيل له فيها عثرة، فإن المشرك أجهل الجاهلين، حيث جعل له من خلقه ندًا، وذلك غاية الجهل به، كما أنه غاية الظلم منه، وإن كان المشرك لم يظلمْ ربَّه، وإنما ظلم نفسه)(٢).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: عدل الله يوم القيامة:

العدل من أسماء الله تعالى فهو سبحانه عدل في أفعاله وقضائه وحكمه، فيدخل المؤمن الجنة بعدله، كما يدخل الكافر النار بعدله، فقد أخبر النبي ﷺ عن الله عز وجل أنه يقول للمسلم هذا [أي اليهودي أو النصراني] فكاكك من النار" معناه أن الله (يدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين ولابد من هذا التأويل - كما قال النووي- لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(٣))(٤).

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٢) الداء الدواء، ١٩٦-١٩٧.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٦٤، والإسراء، آية: ١٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١٨، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧/٢٠١ - ٢٠٢.

قال أبو العباس القرطبي: (فهي قاعدة معلومة من الشرع لا يختلف فيها)[١].

فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٢].

قال ابن كثير: (أي فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعًا ولا يظلم أحدًا من خلقه، بل يغفر ويصفح ويرحم ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله، ويملأ النار من الكفار وأصحاب المعاصي ثم ينجي أصحاب المعاصي ويُخلد فيها الكافرون وهو الحاكم الذي لا يجور ولا يظلم، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾[٣] والآيات في هذا كثيرة)[٤].

قال ابن القيم: (كل ما يقضي على العبد فهو عدل فيه.

فإن قيل: فالمعصية عندكم بقضائه وقدره! فما وجه العدل في قضائها، فإن العدل في العقوبة عليها غير ظاهر؟

أهل السنة الظلم عندهم هو وضع الشيء في غير موضعه: كتعذيب المطيع ومن لا ذنب له، وهذا قد نزَّه الله نفسه عنه في غير موضع من كتابه. وهو سبحانه وإن أضلَّ من شاء وقضى بالمعصية والغيّ على من شاء، فذلك محض العدل فيه؛ لأنه وضع الإضلال والخذلان في موضعه اللائق به.

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٠٢/٧.

(٢) سورة الكهف، آية: ٤٩.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

(٤) تفسير ابن كثير ١٦٦/٥.

كيف ومن أسمائه العدل، الذي كل أفعاله وأحكامه سداد وصواب وحق، وهو سبحانه قد أوضح السُبل، وأرسل الرسُل، وأنزل الكتب، وأزاح العلل، ومكّن من أسباب الهداية والطاعة بالأسماع والأبصار والعقول، وهذا عدله. ووفّق مَن شاء بمزيد عناية وأراد من نفسه أن يعينه ويوفقه، فهذا فضله. وخذل من ليس بأهل لتوفيقه وفضله وخلّى بينه وبين نفسه، ولم يرد سبحانه من نفسه أن يوفقه، فقطع عنه فضله، ولم يحرمه عدله.

وهذا نوعان:

أحدهما: ما يكون جزاءً منه للعبد على إعراضه عنه، وإيثار عدوّه في الطاعة والموافقة عليه، وتناسي ذكره وشكره؛ فهو أهل لأن يخذله ويتخلى عنه.

والثاني: أن لا يشاء له ذلك ابتداء؛ لما يعلم منه أنه لا يعرف قدر نعمة الهداية ولا يشكره عليه، ولا يثني عليه بها، ولا يحبه؛ فلا يشاؤها له لعدم صلاحية محله. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1]. وقال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ﴾[2].

فإذا قضى على هذه النفوس بالضلال والمعصية -كان ذلك محض العدل، كما إذا قضي على الحية بأن تقتل، وعلى العقرب، وعلى الكلب العَقور، كان ذلك عدلاً فيه، وإن كان مخلوقًا على هذه الصفة)[3].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الإخبار:

فقد جاء الأسلوب في هذا الحديث إخبارًا عن مشهد من مشاهد يوم القيامة، وناسب الإخبار هنا الموقف؛ لأن النبي ﷺ يخاطب المسلمين الذي هم مؤمنون بيوم القيامة، لا يشكّون في ذلك ولا يرتابون وهم مصدقون بالنبي ﷺ ومما يخبر به؛ فجاء الإخبار ليقرر هذه الحقيقة الثابتة في نفوسهم.

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٥٣.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٣.

(٣) الفوائد ٤٦-٤٨.

الحديث رقم (٤٣٣)

٤٣٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((يُدْنَى المُؤْمِنُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيهِ، فَيُقَرِّرُهُ بذُنُوبِهِ، فيقولُ: (أتعرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أتَعرفُ ذَنْبَ كَذَا؟)[1] فيقول: رَبِّ أعْرِفُ، قَالَ: فَإنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيا، وَأنَا أغْفِرُهَا لَكَ اليَومَ، فَيُعْطَى صَحيفَةَ حَسَنَاتِهِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

كنفهُ: سترهُ ورحمتُهُ[3].

فيُقرِّرُهُ: أي يحمله على الإقرار بما يعرفه[4].

الشرح الأدبي

لفظ (يدنى) يوحي بالتقريب، والاجتباء، ولفظ اليوم يؤقت الحدث، وإضافته للقيامة يعظِّم الأثر، ويعطيه بُعداً يتناسب مع أحداث الموقف، وقوله (من ربه) يوحي بجلاله وقوله :(حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيهِ) كناية عن شدة القرب، وقوله (: أتعرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟) استفهام بغرض التقرير لإلزام المخاطب بالحجة، وتكراره إشارة إلى ذنوب يعلمها، وسؤال الله لعبده تذكير للعبد ببعض غدراته، ودفعة لعقله بقوة ليعود إلى الماضي في الدنيا ليجعل صاحبه يعيش لحظة تطول، أو تقصر يرى نفسه في الحالين الأولى ملابس للخطيئة موشك على الهلكة، والثانية في معية الله، وبذلك تعظم عنده

---

(١) لفظ مسلم مسلم في هذه الرواية: (فيقول: هل تعرف) والمثبت لفظ البخاري.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٤١، ومسلم ٢٧٦٨ واللفظ له.

(٣) رياض الصالحين ٢١٢.

(٤) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٣١٠.

المنة ويعلم عن يقين أنه نجى بفضل الله، وستره، ومغفرته، هذا بالنسبة لمن يخاطبه الله في الموقف المحكي، أما من يخاطبهم الرسول ﷺ فالاستفهام بالنسبة لهم تحذير وتنبيه من سيء الأعمال مع تقرير لعظمة مغفرة الله، وستره على عباده، ومن الملاحظ في أسلوب الاستفهام التقريري أن أكثر وروده في معرض التصوير، والحكاية لمشاهد القيامة استحضاراً للمستقبل بين يدي الحاضر يرى العبد نفسه خلالها ينتقل بين مشاهد القيامة بين الهول، أو النعيم فإذا ما انتهى الحديث وجد نفسه في الحياة ما زال - وما زالت فرصة العمل قائمة للنجاة من هول ما تصور له والفوز بما تخيل من نعيم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ستر الله على عبده المؤمن.

ثانيًا: من واجبات المدعو: عدم المجاهرة بالمعاصي.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: إثبات الحساب وإعطاء الصحف يوم القيامة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: ستر الله على عبده المؤمن:

إن فضل الله على عبده لعظيم لا يعدّ ولا يحصى، ويكفي لبيان فضله سبحانه ستره على عبده المؤمن، كما جاء في صريح الحديث "يدني المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقرره بذنوبه فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول رب أعرف قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته"، وفي بعض الروايات للحديث زيادة هي: ((وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَىٰ بِهِمْ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]))[2].

قال المازري: (الدنو ها هنا: دنو كرامة لا دنو مسافة لأن الباري سبحانه في غير

---

(١) سورة هود، آية: ١٨.

(٢) صحيح البخاري ٢٤٤١، ٤٦٨٥، وصحيح مسلم ٢٧٦٨.

مكان فلا يصح منه دنو المسافة ولا بعدها، والمراد بقوله: "حتى يضع عليه كنفه" أي ستره وعفوه، وما يتفضل عليه به حينئذ)[١]، وقال ابن حجر: (قال المهلب: في الحديث تفضل الله على عباده بستره لذنوبهم يوم القيامة، وأنه يغفر ذنوب من شاء منهم بخلاف قول من أنفذ الوعيد على أهل الإيمان، لأنه لم يستثن في هذا الحديث ممن يضع عليه كنفه وستره أحدًا إلا الكفار والمنافقين، فإنهم الذين ينادى عليهم على رؤوس الأشهاد باللعنة)[٢].

وقال ابن هبيرة: (الكنف: الستر، وهو عز وجل يستر عبده حين يقرره بذنوبه لئلا يطلع على ما بينه وبين ربه من ذلك غير ربه)[٣].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الحَيَاءَ والسَّتْرَ))[٤].

قال السندي: (معناه أنه عز وجل تارك للقبائح، ساتر للعيوب والفضائح، يحب الحياء والستر من العبد ليكون متخلقًا بأخلاقه تعالى)[٥].

وقال ابن الأثير: (ستير: فعيل بمعنى فاعل، أي من شأنه وإرادته حب الستر والصون)[٦].

وقال محمد بن إبراهيم التويجري: (الله تبارك وتعالى هو الستير الذي يستر على عباده كثيرًا، ولا يفضحهم في المشاهد، حيي ستير، يحب الحياء والستر، ويستر على عباده الكثير من العيوب والقبائح والفضائح... وإذا وقع المسلم في معصية أو تقصير فليستر على نفسه، ويتوب إلى ربه فإن الله يغفرها له، لأنه الغفور الذي يغفر الذنوب.

---

(١) المعلم بفوائد مسلم، المازري، ٢/٤١٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٥٠٤.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٤/١٨٩.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٠١٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٩٣).

(٥) حاشية السندي ١/ الحديثين ٤٠٤، ٤٠٥ طبعة دار المعرفة.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ت ر).

الساتر الذي يستر العيوب، الكريم الذي يبدل الحسنات بالسيئات)[١].

ثانيًا- من واجبات المدعو: عدم المجاهرة بالمعاصي:

إن المؤمن لا يحب فعل المعاصي وإتيانها، فإن وقعت منه فإنه يكون على وجل وخوف عظيمين يسارع بالاستغفار والتوبة، يحاول ستر المعصية بكل سبيل ممكن، طمعًا في أن يسترها الله عليه، وهذا واضح من قول الله لعبده المؤمن: "قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم". قال ابن حجر: (إن العصاة من المؤمنين في القيامة على قسمين: أحدهما من معصيته بينه وبين ربه، فدلَّ حديث ابن عمر رضي الله عنهما على أن هذا القسم على قسمين: قسم تكون معصيته مستورة في الدنيا فهذا الذي يسترها الله عليه في القيامة وهو بالمنطوق، وقسم تكون معصيته مجاهرةً فدل مفهومه على أنه بخلاف ذلك. والقسم الثاني من تكون معصيته بينه وبين العباد فهم على قسمين أيضًا: قسم ترجح سيئاتهم على حسناتهم فهؤلاء يقعون في النار ثم يخرجون بالشفاعة، وقسم تتساوى سيئاتهم وحسناتهم فهؤلاء لا يدخلون الجنة حتى يقع بينهم التقاصُّ)[٢].

وقد قال رسول الله ﷺ حاضًا على ستر المعصية وعدم المجاهرة بها: ((كلُّ أمَّتي مُعَافىً إلا المجاهِرين . وإنَّ من المجاهرة أَن يعملَ الرجلُ بالليل عملاً ثم يُصبح وقد سَتَرهُ الله فيقول: يا فلان عملتُ البارحةَ كذا وكذا، وقد باتَ يَستُرُه ربُّه ويُصبحُ يكشِفُ ستَر الله عنه))[٣].

قال ابن حجر: (إن الحديث مصرح بذم من جاهر بالمعصية فيستلزم مدح من يستتر، وأيضًا فإن ستر الله مستلزم لستر المؤمن على نفسه، فمن قصد إظهار المعصية والمجاهرة بها أغضب ربه فلم يستره، ومن قصد التستر بها حياء من ربه ومن الناس مَنْ الله عليه بستره إياه)[٤].

---

(١) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري، بيت الأفكار الدولية، الرياض: ٢٠٠٦، ٣٣٤/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٠٤/١٠. وانظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨٩/٤ - ١٩٠.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٦٩، ومسلم ٢٩٩٠.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٠٢/١٠.

جاء في الموسوعة الفقهية: (يندب للمسلم إذا وقعت منه هفوة أو زلة أن يستر على نفسه ويتوب بينه وبين الله عز وجل وأن لا يرفع أمره إلى السلطان، ولا يكشفه لأحد كائنًا ما كان، لأن هذا من إشاعة الفاحشة التي توعد على فاعلها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾(١) ولأنه هتك لستر الله سبحانه وتعالى ومجاهرة بالمعصية)(٢).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: إثبات الحساب وإعطاء الصحف يوم القيامة:

جعل الله يوم القيامة لمحاسبة الناس على ما قدموا في هذه الدنيا، وقد أحصى الله سبحانه وتعالى أعمالهم عليهم وسجلتها ملائكته لهم في الدنيا، وهذا واضح جليّ من الحديث وفي آخره "فيعطى صحيفة حسناته". قال عبدالرحمن حبنكة الميداني: (ولا يتم تنجيز الرحلة الأخيرة من العقاب أو الثواب قبل اجتياز مرحلة الحساب، وذلك للفصل بين الخلائق ولإقامة الحكم بالعدل ولتقرير مرتبة الإكرام والفضل، تمهيدًا لمقتضى الجزاء المقرر بموجب قانون الجزاء الرباني، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾(٣).

ويسبق الحساب عرض فسؤال ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾(٤) وقال تعالى مبينًا مرحلة السؤال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٥).

ولإقامة العدل في الحكم عند الحساب يوم القيامة ميزان حق لا يظلم مثقال ذرة،

---

(١) سورة النور، آية: ١٩.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٠/٢٤.

(٣) سورة الغاشية، الآيتان: ٢٥-٢٦.

(٤) سورة الكهف، آية: ٤٨.

(٥) سورة الحجر، الآيتان: ٩٢-٩٣.

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[(١)].

أما وسائل الإثبات لإدانة المكلف فهي:

١- شهادة كتب الأعمال التي سجلت فيها أعماله وأقواله في الحياة الدنيا، وشهادة الملائكة الكرام الكاتبين الذين قاموا بوظيفة تسجيلها في الدنيا. ويسلّم المكلفون كتب أعمالهم يوم القيامة بأيمانهم إذا كانوا من أهل اليمين في الحياة الدنيا، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أو بشمائلهم ومن وراء ظهورهم إذا كانوا من أهل الشمال في الحياة الدنيا، وهم الذي كفروا وعملوا السيئات.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[(٣)].

قال ابن كثير: (وكتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير والفتيل والقمطير والصغير والكبير ولا يترك ذنبًا صغيرًا ولا كبيرًا ولا عملاً وإن صغر إلا أحصاها أي ضبطها وحفظها "ولا يظلم ربك أحدا" فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعًا ولا يظلم أحدًا من خلقه بل يغفر ويصفح ويرحم ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله ويملأ النار من الكفار وأصحاب المعاصي ثم ينجي أصحاب المعاصي ويخلد فيها الكافرون وهو الحاكم الذي لا يجور)[(٤)].

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

(٢) سورة الانشقاق، الآيات: ٧-١٢.

(٣) سورة الكهف، آية: ٤٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/١٦٥، ١٦٦.

٢- شهادة الإنسان على نفسه بإقراره واعترافه بجرمه، فإن كذب لسانه ختم على فمه واستنطقت جوارحه، فتنطق بإذن الله وقدرته شاهدةً عليه، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1].[2]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3].

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيامَةِ؟ قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟ قَالُوا: لاَ. قَالَ: فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟ قَالُوا: لاَ. قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا. قَالَ: فَيَلْقَىٰ الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ. قَالَ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لاَ. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. ثُمَّ يَلْقَىٰ الثَّانِي فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ، وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ. أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لاَ. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. ثُمَّ يَلْقَىٰ الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذٰلِكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ. وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ. فَيَقُولُ: هَهُنَا إِذًا. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ. وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ. وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي. فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ. وَذٰلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ))[4].

---

(١) سورة النور، آية: ٢٤.

(٢) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة، ٦٥٧-٦٥٨.

(٣) سورة فصلت، الآيات: ١٩-٢١.

(٤) أخرجه مسلم ٢٩٦٨.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الإخبار:

جاء الحديث ليخبر عن أمر مستقبلي وهو ستر الله تعالى لعبده المؤمن يوم القيامة، وإن المؤمن أحوج ما يكون إلى ستر الله وعفوه ومغفرته لذنوبه يوم القيامة، لذا بيّن النبي ﷺ تلك النعمة والمنة العظيمة التي يمنّ الله تعالى بها على عبده المؤمن يوم القيامة.

الحديث رقم (٤٣٤)

٤٣٤- وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ رَجُلاً أصَابَ مِن امْرَأَة قُبْلَةً، فَأتَى النَّبيَّ ﷺ فأخْبَرَهُ، فَأنْزَلَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾[هود: ١١٤] فَقَالَ الرجل: أَلي هَذَا يَا رَسُول اللَّه؟ قَالَ: ((لجميعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

الحديث يبين أثر الحسنة على السيئة، جاء في أسلوب خبري مؤكد بمؤكدين تنبيهاً على عظمة الخبر، ولفتاً للعناية به، وتنكير كلمة رجل لعدم إرادة تعيينه ستراً عليه، والتعبير بالإصابة يؤكد تحقق الفعل، وإتيان الرجل النبي ﷺ دليل على عزمه التوبة، والربط بالفاء في قوله (فأتى - فأخبره) يدل على سرعة توبته، والفعل الماضي الدال على التحقق يؤكد صدق توبته، ومضاء عزيمته لذلك جاءت الآية الكريمة فرجاً من عند الله له، وللمؤمنين من بعده، بأن الحسنة تمحو السيئة ، وقول الرجل (ألي هذا؟) استفهام على حقيقته، وقدم الجار، والمجرور للاختصاص أي لي وحدي دون الناس، فكانت الإجابة من الرسول ﷺ (لجميعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ) يسبقها التوكيد على الشمول، ويحدوها فضلا من الله على عباده.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم التقبيل واللمس والمعانقة: اتفق الفقهاء على عدم وجوب الحد في التقبيل واللمس والمعانقة ونحو ذلك[٢]، وإن كان هذا لا يعني إباحة هذه الأشياء فهي محرمة

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٢٦، ومسلم ٢٧٦٣/٣٩. وسيكرره المؤلف برقم ١٠٤٥.

(٢) المبسوط ٢٦٥/٧، ومنح الجليل ٤٣١/٤، وكفاية الأخيار ٦١٨/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٥٧/١٠، ومجموع الفتاوى ٣١٢/١٥.

شرعًا ولكنها لا تعد زنًا بالمعنى الفقهي، إذ أن هناك فرقًا بين الحل والحرمة وبين وجوب العقوبة.

وهل يعزر على ذلك؟ أجمع العلماء على أن التعزير مشروع في كل معصية لا حد فيها ولا كفارة[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات المدعو المسلم: المسارعة إلى الخروج من الذنوب والسؤال عن كفارتها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحسنات تكفر السيئات.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: نزول القرآن حسب المقتضيات والأحوال.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

أولاً- من واجبات المدعو المسلم: المسارعة إلى الخروج من الذنوب والسؤال عن كفارتها:

إذا كان كل ابن آدم خطاء، فإن المؤمن الحق إذا أخطأ سارع بالتوبة والاستغفار والإنابة إلى الله، وسؤال أهل العلم عن كفارة ذنوبه، وهذا واضح من قول الصحابي ابن مسعود رضي الله عنه: إن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره).

وفي رواية لمسلم: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ. وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا. فَأَنَا هذَا. فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ))[٢].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث ما يدل على شدة ورع هذا الرجل... ولما جرى عليه من مصيبة الله عز وجل ما جرى اختار الإعلان بحاله، وآثر سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صورة أمره وتسليمه إليه نفسه ليقضي فيها بما شاء)[٣].

ومن هذا القبيل ما رواه أبو اليسر كعب بن عمرو السَّلمي قال: أَتَتْنِي امْرَأَةٌ تَبْتَاعُ

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٩/٣٠، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧٠/٩، والمهذب ٣٣٤/٣، والشرح الكبير ١٨٤/١٠، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٥٧/١٠.

(٢) أخرجه مسلم ٤٢ - ٢٧٦٣.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥٥/٢.

تَمْرًا، فَقُلْتُ: إنَّ فِي الْبَيْتِ تَمْرًا أَطيبَ مِنْهُ. فَدَخَلَتْ مَعِي فِي الْبَيْتِ، فَأَهْوَيْتُ إِلَيْهَا فَقَبَّلْتُهَا، فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فقال: اسْتُرْ عَلَى نَفْسِكَ وَتُبْ ولاَ تُخْبِرْ أحدًا فَلَمْ أصبِرْ. فأَتَيْتُ عُمَرَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ. فقال: اسْتُرْ علَى نَفسِكَ وَتُبْ ولاَ تُخْبِرْ أَحَدًا فَلَمْ أَصْبِرْ. فأَتَيْتُ النَّبيَّ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ. فقال لَهُ: ((أَخَلَفْتَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ الله فِي أهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا؟ حَتَّى تَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ إلاَّ تِلْكَ السَّاعَةَ، حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)). قال: وَأَطْرَقَ رَسولُ الله طَوِيلاً حَتَّى أوحى الله إِلَيْهِ: ﴿وأقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيْ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[١][٢].

وقد قال الله تعالى في صفة المتقين: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٣]. أي إذا صدرت منهم معصية أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله بالخوف من عقابه والحياء منه، وذكروا العرض الأكبر على الله فطلبوا الغفران لأجل ذنوبهم وعدلوا عن المعاصي ولم يصروا عليها فرتب الله تعالى بكرمه وفضله غفران الذنوب لمن أخلص في توبته[٤]، فقال: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾[٥].

وقال ابن القيم: (التوبة في كلام الله ورسوله كما تتضمن الإقلاع عن الذنب في الحال والندم عليه في الماضي والعزم على عدم العود إلى المستقبل، تتضمن أيضًا العزم على فعل المأمور والتزامه، فحقيقة التوبة: الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يجب وترك ما

---

(١) سورة هود، آية: ١١٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٣١١٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٤٨٩).

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٥.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٣٢/٥.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٣٦.

يكره، ولهذا علّق سبحانه وتعالى الفلاح المطلق على التوبة، حيث قال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[(١)][(٢)].

إن التوبة من المعصية واجبة شرعًا على الفور باتفاق الفقهاء، لأنها من أصول الإسلام المهمة وقواعد الدين وأول منازل السالكين[(٣)].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحسنات تكفر السيئات:

من فضل الله على عباده أن جعل فعل الحسنات يكفر السيئات ويمحوها، وهذا واضح من الحديث، فلما نزل قول الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[(٤)]، قال الرجل: ألي هذا يا رسول الله؟ قال ﷺ: لجميع أمتي كلهم، فهذا (تصريح -كما يقول النووي- بأن الحسنات تكفر السيئات، واختلفوا في المراد بالحسنات هنا: فنقل الثعلبي أن أكثر المفسرين على أنها الصلوات الخمس واختاره ابن جرير وغيره من الأئمة، وقال مجاهد: هي قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر[(٥)]، ويحتمل أن المراد: الحسنات مطلقًا)[(٦)].

وقال ابن هبيرة: (قوله: "إن الحسنات يذهبن السيئات" يدل على فرق ما بين الله تعالى وبين عباده، فإنه من لطفه أن الحسنات عنده يذهبن السيئات أي تمحوها وتزيلها،

---

(١) سورة النور، آية: ٣١.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٥٤٠/٢، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٩/١٤.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢٥/١٤.

(٤) سورة هود، آية: ١١٤.

(٥) انظر: هذه الأقوال في جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦١٢/١٢، وما بعدها وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٥٤/٤، وما بعدها والدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥٩/٨ وما بعدها.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١٦.

ومن شأن العباد أن السيئات عندهم تذهب الحسنات، فشتان ما بين حالين، ويا خسران من ترك معاملة الله تعالى إلى معاملة فلان وفلان)[(١)].

(والحسنات تعلّل بعلتين: أحداهما ما تتضمنه من جلب المصلحة والمنفعة. والثانية ما تتضمنه من دفع المفسدة والمضرة، فقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[(٢)] بيان لما تضمنته من دفع المفاسد والمضار، وقوله: "ولذكر الله أكبر" بيان لما تضمنته من المنفعة والمصلحة، وهكذا في جميع الحسنات)[(٣)].

وقد قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ: ((أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ))[(٤)].

وعن أبي ذر ﷺ قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي، قَالَ: ((إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا)). قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنَ الْحَسَنَاتِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ؟ قَالَ: ((هِيَ أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ))[(٥)].

قال ابن رجب: (لما كان العبدُ مأمورًا بالتقوى في السرِّ والعلانية مع أنه لابدّ أن يقع منه أحيانًا تفريط في التقوى، إما بترك بعض المأمورات أو بارتكاب بعض المحظورات، فأمره أن يفعل ما يمحو به هذه السيئة وهو أن يتبعها بالحسنة)[(٦)].

وقال الحسن البصري: (استعينوا على السيئات القديمات بالحسنات الحديثات، وإنكم لن تجدوا شيئًا أذهب لسيئة قديمة من حسنة حديثة، وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾)[(٧)].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥٦/٢.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٣) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري ٢٨٧٧/٣.

(٤) أخرجه أحمد ٢٢٨/٥ رقم ٢١٩٨٨، وقال محققو المسند: حديث حسن ٣١٣/٣٦.

(٥) أخرجه أحمد ١٦٩/٥ رقم ٢١٤٨٧، وقال محققو المسند: حسن لغيره ٣٨٦/٣٥.

(٦) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٤١١/١ - ٤١٢.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٦٨/٨.

قال ابن مفلح: (قال ابن تيمية في أثناء كلام له: الذنوب تزول عقوباتها بأسباب: بالتوبة وبالحسنات الماحية وبالمصائب المكفرة، لكنها من عقوبات الدنيا، وكذلك ما يحصل في البرزخ من الشدة. وكذلك ما يحصل في عرصات[1] القيامة. وتزول أيضًا بدعاء المؤمنين كالصلاة عليه، وشفاعة الشفيع المطاع لمن شفع فيه)[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: نزول القرآن حسب المقتضيات والأحوال:

اقتضت حكمة الله تعالى أن ينزل القرآن مفرقًا منجمًا على النبي ﷺ منذ بعثته حتى وفاته، فكانت بعض الآيات تنزل حسب المقتضيات والأحوال، يتضح ذلك في قول الصحابي: فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[3].

وقد ذكر العلماء ستة أوجه تبين الحكمة من نزول القرآن منجمًا ومفرقًا.

منها الوجه الخامس: مسايرة الحوادث والوقائع والتنبيه عليها في حينها والتنبيه على الأخطاء في وقتها، فإن ذلك أوقع في النفس وأدعى إلى أخذ العظة والعبرة منها عن طريق الدرس العملي، فكلّما جد منهم جديد نزل من القرآن ما يناسبه، فكلما حصل منهم خطأ أو انحراف نزل القرآن بتعريفهم وتنبيههم إلى ما ينبغي اجتنابه ولطلب عمله ونبههم إلى مواطن الخطأ في ذلك الوقت والحين)[4].

رابعًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

فقد أجاب النبي ﷺ على سؤال الرجل: ألي هذا يا رسول الله؟ بقوله: "لجميع أمتي كلهم"، فأفاد أن هذا عام لجميع أمته وليس قاصرًا على السائل، وفي هذا بشارة عظيمة للمدعوين، مما يفتح الأمل أمام العصاة والمذنبين، ويحملهم على المسارعة إلى التوبة والاستغفار وفعل الحسنات.

(١) العرْصة: البقعة الواسعة بين الدور لا بناء فيها. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ر ص).

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١/١٦٤.

(٣) سورة هود، آية: ١١٤.

(٤) انظر: التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني ص ٣٢، ٣٨ - ٣٩.

الحديث رقم (٤٣٥)

٤٣٥- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: جاء رجل إلَى النَّبيّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، وَحَضَرَتِ الصَّلاةُ، فَصلَّى مَعَ رَسُول الله ﷺ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلاةَ، قَالَ: يَا رَسُول الله، إنِّي أصَبْتُ حَدًّا فَأقِمْ فِي كِتَابَ الله. قَالَ: ((**هَلْ حَضَرْتَ مَعَنَا الصَّلاةَ**))؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: ((**قَدْ غُفِرَ لَكَ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

أصبتُ حدًّا: معناه: معصية توجب التعزير وليس المراد الحد الشرعي الحقيقي كحد الزنا والخمر وغيرهما؛ فإن هذه الحدود لا تسقط بالصلاة، ولا يجوز للإمام تركها[2].

فأقم في كتاب الله: أي حكم الله الذي أنزله في كتابه[3].

الشرح الأدبي

قول الرجل (أصبت حداً) مجاز مرسل من باب إطلاق اسم المسبب على السبب والعدول عن الحقيقة إلى المجاز رغبة في عدم الإفصاح عن الذنب، أو التصريح بلفظه، وقوله :(فأقمه) الإقامة بمعنى إنفاذه، والتعبير بالإقامة فيه إشارة إلى تعديل الميل الذي طرأ على شيء كان مستقيماً، والمراد به حكم الله علي، وقول الرجل للرسول ﷺ للمرة الثانية (إنّي أصَبْتُ حَدّاً فَأقِمْ فِيَّ كِتَابَ الله) ورد في المرة الأولى دون توكيد؛ لأنه خاطبه به وهو خالي الذهن عن مضمونه، وأكد الخبر في المرة الثانية؛ لأنه سكت عنه

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٢٣، ومسلم ٢٧٦٤/٤٤ واللفظ له.

(٢) رياض الصالحين ٢١٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق و م).

في المرة الأولى، ولم يجبه، فنزله منزلة الشاك في كلامه، أو المعرض عنه، وقوله (كتاب الله) أي حكم الله، وذِكْرُ الكتاب توكيد للحكم، وقول الرسول ﷺ (هَلْ حَضَرْتَ مَعَنَا الصَّلاَةَ) استفهام تقريري بغرض ترتيب الحكم عليه، لأنه سأله عن الحكم قبل الصلاة، ولم يجبه، فلم ينصرف، وقول الرسول ﷺ (قد غفر الله لك) خبر أريد به الفائدة، وأؤكد بقد، وبنسبته لله، وفيه إشارة إلى أن الحد الذي أخبر به في قوله (أَصَبْتُ حَدّاً) مَعنَاهُ: مَعْصِيَةً تُوجِبُ التَّعْزِيرَ، وَلَيْسَ المُرَادُ الحدّ الشَّرعيَّ الحَقِيقيَّ كَحَدِّ الزِّنَا وَالخمر وَغَيرِهِمَا، فإنَّ هذِهِ الحُدودَ لا تَسْقُطُ بالصَّلاةِ، وَلاَ يَجُوزُ للإمَامِ تَرْكُهَا.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم الإقرار بالحدود على الإبهام: ذكر الفقهاء أن من أقر بحد من الحدود ولم يفسر لا يطالب بالتفسير، ولا يقام عليه الحد إن لم يقع منه ذلك[(١)].

وهل يستحق تلقينه الرجوع عن الإقرار بموجب الحد صريحاً؟ يرى جمهور الفقهاء أنه يسن للإمام أو لمن ينوب عنه أن يلقن المقر الرجوع عن الإقرار في الحدود، درءاً للحد[(٢)].

قال النووي: (وقد جاء تلقين الرجوع عن الإقرار بالحدود عن النبي ﷺ وعن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم واتفق العلماء عليه)[(٣)].

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ١٠٦/٧، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ٢٢٩/١، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٤/١٧/٩-٨٥.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٨/٥، وشرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ١٢١/٤، والذخيرة ٥٦/١٢، والحاوي الكبير ٧٣/١٧، ومغني المحتاج ١٧٥/٤، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٥٣/٩، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٩/١٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠٥/١١/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات المدعو المسلم: المسارعة إلى التكفير عن ذنوبه.

ثانيًا: من مهام الداعية: الستر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الصلاة كفارة للذنوب.

رابعًا: من أهداف الدعوة: نشر الستر بين الناس.

خامسًا: من أساليب الدعوة: السؤال والتوكيد.

أولاً- من واجبات المدعو المسلم: المسارعة إلى التكفير عن ذنوبه:

إن علامة صدق المدعو هو أنه إذا أذنب أن يسارع إلى الاستغفار والتكفير عن ذنوبه، يتضح هذا من قول الرجل: "يا رسول الله أصبت حدًّا فأقمه عليّ"، وقد وقع ذلك من بعض الصحابة رضي الله عنهم، ويظهر ذلك واضحًا جليًا في حال الصحابة رضي الله عنهم فكان أحدهم إذا وقع في معصية أو غلب عليها سارع بالتوبة والاستغفار وسأل عما يجب هذا الذنب ويستره، والأدلة على ذلك كثيرة، منها عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني عالجت امرأة أقصى المدينة وإني أصبت منها ما دون أن أمسها فأنا هذا فأقضى فيَّ ما شئت؟ فقال له عمر: لقد سترك لو سترت على نفسك، قال فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا، فقام الرجل فأتبعه النبي رجلاً دعاه فتلا عليه هذه الآية: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ فقال رجل من القوم يا نبي هذا له خاصة؟ قال بل للناس عامة))[1].

قال القرطبي: (قوله: "إن الحسنات يذهبن السيئات" يعني الصلوات الخمس، قال الطبري، وقال مجاهد هي لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله، قلت: واللفظ بحكم عمومه صالح لما قالاه، ولزيادة عليه، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر))[2])[3]، وعن

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٦٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٣٣.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧/٨٧، ٨٨.

عائشة رضي الله عنها: ((إنَّ رجُلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال إنهُ احترَقَ، قال: مالَكَ؟ قال: أصَبْتُ أهلي في رَمضانَ. فأُتِيَ النبيُّ ﷺ بمِكْتَلٍ [١] يُدعى العَرَق. فقال: أينَ المحترقُ؟ قال: أنا. قال: تَصدَّقْ بهذا)) [٢].

قال ابن حجر: (قوله: "إنه احترق" سيأتي في حديث أبي هريرة رضي الله عنه [٣] أنه عبّر بقوله هلكت ورواية الاحتراق تفسّر الهلاك، وكأنه لما اعتقد أن مرتكب الإثم يعذّب بالنار أطلق على نفسه أنه احترق لذلك. وقد أثبت النبي ﷺ له هذا الوصف فقال: أين المحترق؟ إشارة إلى أنه لو أصّر على ذلك لاستحق ذلك) [٤].

ثم قال: "وفي الحديث من الفوائد -غير ما تقدم- السؤال عن حكم ما يفعله المرء مخالفًا للشرع والتحدث بذلك لمصلحة معرفة الحكم" [٥].

وقد قال الله تعالى في صفة المتقين: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [٦]، قال ابن رجب: (فدلّ على أن المتقين قد يقع منهم أحيانًا كبائر وهي الفواحش وصغائر وهي ظلم النفس، لكنهم لا يصرون عليها، بل يذكرون الله عقب وقوعها، فيستغفرونه، والتوبة هي ترك الإصرار، ومعنى قوله: "ذكروا الله" أي: ذكروا عظمته وشدة بطشه وانتقامه، وما توعد به على المعصية من العقاب فيوجب ذلك لهم الرجوع في الحال والاستغفار وترك الإصرار) [٧].

---

(١) قفة من ورق النخيل (الخوص) ونحوه يحمل فيها التمر ونحوه، انظر: معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٤٢٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٣٥، ومسلم ١١١٢.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٣٦، ومسلم ١١١١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٢/٤.

(٥) المرجع السابق ٢٠٤/٤.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٣٥

(٧) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٤١٢/١ - ٤١٣.

ثانيًا- من مهام الداعية: الستر:

إن الداعية بحكم قربه من المدعوين قد يطلع منهم على بعض زلاتهم، وهو بإزاء هذا يستر عليهم قدر الإمكان، يتضح ذلك من قول النبي ﷺ: (هل حضرت معنا الصلاة؟ قال: نعم، قال: قد غفر لك).

وفي حديث واثلة بن الأسقع: فقال ﷺ: ((هَلْ تَوَضَّأْتَ حِينَ أَقْبَلْتَ؟)) قال: نَعَمْ، قالَ: ((صَلَّيْتَ مَعَنَا؟)) قالَ: نَعَمْ، قالَ: ((فَاذْهَبْ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ))[١].

قال ابن حجر: (قال الخطابي: في هذا الحديث أنه لا يكشف عن الحدود بل تدفع مهما أمكن، وهذا الرجل لم يفصح بأمر يلزمه به إقامة الحد عليه فلعله أصاب صغيرة ظنّها كبيرة توجب الحدّ فلم يكشفه النبي ﷺ عن ذلك لأن موجب الحد لا يثبت بالاحتمال، إنما لم يستفسره إما لأن ذلك قد يدخل في التجسس المنهي عنه وإما إيثارًا لستر ورأى أن في تعرضه لإقامة الحدّ عليه ندمًا ورجوعًا، وقد استحب العلماء تلقين من أقرّ بموجب الحد بالرجوع عنه إما بالتعريض وإما بأوضح منه ليدرأ عنه الحد)[٢].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (يندب لولي الأمر إذا رفع العاصي أمره إليه مما فيه حدّ أو تعزير في شيء من حقوق الله تعالى معلنًا توبته أن يتجاهله وأن لا يستفسره، بل يأمره بالستر على نفسه، ويأمر غيره بالستر عليه، ويحاول أن يصرفه عن الإقرار، ولا سيما إذا كان معروفًا بالصلاح والاستقامة أو كان مستور الحال)[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الصلاة كفارة للذنوب:

إن الصلاة لها فضل عظيم وأثر كبير، فهي عماد الإسلام، ومن ثمّ فلا عجب أنها سبب لغفران الذنوب، وتكفير السيئات، يتضح ذلك من قول النبي ﷺ عندما أخبره الرجل أنه قد حضر الصلاة معه ﷺ قال له: (قد غفر لك)، وفي حديث ابن

---

(١) أخرجه ابن حبان ١٧٢٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/١٢٧ - ١٣٨.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤/١٧١.

مسعود ﷺ[١]، (فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[٢])، وقد اختلف في المراد بالحسنات في الآية ورجح ابن جرير الطبري أنها الصلوات الخمس وعلّل ذلك بقوله: "لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ وتواترها عنه، أنه قال: ((مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ عَذْبٍ يَجْرِي عِنْدَ بَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَمس فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فمَاذَا يَبْقين منه))[٣]، وأن ذلك في سياق أمر الله بإقامة الصلوات، فالوعد على إقامتها الجزيل من الثواب عقيبها أولى من الوعد على ما لم يجر له ذكر من سائر صالحات الأعمال، إذا خُص بالقصد بذلك بعضٌ دون بعض"[٤].

وقال ابن حجر[٥]: (وجزم النووي وجماعة أن الذنب الذي فعله كان من الصغائر بدليل أن في بقية الخبر أنه كفرته الصلاة، بناء على الذي تكفره الصلاة من الذنوب الصغائر لا الكبائر، وهذا هو الأكثر الأغلب وقد تكفر الصلاة بعض الكبائر كمن كثر تطوعه مثلاً بحيث صلح لأن يكفر عددًا كثيرا من الصغائر ولم يكن عليه من الصغائر شيء أصلاً أو شيء يسير وعليه كبيرة واحدة فإنها تكفر عنه ذلك، لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً"[٦].

لكن ابن هبيرة يقول: (في هذا الحديث دلالة على أن الصلاة تكفر كبار الذنوب فإن الرجل قال: "أصبت حدًا"، فلما صلّى جعل النبي ﷺ الصلاة مكفرة عنه ذلك، وإنما فعل رسول الله ﷺ ذلك من أجل أن الرجل لم يقرّ بذلك الحد، ولا عينّه، ولم يصرح بأمر يلزمه

---

(١) أخرجه البخاري ٥٢٦، ومسلم ٦٨٧.

(٢) سورة هود، آية: ١١٤.

(٣) الحديث بنحوه في الصحيحين من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري ٥٢٨، ومسلم ٦٦٧.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦١٧/١٢.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٤/١٧/٩.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٨/١٢.

شيئًا في الحكم. فكانت الصلاة مكفرة، ورأى رسول الله ﷺ أن إقراره به والتماسه منه إقامة الحدّ عليه يعد ندمًا صريحًا، قد هدم ذنبه الذي أتى به، فلما لم يعينه ولم يثبت عليه حدٌّ معين اكتفى رسول الله ﷺ بالصلاة مكفرة)[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((لَوْ أَنَّ بِبَابِ أَحَدِكُمْ نَهْرًا يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالُوا لا قَالَ فَكَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا))[٢].

قال ابن حجر: (قال ابن العربي: وجه التمثيل أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أدران الذنوب حتى لا تبقي له ذنبًا إلا أسقطته)[٣].

رابعًا- من أهداف الدعوة: نشر الستر بين الناس:

إن الإسلام يأمر بمكارم الأخلاق ومحاسن العادات لذا فإنه يحضّ على الستر، وعلى تخلق المجتمع كله دعاة ومدعوين بهذا الخلق الجميل، كما يحث على نشره بين الناس، فقد ستر النبي ﷺ على الرجل الذي أقّر بالذنب ولم يسأله عنه وأخبره أن الله قد غفر له، وكان هذا بحضرة الصحابة رضي الله عنهم وقد وقع لجماعة من الصحابة رضي الله عنهم غيره مثل ما وقع له[٤]، وقد جاء ماعز بن مالك والمرأة الغامدية يعترفان بالزنا، فستر عليهما النبي ﷺ أول الأمر فلما أصّرا أقام عليهما الحد[٥].

قال ابن حجر: (ويؤخذ من قضيته -أي ماعز- أنه يستحب لمن وقع في مثل قضيته أن يتوب إلى الله تعالى ويستر نفسه ولا يذكر ذلك لأحد كما أشار به أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على ماعز[٦]، كما قال ﷺ في هذه القصة: ((لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كَانَ

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٠١/٥.

(٢) أخرجه البخاري ٥٢٨، ومسلم ٦٦٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥/٢ - ١٦.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٥/١٢.

(٥) حديث ماعز أخرجه البخاري ٥٢٧١، ومسلم ١٦٩١، وحديث الغامدية أخرجه مسلم ١٦٩٥.

(٦) أخرجه مالك في الموطأ ٣٥١٣ من مرسل سعيد بن المسيب.

خَيْرًا لَكَ))[١]، وبهذا جزم الشافعي فقال: أحب لمن أصاب ذنبًا فستره الله عليه أن يستره على نفسه ويتوب، واحتج بقصة ماعز مع أبي بكر وعمر.. والذي يظهر أن الستر مستحب والرفع [إلى الإمام] لقصد المبالغة في التطهير أحب. والعلم عند الله تعالى)[٢].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (أجمع العلماء أن من اطلع على عيب أو ذنب أو فجور لمؤمن من ذوي الهيئات أو نحوهم ممن لم يعرف بالشر والأذى ولم يشتهر بالفساد، ولم يكن داعيًا إليه، كأن يشرب مسكرًا أو يزني أو يفجر متخوفًا متخفيًا غير متهتك ولا مجاهر، يندب له أن يستره ولا يكشفه للعامة أو الخاصة ولا للحاكم أو غير الحاكم للأحاديث الكثيرة التي وردت في الحث على ستر عورة المسلم والحذر من تتبع زلاته... ولأن كشف هذه العورات والعيوب والتحدث بما وقع منه قد يؤدي إلى غيبة محرمة وإشاعة للفاحشة. قال بعض العلماء: اجتهد أن تستر العصاة. فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام وأولي الأمور ستر العيوب. قال الفضيل بن عياض: المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعيّر)[٣].

ويذكر ابن هبيرة وجهًا آخر لستر العاصي على نفسه أنه إن أظهر ذنبه فإنه يجرأ (على المعصية من غيره مَنْ قد كان يرى عن هذا الرجل أن مقامه أكبر من أن يتعرض لمثل هذا)[٤].

خامسًا- من أساليب الدعوة: السؤال والتوكيد:

لقد سأل النبي ﷺ الرجل عن حضوره الصلاة معه ﷺ ليرتب على ذلك جوابًا مؤكدًا وهو: (قد غفر الله لك)، واستخدم النبي ﷺ (قد) المؤكدة ليزيل كل تردد وشك من نفس هذا الصحابي بخصوص غفران ذنبه، فالله يقبل التوبة من عباده.

---

(١) أخرجه أحمد رقم ٢١٨٩٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/١٢٧ - ١٢٨.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤/١٦٩.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢/٥٦.

الحديث رقم (٤٣٦)

٤٣٦- وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((إنَّ الله لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أنْ يَأكُلَ الأَكْلَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يبين مدى فضل الله - عز وجل - على عباده بتقبله لقليل أعمالهم، ومغفرته لكثير ذنوبهم، وهذا الحديث يشير إلى جانب من هذا المعنى، ومن الملاحظ في بداية الخبر كثافة المؤكدات التي تدل على أهمية الخبر، وتعظيمه، وربما أشارت هذه المؤكدات إلى تنزيل المخاطبين منزلة المنكرين بسبب غفلتهم عن فضل هذه الأعمال، واستهانتهم بها، لأنها تبدو سهلة بسيطة، ويترتب عليها أمر جلل، وهو رضى الله - عز وجل - ، وفي قوله (يأكل الأكلة)، و(ويشرب الشربة) جناس أكد المعنى المراد، وأحدث توازنا صوتياً في العبارة يلفت السمع، وتكرار الحمد للتنبيه على فضله، وصرف العناية إليه، واستخدام حرف العطف (أو) للتنويع، أي: أي نوع يفعله فيحمد الله، يرضي الله تعالى، وربط فعل الحمد بالفاء يؤذن بالتعقيب دون مهلة يستغلها الشيطان لينسيه إياها.

المضامين الدعوية[٢]

---

(١) برقم ٢٧٣٤/٨٩. وتقدم برقم ١٤٠. أورده المنذري في ترغيبه ٣١٩٥.

(٢) تقدم شرحها في الحديث رقم (١٤٠).

الحديث رقم (٤٣٧)

٤٣٧- وعن أَبي موسى رضي الله عنه ، عن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: ((إنَّ الله تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بالَّليلِ ليَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللّيلِ، حَتَّى تَطلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

تصدير الخبر باسم الله يسبقه التوكيد، ويتلوه الجملة التنزيهية (تعالى) التي تربي مهابة الله في قلوب المخاطبين، تعظيم للخبر يتساوق مع مستوى التحديث الإلهي، وصياغة البسط في صورة المضارع يعطي تجدداً، واستمراراً يطرد باطراد الليل، وصياغة فعل التوبة من العبد في صورة المضارع يتوازى مع هذا البسط، فإذا الصورة باب رب مفتوح ليلاً يستقبل التائبين من عباده بالمغفرة، والصفح، ومقابلة صورة البسط الليلية مع الصورة النهارية يعطي الحكم اطراداً مع الزمان، حاصله باب توبة مفتوح ليل نهار أبداً، وتخصيص توبة مسيء الليل بالنهار وتوبة مسيء النهار بالليل يحقق فائدتين: إحداهما مراجعة العبد نفسه فيما عمل في ليله، أو نهاره في مساحة من الزمن تسكن فيها دواعي المعصية، والثانية التعجيل بالتوبة، وعدم تأخير التوبة بعد ذلك؛ لأن تأخيرها يعطي الشيطان فرصة ليستجد دوافع المعصية، ويوقعه فيها، وإذا تتالت الذنوب حجبت القلب عن نور الرب، وقوله (حَتَّى تَطلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) كناية عن قيام الساعة مما يدل على استمرار البسط إلى يوم القيامة، وفي هذا ترغيب في التوبة والإكثار منها مع تبادل الليل، والنهار ما لم تقم الساعة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٢٧٥٩/٣١ وتقدم برقم ١٦. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٨٧.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٦).

الحديث رقم (٤٣٨)

٤٣٨- وعن أَبي نجيح عمرو بن عَبَسَة -بفتح العين والباء- السُّلَمِيِّ ﵁، قَالَ: كُنْتُ -وأنا في الجاهِلِيَّةِ- أظُنُّ أنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلاَلَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيهِ، فإذَا رسولُ الله ﷺ مُسْتَخْفِيًا، جُرَءاءُ عَلَيهِ قَومُهُ، فَتَلَطَّفتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أنْتَ؟ قَالَ: ((**أنا نَبيٌّ**)) قُلْتُ: وما نبيٌّ؟ قَالَ: ((**أرْسَلَنِي الله**)) قُلْتُ: وبأيِّ شَيْءٍ أرْسَلَكَ؟ قَالَ: ((**أرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأرْحَامِ، وَكَسْرِ الأَوْثَانِ، وَأنْ يُوَحَّدَ اللهُ لاَ يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ**)) قُلْتُ[1]: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: ((**حُرٌّ وَعَبْدٌ**)) ومعه يَوْمَئذٍ أَبُو بكرٍ وبلالٌ رضي الله عنهما، قُلْتُ: إنّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: ((**إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ ذلِكَ يَومَكَ هَذَا، ألا تَرَى حَالي وحالَ النَّاسِ؟ وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أهْلِكَ فَإذَا سَمِعْتَ بي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي**)) قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أهْلِي وقَدِمَ رَسُول الله ﷺ المَدِينَةَ (حَتَّى قَدِمَ نَفَرٌ مِنْ أهْلِي المَدِينَةَ)[2]، فقلتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ المَدينَةَ؟ فقالوا: النَّاس إلَيهِ سِرَاعٌ، وَقَدْ أرادَ قَومُهُ قَتْلَهُ، فلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذلِكَ، فقَدِمْتُ المدينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيهِ، فقلتُ: يَا رَسُول الله أَتَعْرِفُني؟ قَالَ: ((**نَعَمْ، أنْتَ الَّذِي لَقَيْتَنِي بمكّةَ**)) قَالَ: فقلتُ: يَا رَسُول الله، أخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وَأَجْهَلُهُ، أخْبِرْنِي عَنِ الصَّلاَةِ؟ قَالَ: ((**صَلِّ صَلاَةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلاَةِ حَتَّى تَرْتَفِعَ**[3] **الشَّمْسُ (قِيدَ رُمْحٍ)** [4]**، فَإنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطلُعُ بَيْنَ قَرْنَي شَيطَانٍ، وَحينَئذٍ يَسجُدُ لَهَا الكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإنَّ الصَّلاَةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ، حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بالرُّمْحِ، ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلاةِ، فَإنَّهُ حينئذ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فإذَا أقْبَلَ الفَيْءُ فَصَلِّ، فَإنَّ الصَّلاةَ مَشْهُودَةٌ**

---

(١) عند مسلم زيادة: (له).

(٢) لفظ مسلم: (وكنتُ في أهلي، فجعلتُ أتخبر الأخبار، وأسأل الناس حين قدم المدينة، حتى قدم عليَّ نفرٌ من أهل يثرب من أهل المدينة) وأنا على يقين أن هذين السطرين سقطا من نسخة المؤلف من الجمع للحميدي.

(٣) لفظ مسلم: (تطلع).

(٤) لفظ مسلم: (ترتفع) بدل: (قيد رمح).

مَحضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّي العصرَ، ثُمَّ اقْصرْ عَنِ الصَّلاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فإنَّهَا تَغْرُبُ بينَ قَرْنَيْ شَيطانٍ، وَحِينَئذٍ يَسْجُدُ لَهَا الكُفَّارُ)) قَالَ: فقلتُ: يَا نَبيَّ اللهِ، فالوضوءُ حدثني عَنْهُ؟ فَقَالَ: ((مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءهُ، فَيَتَمَضْمَضُ وَيسْتَنْشِقُ فَيَسْتَنْثِرُ[1]، إلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيْهِ وَخَيَاشِيْمِهِ، ثُمَّ إذا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ، إلا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ المَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يديهِ إلَى المِرفقَيْنِ، إلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أنَامِلِهِ مَعَ المَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأسَهُ، إلاَّ خرّتْ خطايا رأسِهِ من أطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الماءِ، ثُمَّ يغسل قدميه إلَى الكعْبَيْنِ، إلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا رِجلَيْهِ مِنْ أنَامِلِهِ مَعَ الماءِ، فَإنْ هُوَ قَامَ فَصلَّى، فَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى، وأثنى عَلَيهِ ومَجَّدَهُ بالَّذي هُوَ لَهُ أهْلٌ، وَفَرَّغَ قلبه للهِ تَعَالَى، إلاَّ انْصَرفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كهيئته يَومَ وَلَدتهُ أُمُّهُ)).

فحدث عَمرُو بن عَبسَة بهذا الحديث أَبَا أُمَامَة صاحِب رَسُول الله ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَبُو أُمَامَة: يَا عَمْرُو بنُ عَبسَة، انْظُر مَا تقولُ في مقامٍ واحدٍ يُعْطَى هَذَا الرَّجُلُ؟ فقَالَ عَمْرٌو: يَا أَبَا أُمَامَة، لقد كَبِرَتْ سِنّي، وَرَقَّ عَظمِي، وَاقْتَرَبَ أجَلِي، وَمَا بي حَاجَةٌ أنْ أكذِبَ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَلا عَلَى رَسُول الله ﷺ، لَوْ لَمْ أسمعه مِنْ رَسُول الله ﷺ، إلاَّ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَينِ أَوْ ثَلاثًا -حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّات- مَا حَدَّثْتُ[2] أبدًا بِهِ، وَلكنِّي سمعتُهُ أكثر من ذلِكَ. رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

عمرو بن عَبَسة السلمي: هو عمرو بن عَبَسة بن خالد السُّلمي البجْلي كنيته: أبو نَجيح أخو أبي ذر الغفاري لأمه. قال عنه الذهبي: الإمام الأمير.

أحد السابقين إلى الإسلام، فكان رابع أربعة أو خامس خمسة في الإسلام، كان قبل أن يُسلم من الباحثين عن الدين الحق. فاعتزل عبادة الأوثان، لِما رأى فيها من

---

(١) لفظ مسلم: (فينتثر).

(٢) عند مسلم زيادة: (به).

(٣) برقم ٢٩٤/٨٣٢. أورده المنذري في ترغيبه ٢٩٩.

البطلان والضلال قال: رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية فرأيت أنها آلهة باطلة يعبدون الحجارة، والحجارة لا تضر ولا تنفع، فلقيت رجلاً من أهل الكتاب فسألتُه عن أفضل الدين فقال: يخرج رجلٌ من مكة يرغب عن آلهة قومه ويأتي بأفضل الدين، فإذا سمعت به فاتبعه -فلم يكن لي همٌّ إلا مكة أسأل: هل حدث فيها أمر؟

فلما علم بأمر النبي ﷺ أتاه وأسلم وأمره ﷺ بالرجوع إلى قومه، إشفاقًا عليه، حتى إذا مكن الله لرسوله أتاه كما في الحديث المذكور.

فرجع إلى بلاده فأقام بها إلى أن فتح المسلمون خيبر، فهاجر إلى المدينة وشارك في فتح مكة، وشهد حصار الطائف، وظلّ على جهاده في عهد الخلفاء، فكان من أمراء الجيش في موقعة اليرموك، وسكن الشام ونزل حمص، وقد روى عنه عبدالله بن مسعود مع تقدمه في العلم والعمل والصحبة.

ولم تُؤرَّخ وفاتُه، لكن الحافظ ابن حجر مال إلى أنه مات في أواخر خلافة عثمان، لأنه لم يَرَ له ذِكرًا في الفتنة ولا في خلافة معاوية[1].

غريب الألفاظ:

جرءاء عليه قومه: أي: جاسرون مستطبلون غير هائبين، هذه هي الرواية المشهورة، ورواه الحميدي وغيره "حِرَاءٌ" بكسر الحاء المهملة: وقال: معناه: غضاب ذوو غمّ وهمّ. قد عيل صبرهم به، حتى أثر في أجسامهم، منقولهم: حَرَى جسمه يحْرَى، إذا نقص من ألم أو غمّ ونحوه. والصحيح أنه بالجيم[2].

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢١٤/٤) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٩٢، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٣٩/٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٨٤، والسير (٤٥٦/٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٤٣٥/٥)، تهذيب التهذيب، ابن حجر (٢٨٧/٣) وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٤٣٩/٢).

(٢) رياض الصالحين ٢١٥.

ظهرت: غلبت وعلوت عليهم[١].

النفر: الناس كلهم، والجماعة من الناس من ثلاثة إلى عشرة[٢].

اقصَرْ: كفَّ واقعد[٣].

قيد رمح: قدر رمح[٤].

قرني شيطان: ناحيتي رأسه والمراد التمثيل، ومعناه: أنه حينئذ يتحرك الشيطان وشيعته ويتسلطُون[٥].

محضورة: تحضرها الملائكة فهي أقرب إلى القبول وحصول الرحمة[٦].

يستقل الظلُ بالرمح: أي يقوم مقابله في جهة الشمال ليس مائلاً إلى المغرب ولا المشرق، وهذه حالة الاستواء[٧].

تسجر جهنم: يوقد عليها إيقادًا بليغًا[٨].

أقبل الفيء: ظهر إلى جهة المشرق، والفيء مختص بما بعد الزوال. وأما الظلّ فيقع على ما قبل الزوال وبعده[٩].

يقرب وضوءه: يحضر الماء الذي يتوضأ به[١٠].

---

(١) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٦٨، والنهاية في غريب الحديث، ابن الأثير في (ظ هـ ر).

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي ٤٨٥، والكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٦٨٦، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٥٤.

(٣) المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ص ر).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ي د).

(٥) رياض الصالحين ٢١٥.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٥٠.

(٧) المرجع السابق ٥٥٠.

(٨) المرجع السابق ٥٥٠.

(٩) المرجع السابق ٥٥٠، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٦٩.

(١٠) رياض الصالحين ٢١٥.

فينتثر: يستخرج ما في أنفه من أذى. والنثرة: طرف الأنف[١].

خرت خطاياه: سقطت، ورواه بعضهم جرت بالجيم، والصحيح بالخاء وهو رواية الجمهور[٢].

فيه: الفم، والجمع أفواه[٣].

خياشيمه: أقصى الأنف[٤].

المرفق: هو موقع اتصال الذراع بالعضد وهما مرفقان[٥].

أنامله: المفرد: أُنْمُلَة: وهي عقدة الإصبع أو سلاماها، أو المفصل الأعلى من الإصبع الذي فيه الظُّفْر[٦].

الشرح الأدبي

يروي الحديث أَبو نجيح عمرو بن عَبَسَة - رضي الله عنه السُّلَمِيُّ في أسلوب قصصي، لقصة هو بطلها، ورواية الراوي لقصته يتميز برواية الأحداث بتفاصيلها، وبما يخالج نفسه في أثنائها كما أنه، ويمكن تقسيمه أحداثها زمنياً إلى ثلاث مراحل: الأولى: خلال الجاهلية، والثانية: في أثناء الإسلام، والثالثة: في لقائه للرسول ﷺ، وما أخبره به.أما المرحلة الأولى فقد أشار إلى أحداثها بفعل الكينونة الذي يدخل به بوابة الزمن (كُنْتُ وأنَا في الجاهِلِيَّةِ) وقد عبَّر بضمير المتكلم تخصيصاً لنفسه، و(في) الظرفية التي تقرر الإحاطة إشارة إلى اصطباغ الحياة بالصبغة الجاهلية بما عرف من حالها في الشرك، والطيش، وقد صور اعتقاده الممهد لبحثه عن البديل بقوله (أظُنُّ أنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلاَلَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ) الظن بمعنى الاعتقاد والتعبير بالجار

(١) المرجع السابق ٢١٦.

(٢) المرجع السابق ٢١٥ - ٢١٦.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ، الفيروزآبادي ١٢٥١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٥٠.

(٥) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ، الفيروزآبادي في (ر ف ق).

(٦) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٧٥.

والمجرور(على ضلالة) يوحي بركوبهم الضلالات، وهو ما يوحي به الاستعلاء في حرف الجر (على)، الداخل على النكرة، ثم أشار إلى الفراغ الداخلي، والخواء من العقيدة بقوله (ليسوا على شيء)، كما أشار إلى الاختصاص، والثبات على هذا الباطل بقوله (وهم يعبدون الأصنام) وهذه العقيدة التي هيأت للبحث عن البديل، جعلته يتلمس الحق (فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أخْبَاراً) وتأمل تسارع الأحداث بعد أن سمع عن الداعي الجديد، والذي يوحي به الربط بين الجمل بالفاء(فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيهِ) ثم المفاجأة التي يتتبعها (فإِذَا رسولُ الله ﷺ) وانظر كيف وصف حاله بقوله (مُسْتَخْفِياً) التي تدل على ضعف، مع خوف، وحال قومه معه (جُرَءاءُ عَلَيهِ قَومُهُ) والتعبير بالجرأة التي تشي بالاعتداء، والتطاول، وجمعها الذي يوحي بالتكاثر على إيذائهم، وتقديمها الذي استرعى انتباهه، ثم قوله (فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيهِ بِمَكَّةَ) الذي يوحي بأن هناك من يترصد بالمسلمين، ولمن يريد الإسلام، المرحلة الثانية في القصة هي مرحلة لقائه بالنبي ﷺ وهي تقوم على الحوار الهادف إلى التعرف على النبي ﷺ، ودعوته؛ ولذلك استخدم (ما) التي يسئل بها عن الماهية (مَا أنْتَ ؟ قَالَ: ((أنا نَبيٌّ)) قُلْتُ: وما نبيٌّ ؟ قَالَ: ((أرْسَلَنِي الله)) قُلْتُ: وبأيِّ شَيْءٍ أرْسَلَكَ ؟ قَالَ: ((أَرْسَلَنِي بِصلَةِ الأرْحَامِ، وَكَسْرِ الأوْثَانِ، وَأنْ يُوَحَّدَ اللهُ لاَ يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ)) قُلْتُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ: ((حُرٌّ وَعَبْدٌ))، وقد تضمن التوجيه تنقية العقيدة بكسر الأصنام، وتوحيد الرحمن، لأنها الأهم، وقوله (حر، وعبد) طباق يشير إلى مساواة الإسلام، وعمومه لكل طبقات الناس، وقوله (إني متبعك) ورد الرسول ﷺ له(إنَّكَ لَنْ تَسْتَطيعَ ذلِكَ يَومَكَ هَذَا ، ألا تَرَى حَالي وحالَ النَّاسِ ؟) وهذا الاستفهام يؤكد ما هم فيه من خوف، وضعف، ثم استدرك كلامه بما يبشر بانقشاع الغمة، وتحقيق النصر (وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بي قَدْ ظَهَرْتُ فَأتِنِي)

المرحلة الثالثة، مرحلة لقاء الرسول بالمدينة، وهي تقوم على الحوار التعليمي قال: (فقَدِمْتُ المدينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيهِ، فقلتُ: يَا رَسُول الله أتَعْرِفُني ؟ قَالَ: ((نَعَمْ، أنْتَ الَّذِي لَقَيْتَنِي بمكَّةَ)) قَالَ: فقلتُ: يَا رَسُول الله، أخْبِرنِي عَمَّا عَلَّمَكَ الله وأَجْهَلُهُ، أخْبِرْنِي عَنِ الصَّلاَةِ ؟)، وسؤاله عن الصلاة بعد تنقية العقيدة، لأنها أهم أركان الإسلام، وتعليم

الرسول ﷺ له أوقاتها بدية إشارة إلى أهمية الوقت عموماً، مع الإشارة إلى خصوصية بعض الأوقات، وإشارة إلى أهمية التوقيت في الصلاة خصوصاً، ثم سأله عن الوضوء الذي لا تصلح من غيره فأجابه بأسلوب القصر الذي يقصر تطهير كل عضو منها عل مغفرة ما علق به من الخطايا كما ينقي ماء الوضوء ما علق به من القذارة قال ﷺ (مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ، فَيَتَمَضْمَضُ وَيسْتَنْشِقُ فَيَسْتَنْثِرُ، إلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ المَاءِ...)والتعبير بالخرير استعارة لمغفرتها يصورها بالقذارة العالقة بالجسد، والتي تستلزم من الإنسان الحرص على دوام تطهيرها بالوضوء، ويفيد التعبير بالخرير السرعة في السقوط، والنزول من المرتفع ، وهو الإنسان إلى المنخفض، وهو مكان القذارة، وقوله (وَفَرَّغَ قلبه للّهِ تَعَالَى) كناية عن ترك الشواغل الحسية، والمعنوية، وقوله (إلاَّ انْصَرفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كهيئته يَومَ وَلَدتهُ أُمُّهُ) كناية عن نقائه من الخطايا، والتشبيه بهيئة المولود يشير إلى النقاء من الخطايا مع نقاء القلب يعرف هذا من نقاء قلب الطفل، كما يشير إلى تعلقه بربه كتعلق الجنين الفطري بأمه، وهو توكيد للمغفرة التامة ينفي وهم المبالغة عن استعظم خطاياه.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم الوضوء: أجمع العلماء على أن الوضوء للصلاة فرض لا تجزئ الصلاة إلا به لمن وجد إلى ذلك سبيلاً(١).

٢-حكم المضمضة والاستنشاق في الوضوء: لا خلاف في مشروعيتهما في الوضوء وإنما الخلاف في صفتهما الشرعية، فذهب الحنابلة في المشهور إلى أنهما واجبان، بينما ذهب الحنفية والمالكية والشافعية إلى أنهما مسنونان(٢).

---

(١) الإجماع لابن المنذر ٣، والعناية على الهداية ١٤/١، وبداية المجتهد ١٤/١، ونهاية المحتاج ٤٧٨/١، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٩٢/١.

(٢) رد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين"، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٧٩/١، وجواهر الإكليل ١٦/١، وزاد المحتاج ٤٣/١، والكافي ٢٦/١.

٣-حكم غسل الوجه: وهو واجب بإجماع العلماء[(١)].

٤-حكم غسل اليدين في الوضوء: لا خلاف بين العلماء في وجوب غسل اليدين في الوضوء، وإنما الخلاف في غسل المرفقين مع اليدين هل يجب؟ ذهب الجمهور إلى أنه يجب إدخال المرفقين مع اليدين عند غسلهما في الوضوء[(٢)]، وذهب المالكية في قول إلى أنه لا يجب ذلك[(٣)]، وفي قول ثالث لهم يستحب ذلك لأنه أحوط[(٤)].

٥-حكم مسح الرأس: اتفق الفقهاء على وجوب مسح الرأس، ووقع الخلاف بينهم في المقدار الذي يجزئ، فذهب الشافعية وبعض المالكية إلى أن المجزئ مسح بعض الرأس ولو كان شعرة واحدة، بينها ذهب الحنفية إلى أن المجزئ هو مسح ربع الرأس، وذهب المالكية في المعتمد والحنابلة في المشهور إلى أن المجزئ هو مسح الرأس كله[(٥)] وهو الراجح لما فيه من العمل بالأحوط، وهو مطلوب في العبادات، ولأن في مسح الكل مسحًا للبعض الذي قال به الشافعية والربع الذي قال به الحنفية.

٦-حكم غسل الرجلين في الوضوء: اختلف الفقهاء في ذلك، فذهب جميع الفقهاء من أهل الفتوى إلى وجوب غسلهما[(٦)]، وذهب الإمامية إلى أن الواجب مسحهما[(٧)]،

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٣/١، وبداية المجتهد ١٩/١، وكفاية الأخيار ١٨/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١١٧/١.

(٢) الاختيار ١٠/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٩١/١، وكفاية الأخيار ٢٠/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١١٣/١.

(٣) المقدمات ١٣/٥.

(٤) الثمر الداني ٤١.

(٥) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ١٧/١، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٨٨/١، ومغني المحتاج ٥٢/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٢٥/١-١٢٦.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ، ١٢٣/٦/٣ ط دار عالم الكتب، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٩/١، والقوانين الفقهية ٢٣-٢٤، ومغني المحتاج ٥٢/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٣١/١.

(٧) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ١٨٩/١.

وذهب الطبري والحسن البصري إلى أنه مخير بين الغسل والمسح[١].

٧-الأوقات المنهي عن الصلاة فيها: الجمهور على النهي عن الصلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس قدر رمح، وبعد العصر حتى تغرب الشمس، ووقت استواء الشمس، خلافًا لمالك حيث أجاز الصلاة عند الاستواء مطلقًا[٢].

أما عن الصلاة التي لا تجوز في هذه الأوقات، فقد اختلف الفقهاء فيها: فذهب الحنفية إلى أنه لا يجوز مطلق الصلاة في هذه الأوقات، وذهب المالكية إلى أنه لا يجوز فيها إلا صبح يومه أو عصره لمن فاته، أو قضاء المفروضة، وذهب الشافعية إلى أنه تكره الصلاة فيها إن كانت بلا سبب، أما التي لها سبب فلا، وذهب الحنابلة إلى أنه يجوز قضاء الفرائض الفائتة وكذا الصلاة المنذورة وركعتي الطواف وصلاة الجنازة في جميع أوقات النهي، أما التطوع بلا سبب فلا يجوز[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات المدعو: إتيان أهل الحق وسؤالهم.

ثانيًا: من تاريخ الدعوة: بداية الدعوة (المرحلة السرية).

ثالثًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعو إلى ما فيه المصلحة والأنسب له.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بما سيقع من إظهار الدين.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عن أحكام الدين وشرائعه.

سادسًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الوضوء والصلاة.

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٣٢/١.

(٢) الاختيار ٥٤/١، والقوانين الفقهية ٤٤، وكفاية الأخيار ١٣٠/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥٤٧/١.

(٣) الاختيار ٥٤/١، والمبسوط ١٤٠/١ وما بعدها، والقوانين الفقهية ٤٤ وما بعدها، وكفاية الأخيار ١٣٠/١ وما بعدها، ومغني المحتاج ١٢٨/٢ وما بعدها، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٨٩/٢-١٠١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٥٧/١ وما بعدها.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على التثبت عند رواية حديث رسول الله ﷺ.

تاسعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والتوكيد والاستفهام والأمر والقصر والترغيب.

أولاً- من واجبات المدعو: إتيان أهل الحق وسؤالهم:

إن المدعو مطالب إذا عرض له أمر يحتاج أن يعرف حقيقته أو الصواب من الخطأ فيه أو نحو ذلك - مطالب بأن يسأل أهل الحق والعلم ولو أدى ذلك إلى أن يسافر إليهم، كما وقع من عمرو بن عبسة رضي الله عنه في هذا الحديث فقد قال: (فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا برسول الله ﷺ مستخفيًا، جرءاء عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له: ما أنت.. وبأي شيء أرسلك؟...).

ونحو هذه القصة وقعت لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ قَالَ لأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَىٰ هَذَا الْوَادِي. فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَـٰذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ. فَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي. فَانْطَلَقَ الآخَرُ حَتَّىٰ قَدِمَ مَكَّةَ. وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ. وَكَلاَمًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ. فَقَالَ: مَا شَفَيْتَنِي فِيمَا أَرَدْتُ. فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً[1] لَهُ، فِيهَا مَاءٌ. حَتَّىٰ قَدِمَ مَكَّةَ. فَأَتَىٰ الْمَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ ... وساق قصة إسلامه)[2].

وعن عقبة بن الحارث رضي الله عنه أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز فأتته امرأة فقالت: إني قد أرضعت عقبة والتي تزوج فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني. فركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فسأله، فقال رسول الله ﷺ: ((كيفَ وَقَدْ قِيلَ؟)) ففارقَها عقبةُ، ونَكَحَتْ زوجًا غيرهُ[3].

---

(١) القربة الخلق الصغيرة يكون الماء فيها أبرد من غيرها، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ن ن).

(٢) أخرجه البخاري ٣٥٢٢، ٣٨٦١، ومسلم ١٣٣ - ٢٤٧٤.

(٣) أخرجه البخاري ٨٨.

وقد أخرج البخاري هذا الحديث في كتاب العلم، باب الرحلة في المسألة النازلة.

قال ابن حجر: (قوله: "فركب" أي من مكة لأنها كانت دار إقامته)[(١)].

ثانيًا- من تاريخ الدعوة: بداية الدعوة (المرحلة السرية):

شاء الله تعالى أن تكون المرحلة الأولى للدعوة الإسلامية مرحلة سرّية، حتى يهيئ الله تعالى الأسباب التي تناسب الجهر بالدعوة، نظرًا لسيطرة الشرك على ذاك المجتمع الجاهلي الذي تنكر للدعوة وناصبها العداء.

هذا واضح من قول النبي ﷺ جوابًا لسؤال عمرو بن عبسة رضي الله عنه: من معك؟ قال: حر وعبد، ومعه يومئذ أبو بكر وبلال رضي الله عنهما، وقبل ذلك قال عمرو بن عبسة رضي الله عنه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفيًا جراءُ عليه قومُه.

قال د. مهدي رزق الله: (استجاب الرسول ﷺ للأوامر الإلهية التي صدرت له بالتبليغ وقد جاءت هذه الأوامر واضحة في الآيات التي نزلت بعد آيات سورة العلق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾[(٢)].

فنهض الرسول ﷺ من فراشه وأخذ يدعو إلى ما أمر به سرًا لمدة ثلاث سنين كما ذكر ابن إسحاق[(٣)] ولفظه: "وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين -فيما بلغني- من مبعثه وبدأ بالدعوة إلى التوحيد ونبذ كل مظاهر الشرك، وكان تحركه في هذه الفترة وسط الذين تربطهم به صلات مثل زوجته وأبنائه ومولاه وربيبه وأصدقائه وكل من يطمئن إلى أنه يكتم السر، ولهذا يلحظ أن من أوائل الذين دخلوا في الإسلام: زوجه خديجة رضي الله عنها وابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه وأبو بكر الصديق رضي الله عنه وفي إطار

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٢٢٣.

(٢) سورة المدثر، الآيات: ١ - ٧.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١/٢٩٥، عناية عمر عبدالسلام تدمري.

السرية تحرك أبو بكر وسط أقاربه ومواليه وأصدقائه ومن يثق به من قومه فاستجاب له نفر كريم، ومن خلال علاقات هؤلاء وغيرهم أخذ الإسلام ينتشر في مكة وخارجها، وفي فترة وجيزة وصل عدد الذين سبقوا إلى الإسلام من بطون قريش إلى أكثر من أربعين نفرًا)(١).

ثالثًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعو إلى ما فيه المصلحة والأنسب له:

إن الداعية بما عنده من علم يرشد المدعو إلى ما يكون أصلح وأنسب؛ فإن ما يناسب بعض المدعوين قد لا يناسب بعضهم الآخرين، لذلك كان الداعية الحكيم هو الذي يعرف الأنسب والأصلح لكل مدعو، فهذا عمرو بن عبسة رضي الله عنه يقول للنبي ﷺ: إني متبعك، قال: إنك لن تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني، قال النووي: (معناه قلت له: إني متبعك على إظهار الإسلام هنا وبإقامتي معك، فقال: لا تستطيع لضعف شوكة المسلمين، ونخاف عليك من أذى كفار قريش ولكن قد حصل أجرك فابق على إسلامك وارجع إلى قومك)(٢).

وفي حديث إسلام أبي ذر: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ. فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ. فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّهِ. وَثَارَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ. ... ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ بِمِثْلِهَا. وَثَارُوا إِلَيْهِ...))(٣).

قال ابن حجر: (قوله: "لأصرخن بها"، أي: بكلمة التوحيد والمراد أنه يرفع صوته جهارًا بين المشركين، وكأنه فهم أن أمر النبي ﷺ له بالكتمان ليس على الإيجاب بل على سبيل الشفقة عليه، فأعلمه أن به قوة على ذلك، ولهذا أقره ﷺ على ذلك، ويؤخذ منه جواز قول الحق عند من يخشى منه الأذية لمن قاله، وإن كان السكوت

---

(١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد ص ١٥٥ - ١٥٩، وانظر: الرحيق المختوم، المباركفوري ص ٧٥ - ٧٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٥٠.

(٣) أخرجه البخاري ٣٥٢٢، ٣٨٦١، ومسلم ١٣٣.

جائزًا، والتحقيق أن ذلك مختلف باختلاف الأحوال والمقاصد، وبحسب ذلك يترتب وجود الأجر وعدمه)[١].

وفي رواية لمسلم: ((فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ، عَسَى اللهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ، وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ، فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، قَالَ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَأَتَيْنَا أُمَّنَا، فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا[٢]، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَاحْتَمَلْنَا[٣] حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ، وَكَانَ يَؤُمُّهُمْ إِيمَاءُ بْنُ رَحَضَةَ الْغِفَارِيُّ، وَكَانَ سَيِّدَهُمْ، وَقَالَ نِصْفُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا، فَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي))[٤].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بما سيقع من إظهار الدين:

بعث الله محمدًا ﷺ نبيًا ورسولاً وأيده بالمعجزت والدلائل على صدق نبوته، ومن ذلك إخباره بما سيقع، وذلك في قوله ﷺ لعمرو بن عبسة رضي الله عنه: (فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني)، قال النووي عن معناه: "ارجع إلى قومك واستمر على الإسلام في موضعك حتى تعلمني ظهرت فأتني": (وفيه معجزة للنبوة وهي إعلامه بأنه سيظهر)[٥].

ومن هذا القبيل ما رواه عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: ((بينا أنا عندَ النبيِّ ﷺ إذ أتاهُ رجلٌ فشكا إليهِ الفاقةَ، ثمَّ أتاهُ آخرُ فشكا إليه قَطعَ السبيل، فقال: ((يا عديُّ، هل رأيتَ الحِيرةَ؟)) قلت: لم أرَها، وقد أُنبئتُ عنها. قال: ((فإن طالتْ بكَ حياةٌ لترَيَنَّ الظَّعينةَ[٦] تَرتحِلُ منَ الحِيرةِ حتى تَطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ أحدًا إلا اللّه)) - قلتُ فيما بيني وبينَ نفْسي فأين دُعّارُ طيِّئٍ الذينَ قد سعَّروا البلادَ؟[٧] - ولئنْ طالَتْ بكَ حياةٌ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٣/٧.

(٢) أي لا أكرهه بل أدخل فيه، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٠١.

(٣) أي حملنا أنفسنا ومتاعنا على إبلنا وسرنا، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٠١.

(٤) أخرجه مسلم ٢٤٧٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٥٠.

(٦) المرأة في الهودج. وهو في الأصل اسم للهودج، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٠٧/٦.

(٧) أي: قطاع الطريق، وطئ: قبيلة مشهورة منها عدي بن حاتم المذكور وبلادهم ما بين العراق والحجاز. وكانوا يقطعون الطريق على من مرّ عليهم بغير جواز، ولذلك تعجب عدي كيف تمرّ المرأة عليهم وهي غير خائفة. وسعروا البلاد: أي ملؤوا الأرض فسادًا. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٠٧/٦.

لتُفتَحنَّ كُنوزُ كِسرَى، قلتُ: كِسرَى بن هُرمُزَ؟ قال: ((كِسرَى بنِ هُرمُزَ. ولئنْ طالت بكَ حياةٌ لتَرَينَّ الرجلَ يُخرجُ مِلْءَ كفِّهِ من ذهبٍ أو فضةٍ يَطلُبُ مَن يَقبلهُ منهُ فلا يَجِدُ أحدًا يَقبلهُ منه. ولَيلقيَنَّ اللهَ أحدُكم يومَ يَلقاهُ وليسَ بينَهُ وبينهُ ترجمانٌ يُترجمُ لهُ، فيقولَنَّ: ألم أبعَثْ إليكَ رسولاً فيُبلِّغك؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أُعطِكَ مالاً وأُفْضِلْ عليك؟ فيقول: بلى. فيَنظرُ عن يَمينه فلا يَرى إلا جهنَّم، وينظرُ عن يَسارهِ فلا يَرى إلا جهنَّم)). قال عَديٌّ: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: ((اتَّقُوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ، فمن لم يَجِدْ شقَّ تمرةٍ فبكلمةٍ طيِّبةٍ)). قال عديٌّ: فرأيتُ الظعينة ترتحلُ منَ الحِيرةِ حتى تطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ إلا اللهَ، وكنتُ فيمن افتتحَ كنوزَ كسرَى بنِ هُرمُزَ، ولئنْ طالت بكم حياةٌ لَتَرَوُنَّ ما قال النبيُّ أبو القاسم ﷺ: ((يُخرجُ مِلءَ كفه))[(١)].

وقد أفرد ابن كثير كتاب (دلائل النبوة) في آخر سيرة النبي ﷺ وساق تحت هذا الكتاب: باب ما أخبر به ﷺ من الكائنات المستقبلة في حياته وبعده، فوقعت طبق ما أخبر به سواءً بسواءٍ، وكذلك: ومن كتاب دلائل النبوة في باب إخباره عليه الصلاة والسلام عن الغيوب المستقبلة وساق تحتها الأحاديث ذات الصلة[(٢)]، وقبله ذكر البيهقي في كتاب (دلائل النبوة): جماع أبواب إخبار النبي ﷺ بالكوائن بعده، وتصديق الله جل ثناؤه رسوله ﷺ في جميع ما وعد[(٣)].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عن أحكام الدين وشرائعه:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أشد الناس اعتناء واهتمامًا بامتثال شرع الله، وذلك بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، لذلك كانوا أحرص ما يكونون على سؤال النبي ﷺ عن أحكام الدين وشرائعه، فقد قال عمرو بن عبسة رضي الله عنه: يا رسول الله أخبرني عما علمك الله وأجهله أخبرني عن الصلاة... يا نبي الله فالوضوء حدثني عنه. وقد كان

(١) أخرجه البخاري ٣٥٩٥.

(٢) البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١١٤/٩ - ٣٠٥.

(٣) دلائل النبوة، ٣١٢/٦ - ٥٥٢.

الصحابة رضي الله عنهم شديدي الحرص على سؤال النبي ﷺ عن الدين وشرائعه، قال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام، فأخبره النبي ﷺ بالصلاة والصيام والزكاة[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء[٢]، فكان يعجبنا أن يجئ الرجل من أهل البادية العاقل[٣] فيسأله ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟ قال: صدق، قال: فمن خلق السماء؟ قال: الله ... إلخ الحديث. وفيه: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ ... وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا، وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا، وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ... وفي كل ذلك يقول رسول ﷺ: صدق، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن، فقال النبي ﷺ: ((لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ))[٤].

سادسًا- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن من واجبات الداعية أن يبيّن للمدعوين الحقائق، حتى يعلموها ومن ثم يعملوا بحسبها فتأتي أعمالهم موافقة لمراد الشرع، وهذا واضح جلي في إخباره ﷺ بالأوقات التي لا يصلى فيها، وعلّل النبي ﷺ ذلك بأن الشمس "تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، وأما وقت استواء الشمس في وسط السماء فإنه حينئذ تسجر جهنم"، كما بين ﷺ فضل الوضوء والصلاة وأثرهما في محو الخطايا وغفرانها.

ومن هذا القبيل إخباره ﷺ عن حال ناقته في صلح الحديبية: وسار النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦، ومسلم ١١.

(٢) قال النووي: يعني سؤال ما لا ضرورة إليه، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٦.

(٣) قال النووي: لكونه أعرف بكيفية السؤال وآدابه والمهم منه وحسن المراجعة، فإن هذه أسباب عظم الانتفاع بالجواب، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٦.

(٤) أخرجه البخاري ٦٣، ومسلم ١٢ واللفظ له.

حتى إذا كان بالثَّنيَّةِ التي يُهبَطُ عليهم منها بَرَكَت بهِ راحلتُه، فقال الناسُ: حَلْ حَل. فألحّتْ. فقالوا خلأَتِ القَصواء. فقال النَّبيُّ ﷺ: ((ما خَلأَتِ القَصواء وما ذاك لها بخُلُق. ولكن حَبَسَها حابسُ الفيل))(١).

قال ابن حجر: (حل حل -بفتح المهملة وسكون اللام- كلمة تقال للناقة إذا تركت السير.. فألحت -بتشديد المهملة- أي تمادت على عدم القيام، خلأت القصواء الخلاء -بالمعجمة والمد- للإبل كالحران للخيل(٢)، "وما ذاك لها بخلق"... أي بعادة، وقوله: "حبسها حابس الفيل"، أي حبسها الله عز وجل عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها ومناسبة ذكرها أن الصحابة رضي الله عنهم لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدتهم قريش عن ذلك لوقع بينهم قتال قد يفضي إلى سفك الدماء ونهب الأموال كما لو قدر دخول الفيل وأصحابه مكة، لكن سبق في علم الله تعالى في الموضعين أنه سيدخل في الإسلام خُلْقٌ منهم، ويستخرج من أصلابهم ناس يسلمون ويجاهدون)(٣).

ومن قبيل بيان الحقائق للمدعوين ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الاسْتِغْفَارَ. فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ)) فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ، جَزْلَةٌ(٤): وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: ((تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ. وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ(٥)، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ)) قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: ((أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ. فَهذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ، وَتَمْكُثُ اللَّيَالِيَ مَا تُصَلِّي، وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ، فَهذَا نُقْصَانُ الدِّينِ))(٦).

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٣١.

(٢) خلأت الناقة، بركت أو حرنت فلم تبرح، وكذلك الجمل، القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (خ ل أ).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٣٩٤ - ٣٩٥.

(٤) جزلة، أي: ذات عقل ورأي. قال ابن دريد: الجزالة العقل والوقار، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٢.

(٥) العشير: هو في الأصل المعاشر مطلقاً. والمراد هنا: الزوج، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٢.

(٦) أخرجه مسلم ٧٩.

قال النووي: (وأما أحكام الحديث ففيه جمل من العلوم منها : الحث على الصدقة وأفعال البر والإكثار من الاستغفار وسائر الطاعات، وفيه: أن الحسنات يذهبن السيئات كما قال الله عز وجل[1]، وفيه أن كفران العشير والإحسان من الكبائر فإن التوعد بالنار من علامة كون المعصية كبيرة، وفيه أن اللعن أيضًا من المعاصي الشديدة القبح وليس فيه أنه كبيرة، فإنه ﷺ قال: "تكثرن اللعن" والصغيرة إذا أكثرت صارت كبيرة، واتفق العلماء على تحريم اللعن، فإنه في اللغة الإبعاد والطرد وفي الشرع الإبعاد من رحمة الله تعالى، فلا يجوز أن يبعد من رحمة الله تعالى من لا يعرف حاله وخاتمة أمره معرفة قطعية، فلهذا قالوا: لا يجوز لعن أحد بعينه مسلمًا كان أو كافرًا أو دابة إلا من علمنا بنص شرعي أنه مات على الكفر أو يموت عليه كأبي جهل وإبليس.

وفيه إطلاق الكفر على غير الكفر بالله تعالى، ككفر العشير والإحسان والنعمة والحق، وفيه بيان زيادة الإيمان ونقصانه، وفيه وعظ الإمام وأصحاب الولايات وكبراء الناس رعاياهم وتحذيرهم المخالفات وتحريضهم على الطاعات، وفيه مراجعة المتعلم العالم والتابع المتبوع فيما قاله إذا لم يظهر له معناه، كمراجعة هذه الجزلة[2] رضي الله عنها، وفيه جواز إطلاق رمضان من غير إضافة إلى الشهر وإن كان الاختيار إضافته[3].

قال المازري[4]: قوله ﷺ: "أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل تنبيه منه ﷺ على ما وراءه، وهو ما نبه الله تعالى عليه في كتابه بقوله تعالى: ﴿أن

---

(١) قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ سورة هود: ١١٤.

(٢) الجزلة صاحبة العقل والوقار، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ، ١٤٢.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٦٨/١.

تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾[١] أي أنهن قليلات الضبط.

وأما وصفه ﷺ النساء بنقصان الدين لتركهن الصلاة والصوم في زمن الحيض فقد يستشكل معناه وليس بمشكل بل هو ظاهر، فإن الدين والإيمان والإسلام مشتركة في معنى واحد كما قدمناه في مواضع، وقد قدمنا أيضًا في مواضع أن الطاعات تسمى إيمانًا ودينًا، وإذا ثبت هذا علمنا أن من كثرت عبادته زاد إيمانه ودينه، ومن نقصت عبادته نقص دينه، ثم نقص الدين قد يكون على وجه يأثم به، كمن ترك الصلاة أو الصوم أو غيرهما من العبادات الواجبة عليه بلا عذر، وقد يكون على وجه يأثم به، كمن ترك الصلاة أو الصوم أو غيرهما من العبادات الواجبة عليه بلا عذر، وقد يكون على وجه هو مكلف به، كترك الحائض الصلاة والصوم، فإن قيل: فإن كانت معذورة فهل تثاب على الصلاة في زمن الحيض وإن كانت لا تقضيها كما يثاب المريض والمسافر ويكتب له في مرضه وسفره مثل نوافل الصلوات التي كان يفعلها في صحته وحضره؟ فالجواب أن ظاهر هذا الحديث أنها لا تثاب، والفرق أن المريض والمسافر كان يفعلها بنية الدوام عليها مع أهليته لها، والحائض ليست كذلك بل نيتها ترك الصلاة في زمن الحيض، بل يحرم عليها نية الصلاة في زمن الحيض، فنظيرها مسافر أو مريض كان يصلي النافلة في وقت ويترك في وقت غير ناو الدوام عليها، فهذا لا يكتب له في سفره ومرضه في الزمن الذي لم يكن يتنفل فيه، والله أعلم)[٢].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الوضوء والصلاة:

من إكرام الله لعباده أن جعل ما يتقربون به إليه ويعبدونه به له فضل ومنزلة لديه سبحانه، مع أن ذلك هو الواجب عليهم، ويكفي دليلاً على ذلك أن الوضوء وهو واجب لأداء الصلاة التي هي بدورها واجبة على العبد أن يؤديها ويقيمها، يكفي دليلاً على ذلك أن الله جعل في فعلهما فضلاً مع أنهما واجبان على العبد. وهذا واضح من إخبار النبي ﷺ عن فضل الوضوء: (ما منكم رجل يقرب وضوءه فيتمضمض ويستنشق

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٢ - ١٤٣.

فينتثر إلا خرت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء)، ونحو ذلك مع بقية أعضاء الوضوء، (فإن هو قام فصلى فحمد الله تعالى وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل وفرّغ قلبه لله تعالى إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه).

ومن هذا القبيل ما رواه حمران مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه أن عثمان دعا بإناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرار فغسلهما ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثًا ويديه إلى المرفقين ثلاث مرار ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرار إلى الكعبين ثم قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هذَا ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))[1].

قال ابن حجر: (قوله صلى الله عليه وسلم: "من ذنبه"، ظاهره يعم الكبائر والصغائر لكن العلماء خصوه بالصغائر لوروده مقيدًا باستثناء الكبائر في غير هذه الرواية[2]، وهو في حق من له كبائر وصغائر فمن ليس له إلا صغائر كفرت عنه ومن ليس له إلا كبائر خفّف عنه منها بمقدار ما لصاحب الصغائر، ومن ليس له صغائر ولا كبائر يزداد في حسناته بنظير ذلك)[3].

قال ابن القيم عن منزلة الصلاة: (الصلاة قد وُضِعَت على أكمل الوجوه وأحسنها التي تعبد بها الخالق تبارك وتعالى عباده من تضمّنها للتعظيم له بأنواع الجوارح من نطق اللسان وعمل اليدين والرجلين والرأس وحواسّه وسائر أجزاء البدن كلٌّ يأخذ لحظه من الحكمة في هذه العبادة العظيمة المقدار مع أخذ الحواسّ الباطنة بحظّها منها، وقيام القلب بواجب عبوديته فيها فهي مشتملة على الثناء والحمد والتمجيد والتسبيح والتكبير وشهادة الحق والقيام بين يدي الربّ مقام العبد الذليل الخاضع المدبّر

---

(١) أخرجه البخاري ١٥٩، ومسلم ٢٢٦.

(٢) الحديث هو: (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر)، أخرجه مسلم ٢٣٣ من حديث أبي هريرة.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣١٢/١.

المربوب، ثم التذلّل له في هذا المقام و التضرّع والتقرّب إليه بكلامه ثم انحناء الظهر ذلاً له وخشوعًا واستكانة، ثم استواؤه قائمًا ليستعدّ لخضوع أكمل له من الخضوع الأول وهو السجود من قيام فيضع أشرف شيء فيه وهو وجهه على التراب خشوعًا لربّه واستكانةً وخضوعًا لعظمته وذلاً لعزّته قد انكسر له قلبه وذلّ له جسمه وخشعت له جوارحه، ثم يستوي قاعدًا يتضرّع له ويتذلّل بين يديه ويسأله من فضله ثم يعود إلى حاله من الذلّ والخشوع والاستكانة فلا يزال هذا دأبه حتى يقضي صلاته فيجلس عند إرادة الانصراف منها مُثنِيًا على ربّه مُسَلّمًا على نبيّه وعلى عباده، ثم يصلّي على رسوله ثم يسأل ربّه من خيره وبرّه وفضله، فأيّ شيء بعد هذه العبادة من الحُسْن، وأيّ كمال وراء هذا الكمال، وأيّ عبودية أشرف من هذه العبودية)[١].

ثامنًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على التثبت عند رواية حديث رسول الله ﷺ:

هذا واضح من قول أبي أمامة لعمرو: يا عمرو بن عبسة انظر ما تقول في مقام واحد يعطى هذا الرجل؟ كما أنه واضح كذلك في رد عمرو عليه: ما بي حاجة أن أكذب على الله تعالى ولا على رسول الله ﷺ لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثًا -حتى عد سبع مرات- ما حدثت أبدًا به ولكني سمعته أكثر من ذلك.

قال النووي: (معناه: لو لم أتحققه وأجزم به لما حدثت به)[٢].

ومن هذا القبيل ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ قال: كنتُ في مجلسٍ من مجالسِ الأنصار، إذ جاءَ أبو موسى كأنه مَذْعور، فقال: استأذنتُ على عمرَ ثلاثًا فلم يُؤْذَنْ لي فرجَعت، فقال: ما منعَك؟ قلت: استأذنتُ ثلاثًا فلم يُؤْذَنَ لي فرَجَعت، وقال رسولُ اللّه ﷺ: ((إذا استأذنَ أحدُكم ثلاثًا فلم يُؤذَن له فلْيَرْجع)). فقال: واللّه لتُقيمَنَّ عليه ببيِّنة. أمِنكم أحدٌ سمعَهُ من النبيِّ ﷺ؟ فقال أبيٌّ بن كعب: واللّهِ لا يقومُ معكَ إلا أصغَرُ القوم، فكنتُ أصغرَ القوم، فقمتُ معه فأخبرتُ عمرَ أن النبيَّ ﷺ قال ذلك[٣].

---

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم ٢، ٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٥٠.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٤٥، ومسلم ٢١٥٣.

قال ابن حجر: (قال ابن عبدالبر[١]: يحتمل أن يكون حضر عنده - أي عمر - من قرب عهده بالإسلام فخشي أن أحدهم يختلق الحديث عن رسول الله ﷺ عند الرغبة والرهبة، طلبًا للمخرج مما يدخل فيه، فأراد أن يعلمهم أن من فعل شيئًا من ذلك ينكر عليه حتى يأتي بالمخرج)[٢].

قال د. محمد عجاج الخطيب: "تلكم طريقة الصحابة رضي الله عنهم ومنهجهم في المحافظة على حديث رسول الله ﷺ، خشية الوقوع في الخطأ، أو تسرب الدس إلى الحديث الشريف من الجهلاء وأصحاب الأهواء، أو أن تحمل بعض الأحاديث على غير وجه الحق والصواب، فيكون الحكم بخلاف ما أخذ به. فعلوا ذلك كله احتياطًا للدين ورعاية لمصلحة المسلمين، لا زهدًا في الحديث النبوي ولا تعطيلاً له. فلا يجوز لإنسان أن يفهم من منهاج الصحابة رضي الله عنهم ومن تشدد عمر خاصة - هجر الصحابة رضي الله عنهم للسنة أو زهدهم فيها، معاذ الله أن يقول هذا إلا جاهل أو صاحب هوى، لا علم له بقليل من السنة، ولم تخالط قلبه روح الصحابة رضي الله عنهم، ولا أنار سبيله قبس من هداهم، فقد ثبت عن الصحابة رضي الله عنهم جميعًا تمسكهم بالحديث الشريف وإجلالهم إياه، وأخذهم به، وقد تواتر خبر اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم إذا وقعت لهم حادثة شرعية من حلال أو حرام، وفزعهم إلى كتاب الله تعالى، فإن وجدوا فيه ما يريدون تمسكوا به، وأجروا (حكم الحادثة) على مقتضاه، وإن لم يجدوا ما يطلبون فزعوا إلى "السنة" فإن روي لهم خبر أخذوا به، ونزلوا على حكمه، وإن لم يجدوا الخبر فزعوا إلى الاجتهاد بالرأي)[٣].

تاسعًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والتوكيد والاستفهام والأمر والقصر والترغيب:

أما السؤال فقد سأل عمرو بن عبسة رضي الله عنه عن الإسلام وشرائعه، وقد أجابه النبي ﷺ، وأما التوكيد فقوله ﷺ: (إنك لن تستطيع ذلك يومك هذا)، والاستفهام: (ألا ترى حالي وحال الناس؟)، وهذا استفهام تقريري غرضه إقناع عمرو بن عبسة والتسليم

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٢٣/٦٠ موسوعة شروح الموطأ.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٢.

(٣) السنة قبل التدوين ٩٨ - ٩٩.

بما قاله النبي ﷺ، لذا أتبعه ﷺ بالأمر: "ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني"، كما استخدم ﷺ أسلوب الأمر: "صلِّ" في توجيه النبي ﷺ لعمرو ابن عبسة رضي الله عنه إلى الصلاة واستخدم ﷺ أسلوب القصر "ما، إلا"، في بيان فضل الوضوء والصلاة، كما استخدم النبي ﷺ أسلوب الترغيب في الحض على الوضوء والصلاة.

الحديث رقم (٤٣٩)

٤٣٩- وعن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: ((**إِذَا أرادَ الله تَعَالَى رَحمةَ أُمَّةٍ، قَبَضَ نَبيَّهَا قبْلَها، فَجعلهُ لَهَا فرطًا وسلَفًا بَيْنَ يَديْهَا، وإذَا أرادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ، عَذَّبَها وَنَبِيُّهَا حَيٌّ، فأهلكها وَهُوَ حيٌّ يَنظُرُ، فأقرّ عينَهُ بهلاكِها حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوا أمْرَهُ**)) رواه مسلم[(١)].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

فرطًا: شفيعًا يتقدم[(٢)].

سلفًا: المقدَّم[(٣)].

---

(١) برقم ٢٢٨٨/٢٤ معلقًا. قال الرشيد العطار في غرر الفوائد ٩: وهذا الحديث متصلٌ محفوظٌ من رواية جماعة من الثقات، عن إبراهيم بن سعيد الجوهريّ، عن أبي أسامة، منهم: أبوبكر البزار الحافظ، ومحمد بن المسيب الأرغياني، والحسن بن أحمد بن إبراهيم بن فيل البالسيّ وغيرهم، ورواه عن الأرغياني هذا جماعةٌ، منهم: محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوريّ الملقب بإمام الأئمة، وهو من أقرانه. وإبراهيم بن محمد بن يحيى -وأظنه المزكي-، وأبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي، راوي صحيح مسلم وغيرهم، ومن صحيح طرق هذا الحديث عندنا، ثم ساقه بإسناده من طريق أبي بكر البزار، ومن طريق ابن عساكر، وقال: قال محمد بن المسيب، قال لي محمد بن إسحاق بن خزيمة: اقرأ عليَّ هذا الحديثَ، فقلتُ: أنا أستحيي منك أن أحدّثك، وأنت محدّث خراسان، فقال ابن علي الرازي: يقول لك الأستاذ: حدّثني وأنت تقول: لا. فقلتُ له: أنا لا أقول: لا، ولكنني أستحيي أن أحدّثه، فقرأتُ عليه. فقال لي بعد القراءة -ثلاث مرات- بارك الله فيك يا أبا عبد الله. قال الشيخ- يعني: زاهرًا: بلغني أن محمد بن إسحاق روى عنه هذا الحديث، وقال على رأس الملأ: ثنا محمد بن المسيب الشيخ الصالح، قالوا: من محمد بن المسيب؟ ثمّ قصده الناس بعد ذلك.

قلتُ: ورجال هذا الإسناد والذي قبله ثقاتٌ.

(٢) انظر: المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ٣٤٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ر ط).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ل ف)، والكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٤٩٤.

فأقرّ عينهُ: سُرَّ ورضي[١].

الشرح الأدبي

الحديث يعتمد أسلوب الشرط في بدايته لنقل الخبر، واستخدم أداة الشرط (إذا) لتشير إلى أن وقوع الشرط ممكن، وذكر الله يوحي بالهيبة، والجلالة، والتعبير بالقبض فيه دلالة على التمكن، والسيطرة، وإضافة النبي للأمة تشريف لها، والتعبير بالمصدر في قوله (فرطاً، وسلفاً) يفيد المبالغة في استقبالهم بالرعاية، والحماية في مختلف المواقف، والظرف، وما أضيف إليه (بين أيديها) كناية عن صفة القرب احتراساً من فهم السبق من قوله: (فرطاً وسلفاً) وقد قابلها بنقيضها في جملة الشرط الثانية حيث قابل الرحمة في الأمة الأولى بالعذاب في الأمة الثانية، وإضافة الأمة الهالكة لنبيها فيه مذمة لهم لأنهم أعرضوا عنه فاستحقوا العقاب وقوله: (فَأهلكَها وَهُوَ حيٌّ يَنظُرُ، فَأقرّ عَينَهُ بهلاكِها) التعبير بالهلاك يوحي بالشدة في الأخذ، وجملة (وهو حي ينظر) كناية عن رضاه عن إهلاكهم مما يدل على أنهم كذبوه، وآذوه، والفعل المضارع يستحضر الصورة، ويؤكد الحدث يدل على ذلك قوله (فأقر عينه بهلاكها) كناية عن سروره بهلاكهم، وفيه دليل على أنه بالغ في دعوته، وبالغوا في تكذيبه، وإيذائه، فاستحقوا ما حاق بهم، وهو ما أفصح به باقي الحديث، وهكذا الأمة التي تعطي ظهرها لشرع نبيها، وسنته يوشك الله أن يهلكها، ويذيقها وبال أمرها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: رحمة الله تعالى بأمة النبي ﷺ.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان سنن الله في خلقه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الجزاء من جنس العمل.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الشرط.

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ر ر)، والكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٧٣٣.

أولاً- من موضوعات الدعوة: رحمة الله تعالى بأمة النبي ﷺ:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: "إذا أراد الله تعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطًا وسلفًا بين يديها"، (والفرط والفارط: الذي يتقدم الورّاد يصلح لهم الحياض والدلاء ونحوهما من أمور الاستقاء، أي: أنه المهيأ لمصالحها)[١]، وقد دل ذلك على أن أمة محمد ﷺ مرحومة، فقد قبض نبيها قبلها، وجاء في صحيح ابن حبان: خَرَجَ علينا رَسُولُ اللّهِ فقالَ: ((تَزْعُمُونَ أني مِنْ آخرِكُمْ وَفاةً، إنِّي مِنْ أَوَّلكُمْ وَفاةً، وتَتْبَعُوني أفنادًا[٢] يَضربُ بعضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ))[٣]، ثم جاء بعده ما يلي: ذكر البيان بأن ما وصفنا من أول الحوادث هو من أمارة إرادة الله جلّ وعلا الخير بهذه الأمة، وجاء تحته حديث الباب[٤]. وقد قال المناوي: "وفيه [أي في الحديث] بشرى عظيمة لهذه الأمة حيث كان قبضه ﷺ رحمة لهم كما كان بعثه"[٥].

وقد قال النبي ﷺ: ((أَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي. فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ. وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي. فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ))[٦].

قال النووي: (وقوله ﷺ: "وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون" أي: من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحًا، وقد وقع كل ذلك. قوله ﷺ: "وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون" معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه")[٧].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٧٣، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ر ط).

(٢) أي: تتبعوني ذوي فند، أي ذوي عجز وكفر للنعمة. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (ف ن د).

(٣) أخرجه ابن حبان ٦٦٤٦، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٤) صحيح ابن حبان ٦٦٤٧.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ٢/٢٠٧.

(٦) أخرجه مسلم ٢٥٣١.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٢.

كما قال النبي ﷺ: ((أُمَّتِي هذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتَنُ وَالزَّلَازِلُ وَالْقَتْلُ))[1].

قال الطيبي: (قال المظهر: هذا حديث مشكل لأن مفهومه أن لا يعذب أحد من أمته ﷺ، سواء فيه من ارتكب الكبائر وغيره، وقد وردت الأحاديث بتعذيب مرتكبي الكبائر، اللهم إلا أن يؤول بأن المراد بـ "الأمة" هنا من اقتدى به ﷺ كما ينبغي ويمتثل بما أمر الله وينتهي عما نهاه.

أقول: [القائل: الطيبي]: الحديث وارد في مدح أمته ﷺ واختصاصهم من بين سائر الأمم بعناية الله تعالى ورحمته عليهم، وأنهم إن أصيبوا بمصيبة في الدنيا حتى الشوكة يشاكها أن الله يكفر بها في الآخرة ذنبًا من ذنوبهم، وليست هذه الخاصية لسائر الأمم، ويؤيده ذكر "هذه" وتعقيبها بقوله: "مرحومة"، فإنه يدل على مزية تمييزهم بعناية الله تعالى ورحمته.

والذهاب إلى المفهوم مهجور في مثل هذا المقام، وهذه الرحمة هي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾[2]، أراد موسى عليه السلام أن يخص هذه الرحمة بأمته، فأجابه تعالى بأنها مختصة بأمة النبي الأمي ﷺ)[3].

إن من أسباب محبة المسلم للنبي ﷺ النفع الأصل لهذه الأمة بسبب بعثة النبي ﷺ فيها ونزول القرآن عليه. وأنه سبب نجاة هذه الأمة في الدنيا والآخرة وأن كل خير وعز وسعادة حصلت لهذه الأمة أو يقدر لها أن تحصل فبسبب اتباعه.

وأن كل بلاء حصل لهذه الأمة أو سيحصل فسببه مخالفة ما جاء به من عند ربه. وحتى تكتمل هذه المعرفة يتخيل الإنسان كيف سيكون حال هذه الأمة لو لم يبعث

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٢٧٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود).

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ١٥٦ - ١٥٧.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٠/٤٢ - ٤٣.

فيها رسول الله ﷺ وكيف كان حالها قبل مبعثه ﷺ ثم كيف أصبح حالها بعد بعثته ونزول القرآن عليه. وكيف أن الله جمع به بعد فرقة، ورفع به شأن هذه الأمة وأخرجها من الظلمات إلى النور.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(1)(2).

ثانيًا- من مهام الداعية: بيان سنن الله في خلقه:

هذا واضح في قول النبي ﷺ في آخر الحديث: "وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حيّ فأهلكها وهو حي ينظر فأقرّ عينه بهلاكها حين كذبوه وعصوا أمره".

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا﴾(3).

قال القاسمي: (في سنتنا المبنية على الحكم البالغة ألا نعذب قومًا حتى نبعث إليهم رسولاً يهديهم إلى الحق ويردعهم عن الضلال لإقامة الحجة وقطعًا للعذر، وقوله: وإذا أردنا أن نهلك قرية...، المعنى: إذا أردنا أن نعذب قومًا عذاب استئصال "أمرنا مترفيها" يعني متنعميها بالطاعة على لسان الرسول المبعوث إليهم "ففسقوا فيها"، بمخالفة أمره تعالى والخروج عن طاعته "فحق عليها القول"، فوجب عليها بمعصيتهم وفسقهم وطغيانهم، وعيد الله الذي أوعد من كفر به وخالف رسله من الهلاك بعد الإعذار والإنذار بالرسل والحجج "فدمرناها تدميرًا"، أي فخربناها تخريبًا لا يكتنه كنهه ولا

(1) سورة المائدة، الآيتان: ١٥ - ١٦.

(2) انظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ٦٣ - ٦٤.

(3) سورة الإسراء، الآيتان: ١٥ - ١٦.

يوصف وأهلكنا من كان فيها من أهلها إهلاكًا هائلاً "[١].

وقد قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[٣].

(لقد وجه القرآن الكريم المسلمين نحو الوعي بعالم الشهادة فحثهم على النظر والتدبر والاستقراء؛ للكشف على قوانين المادة وسنن الاجتماع، كما نبّه إلى أهمية التعرف على السنن التاريخية، والإفادة من ذلك في الاعتبار وبناء الحضارة وكيفية المحافظة عليها من السقوط.

وقد أرشد القرآن الكريم إلى هذه السنن فذكرها نصًا في بعض الأحيان[٤]، ولم يذكرها أحيانًا أخرى نصًا، وإنما فهمت من النص دلالة وفحوى[٥]، وذكرها تارة مضافة إلى الله -تباركت وتقدست أسماؤه-[٦]، وذكرها تارة أخرى مضافة إلى أقوام[٧].

وللإشارة فإن هذه السنن تعمل مجتمعة ومتسلسلة، فيكون في حصيلتها في الحياة البشرية ما هو كائن بقدرة الله عز وجل.

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي ٢١٣/١٠ - ٢١٤ بتصرف يسير جدًا.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٣١.

(٣) سورة هود، آية: ١١٧.

(٤) في مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٣٧].

(٥) في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة الأنعام، آية: ١٠].

(٦) في مثل قوله تعالى: ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة غافر، آية: ٨٥].

(٧) في مثل قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ...﴾ [سورة الكهف، آية: ٥٥].

وقد نبه الله -جل ثناؤه- المسلمين إلى أن هذه السنن صارمة؛ تتسم بالاطراد والشمول والثبات، كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾(٢).

فينبغي إذن معرفتها وتدبرها واستيعابها والاستفادة منها، لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٣).

ومن خلال السنن في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ نفهم التاريخ على حقيقته، ونعرف عوامل البناء والأمن والاستقرار والتقدم، وعوامل الهدم والخوف والانحطاط والتخلف.

على أن هذه السنن مرتبطة بالأمر والنهي، والطاعة والمعصية، والإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، فالإنسان إذا أتى الأمر واجتنب النهي ووقف عند حدود الله، أصاب خير السنة الربانية، وإذا أهمل الأمر وخالفه وارتكب المنهي عنه ووقع في حدود الله، أصاب شر السنة الربانية"(٤).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الجزاء من جنس العمل:

لقد بيّن ﷺ أن العذاب الذي يلحق بأمة من الأمم كان بسبب تكذيبها لنبيها وعصيانها أمره، وقد حدث هذا للأمم السابقة، قال قتادة وقد تلا قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾(٥)، قال: (ذهب النبيّ ﷺ وبقيت النقمة، ولم يُرِ الله

---

(١) سورة فاطر، آية ٤٣.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٧٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٢٦.

(٤) العلم بالسنن الربانية، د. محمد أمحزون، مجلة البيان، العدد: ١١٥، ص ٥٠ - ٥١، وانظر: مرجعه ومصدره.

(٥) سورة الزخرف، آية: ٤١.

نبيه ﷺ في أمته شيئا يكرهه حتى مضى، ولم يكن نبيّ قطّ إلا رأى العقوبة في أمته، إلا نبيكم)[١].

جاء في نزهة المتقين تعليقًا على حديث الباب: (أفاد أن انتفاع الأمة بموت نبيها قبلها إنما يحصل إذا كانت متأسية به صابرة بعده على دينه، وهلاكها في حال حياته إنما يكون إذا كفرت به وعصت أمره، وسعت في أذاه فاستحقت الهلاك والعذاب)[٢].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾[٣].

أي: (يجازي كلاً بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر)[٤].

(والجزاء من جنس العمل هو العدل الذي تقوم به السماوات والأرض، وبه تصلح الدنيا والآخرة، ويصلح به الدين والدنيا.

والجزاء مماثل للعمل من جنسه في الخير والشر، فمن ستر مسلمًا ستره الله.. ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة.. ومن نفس كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن أقال نادمًا أقال الله عثرته يوم القيامة، ومن أحسن إلى عباد الله أحسن الله إليه، ومن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته... ومن ضار مسلمًا ضار الله به.. ومن شاق شاق الله عليه.. ومن خذل مسلمًا في موضع يجب نصرته فيه خذله الله في موضع يحب نصرته فيه.

ومن أنفق أُنفق عليه، ومن أوعى أُوعي عليه، ومن يسر يسَّر الله عليه، ومن عفا عن حقه عفا الله له عن حقه، ومن تجاوز عن غيره تجاوز الله عنه، ومن استقصى استقصى الله عليه.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٠/٦٠٠، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢/٢٠٩ - ٢١٠.

(٢) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، د. مصطفى الخن، ود. مصطفى البُغا وآخرين ١/٢٩٦.

(٣) سورة النجم، آية: ٣١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/٤٦٠.

ومن سمح سمح الله له، ومن رحم خلق الله رحمه الله، ومن عفا عنهم عفا الله عنه، ومن ظلمهم سلط الله عليه من يظلمه.

والراحمون يرحمهم الرحمن، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، والله سبحانه أتقن كل شيء صنعه، وأحسن كل شيء خلقه، فهو عند مبدأ خلقه بريء من الآفات والعلل، تام المنفعة لما هيئ وخُلق له، وإنما تعرض له الآفات بعد ذلك بأمور أخر تقتضي فساده، ولو تُرك على خلقته الأصلية لم يفسد.

ومن له معرفة بأحوال العالم ومبدئه يعرف أن جميع الفساد في جوه ونباته وحيوانه وأحوال أهله حادث بعد خلقه بأسباب اقتضت حدوثه"[١].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الشرط:

هذا واضح من لفظ "إذا" وفائدة الشرط هنا ترتيب الجواب على وقوع الشرط وبيان الارتباط بين النتائج والأسباب والثواب والعقاب بالمسببات، وذلك حتى يتعظ المدعوون ويتدبروا، ومن ثم ينعكس هذا على أفعالهم، فيفعلون ما كان نتيجته حسنة عند الله عز وجل ويجتنبون ما كان نتيجته سيئة عنده سبحانه وتعالى.

---

(١) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري ٤/٣٠٢٠ - ٣٠٢١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الأمل في العفو يولد القوة ويجر طاقة الخير ويحيي موات النفس، والإسلام يربي أبناءه على عدم اليأس: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة يوسف:٨٧]، وقد فتح الله باب الرجاء ولم يجعل له حداً، فرحمة الله واسعة وحسن الظن والأمل في قبول العمل، وحمل النفس على الجادة، كل هذا من شريعة الإسلام. ولهذا ينبغي أن تربى الأمة على ذلك ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- غرس عقيدة التوحيد:

إن من أهم ما تسعى التربية الإسلامية إلى ترسيخه في القلوب العقيدة الصحيحة التي تقوم على توحيد الله تعالى، لأن التوحيد نجاة للعبد يوم القيامة، وفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة.

ومن الشواهد على ذلك في أحاديث باب الرجاء قوله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ ... أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ العَمَلِ»، وقوله: رواية عن ربه: «... وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لاَ يُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً».

وقوله في حديث أنس رضي الله عنه: «ما مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللهُ عَلى النَّارِ ...».

ومنها حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه وفيه: «فَإِنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، يَبْتَغِي بِذلِكَ وَجْهَ الله».

ومنها حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، لاَ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ».

فهذه جملة شواهد ظهر منها بيان فضل عقيدة التوحيد، وواجب المربين نحو ترسيخ هذه العقيدة في نفوس الناشئة وكل مسلم ومسلمة للعمل بمقتضى هذه العقيدة، لأن كلمة التوحيد ترسخ في قائلها بأن لا معبود ولا محيي ولا مميت ولا رازق ولا مانع ولا نافع ولا ضار إلا الله.

وتحقق عقيدة التوحيد الحرية والعزة والكرامة للمسلم فليس لأحد عليه سلطان، ويستفيد المؤمن أيضًا من التوحيد التحرر من الخوف والقلق وغير ذلك لاعتقاده أن لا رزاق إلا الله، كذلك يستفيد المؤمن من التوحيد: الشجاعة وعدم هيبة الموت، لأن الذي يملكه هو الله وحده وبذلك ترتفع نفسه إلى العزة والإباء والاستشهاد في سبيل الحق[١].

والتوحيد هو روح العقيدة الإسلامية، ولذا كان من أهداف التربية ترسيخ هذه العقيدة في النفوس وتربيتها عليها وترجمة ذلك إلى سلوك عملي في حياة المسلم، وينبغي على المربي أن يصل بالمستهدف بالتربية إلى التصديق الجازم بأن الله عز وجل بيده مقاليد كل شيء، وهو المالك المطلق والمتصرف بإرادته المطلقة، وأنه رب كل شيء والمهيمن عليه، وأنه لا معبود بحق غير الله تبارك وتعالى، ومن ثم الدعوة إلى ذلك والتفاني في سبيله وتربية النشء على ذلك[٢].

والعقيدة الإسلامية لها أهميتها في حياة البشرية مما يؤكد على أهمية العناية بتربية النشء عليها، ولذا فإن التربية التي لا تركز على العقيدة إنما هي تربية تنزل بالمتربين إلى الهاوية فكل جهد وعمل لا يقبل من الإنسان ما لم يكن قائمًا على الإيمان الصحيح لأنه أساس متين لتربية ثابتة، مضمونة النتائج، بعكس التربية التي لا تقوم على ترسيخ الإيمان فإنها تربية عشوائية غير صحيحة[٣].

ثانيًا- التربية بالحوار والمناقشة:

من أساليب التربية الإسلامية الحوار والمناقشة، ولقد استخدم رسول الله ﷺ هذا الأسلوب بكثرة في تربية المخاطبين وتوجيههم وإعدادهم إعدادًا إسلاميًا صحيحًا، ومن الشواهد على ذلك في باب الرجاء: عندما جاء أعرابي وقال: «يا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُوجِبَاتُ؟ قَالَ: مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ...»، وقول: «يَا مُعَاذُ، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثًا. قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ...»، وقوله: «يامعاذ، هل

(١) انظر: روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص٩٣، ٩٤.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي، ص٨١.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص١٠٥.

تدري ما حق الله على العباد ...»، وقوله: «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة، قلنا: نعم...»، وقوله: «... يا رسول الله أصبت حدًا.... قال: حضرت معنا الصلاة ...».

فهذه شواهد تبين أهمية استعمال أسلوب الحوار والمناقشة في التربية، لهذا فإن من واجبات المربين غرس أسلوب الحوار والمناقشة لأنه أسلوب تربوي يدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهذه الطريقة -الحوار والمناقشة- تحمل المخاطب إلى توجيه كل اهتمامه لما يلقى إليه ليتمكن من فهمه، ثم الإجابة عليه(١).

ولقد استخدمت التربية الإسلامية أسلوب الحوار والمناقشة. والذي له عدة فوائد تربوية كجذب الانتباه وشحذ الذهن وإعماله، وإبعاد المتعلمين والمتربين عن الانقياد الأعمى، وتحقيق الإقناع، والاقتناع العقلي ثم تحقيق المغزى التربوي المراد تحقيقه من الموقف(٢).

ثالثًا- التربية بالترغيب والترهيب:

من أساليب التربية الإسلامية: الترغيب والترهيب لأن هذا الأسلوب يتمشى مع الطبيعة البشرية -وعندما استخدمت التربية الإسلامية هذا الأسلوب قدمت الترغيب على الترهيب لأن الترغيب قد يفلح ولا يفلح الترهيب، لذلك قدمه ﷺ في أغلب أحاديث الباب. فقال: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ». ويقول: «من تقرّب مني شبرًا تقرّبت منه ذراعًا ومن تقرّب مني ذراعًا تقرّبت منه باعًا ...»، وقوله: «... مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ...»، وقوله: «ما مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلى النَّارِ ...»، وقوله: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلا اللَّهُ، وأنّي رسولُ الله، لا يلقى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غيرَ شَاكٍ، فَيُحْجَبْ عَنِ الجَنَّةِ»، وقوله: «اذْهَبْ.

(١) التربية الذاتية من الكتاب والسنة، د. هشام علي أحمد، ص١٢٣.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ص١٨٠.

فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاء هـذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللّـهُ. مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ».

فهذه شواهد نبوية تربوية أكدّ الرسول ﷺ من خلالها على أهمية استخدام الترغيب قبل الترهيب لأن الترغيب فيه تبشير وهذا التبشير قد يكون أبلغ في التأثير على السلوك أكثر من الترهيب.

ولا يمكن أن تجدي التربية وتحقق أهدافها ما لم يعرف الإنسان أن هناك نتائج مسرة أو مؤلمة وراء عمله وسلوكه، فإن عمل خيرًا نال السرور والحلاوة، وإن عمل شرًا ذاق الألم والمرارة، وهذا مما يجعل الإنسان يتحكم في سلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بنتائج ذلك السلوك وما يترتب عليه من نفع أو ضرر، وعندما استخدمت التربية الإسلامية هذا الأسلوب، فإنها تقدم الترغيب على الترهيب ولا تستخدم الترهيب إلا إذا لم يفلح الترغيب والثواب، وحين لا يفلح الترغيب لابد من علاج حاسم يضع الأمور في وضعها الصحيح، وهذا الترغيب والترهيب يستعمل بدرجات متفاوتة وذلك لاختلاف طبائع البشر، على أن يكون الهدف الأسمى من وراء هذا الأسلوب هو الإصلاح والتأديب[1].

رابعًا- التربية بالمواقف والأحداث:

من أساليب التربية الإسلامية استثمار المواقف والأحداث في التغيير الإيجابي للسلوك، وذلك لأن الإنسان دائمًا يتعرض في حياته للأحداث والمواقف والتي تحدث بسبب بعض التصرفات الخاصة أو لأسباب خارجة عن تقديره وخارجة عن إرادته.

ومن الشواهد ما يدل على ذلك في أحاديث الباب: أحداث غزوة تبوك، وما أصاب الناس من مجاعة، فقالوا: «يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا ...» وقول عتبان بن مالك: «كنت أصلي لقومي بني سالم، وكان يحول بيني وبينهم واد إذا جاءت الأمطار فيشق ...»، «قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ بِسَبْيٍ. فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ، تَسْعَىٰ، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا ...»، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كُنَّا قُعُودا مَعَ

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ص١٨٩.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما، فِي نَفَرٍ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا. فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا ...»، وحديث ابن مسعود رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِنِ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ...﴾».

فهذه نماذج تربوية تدل على وقوع أحداث ومواقف من الصحابة رضوان الله عليهم دعت النبي ﷺ للتعليق عليها.

"والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة وبغير توجيه وإنما يستغلها لتربية النفوس، وصقلها وتهذيبها ومزية الأحداث والمواقف -كأسلوب تربوي- أيضًا تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال، فيكون من الحكمة هنا استخدام الدواء عند حدوث الداء، وقد قامت السنة النبوية، وهي تربي الأمة الإسلامية في منشئها على استثمار المواقف والأحداث في تربية النفوس استثمارًا عجيبًا عميق الأثر، وكانت الحكمة من استخدام ذلك الأسلوب هو التأثير العميق في النفوس حتى لا تفلت الحادثة بلا عبرة مستفادة، وبلا أثر ينطبع في النفس ويبقى"[1].

خامسًا- التربية بالقصة:

من أساليب التربية القصة، وذلك لما فيها من شد للخيال ومتابعة ومشاهدة للأحداث فتؤثر في متتبعها أيما تأثير. ومن الشواهد على ذلك في أحاديث باب الرجاء قوله ﷺ: فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ...».

وعن أبي نجيح عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال: « كُنْتُ، وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ. وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَىٰ شَيْءٍ. وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ. فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا ...».

فهذه نماذج تربوية تدل على اعتماد القصة كأسلوب تربوي مؤثر ساحر ناجح، وهذا ما ظهر من مفهوم ومنطوق الأحاديث.

والقصة في التربية الإسلامية وظيفة تربوية لا يحققها لون آخر من ألوان الأداء اللغوي، ذلك أنها تمتاز بميزات جعلت لها آثارًا نفسية وتربوية بليغة محكمة، بعيدة

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ص١٩٦.

المدى على مر الزمن، مع ما تثيره من حرارة العاطفة، ومن حيوية وحركية في النفس، تدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه وتجديد عزيمته بحسب مقتضى القصة وتوجيهها، وخاتمتها والعبرة منها، لما لها من شد القارئ وشحذ انتباهه، دون توانٍ أو تراخ، فتجعله دائم التأمل في معانيها والتتبع لمواقعها، والتأثر بشخصيتها وموضوعاتها حتى آخر كلمة فيها، والقصة تتعامل مع النفس البشرية في واقعيتها الكاملة متمثلة في أهم النماذج النبوية التي ساقها النبي والصحابة[(١)].

سادسًا- من مصادر التربية: القرآن الكريم:

من مصادر التربية الإسلامية القرآن الكريم الذي هو كلام رب العالمين، والذي نزل به الروح الأمين على سيد المرسلين ليكون منهجًا وتربية للعالمين.

ومن الشواهد على ذلك في باب الرجاء، حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبيَّ ﷺ تَلاَ قَوْلَ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ ﷺ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى...﴾[(٢)]».

وحديث البراء بن عازب رضي الله عنه «عن النَّبِيِّ ﷺ: «الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ، يَشْهَد أَنْ لاَ إِلهَ إلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ...﴾[(٣)]».

وحديث ابن مسعود رضي الله عنه «أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِنِ امْرَأَةٍ قُبْلَةً ... ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[(٤)]».

فهذه نماذج تربوية دلت على أن القرآن الكريم مصدرٌ من مصادر التربية الإسلامية وأي تربية وأي حياة مع هذا الهدي الرباني.

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي، ص١٨٨.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٣٦.

(٣) سورة إبراهيم، آية: ٢٧.

(٤) سورة هود، آية: ١١٤.

"وإن من يريد أن يربي نفسه حري به أن يتعهدها بكتاب الله تلاوة وتدبرًا، وفهمًا وحفظًا، مبتعدًا بذلك عن منهج أهل الزيغ والعصيان الذين هجروا كلام الرحمن، ومن عاش في رحاب القرآن أصبح بمثابة قرآن يتحرك على الأرض ففيه منهج حياة لكل فرد في كل زمان ومكان، وما الحيرة والضياع التي يعيش فيها كثير من أفراد المسلمين إلا لأنهم ابتعدوا عن هذا النبع الأصيل، ولذلك نجد من اتصل بكتاب الله له رفعة يحظى بها في الدنيا والآخرة، وهذه الخيرية التي ينالها من بركات التوفيق لتربية الذات وتزكيتها"[1].

سابعًا- التربية بالتشبيه وضرب المثل:

من أساليب التربية الإسلامية أسلوب التشبيه وضرب الأمثلة، ولقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب لتقريب المعاني إلى الأذهان والتأثير في النفوس.

ومن الشواهد على ذلك في أحاديث باب الرجاء قوله ﷺ: «مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ. يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ».

فهذا نموذج تربوي استخدم فيه النبي ﷺ أسلوب التشبيه وضرب الأمثال للبيان والتوضيح لأثر وفضل المحافظة على أداء الصلوات الخمس، هذا الفضل الذي لا يستحقه إلا من صلى كما، أُمر فأقام أركانها وأتم واجباتها وخشع فيها.

"والأمثلة والتشبيهات النبوية دوافع تحرك العواطف والوجدان فيحرك الوجدان الإرادة ويدفعها إلى عمل الخيرات واجتناب المنكرات، وبهذا تساهم الأمثال في تربية الإنسان على السلوك الخير وتهذيب نزعاته الشريرة، فتستقيم حياة الأفراد والمجتمعات وتسير الأمة الإسلامية سيرتها نحو حضارة مثلى تحقق للإنسانية الرخاء والعدالة والتحرر، ويجب على المربي العمل على تحقيق هذا الجانب من تربية السلوك والإرادة الطيبة، والنزوع إلى الخير، وذلك باستحضار الأمثال في المواقف الحياتية والتعقيب عليها بذكر نتائجها السلوكية الطيبة بأسلوب يقوي إرادة الخير عند المسلم ويحقق

---

(١) التربية الذاتية من الكتاب والسنة، هشام علي أحمد، ص٨٦.

عزمه على توجيه سلوكه بما تقتضيه أمثال القرآن وتعاليمه"[(١)].

"ويحث علماء التربية الإسلامية على الاعتماد على الأمثلة الحسية في تفهيم المتعلمين[(٢)]، ولاسيما في البداية لأن الإنسان بحاجة إلى البيان والإيضاح لعدد من الأمور حتى يتم استيعابها والعمل بمقتضاها لأجل التغيير الإيجابي للسلوك.

ثامنًا- التربية بالتعليم والتوجيه:

من أهم وسائل التربية الإسلامية: التعليم والتوجيه، لما فيه من توظيف طاقات الإنسان وقدراته وجهده في جوانب الخير، وتحويلها إلى عادة تعليمية سهلة وميسرة.

ولقد استخدم هذه الوسيلة الرسول ﷺ في تعليمه للصحابة رضي الله عنهم.

ومن أمثلة ذلك في أحاديث باب الرجاء: حديث أنس: عندما جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ. قَالَ: وَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَصَلَّىٰ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَلَمَّا قَضَى الصَّلاَةَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ اللّهِ. قَالَ «هَلْ حَضَرْتَ الصَّلاَةَ مَعَنَا؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ «قَدْ غُفِرَ لَكَ».

وقول أبي نجيح عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال: «كُنْتُ ، وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَىٰ ضَلاَلَةٍ ... فَقُلْتُ: يَا رَسُولِ اللّهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ الله وَأَجْهَلُهُ. أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلاَةِ؟ قَالَ: «صَلِّ صَلاَةَ الصُّبْحِ. ثُمَّ ...».

فهذه شواهد تربوية ظهر فيها أن الصحابة كانوا يحرصون على التعلم والتوجيه من الرسول ﷺ.

والتعليم من الأساليب التربوية التي بها يعرف الإنسان ما يضره وما ينفعه، فالعلم يرشده إلى مواقع بذل المعروف، والفرق بينه وبين المنكر ويعتبر التعلم من أهم الوسائل التربوية لما يحدثه في نفس المتعلم من المفاهيم والمعارف التي تعينه على وضع الأمور في مواضعها الصحيحة، وتنير له الطريق إلى معرفة موضع كل خلق ومكان استعماله[(٣)].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، النحلاوي، ص٢٠٤.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ص١٩٦.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٢٤٦.

كما أن التوجيه وسيلة من وسائل التعليم التطبيقية التي استخدمها الرسول ﷺ مع أصحابه ليكون درسًا عمليًا يستقي منه الأصحاب الحكم والفوائد[(١)].

تاسعًا- التربية على الرجاء في رحمة الله عز وجل:

إن من أهداف التربية الإسلامية التربية على الرجاء في رحمة الله عز وجل، وذلك لفتح باب الأمل أمام النفوس، وطرد اليأس والقنوط، وتحقيق الإقبال على الله تعالى بالطاعة حتى لا يستكثر الإنسان شيئًا على الله تعالى، فهو غفار الذنوب، وستار العيوب، وعلام الغيوب وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها.

ومن الشواهد على ذلك في باب الرجاء ما يلي:

حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها....ومن تقرب مني شبرًا، تقربت منه ذراعًا ...».

وقوله ﷺ: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها...».

وقوله: «إن رحمتي تغلب غضبي...»، وقوله: «جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين ...»، وقوله ﷺ: فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال: «أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: ...»، وقوله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، ...»، وقوله: «لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون ...»، وقوله: «يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب، أمثال الجبال يغفرها الله لهم ...»، وقوله: «يدني المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقرره بذنوبه ...»، وقوله: «قد غفر لك»، وقوله: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ...»، وقوله: «إن الله تعالى إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ، قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا... ».

فهذه جملة شواهد تبين مدى سعة وعظمة الرجاء في رحمة الله عز وجل، لقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(٢)].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص٢٨٤.

(٢) سورة الزمر، آية: ٥٣.

"والرجاء طمعٌ في كرم الكريم وأمل في رحمته وثقته في فضل العظيم ونظرٌ إلى سعة الرحمة وجميل العفو والامتنان بالغفران، والتعلق بالمحسن المتفضل، ولولا روح الرجاء لعطلت عبودية القلب والجوارح، ولولا روح الرجاء ما تحركت الجوارح بالطاعة ولا ترنمت الألسنة بالدعاء، ولما فاضت القلوب بالثناء، إن الرجاء دليل على محبة الله وثمرة من ثمرات الخوف وكل محب على الحقيقة فهو راج لله خائف من عذابه، وعلى قدر تمكن المحبة في القلب يشتد الرجاء والخوف.

والرجاء ليس له قيمة ولا تبدو له فائدة ولا تنال منه ثمرة إن لم يكن مصحوبًا بالعمل مقرونًا بالطاعة ممزوجًا بالعطاء، يعمل ويرجو، ومن وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، والمؤمن كلما كثرت ذنوبه وتعددت هفواته يكون رجاؤه في الله أعظم، وطمعه في مغفرته أكبر، فإن أسواط الذنوب، ولسعات المعاصي تحرك القلب وتؤنب الضمير، وتدعو إلى المناجاة"[1].

من فوائد الرجاء ما ذكره الإمام ابن القيم:

١- إظهار العبودية والفاقة لله عز وجل.

٢-حب الله لعباده الراجين.

٣-الرجاء حاد يحدو بالعبد في سيره إلى الله.

٤-الرجاء يزيد من محبة الله.

٥-الرجاء يبعث على أعلى المقامات وهو مقام الشكر.

٦-الرجاء مستلزم للخوف فكل راج خائف.

٧-الرجاء فيه انتظار وترقب وتوقع لفضل الله[2].

---

(١) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ص٦٦٣.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/ ٢٤٠.

عاشرًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، ويمكن الاستفادة منها في العملية التعليمية، منها:

أ-أسلوب الإلقاء: ويكون بعرض شفهي للمعلومات من جانب المعلم، وهو واضح في كثير من أحاديث الباب، كحديث "لما خلق الله الخلق كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي" وحديث: "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها". ويمكن للمعلم أن يستخدم أسلوب الإلقاء في عملية الدراسة مع المراحل التعليمية المختلفة.

ب-التكرار: كما في حديث أنس بن مالك ﵁ أن النبي ﷺ قال لمعاذ وقد كان رديفه: "يا معاذ" ثلاث مرات. ويمكن من خلال استخدام أسلوب التكرار توضيح أهمية الموقف التعليمي للمتعلمين وجذب انتباههم لجانب معين من الدرس.

ج-توجيه الأسئلة كما في قول النبي ﷺ: "أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟" والأسئلة يستخدمها المعلم لتوجيه فكر المتعلمين وفي معرفة ما يعرفه المتعلم من معلومات وقيم، ومعالجة بعض أفكار المتعلمين.

حادي عشر- التربية على الشورى والعمل الجماعي:

وهذا واضح من قبول النبي ﷺ لما أشار به عمر بن الخطاب ﵁ من ترك نحر النواضح نظرًا لما يصيب المسلمين من ضرر إن هم نحروها، وأن يدعو النبي ﷺ الناس ليأتو بفضل أزوادهم. وقد قبل النبي ﷺ ذلك مع أنه كان قد وافق الناس على نحر نواضحهم، لكن لما رأى النبي ﷺ المصلحة في رأي عمر ﵁ أخذ به، وتصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة، فما كان فيه مصلحة لهم عمله وإلا تركه ونحاه جانبًا، وذلك مقيد بكون هذه المصلحة مصلحة شرعية لا تخالف نصًا شرعيًا أو مقصدًا شرعيًا، المهم أن في قبول النبي ﷺ لما أشار به عمر ﵁، ما تنادى به التربية الحديثة، وهو الشورى في الرأي والعمل الجماعي، وهو من أبرز المبادئ التي تستند عليها فلسفة الجودة الشاملة التي تطبق حاليًا في العديد من المؤسسات التعليمية

والحفاظ على الوقت والموارد المتاحة وحسن استغلال هذه الموارد وهو ما يعرف في التربية بالكفاءة والحرص على إنجاز المهام المكلف بها.



٥٢ - باب فضل الرجاء

قَالَ اللَّه تَعَالَى إخباراً عن العبدِ الصالِحِ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾[غافر: ٤٤ - ٤٥].

الحديث رقم (٤٤٠)

٤٤٠ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُ قَالَ: ((**قَالَ اللَّه عز وجل: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا معه حَيْثُ يَذْكُرني. وَاللهِ، للهُ أفْرَحُ بِتَوبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بالفَلاةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ شِبْراً، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِرَاعاً، وَمَنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِرَاعاً، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ بَاعاً، وَإِذَا أقْبَلَ إلَيَّ يَمْشِي أقْبَلْتُ إلَيْهِ أُهَرْوِلُ**)) متفقٌ عليه، وهذا لفظ إحدى روايات مسلم[1]. وتقدم شرحه في الباب قبله.

ورُوِيَ في الصحيحين[2]: (**وأنا معه حين يذكرني**) بالنون، وفي هذه الرواية (**حيث**) بالثاء وكلاهما صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ضالَّته: الضّالَّةُ: الشيء المفقود[3].

الفلاة: الصحرا[4].

أهرول: المراد صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أُحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود[5].

---

(١) برقم ٢٦٧٥/١، كتاب التوبة، باب ١. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦١٦.

(٢) أخرجه البخاري ٧٤٠٥، ومسلم ٢٦٧٥/١ واللفظ له.

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (ض ل ل).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ل و).

(٥) رياض الصالحين ٢٠٥.

الشرح الأدبي

قول الصحابي: (قال) النبي ارتقاء من مستوى الكلام العادي إلى المستوى الكلام النبوي، وهي نقلة كبيرة في المعاني، والأساليب، وقول الرسول ﷺ: (قال الله تعالى) ارتقاء من مستوى الكلام البشري إلى مستوى الكلام الإلهي، وهي نقلة عظمى في المعاني ؛لأن لفظ الحديث القدسي من الرسول، ومعناه من الله، وقوله تعالى (أنا عند ظن عبدي بي) ترغيب في حسن الظن بالله؛ لأنه سيعامله بمقتضى ظنه فيه، وإضافة العبد إليه تشريف للعبد، وقوله (وَأَنا معه حَيْثُ يَذْكُرنِي) يشير إلى أن الذاكر لله في معيته، وأكرم بها من معية ! - مما يعني أنه في تمام الأمان، لا يقربه شيطان، وقسم الرسول ﷺ تنبيه إلى ما يليه، ولصرف العناية إليه؛ لأنه يصور مدى حفاوة الله بعبده التائب، وترغيبه لغيره للإقبال على من استقبله بكل هذه الحفاوة، وطَلبهم هذا الطلب، وهو فضل يستنفذ العمر في شكره، وما يستطيع أن يؤدي المؤمن شكره، والحديث تفيض ألفاظه بأجمل المعاني من المعية الإلهية، إلى التقريب، إلى المحبة، وهي تحمل معاني تجعل المؤمن يحلق في فضل الله، ومعه، وبه.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

الحكم التكليفي للظن بالله تعالى:

١ - يجب على المؤمن دائمًا أن يحسن الظن بالله تعالى، ويحرم عليه سوء الظن بالله لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأكثر ما يجب أن يكون إحسانًا للظن بالله عند نزول المصائب وعند الموت، لحديث جابر رضي الله عنه.

٢ - يستحب للمريض ومن حضرته أسباب الموت، ومعاناته، تحسين الظن بالله تعالى، يرجو رحمة ربه، ومغفرته، وسعة عفوه، زيادة على حالة الصحة، ترجيحًا للرجاء على الخوف، لأحاديث الباب[1].

---

(١) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢١٨/٢، ٢١٩، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٠٨/٥، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٧/٤.

وأما في حالة الصحة فقال النووي: (فيه وجهان لأصحابنا حكاهما القاضي حسين وصاحبه المتولي وغيرها.

أحدها: يكون خوفه ورجاؤه سواء.

والثاني: يكون خوفه أرجح.

قال القاضي: الثاني هو الصحيح.

والأظهر: أن الأول أصح ودليله ظواهر القرآن العزيز فإن الغالب فيه ذكر الترغيب والترهيب[1] مقرونين كقوله تعالى: "يوم تيض وجوه وتسود وجوه"، "إن الأرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم"، "فأما من أوتي كتابه بيمينه"، "وأما من أوتي كتابه بشماله" ونائره مشورة وقال: "فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون"، وقال: "لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون".

وعن فقير بن مسكين، قال: قال المزني: دخلت على الشافعي غداة وفاته، فقلت له: كيف أصبحت يا أبا عبدالله، قال: أصبحت من الدنيا راجلاً، ولإخواني مفارقًا، وبكأس المنية شاربًا، ولا أدري إلى الجنة تصير روحي فأهنيها أم إلى النار فأعزيها، وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جَعَلتُ الرجا مني لعفوك سُلما

تَعَاظَمَنِي ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما[2]

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إحسان الظن بالله تعالى.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: معية الله عز وجل مع الذاكر.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: المراد بمعية الله تعالى.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فرح الله سبحانه بتوبة العبد.

خامساً: من موضوعات الدعوة: إثبات صفة الفرح لله عز وجل.

سادساً: من أساليب الدعوة: ضرب المثل.

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٠٨/٥.

(٢) مروج الذهب، المسعودي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد ٤٦/٢.

أولاً – من موضوعات الدعوة: إحسان الظن بالله تعالى:

لقد أخبر النبي ﷺ عن ربه عز وجل أنه يقول: "أنا عند ظن عبدي بي"، وقد ذكر القاضي عياض عدة معانٍ لهذا القول، فقال: "قيل معناه: بالغفران له إذا استغفرني، والقبول إذا أناب إليّ، والإجابة إذا دعاني، والكفاية إذا استكفاني، لأن هذه الصفات لا تظهر من العبد إلا إذا أحسن ظنه بالله وقوي يقينه. قال القابسي: يحتمل أن يكون تحذيراً مما يجري في نفس العبد، مثل قوله: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[1]. وقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾[2]. وقال الخطابي: "في قوله ﷺ: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بالله)) [3]، يعني: في حسن عمله، فمن حسن عمله حسن ظنه، ومن ساء عمله ساء ظنه، وقد يكون من الرجاء وتأميل العفو"[4][5].

وقد رجح النووي معنى الرجاء وتأميل العفو، فقال: "وهذا أصح"[6].

ويقدم ابن حجر هذا المعنى في تفسيره لهذا القول، ثم يذكر بعده أقوال بعض أهل العلم، فيقول: "أي قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به"، وقال الكرماني: وفي السياق إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف"، وكأنه أخذه من جهة التسوية، فإن العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلى ظن إيقاع الوعيد وهو جانب الخوف، لأنه لا يختاره لنفسه بل يعدل إلى ظن وقوع الوعد وهو الرجاء، وهو كما قال أهل التحقيق مقيد

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٧٧.

(٤) معالم السنن ٢٨٤/٤، وتكملة كلامه: "والله جواد كريم لا واخذنا بسوء أفعالنا ولا وكلنا إلى حسن أعمالنا برحمته".

(٥) إكمال المعلم ١٧٢/٨.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٧٠.

بالمختصر، ويؤيد ذلك حديث: "لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بالله" وهو عند مسلم من حديث جابر. وأما قبل ذلك ففي الأول أقوال: ثالثها: الاعتدال. وقال ابن أبي جمرة: المراد بالظن هنا العلم وهو كقوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾(١).

وقال القرطبي في المفهم(٢): قيل: معنى ظن عبدي في: ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها، تمسكاً بصادق وعده. قال: ويؤيده قوله ﷺ في الحديث الآخر: ((ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة))(٣). قال: ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقناً بأن الله يقبله ويغفر له، لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد، فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله، وهو من الكبائر، ومن مات على ذلك وتحل إلى ما ظن كما في بعض طرق الحديث المذكور ((فليظن بي عبدي ما شاء))(٤). قال: وأما ظن المغفرة مع الإصرار فذلك محض الجهل والغرة (٥). وهو يجر إلى مذهب المرجئة"(٦).

ومما سبق يمكن استخلاص المعاني الآتية لقول رب العزة "أنا عند ظن عبدي بي":

المعنى الأول: قبول العمل بما يناسبه، فالاستغفار يقبل وتقع المغفرة كما أن الدعاء يقبل وتقع الإجابة، وعلى ذلك فقس بقية الأعمال.

المعنى الثاني: حسن الظن بالله عند الموت، وذلك لأن المحتضر قد ترك الدنيا ولم يعد أمامه إلا القدوم على الآخرة، ولم يعد هناك وقت للعمل، فهو يحسن الظن بربه

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١٨.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٧-٦.

(٣) اخرجه الترمذي، ٣٤٧٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٦٠).

(٤) اخرجه أحمد ٤٩١/٢ رقم ١٦٠١٦، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٩٨/٢٥.

(٥) جاء في القاموس المحيط، الفيروز آبادي ص:٤٥٠: الغارّ: الغافل. واغتَرّ: غَفَل والاسم: الغِرَّة، بالكسر.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢٨٥/١٣-٢٨٦.

ويغلب جانب الرجاء في عفوه وكرمه ومنّه، لأنه العفو الكريم المنان، وهو إذ يفعل هذا فإن الله يقابله بحسن ظنه هذا بما يسره ويفرحه.

يوضح هذا الحديث واثلة بن الأسقع على أبي الأسود الجرشي في مرضه الذي مات فيه، فسلم عليه وجلس، قال: فأخذ أبو الأسود يمين واثلة، فمسح بها على عينيه ووجهه لبيعته بها رسول الله ﷺ فقال له واثلة: واحدة أسألك عنها، قال: وما هي؟ قال: كيف ظنك بربك؟ قال: فقال أبو الأسود، وأشار برأسه، أي حسن. قال واثلة: أبشر! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء))[1].

وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث، ـ ذكر البيان بأن من أحسن الظن بالمعبود كان له عند ظنه، ومن أساء به الظن كان له عند ذلك[2].

المعنى الثالث: الرجاء وتأميل العفو، ولا يختص هذا بحال الاحتضار فحسب، وإنما يشمل ما قبلها أيضاً، ويعني ذلك أن العبد يرجو ويأمل من الله عز وجل أن يعفو عنه ويعامله بما هو أهله سبحانه من الكرم والعفو والصفح، ولا يعني هذا أن يفرط الإنسان في الطاعة والعبادة اعتماداً على هذا الأمل وهذا الرجاء، فهذا لا يقول به عاقل، وإنما يكون هذا عند فعل الطاعة وفعل المعصية، فالعبد عند الطاعة يرجو من الله أن يقبلها ويكافئه عليها بمزيد إحسانه وفضله ووجوده، كما أنه عند فعل المعصية فإن يرجو ألا يؤاخذه الله بها بل يعفو ويصفح ويقبل توبته وإنابته. ولاشك أن هذا الرجاء يكون معه الخوف من عقاب الله لأن هذا الخوف يمتعه من الاجتراء على المعاصي والذنوب، فإن وقعت منه فلا يوقعه الخوف إلى اليأس والقنوط من رحمة الله، بل يدفعه الرجاء إلى أن يطمع في رحمة الله وعفوه وصفحه وغفرانه، وهكذا فإن العبد يكون بين الخوف والرجاء مع الإقبال على الطاعة والقيام والاجتهاد فيها.

---

(١) أخرجه أحمد ٤٩١/٢٥٣ رقم ١٦٠١٦، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣٩٨/٢٥.

(٢) صحيح ابن حبان ٦٤١.

والخلاصة أن معنى قول الله عز وجل: "أنا عند ظن عبدي به" يحتمل هذا المعاني الثلاثة وغيرها، وقد يكون المراد بها جميع هذه المعاني الثلاثة وخاصة أنها متقاربة ومتداخلة والله أعلم.

ثانياً - من موضوعات الدعوة: معية الله عز وجل مع الذاكر:

لقد أخبر النبي ﷺ عن رب العزة أنه يقول عن عبده: "وأنا معه حيث يذكرني" وقال رسول الله ﷺ: "إن الله عز وجل يقول: أنا مع عبدي إذا هو ذكرني، وتحركت بي شفتاه"[١].

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: معنى الحديث أنا مع عبدي زمان ذكره لي، أي أنا معه بالحفظ والكلاءة لا أنه معه بذاته حيث حل العبد، ومعنى قوله: "تحركت بي شفتاه" أي تحركت باسمي لا أن شفتيه ولسانه تتحرك بذاته تعالى، لاستحالة ذلك انتهى ملخصاً. وقال الكرماني: المعية هنا معية الرحمة، وأما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[٢].

فهي معية العلم يعني فهذه أخص من المعية التي في الآية)[٣].

وقال النووي: (قوله تعالى: "وأنا معه حين يذكرني" أي معه بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية، وأما قوله تعالى: "وهو معكم أينما كنتم"، فمعناه بالعلم والإحاطة)[٤].

ويتكلم القرطبي عن أصل الذكر وعن المقصود بمعية الله مع الذكر، فيقول: "أصل الذكر: التنبيه بالقلب للمذكور، والتيقظ له، ومنه قوله: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[٥]. أي تذكروها، وقوله ﷺ: ((من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها

---

(١) أخرجه أحمد ٥٤٠/٢ رقم ١٠٩٦٨، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٥٦٨/١٦.

(٢) سورة الحديد، آية: ٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٥٠٠/١٣.

(٤) شرح مسلم، ٣/١٧/٩، وانظر: إكمال المعلم، القاضي عياض ١٧٢/٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ٤٠.

إذا ذكرها))[1]. أي: إذا تذكرها بقلبه، وهو في القرآن كثير، وسمى القول باللسان ذكراً، لأنه دلالة على الذكر القلبي، غير أنه قد كثر اسم الذكر على القول اللساني حتى صار هو السابق للفهم، وأصل مع الحضور والمشاهدة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[2]. وكما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[3]. أي مطلع عليكم ومحيط بكم، وقد ينجر مع ذلك الحفظ والنصر، كما قيل في قوله تعالى: "إنني معكما أسمع وأرى" أي: أحفظكما ممن يريد كيدكما.

وإذا تقرر هذا فيمكن أن يكون معنى: "وأنا معه إذا ذكرني" أن من ذكر الله في نفسه مفرغة مما سواه رفع الله عن قلبه الغفلات والموانع وصار كأنه يرى الله ويشاهده. وهي الحالة العليا التي هي: أن تذكر الله كأنك تراه، فإن لم تصل إلى هذه الحالة فلا أقل من أن يذكره، وهو عالم بأن الله يسمعه ويراه، ومن كان هكذا كان الله له أنيساً إذا ناجاه، ومجيباً إذا دعاه، وحافظاً له من كل ما يتوقعه ويخشاه، ورفيقاً به يوم يتوفاه، ومحلاً له من الفردوس أعلاه"[4].

كما يذكر ابن حجر أنواع الذكر التي تقع من العبد، ذلك عن ابن أبي جمرة، فيقول: قال ابن أبي جمرة: "معناه: فأنا معه حسب ما قصد من ذكره لي، قال: ثم يحتمل أن يكون الذكر باللسان فقط أو بالقلب فقط أو بهما، أو بامتثال الأمر واجتناب النهي، قال: والذي يدل عليه الأخبار أن الذكر على نوعين: أحدهما مقطوع لصاحبه بما تضمنه هذا الخبر، والثاني على خطر، قال: والأول يستفاد من قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[5]. والثاني من الحديث الذي فيه: "من لم تنه صلاته

---

(١) أخرجه مسلم ٦٨٠.

(٢) سورة طه، آية: ٤٦.

(٣) سورة الحديد، آية: ٤.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين، ٧/٦-٧.

(٥) سورة الزلزلة، الآية: ٧.

عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً"[١]. لكن إن كان في حال المعصية بذكر الله بخوف ووجل مما هو فيه، فإنه يرجى له"[٢].

ثالثاً - من موضوعات الدعوة: المراد بمعية الله تعالى:

أخبر الله أنه عز وجل مع عبده حيث يذكره كما في الحديث، والمعية نوعان تختلف باختلاف الخلق فهي تكون بمعنى مع جميع الخلق على حين تكون بمعنى آخر مع المؤمنين إكراماً لهم وبيان لفضلهم، قال الشيخ عبدالله البسام: "معية الله تعالى مع خلقه نوعان: عامة وخاصة: فأما المعية العامة فهي التي بمعنى الإحاطة والاطلاع والمراقبة والعلم، وهذه هي المعية التي مع جميع خلقه. وأما المعية الخاصة فهي التي بمعنى النصر والحفظ والإعانة، وهذه معية خاصة بعباده المؤمنين. ومذهب أهل السنة والجماعة أن معية الله تعالى لا تقتضي أن يكون الله تعالى حالاً في أمكنة من هو معهم، ولا أنه مختلط بهم، فهذا معنى باطل يذهب إليه الحلولية.

فأهل السنة يرون أنه تعالى عالٍ على عرشه بائن من خلقه. له العلو الكامل علو الذات وعلو الصفة وعلو القدر، ولا تكاد تحصر أدلة هذه المسألة"[٣].

وهذه المعية بنوعيها تنعكس على العبد المؤمن في سلوكه، فهو من ناحية يراقب الله في تصرفاته "أي تصرفات العبد، فلا يفعل ما يكرهه وما يغضبه لأنه سبحانه مطلع عليه عالم به محيط بما يقع من ذلك العبد، من ناحية أخرى، فإن العبد يشعر بالأمن والطمأنينة والسكينة في حياته لأن الله عز وجل معه يعينه ويحفظه وينصره ويحميه، ويمده ذلك بقوة هائلة تساعده على مواجهة الشدائد والأزمات بقلب شجاع وعزيمة لا تلين، لأن من كان الله معه كفاه.

وانظر إلى موقف موسى عليه السلام وموقف بني إسرائيل، وقد رأوا فرعون وجيشه على وشك

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ١١٠٢٥/١١، وحكم عليه الألباني بالبطلان في السلسلة الضعيفة، الحديث رقم ٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٨٦/١٣.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٤٠١/٦.

اللحاق بهم وإدراكهم. فقال بنوا إسرائيل في موقف يملؤه الهلع والفزع والرعب "كما يحكى الله عنهم "إنا لمدركون" على حين قال موسى عليه السلام قوله من هو واثق بمعية الله ونعت تمام الثقة: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾، فكانت النتيجة: ﴿وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ۝ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[1].

رابعاً - من موضوعات الدعوة: فرح الله سبحانه بتوبة العبد:

لقد أخبر النبي ﷺ أن الله سبحانه وتعالى يفرح بتوبة عبده وإنابته إليه، فقال مستخدماً أسلوب القسم لتأكيد هذا الفرح: "والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة"، ولاشك أن هذا دفع للعصاة للمسارعة إلى التوبة والإقلاع عن المعاصي والإقبال على رب العالمين والاجتهاد في طاعته والإذعان له عز وجل، وفي هذا يقول ابن هبيرة: (إنه من أعظم ما حضّ وحث وبعث الأبقين على حسن العود وتلافي الفارط، والفزع إلى التوبة، فإن الذي ذكره رسول الله ﷺ من موقع التوبة عنده سبحانه وتعالى دليل كرمه، وآية جوده، وأنّه يسره سبحانه وتعالى أوبة عبده حتى يبلغ ذلك السرور مقداراً لا يمكن أن تنتهي المعرفة إليه إلا بأن يضرب مثل هذا المثال في المخلوق ليعرف به قدر ذلك، فعلى هذا ينبغي أن لا يزال العبد تائباً إلى الله تعالى راجعاً إليه مقلعاً عن كل ما لا يصلح في معاملته إلى ما يصلح من مقتضى أمره وكريم وصاياه، فإنه تتوالى عنده المسار بتتابع توباته وموالاة إنابته.

وهذا في حق من يتوب مقبلاً بعد إعراض فكيف إذن مَنْ يتوالى إقباله ويتتابع إحسانه؟)[2].

ثم يقول في موضع آخر: (وهذا قد تقدم ما ذكرنا فيه من أنه إذا نظر منه صيغة الحديث فإنه لا يمكن أن يحمل إلا على ما ذكره رسول الله ﷺ من التمثيل إلا أنه مقام عظيم، وكل من فاء إلى طاعة الله سبحانه بعد مروق منها - فإنه يأتي ذلك من

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٦٢-٦٧.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ، ٤٣/٢.

فرح ربه سبحانه بعوده إلى طاعته إلى المبلغ الذي يمثل الإنسان نفسه له لو لم يكن له في الوجود عبد غيره، كما أن المضل راحلته لم يكن له في مقامه في حالته تلك سوى راحلته تلك قد أشعر ظن إبليس بتصديقه له، فكان ذلك في مقام فلح إبليس حيث قال: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾[1]. فصار هذا الآبق شمتاً لإبليس بآدم الذي خلقه الله سبحانه بيده واسجد له ملائكته، ونفخ فيه من روحه، فكان حال كل مؤمن في وقد إباق من يأنف من ذريته آدم عن طاعة ربه بمرى من العدو[2] الذي قد أخبر الله عز وجل فإن النظرة له إلى يوم القيامة سبقت فيعود حالهم في مثل الفرية والمصيبة للمؤمنين كلهم، فإذا رجع كان في المعنى: تلك الضالة التي يفرح المؤمنين كلهم بعودها إليهم ووجدانهم لها، فلذلك الذي يفرح الله عز وجل به)[3].

والخلاصة أن الله عز وجل يفرح بتوبة عبده، وفي هذا حض وحث على أن ينوب العبد ويسارع إلى الإنابة إلى ربه لذا بّوب النووي على هذا الحديث باب في الحض على التوبة والفرح بها[4].

خامساً - من موضوعات الدعوة: إثبات صفة الفرح لله عز وجل:

وهذا من الحديث "والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة" قال سليم الهلالي: (في هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله عز وجل، وأنها صفة تليق بجلاله وكماله، ولا يلزم من إثباتها أن تكون كفرح المخلوقين الذي فيه اهتزاز وطرب وتغير يجده الشخص في نفسه عند ظفره بغرض يستكمل به نقصانه ويسد به ضعفه، ... وعليه، فإن لله عز وجل فرحاً يليق بجلاله كما أن للمخلوق فرحاً يليق بعجزه وافتقاره، ونحن نؤمن بصفات الله عز وجل الواردة في كتابه وسنة رسوله ﷺ الصحيحة ولا

---

(١) من الآية ٦٢ من سورة الإسراء، والآية كاملة: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

(٢) هكذا في المطبوع من الإفصاح ولم نهتد لصوابه، ولعله يكون بمرأى من العدو، والله أعلم.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٩٨/٥-١٩٩.

(٤) شرح مسلم، ٥٠/١٧/٩، ١-٢٦٧٥. كتاب التوبة.

نتعدى القرآن والحديث، ولا نضرب لهما الأمثال، بل نثبت ما أثبته الله تعالى لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ، وننفي عنه ما نفى عن نفسه وما نفاه عن رسوله، ونسكت عما سكت الله ورسوله عنه، فالله أعلى وأعلم وأعز وأحكم، والتسليم أسلم)[١].

وقال الدكتور عمر سليمان الأشقر تحت عنوان: المنهج الذي تفهم أسماء الله وصفاته في ضوئه: ذكر محمد الأمين الشنقيطي أن القرآن العظيم دلّ على أن مبحث الصفات يرتكز على ثلاث أسس من جاء بها كلها فقد وافق الصواب، وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح، ومن أخل بواحد من تلك الأسس الثلاثة فقد ضلّ وذكر أن كل هذه الأسس الثلاثة يدل عليها القرآن العظيم:

الأساس الأول: تنزيهه جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين، وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٢]. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[٣]. ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾[٤].

الأساس الثاني: هو الإيمان بما وصف الله به نفسه، لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾[٥]. والإيمان بما وصفه به رسوله ﷺ لأنه لا أعلم بالله بعد الله من رسول الله ﷺ الذي قال في حقه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[٦].

---

(١) صحيح رياض الصالحين وبذيله حواش نفيسة وتعليقات منيفة للألباني، هذبه وحققه وضبطه سليم بن عيد بن محمد الهلالي السلفي ص ٢٩.

(٢) سورة الشورى، آية: ١١.

(٣) سورة الإخلاص، آية: ٤.

(٤) سورة النحل، آية: ٧٤.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٤٠.

(٦) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.

الأساس الثالث: قطع الأطماع عن إدراك حقيقة الكيفية، لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل، وهذا نص الله عليه في سورة طه حيث قال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾(١). والمعنى: لا إحاطة للعلم البشري برب السموات والأرض، فينفي جنس أنواع الإحاطة عن كيفيتها. فالإحاطة المسندة للعلم منفية عن رب العالمين.

وهذا الذي ذكره الشيخ العلامة من استحالة معرفة كيفية الله أو صفاته منطق سليم، لأن العقل الإنساني مهما بلغ من الذكاء وقوة الإدراك قاصر غاية القصور عاجز نهاية العجز عن معرفة حقائق الأشياء.

إن الإنسان عاجز عن معرفة حقيقة الروح التي تتردد بين جنبيه، فكيف يطمح إلى معرفة حقيقة الذات والصفات الإلهية(٢).

سادساً - من أساليب الدعوة: ضرب المثل:

وهذا واضح في قوله ﷺ: "والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة"، فلاشك أن صاحب الضالة عندما يجدها وقد ضاعت منه في الصحراء، يكون فرحه فرحاً شديداً جداً، فلا أبلغ منه ولا أشد، فسبق هذا المثل لبيان المعنى، وقد جاء في هذا المعنى حديث عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه رواه عن النبي ﷺ وحديث آخر قاله هو، ومن الملاحظ استخدام المثل لتوضيح المعنى، فعن الحارث بن سويد قال: حدثنا عبدالله بن مسعود حديثين: أحدهما عن النبي ﷺ والآخر عن نفسه، قال: إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه فقال به هكذا - بيده فوق أنفه، ثم قال: لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً ربه مهلكه ومعه راحلته عليها طعامه عليه الحرّ والعطش أو ما شاء الله. قال: أرجع إلى مكاني فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده"(٣).

---

(١) سورة طه، آية: ١١٠.

(٢) العقيدة مع الله ١٩٧-١٩٩ بتصرف.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٠٨، ومسلم ٦٣٠٨.

قال ابن حجر: "قال ابن أبي جمرة: الحكمة في التمثيل بالجبل أن غيره من المهلكات قد يحصل التسبب إلى النجاة منه، بخلاف الجبل إذا سقط على الشخص لا ينجو منه عادة، وحاصله أن المؤمن يغلب عليه الخوف لقوة ما عنده من الإيمان فلا يأمن من العقوبة بسببها، وهذا شأن المسلم أنه دائم الخوف والمراقبة يستصغر عمله الصالح ويخشى من صغير عمله السيئ...، والحكمة في تشبيه ذنوب الفاجر بالذباب كون الذباب أخف الطير وأحقره وهو مما يعاين ويدفع بأقل الأشياء. قال: وفي ذكر الأنف مبالغة في اعتقاده خفة الذنب عنده، لأن الذباب قلما ينزل على الأنف وإنما يقصد غالباً العين. قال: وفي الحديث ضرب المثل بما يمكن"[1]... ثم قال: "قال ابن أبي جمرة: وفي حديث ابن مسعود ومن الفوائد ... ضرب المثل بما يصل إلى الأفهام من الأمور المحسوسة"[2].

والداعية يستخدم ضرب المثل ليوضح المعنى ويزيده وضوحه، وذلك لأن المثل المضروب واضح جليّ تمام الوضوح عند المخاطبين، ومن ثم يؤدي هذا إلى شدة إيضاح المعنى المراد إيضاحه، لذا كلما كان المثل المضروب قريباً من أفهام المخاطبين أو منتزعاً من بيئتهم التي يعيشون فيها، كان أنجح في إيصال المعنى وإيضاحهن والملاحظ أيضاً أن المثل المضروب مثل مادي محسوس في الأغلب الأعم، ويراد به إيضاح معنى معنوي في الأغلب الأعم كذلك، لذا كان ضرب المثل من الأساليب الدعوية التي يجدر بالداعية استخدامها لإيصال رسالته الدعوية إلى المدعوين.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٥/١١.

(٢) المرجع السابق ١٠٨/١١.

الحديث رقم (٤٤١)

٤٤١ - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ قبلَ مَوْتِه بثلاثةِ أيَّام، يقولُ: ((**لاَ يَمُوتَنّ أحَدُكُمْ إلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بالله عز وجل**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

أكد الصحابي ما يروي عن الرسول ﷺ بعدة مؤكدات استشعاراً لمقام التحديث عن رسول الله ﷺ، واستشعار لعظم ما يخبر به؛ لأنه ينقله للأمة، وقوله سمع فيه مزيد توكيد للخبر، وذكره الظرف (قبل) وإضافته إلى (موته) فيه لفت إلى العناية بالمقول؛لأنه صار كوصية المودع، وقول الرسول ﷺ (لاَ يَمُوتَنّ أحَدُكُمْ إلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بالله - عز وجل) نهي خرج عن حقيقته؛ لأن الموت مما لا يستطيع الإنسان دفعه حتى ينهى عنه، ولكن القصد به الأمر بالمداومة على حسن الظن بالله حتى يدركه الموت على هذه الحالة، فيجازيه الله بحسن ظنه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التحذير من اليأس والقنوط.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية إحسان الظن بالله ورجاء رحمته.

ثالثاً: من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى ما ينفعهم.

رابعاً: من أساليب الدعوة: النهي والتوكيد.

اولاً - من موضوعات الدعوة: التحذير من اليأس والقنوط:

(اليأس والقنوط استصغار لسعة رحمة الله عز وجل ومغفرته، وذلك ذنب عظيم وتضييق لفضاء جوده)[2]، لذا حذّر منه النبي ﷺ فقال: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل" قال القاضي عياض: (في الحديث تحذير من القنوط المهلك

---

(١) برقم ٢٨٧٨/٨٣. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٥٨.

(٢) شجرة المعارف والأحوال، العز بن عبدالسلام ١١٩.

وحضٌّ على الرجاء عند الخاتمة لئلا يغلب عليه الخوف حينئذ فيخشى غلبة اليأس والقنوط فيهلك. وعبادة الله إنما هي من أصلين الخوف والرجاء، فيستحب غلبة الخوف ما دام الإنسان في خيرية العمل، فإذا دنى الأجل وذهب المهل وانقطع العمل استحب حينئذ غلبة الرجاء ليلقى الله تعالى على حالة هي أحب الأحوال إليه جل اسمه إذ هو الرحمن الرحيم ويحب الرجاء، وأثنى على نبيه عليه السلام بذلك.

ويؤيد ما قلناه قوله ﷺ في الحديث: ((يبعث كل أحد على ما مات عليه))[(١)] فهذا جامع لهذا ولغيره وأن العبد يبعث على الحالة التي مات عليها)[(٢)]، وقال النووي: (قال العلماء: هذا تحذير من القنوط وحث على الرجاء عند الخاتمة)[(٣)]. وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(٤)].

قال ابن كثير: (هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر) ثم ساق عدة أحاديث في المعنى نفسه ثم قال: (فهذه الأحاديث كلها دالة على أن المراد: أنه يغفر جميع ذلك من التوبة، ولا يقنطن عبدٌ من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت، فإن باب التوبة والرحمة واسع)[(٥)].

وقد قال الله تعالى حاكياً عن يعقوب عليه السلام: ﴿يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨٧٨.

(٢) إكمال المعلم ٤٠٩/٨، ٤١٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٧٠.

(٤) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٥) تفسير ابن كثير ١٠٦/٧-١٠٧.

(٦) سورة يوسف، آية: ٨٧.

قال القرطبي: (أي لا تقنطوا من فرج الله قاله ابن زيد، يريد أن المؤمن يرجو فرج الله والكافر يقنط في الشدة. وقال قتادة والضحاك: من رحمه الله ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ دليلٌ على أن القنوط من الكبائر وهو اليأس)[١].

جاء في الموسوعة الفقهية: (لا يجوز للمؤمن اليأس من روح الله ورحمته. ومن أمثلة الإياس من رحمة الله الإياس من الرزق أو نحوه كالولد، أو وجود المفقود، أو يأس المريض من العافية، أو يأس المذنب من المغفرة. والإياس من رحمة الله تعالى منهي عنه. وقد عده العلماء من الكبائر. قال ابن حجر المكي: عد ذلك كبيرة هو ما أطبقوا عليه، لما ورد فيه من الوعيد الشديد. كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[٣].

وبكونه أكبر الكبائر صرح ابن مسعود كما رواه عبدالرزاق والطبراني. ثم قال ابن حجر: وإنما كان اليأس من رحمة الله من الكبائر لأنه يستلزم تكذيب النصوص القطعية. ثم هذا اليأس قد ينضم إليه حالة هي أشد منه، وهي التصميم على عدم وقوع الرحمة له، وهذا هو القنوط، بحسب ما دل عليه سياق الآية: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾[٤] وتارة ينضم إليه مع اعتقاده عدم وقوع الرحمة له يرى أنه سيشدد عذابه كالكفار. وهذا هو المراد بسوء الظن بالله تعالى[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٣٧/١١. وانظر تلك الأقوال في: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢١٤/١٣-٢١٥.

(٢) سورة يوسف، آية: ٨٧.

(٣) سورة الحجر، آية: ٥٦.

(٤) سورة فصلت، آية: ٤٩.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠٠/٧-٢٠١، ومراجعها ومصادرها.

ثانياً - من موضوعات الدعوة: أهمية إحسان الظن بالله ورجاء رحمته:

إن كان الإيمان يدفع المؤمن إلى الخوف من الله، فإنه أيضاً يدفعه إلى إحسان الظن بالله ورجاء رحمته، وتغليب ذلك عند موته، وهذا واضح جلي في الحديث، قال النووي: (قال العلماء: هذا تحذير من القنوط وحث على الرجاء عند الخاتمة... قال العلماء: معنى حسن الظن أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه... فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محّضه لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال. وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له، ويؤيده الحديث المذكور بعده: ((يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَىٰ مَا مَاتَ عَلَيْهِ))[١] ولهذا عقّبه مسلم للحديث الأول قال العلماء: معناه يبعث على الحالة التي مات عليها)[٢].

وعن حيان أبي النضر قال: ((دَخَلْتُ مَعَ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ عَلَى أَبِي الأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ، فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَجَلَسَ، قَالَ: فَأَخَذَ أَبُو الأَسْوَدِ يَمِينَ وَاثِلَةَ، فَمَسَحَ بِهَا عَلَى عَيْنَيْهِ وَوَجْهِهِ، لِبَيْعَتِهِ بِهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ وَاثِلَةُ: وَاحِدَةٌ أَسْأَلُكَ عَنْهَا، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: كَيْفَ ظَنُّكَ بِرَبِّكَ؟ قَالَ: فَقَالَ أَبُو الأَسْوَدِ: وَأَشَارَ بِرَأْسِهِ، أَيْ حَسَنٌ، قَالَ: وَاثِلَةُ أَبْشِرْ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "قَالَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ"))[٣].

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ((والذي لا إله غيره ما أعطى عبد مؤمن شيئاً خيراً من حسن الظن بالله عز وجل، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله عز وجل الظن إلا أعطاه الله عز وجل ظنه، ذلك بأن الخير في يده))[٤].

---

(١) أخرجه مسلم ٨٣-٢٨٧٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٧٠.

(٣) أخرجه أحمد ٤٩١/٣ رقم ١٦٠١٦ وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣٩٨/٢٥.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن ٩٦، نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ١٦٠٧/٥.

قال د. عائض القرني: (ذكر ابن الوزير في كتاب "العواصم والقواصم" "أن الرجاء في رحمة الله عز وجل يفتح الأمل للعبد، ويقوِّيه على الطاعة، ويجعله نشيطاً في النوافل سابقاً إلى الخيرات" قُلت: وهذا صحيح، فإن بعض النفوس لا يصلحها إلا تذكر رحمة الله وعفوه وتوبته وحلمه، فتدنو منه وتجتهد وتثابر)[١].

ثالثاً - من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى ما ينفعهم:

إن الداعية مهمته الأولى توجيه المدعوين إلى ما ينفعهم وإرشادهم إلى ما يفيدهم في الدنيا والآخرة، وهذا واضح من الحديث حيث أرشد النبي ﷺ المدعوين إلى أن يُحْسنوا الظن بالله لما في ذلك من نفعهم، فالله سبحانه يقول كما أخبر النبي ﷺ ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي))[٢].

لذا جاءت الأقوال عن الصحابة رضي الله عنهم في أن الداعية عليه أن يرشد الناس دون أن يقنطهم لأنه (يقال شرّ الناس الذين يقنطون الناس من رحمة الله أي يُؤيِّسُونهم)[٣].

فقد مرّ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه على قاصٍ يذكر النار فقال: ((يا مذكر النار لا تقنّط الناس. ثم قرأ ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ ﴾[٤]))[٥].

وقالت عائشة رضي الله عنها لعبيد بن عمير: ((ألم أُحدَّث أنك تجلس ويُجلس إليك؟ قال: بلى يا أم المؤمنين، قالت: فإياك وإهلاك الناس وتقنيطهم))[٦].

---

(١) لا تحزن، عائض القرني ١٣٩.

(٢) أخرجه البخاري ٧٤٠٥، ومسلم ٢٦٧٥.

(٣) لسان العرب، ابن منظور ٢٦٢/٩/٥.

(٤) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ١٨٥/١٣، والطبري ٢٢٨/٢٠، والطبراني في الكبير ٨٦٣٥، والبيهقي في شعب الإيمان ١٠٥٣، وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٠٨/٧، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٧٦/١٢.

(٦) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٢٠٥٦٠، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٨٠/١٢.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((إنَّ الفقيهَ كل الفقيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ الناسَ من رحمةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي معاصي اللَّهِ، ولم يَؤَمِّنْهُمْ من عذابِ اللَّهِ، ولم يَدَعِ القرآنَ رغبةً عنْهُ إلى غَيْرِهِ، إنَّهُ لاَ خيرَ فِي عبادةٍ لا علمَ فيها، ولا علمَ لا فَهْمَ فيهِ، ولا قراءَةَ لا تدَبُّرَ فيها))[1]. لذلك فإن الداعية الحق هو من جمع بين ترغيب المدعوين في رحمة الله وتخويفهم من عذاب الله وعقابه، فيدلهم على الأعمال والأخلاق التي تقربهم من رحمة الله وعفوه، كما يحذرهم مما يؤدي إلى سخط الله تعالى وغضبه، فيكون المدعو بَيْن باعثين: باعث الطمع في رحمة الله التي تمنعه من القنوط واليأس إن هو وقع في الذنوب والسيئات، كما يزيد انبعاثه إلى فعل الطاعات والتزود منها والمسارعة إليها، والباعث الآخر الخوف من غضبه سبحانه يمنعه من الوقوع في السيئات كلما تمكن من ذلك، فإن هو وقع فيها منعه من الاستمرار والإصرار عليها، كما أن هذا الباعث يجعل المدعو على وجل ألا يكون الله قد قبل عمله، ومن ثم يستمر على الجادة وتحسين الطاعات.

قال ابن القيّم: (القرآن كلام الله، وقد تجلّى الله فيه لعباده بصفاته، فتارة يتجلى في جلباب الهيبة والعظمة والجلال. فتخضع الأعناق وتنكسر النفوس وتخشع الأصوات، ويذوب الكبر كما يذوب الملح في الماء... وإذا تجلّى بصفات الرحمة والبر واللطف والإحسان انبعثت قوة الرجاء من العبد وانبسط أمله وقوى طمعه وسار إلى ربّه وحادي الرجاء يحدو ركاب سيره. وكلما قوى الرجاء جدّ في العمل. كما أن الباذر كلما قوى طمعُه في المغل[2] غلق أرضه بالبذر، وإذا ضعف رجاؤه قصر في البذر. وإذا تجلى بصفات العدل والانتقام والغضب والسخط والعقوبة، انقمعت النفس الأمارة وبطلت أو ضعفت

---

(١) أخرجه ابن الضرِّيس في فضائل القرآن ٦٩، وانظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢/٦٧٩.

(٢) يقال أغلت الضيعة أعطت الغلة فهي مغلة إذا أتت بشيء. والغلة كل شيء يحصل من ريع الأرض أو أجرتها. انظر: لسان العرب، ابن منظور، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي أحمد بن محمد الفيومي في (غ ل ل).

قواها من الشهوة والغضب واللهو واللعب والحرص على المحرمات وانقضت أعنّة رعوناتها فأحضرت المطية حظها من الخوف والخشية والحذر)[١].

رابعاً - من أساليب الدعوة: النهي والتوكيد:

أمّا النهي فقوله ﷺ: "لا يموتن" كما أنه أكد ﷺ هذا النهي بنون التوكيد في آخر الفعل، وهذا مما يؤكد حاجة العبد إلى إحسان الظن بالله، ولعل ما يزيد هذه الأهمية أن قال النبي ﷺ هذا الحديث قبل موته بثلاثة أيام.

إن توكيد الألفاظ من أهم الوسائل الدعوية في تثبيت المعاني في القلوب وبثها في النفوس وحملها على التصديق والإيمان به، ولا شك في أن التوكيد والتكرار لهما أثر كبير في النفوس، وهذا شيء هديت إليه فطرة الإنسان[٢].

---

(١) الفوائد ١٠٥-١٠٦.

(٢) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة، ص ٣٤.

الحديث رقم (٤٤٢)

٤٤٢ - وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: ((قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ ما دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغت ذُنُوبُكَ عَنَانَ السماءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ لَوْ أتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئاً، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِها مَغْفِرَةً)) رواه الترمذيُّ[(١)]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

عنان السماء: هو ما عنَّ منها، أي: ظهر إذا رفعت رأسك، وقيل: هو السحاب والواحدة: عَنَانَة[(٢)].

بقُراب الأرض: بضم القاف، وقيل: بكسره، والضم أصح وأشهر، وهو: ما يقارب ملأها[(٣)].

الحديث يفيض بالمحبة، والعجيب أنها من ملك لعبيد ويفيض بالرحمة، والعجيب أنها شملت المجرمين، وهو ما دلَّ عليه البناء التركيبي للحديث، ونداء الله تبارك وتعالى (يا ابن آدم) نداء تودد، ومحبة على ما فيه من تنبيه لما يليه، والنداء بابن آدم شمول للبشر ذكوراً، وإناثاً في كل زمان، ومكان، وقوله (عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ) كناية عن موصوف، وهو ما فعل من خطايا، والذنوب التي ارتكبها في سالف حياته، وقوله (ولا أبالي) تتميم بلاغي أفاد تأكيد مغفرة الله لذنوب العبد دون اعتبار لكثرتها

---

(١) برقم ٣٥٤٠ وقال: هذا حديثٌ حسن غريبٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٢٤٠٤.

(٢) رياض الصالحين ٢١٧، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ن ن).

(٣) المرجع السابق ٢١٧.

فضلاً من الله يقرر سعة مغفرته، وتكرار النداء بنفس الصيغة ثلاث مرات في الحديث (يَا ابْنَ آدَمَ) إلحاح على العبد بطلب ما فيه نجاته بعد أن ضمن له استجابة دعائه، ومغفرة ذنبه، وهو نداء تودد، ورأفة، وقوله (لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السماءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ) والعنان السحاب، وإضافتها إلى السماء تصوير لارتفاعه، وأنه بلغ مبلغ السماء، أو إضافته من باب تأكيد الارتفاع، وتكرار قوله (ولا أبالي) يفتح الباب لنوعية من الناس أذنبت فأكثرت، وطغت، وبغت، لكي يتوبوا إلى الله، وفي هذا رحمة من الله لهم بمغفرة ذنوبهم، وتنقية للمجتمع من أمثالهم؛ لأنه صيَّرهم صالحين، ورحم الناس من إيذائهم، فهو رحمة للناس جميعاً من شقاء الدنيا، ورحمة من شقاء الآخرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: من أسباب غفران الذنوب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله ورحمته بعباده.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد وقبح الشرك بالله.

رابعاً: من واجبات المؤمن: التضرع إلى الله والاستغفار ولزوم التوحيد.

خامساً: من أساليب الدعوة: النداء والتكرار والتبشير.

أولاً - من موضوعات الدعوة: من أسباب غفران الذنوب:

من كرم الله تعالى على عباده أن جعل أسباباً لغفران الذنوب ومحو السيئات، وقد أخبر النبي ﷺ أن من أسباب غفران ذنوب العبد: الدعاء والرجاء والاستغفار والتوحيد وعدم الإشراك بالله.

قال ابن رجب الحنبلي: (قد تضمن حديث أنس أن هذه الأسباب الثلاثة يحصل بها المغفرة:

أحدها: الدعاء مع الرجاء، فإن الدعاء مأمور به وموعود عليه بالإجابة كما قال

تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[(١)].

وفي السنن الأربعة عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ))، ثم تلا هذه الآية[(٢)]، لكن الدعاء سبب مقتض للإجابة مع استكمال شرائطه وانتفاء موانعه وقد تتخلف إجابته لانتفاء بعض شروطه أو وجود بعض موانعه...، ومن أعظم شرائطه حضور القلب ورجاء الإجابة من الله تعالى، كما خرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((اُدْعُو اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ))[(٣)]، ولهذا نهي العبد أن يقول في دعائه: اللهم اغفر لي إن شئت ولكن ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له)[(٤)].

ونهي أن يستعجل ويترك الدعاء لاستبطاء الإجابة[(٥)]، وجعل ذلك من موانع الإجابة حتى لا يقطع العبد رجاءه من إجابة دعائه ولو طالت المدة، فإنه سبحانه يحب الملحين في الدعاء... فما دام العبد يلح في الدعاء ويطمع في الإجابة من غير قطع الرجاء، فهو قريب من الإجابة، ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له... ومن أهم ما يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه، أو ما يستلزم ذلك كالنجاة من النار ودخول الجنة... وبكل حال فالإلحاح بالدعاء بالمغفرة مع رجاء الله تعالى موجب للمغفرة، فمن أعظم أسباب المغفرة أن العبد إذا أذنب ذنباً لم يرج مغفرته من غير ربه ويعلم أنه لا يغفر الذنوب ويأخذ بها غيره.

السبب الثاني للمغفرة: الاستغفار ولو عظمت الذنوب، وبلغت الكثرة عنان السماء وهو السحاب. وقيل: ما انتهى إليه البصر منها، وفي الرواية الأخرى: ((لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغَ خَطَايَاكُمْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتُمُ اللهَ لَغَفَرَ لَكُمْ))[(٦)]، والاستغفار

---

(١) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٢) أخرجه أبو داود ١٤٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣١٢).

(٣) أخرجه الترمذي ٣٤٧٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٦٦).

(٤) أخرجه البخاري ٦٣٣٩، ومسلم ٢٦٧٩.

(٥) أخرجه البخاري ٦٣٤٠، ومسلم ٢٧٣٥.

(٦) أخرجه أحمد ٢٣٨/٣ رقم ١٣٤٩٣، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ١٤٦/٢١.

طلب المغفرة، والمغفرة هي وقاية شر الذنوب مع سترها. وكثيراً ما يقرن الاستغفار بذكر التوبة، فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان والتوبة عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح...، ومجرد قول القائل: اللهم اغفر لي - طلب منه للمغفرة ودعاء بها، فيكون حكمه حكم سائر الدعاء فإن شاء الله أجابه وغفر لصاحبه، لا سيما إذا خرج عن قلب منكسر بالذنب أو صادف ساعة من ساعات الإجابة كالأسحار وأدبار الصلوات، فالاستغفار التام الموجب للمغفرة هو ما قارن عدم الإصرار كما مدح الله أهله ووعدهم بالمغفرة، وبالجملة فدواء الذنوب الاستغفار.

السبب الثالث من أسباب المغفرة: التوحيد: وهو السبب الأعظم فمن فقده فقد المغفرة ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(١)، فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض - وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها - خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة.

فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيماً وإجلالاً ومهابة وخشية ورجاء وتوكلاً وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها لو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات.. فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم، فلو وضع ذرة منها على جبال الذنوب والخطايا لقلبها حسنات"(٢).

ثانياً - من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله ورحمته بعباده:

يعيش العباد في الدنيا بفضل الله ورحمته، كما يدخل المؤمنون الجنة في الآخرة بمنّه وكرمه، فهو سبحانه المتفضل بمغفرة الذنوب وستر العيوب وكشف الكروب، يظهر ذلك من عموم الحديث فمن رحمة الله بعباده أن غفر ذنوبهم ولو كانت عظيمة تملأ الأرض أو مثل زبد البحر، كل هذ فضل من الله ومنة، وهو القائل سبحانه: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣)، وقال جل شأنه: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(٤)، وقال عز وجل: ﴿وَمَن

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٤٠٢ - ٤١٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٩.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٣٥.

يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[١].

وعن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً. فَلاَ تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ. فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ. فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ. فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً. فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ...))[٢].

قال ابن رجب الحنبلي: (هذا يقتضي أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله تعالى في جلب مصالحهم ودفع مضارهم في أمور دينهم ودنياهم، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم شيئاً من ذلك كله، وأن من لم يتفضل الله عليه بالهدى والرزق، فإنه يحرمهما في الدنيا، ومن لم يتفضل الله عليه بمغفرة ذنوبه أوْبقته خطاياه في الآخرة)[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: ((أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْباً. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ. فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْباً. فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً. فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ))[٤].

قال ابن حجر: (قال القرطبي[٥] في المفهم: يدل هذا الحديث على عظم فائدة الاستغفار وعلى عظيم فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه، لكن هذا الاستغفار هو

---

(١) سورة النساء، آية: ١١٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٧٧.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٣٧، ٣٨.

(٤) أخرجه البخاري ٧٥٠٧، ومسلم ٢٧٥٨.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧/٨٥.

الذي ثبت معناه في القلب مقارناً للسان لينحلّ به عقد الإصرار ويحصل معه الندم فهو ترجمة للتوبة)[١].

ثالثاً - من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد وقبح الشرك بالله:

إن الشرك بالله ذنب عظيم، فصاحبه يبوء بالخسران في الدنيا والآخرة، وفي المقابل فإن من وحدّ الله وأفرده بالعبودية فاز بالفلاح، على ما كان منه من تقصير في العمل أو إساءة فيه. هذا واضح في قول النبي ﷺ: (يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً أتيتك بقرابها مغفرة)، فقد علق سبحانه غفران الذنوب بعدم الإشراك به، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا ثم أتوا محمداً فقالوا: إن الذي تقول وتدعو لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة)[٢]. فنزل: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴾[٣]، ونزل: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٤])[٥].

قال ابن كثير عن الآية الأخيرة: (هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها، مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه الآية على غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه)[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٤٨٠.

(٢) قال النووي: فيه محذوف وهو جواب لو: أي لو تخبرنا لأسلمنا، وحذفها كثير في القرآن العزيز وكلام العرب، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٦٨.

(٤) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٥) أخرجه البخاري ٤٨١٠، ومسلم ١٢٢.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧/١٠٦.

وذلك لأن الشرك ظلم عظيم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١]، فقد (دلت الآية الكريمة على أن الشرك ظلم عظيم)[٢]، وقال الطاهر بن عاشور: "ابتدأ لقمان موعظة ابنه بطلب إقلاعه عن الشرك، لأن النفس المعرضة للتزكية والكمال يجب أن يقدم لها قبل ذلك تخليتها عن مبادئ الفساد والضلال، فإن إصلاح الاعتقاد أصل إصلاح العمل وكان أصل فساد الاعتقاد أحد أمرين: هي الدهرية والإشراك، فكان قوله (لا تشرك بالله)، يفيد إثبات وجود إله وإبطال أن يكون له شريك في إلهيته، وجملة (إن الشرك ظلم عظيم)، تعليل لنهي عنه وتهويل لأمره، فإنه ظلم لحقوق الخالق وظلم المرء لنفسه إذ يضع نفسه في حضيض العبودية لأخس الجمادات، وظلم لأهل الإيمان الحق إذ يبعث على اضطهادهم وأذاهم وظلم لحقائق الأشياء بقلبها وإفساد تعلقها"[٣].

رابعاً - من واجبات المؤمن: التضرع إلى الله والاستغفار ولزوم التوحيد:

المؤمن ملازم للتوحيد دوماً أبداً، قبل على الله عز وجلّ متضرع منيب إليه، يطلب منه المغفرة والعفو، وهذا ما يبينه الحديث، فقد بيّن بعض أحوال العبد مع الله من دعائه واستغفاره وتوحيده سبحانه وعدم الإشراك به، وهكذا يجب أن يكون حال العبد مع ربه عز وجل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾[٤].

قال القاسمي: (ذكر الله تعالى آداباً لذكره:

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٢) أضواء البيان ٦/٤٩٨.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٢١/١٥٥.

(٤) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٠٥ - ٢٠٦.

الأول: أن يكون في نفسه لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى الإجابة وأبعد من الرياء.

الثاني: أن يكون على سبيل التضرع، وهو التذلل والخضوع والاعتراف بالتقصير ليتحقق بذلة العبودية لعزة الربوبية.

الثالث: أن يكون على وجه الخيفة أي: الخوف والخشية من سلطان الربوبية وعظمة الألوهية من المؤاخذة على التقصير في العمل لتخشع النفس ويخضع القلب.

الرابع: أن يكون دون الجهر، لأنه أقرب إلى حسن التفكر.

الخامس: أن يكون باللسان لا بالقلب وحده وهو مستفاد من قوله (ودون الجهر) لأن معناه: ومتكلماً كلاماً دون الجهر.

السادس: أن يكون بالغدو والآصال أي في البكرة والعشي فتدل الآية على مزية هذين الوقتين لأنهما وقت سكون ودعة وتعبد واجتهاد، وما بينهما، الغالب فيه الانقطاع إلى أمر المعاش.

ثم نهى تعالى عن الغفلة عن ذكره بقوله: "ولا تكن من الغافلين"، أي: من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه، وفيه إشعار بطلب دوام ذكره تعالى واستحضار عظمته وجلاله وكبريائه بقدر الطاقة البشرية)[(١)].

وقال ابن القيم: (التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه: فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[(٢)]، وأما أولياؤه فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدهما، ولذلك فزع إليه يونس عليه السلام، فنجاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسل عليهم السلام، فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا وما أُعدّ لهم في الآخرة.

ولما فزع فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق لم ينفعه؛ لأن الإيمان عند المعاينة

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٣٢/٧ - ٢٣٣.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٦٥.

لا يقبل. هذه سنة الله في عباده، فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون عليه السلام التي ما دعا بها مكروب إلا فرّج الله كربه، بالتوحيد فلا يُلقى في الكُرب العظام إلا الشرك، ولا ينجى منها إلا التوحيد. فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغايتها)[١].

خامساً - من أساليب الدعوة: النداء والتكرار والتبشير:

جاء النداء في (يا ابن آدم)، وكرر ذلك لإفادة التنبيه وبيان الأهمية، فإن الأمر إذا كرر لم يلبث في الحقيقة أن يستقر في مناطق اللا شعور العميقة حيث تنضج عوامل سيرنا، فبالتكرار يمكن التأثير على كثير من النفوس التي لا تأخذ بالتوجيه لأول وهلة للتعاون في مدارك البشر وأمزجتهم[٢]، كما جاء التبشير في ذكر غفران الذنوب مهما عظمت وذلك بسبب الدعاء مع الرجاء والاستغفار وعدم الإشراك بالله، وفي ذلك كله حضّ على هذه الأسباب والتمسك بها والعض عليها بالنواجذ.

---

(١) الفوائد ص ٨٢.

(٢) انظر: من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوي، ص ١٤٣، ١٤٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

فتح الإسلام باب الاعتذار ورغَّب في الإعراض عما أقدم عليه من ذنب، وحرص على الإقلاع عما لا يمدح، وبهذا تستقيم حياة أفراد المجتمع، ويعود المؤمن إلى رشده، يراقب ربه ويعمل على تحقيق مرضاته وذلك من التوبة والإنابة والاستغفار، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً - التربية بالتمثيل والتشبيه:

من أساليب التربية الإسلامية التمثيل والتشبيه، ولقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في توجيهه للصحابة من خلال عرضه لفضل الرجاء وحسن الظن بالله. فقال: «قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، وَاللَّهِ لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضالَّتَهُ بِالْفَلاةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِراعاً، وَمَنْ تَقَرَّبَ ... أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ» فقد أراد النبي ﷺ من خلال ذكر هذا الحديث القدسي أن يوجه الصحابة رضي الله عنهم إلى رجاء رحمة الله، وإلى حسن الظن به سبحانه، ثم استخدم المثل في بيان فرح الله تعالى بتوبة عبده المؤمن، ممن يفقد ضالته ثم يفرح بوجودها، فالله تعالى أفرح بتوبة عبده من هذا الذي فرح بعثوره على دابته بعد فقدها، ولاشك أن هذا التمثيل فيه بيان وتوجيه وتقريب للمعاني والمضامين بطريقة تربوية تستهوى النفوس، ويجعلها مقبلة على الله تعالى، حيث تم تقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، أو تصوير المعاني بصورة الأشخاص لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس(١)، وقد أراد النبي ﷺ أن يعمق في النفوس الرجاء والطمع في رحمة الله تعالى، وما يستلزم ذلك من حسن الظن بالله، لأن الله تعالى كما ورد في الحديث القدسي، عند حسن ظن عبده به وهو سبحانه، مع عباده المؤمنين يؤيدهم ويستجيب لهم، ورحمته قريب من المحسنين، وقد حرص النبي ﷺ على تعميق هذه المعاني في الأذهان لبيان أهمية الرجاء لفضل الله تعالى.

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، العاني، ص٤٢٣.

ثانياً - التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالتوجيه المباشر، حيث استخدم ﷺ هذا الأسلوب التربوي في توجيهه للصحابة رضي الله عنهم في قضية من أهم القضايا في حياة الإنسان، وهي قضية الرجاء وعدم اليأس، تلك القضية الكبرى التي قد تكون سبباً في تغيير مسار حياة الإنسان بهذه الروح، وإما بالإعراض عن الله، والارتكاس إلى المعاصي والخوض في المحرمات، وذلك عندما يسيطر اليأس ويخيم القنوط على حياة الإنسان، ويظن أنه هالك هالك، ومن ثم فقد عالج النبي ﷺ هذه القضية من خلال التوجيهات التربوية الجادة التي أكد فيها على حقيقة هامة بقوله: «لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ»... وذلك لتعميق الرجاء وحسن الظن بالله في نفس كل مؤمن، لذا يحسن بالمربي اختيار المواقف واغتنام الفرص والأوقات المناسبة للتوجيه يسهل العملية التربوية، ولذلك وقع على النفس وتأثير في السلوك، فاغتنام المواقف في التوجيه من أفضل طرقها لأنها تعالج خللاً في الحال، وكثيراً ما يغفل الإنسان ولا يدرك فداحة الأمر إلا بعد فواته، وهذا الأساس مما ينبغي ملاحظته واغتنام فرصته(١).

ثالثًا - التربية بالتفاؤل:

من أساليب التربية الإسلامية التفاؤل، وهذا الأسلوب استخدمه ﷺ، مع أصحابه لأن له فائدة كبيرة في عملية التربية، وفي باب فضل الرجاء ما يدل على ذلك: فعن أنس رضي الله عنه قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي، ...».

فهذا توجيه نبوي من الرسول ﷺ يعلم فيه الصحابة التفاؤل ويبعث في نفوسهم الأمل والراحة، والطمأنينة ويزيل عنهم الغم والحزن ويقتل اليأس والقنوط ويحيي فيهم روح التفاؤل والعمل، ولقد حرص الرسول ﷺ في هذا التوجيه أيضاً: على أن لا يتسرب إلى نفوسهم الوهن واليأس ولا يعتريهم التردد في رحمة الله تعالى(٢)، ولقد كان

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٢٨٨. أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٢٧٨.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٢٢٩، ٢٣٠.

ﷺ يحب الفأل الحسن، وكان ﷺ إذا أعجبه شيء تفاءل به، وكان يتفاءل بالرجل الحسن الوجه، الحسن الاسم، وكان يكره الطيره، لذلك قال الحكماء: أن من صفات المتفائل التوكل على الله، وهذا ما غرسه النبي ﷺ في الصحابة في هذا التوجيه النبوي[(١)].

ولما قدم المدينة المنورة، نزل على رجل من الأنصار، فصاح الرجل بغلاميه، يا سالم، ويا يسار، فقال الرسول ﷺ: «سَلِمت لنا الدّار في يُسْر».

وكذلك حين قدم جد سعيد بن المسيب، حَزْن بن أبي وَهْب على رسول الله ﷺ فقال له: كيف اسمُك قال: حَزْن، فقال : بل سَهْل قال: ما كنتُ لأدع اسماً سَمّتني به أُمّي[(٢)].



---

(١) العقد الفريد، ابن عبدربه، ١٣٨/٢.

(٢) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، ١٧/١٤، والحديث أخرجه البخاري ٦١٩٠، ٦١٩٣.

٥٣ - باب الجمع بين الخوف والرجاء

اعْلَمْ أنَّ المُخْتَارَ لِلْعَبْدِ فِي حَالِ صِحَّتِهِ أنْ يَكُونَ خَائفًا رَاجِيًا، وَيَكُونَ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ سَوَاءً، وفِي حَالِ المَرَضِ يُمحّضُ الرَّجاءُ، وقواعِدُ الشَّرْعِ مِنْ نصُوصِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ وغيْرِ ذَلِكَ مُتظاهِرَةٌ عَلَى ذلك.

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[الأعراف: ٩٩]، وقال تعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[يوسف: ٨٧]، وقال تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[آل عمران: ١٠٦]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الأعراف: ١٦٦]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[الانفطار: ١٣ - ١٤]، وقال تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾[القارعة: ٦ - ٩] والآيات في هذا المعنى كثيرةٌ. فيَجْتَمعُ الخَوفُ والرجاءُ في آيَتَيْنِ مُقْتَرِنَتَيْنِ أَو آيات أَو آية.

الحديث رقم (٤٤٣)

٤٤٣ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**لَوْ يَعْلَمُ المُؤمِنُ مَا عِنْدَ الله مِنَ العُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ الله مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أحَدٌ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

قَنَطَ: القنوط: يئس يأسًا شديدًا[2].

---

(١) برقم (٢٧٥٥/٢٣). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٤٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ن ط).

أراد الرسول ﷺ أن يقرر معنى شدة عقاب الله، ويقرر معنى سعة رحمة الله تبارك وتعالى - فاعتمد أسلوب المقابلة بين المعاني؛ لأن الضد يظهر حسنه الضد كما يقال - فطابق بين المؤمن، والكافر، وهذا الطباق يحقق المفارقة بين الاعتقادين الموجهين للغاية، والأمنية، وطابق بين العقوبة التي تعني العذاب، وبين الرحمة، وبين طمع، وقنط، وهو الشعور الذي تأثر بعدم العلم بشدة العذاب، وعظمة الرحمة ، وحرف الشرط (لو) يفيد امتناع عدم الطمع أي وجود الطمع في الجنة لامتناع العلم بمدى شدة عذاب الله، وامتناع عدم القنوط أي :وجود القنوط من رحمة الله لامتناع العلم بمبلغ رحمة الله، وتنكير لفظ (أحد) يفيد العموم، لأنه وقع في سياق النفي، وهذا المعنى يشير إلى جهل الناس جميعاً بهذه الحقائق.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: جمع المؤمن بين الخوف والرجاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: شدة عقاب الله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: سعة رحمة الله.

رابعًا: من مهام الداعية: الإنذار والبشارة.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: جمع المؤمن بين الخوف والرجاء:

المؤمن يجمع بين الخوف والرجاء، فيدفعه الخوف إلى الابتعاد عن الذنوب، ويدفعه الرجاء إلى حسن الظن بالله إن وقع منه تقصير وتفريط، وإن فعل طاعة رجا أن يتقبلها ربه سبحانه، وهذا واضح في الحديث كلّه، فقد أخرجه البخاري في كتاب الرقاق تحت باب الرجاء مع الخوف[1]، قال القرطبي: (ومعنى الحديث لو علم ذلك وجرد النظر إليه ولم يلتفت إلى مقابله، وأما إذا نظر إلى مقابل واحد من الطرفين، فالكافر ييأس من رحمة الله تعالى، والمؤمن يرجو رحمة الله تعالى ويخاف عقابه كما قال بعضهم: لو

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٦٩.

وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا)[١]، ووقال ابن حجر: (أي استحباب ذلك، فلا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف ولا في الخوف عن الرجاء لئلا يفضي في الأول إلى المكر وفي الثاني إلى القنوط وكل منهما مذموم، والمقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك على المعصية راجيا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور، وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: من علامة السعادة أن تطيع وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة الشقاء أن تعصى وترجو أن تنجو)[٢].

وقال ابن حجر كذلك: "قال الكرماني: والمقصود من الحديث أن المكلف ينبغي له أن يكون بين الخوف والرجاء حتى لا يكون مفرطا في الرجاء بحيث يصير من المرجئة القائلين لا يضر مع الإيمان شيء، ولا في الخوف بحيث لا يكون من الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد صاحب الكبيرة إذا مات عن غير توبة في النار، بل يكون وسطا بينهما كما قال الله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[٣] ومن تتبع دين الإسلام وجد قواعده أصولا وفروعا كلها في جانب الوسط"[٤].

وقد دخل النبي ﷺ على شابٍّ وهو في الموت فقال: ((كَيْفَ تَجِدُكَ؟)) قَالَ: أَرْجُو اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَخَافُ ذُنُوبِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((لاَ يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ، فِي مِثْلِ هذَا الْمَوْطِنِ، إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ))[٥].

(فيجب أن يكون العبد خائفًا راجيًا، فإن الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإذا تجاوز ذلك، خيف منه اليأس والقنوط. والرجاء المحمود:

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٤/٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٧/١١.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٥٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٩/١١.

(٥) أخرجه الترمذي ٩٨٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٧٨٥).

رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه أو رجل أذنب ذنبًا، ثم تاب منه إلى الله، فهو راج لمغفرته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾(١).

أما إذا كان الرجل متماديًا في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب. قال أبو علي الروذباري: (الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت.

وقد مدح الله أهل الخوف والرجاء بقوله: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾(٣)، فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمنًا، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطًا ويأسًا. وكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله تعالى فإنك إذا خفته هربت إليه، فالخائف هارب من ربه إلى ربه)(٤).

وقال ابن عثيمين: (والإنسان يجب عليه أن يكون طبيب نفسه، إذا رأى من نفسه أنه أمن من مكر الله، وأنه مقيم على معصية الله، ومتمنٍّ على الله الأماني فليعدل عن هذه الطريق، وليسلك طريق الخوف، وإذا رأى أن فيه وسوسة وأنه يخاف بلا موجب، فليعدل عن هذا الطريق، وليغلب جانب الرجاء حتى يعتدل خوفه ورجاؤه)(٥).

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: شدة عقاب الله:

إن الله عقابه لشديد وعذابه لعظيم، فهو سبحانه القائل عن نفسه: ﴿شَدِيدُ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

(٢) سورة الزمر، آية: ٩.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ٢/٤٥٦ - ٤٥٧.

(٥) شرح رياض الصالحين ١/٧٧٨.

ٱلْعَذَابِ﴾[(١)]، وأنه ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[(٢)]، وقد بين النبي ﷺ ذلك بقوله: "لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد"، قال الطيبي: (لو فرض أن المؤمن وقف على كنه صفة القهارية لظهر منها ما يقنط من ذلك الخلق طرًا[(٣)] فلا يطمع بجنته أحد)[(٤)].

وقد قال الله تعالى: ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[(٥)].

قال ابن كثير: (قوله "شديد العقاب" أي: لمن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا وعتا عن أوامر الله")[(٦)].

وقال عز وجل: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾[(٧)].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾[(٨)].

قال القاسمي: (ولو يرى الذين ظلموا، أي باتخاذ الأنداد ووضعها موضع المعبود "إذ يرون العذاب" المعد لهم يوم القيامة، "أن القوة لله جميعا"، أي: القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون أندادهم، "وأن الله شديد العقاب"، أي: العقاب للظالمين، وفائدة عطفها على ما قبلها: المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الأمر، فإن

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٦٥.

(٢) سورة البقرة آية: ١٩٦.

(٣) أي: جميعًا. انظر: المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ط ر ر).

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٢٣/٥.

(٥) سورة غافر، الآيات: ١ - ٣.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢٧/٧.

(٧) سورة الحجر، الآيتان: ٤٩ - ٥٠.

(٨) سورة البقرة، آية: ١٦٥.

اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفوًا مع القدرة عليه، وجواب "لو" محذوف للإيذان بخروجه عن دائرة البيان إما لعدم الإحاطة بكنهه وإما لضيق العبارة عنه، وإما لإيجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبر أو المستمع من الضجر والتفجع عليه أي: لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة، ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم)[١].

وقال ابن حجر: (من علم أن من صفات الله تعالى الرحمة لمن أراد أن يرحمه والانتقام ممن أراد أن ينتقم منه لا يأمن انتقامه من يرجو رحمته ولا ييأس من رحمته من يخاف انتقامه، وذلك باعث على مجانبة السيئة، ولو كانت صغيرة، وملازمة الطاعة ولو كانت قليلة)[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: سعة رحمة الله:

إن من أسماء الله تعالى: الرحمن الرحيم، كما أن رحمته وسعت كل شيء، وقد بين النبي ﷺ ذلك فقال: "ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد".

قال الطيبي: (قال المظهر: ورد الحديث في بيان كثرة عقوبته ورحمته، كيلا يغتر مؤمن برحمته فيأمن عذابه، ولا ييأس كافر من رحمته)[٣].

وقال المناوي: (لو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة الواسعة لم ييأس، أي: يقنط من الجنة، أي: من شمول الرحمة فيطمع في أن يدخل الجنة، ولو يعلم المؤمن بالذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار أي من دخولها)[٤].

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٥].

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٣/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٨/١١.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٢٣/٥.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٢٣٤/٢.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

وقد قال النبي ﷺ: ((لَمَّا خَلَقَ اللّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي))[١].

قال النووي: (قال العلماء: المراد بالسبق والغلبة هنا: كثرة الرحمة وشمولها)[٢].

وقال ﷺ: ((جَعَلَ اللّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ. فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ. وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا. فَمِنْ ذٰلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلاَئِقُ. حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ))[٣].

قال النووي: (هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين، قال العلماء: لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار، الإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به، فكيف الظن بمائة رحمة في الدار الآخرة وهي دار القرار ودار الجزاء؟)[٤].

ورحمة الله وسعت كل شيء، وشملت كل أحد، المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، فهو سبحانه الرحيم الذي شمل الخلق كلهم برحمته، فسخر لهم ما في السموات وما في الأرض، فالشمس والقمر، والبر والبحر، والماء والتراب، والنبات والحيوان والهواء، كل ذلك خلقه الله، وسخر منافعه للناس.

وهذه النعم يستفيد منها المؤمن والكافر على حد سواء، وهي مسخرة للإنسان لا خيار لها: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٩٤، ومسلم٢٧٥١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦١١، وانظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٢١/٥ - ١٢٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٠٠، ومسلم ٢٧٢٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦١.

(٥) سورة لقمان، آية: ٢٠.

فهذه رحمة الرحمن تشمل الخلق كلهم في الدنيا، أما في الآخرة فإن الله عز وجل يطرد من رحمته من لم يؤمن به، ولم يشكر نعمه من الكفار والعصاة، ولا تشمل رحمته في الآخرة إلا عباده المؤمنين.

ففي الدنيا كثرت متعلقات الرحمة، وفي الآخرة قلّت متعلقات الرحمة، وإن كانت صفة الرحمة ثابتة لم تتغير ولم تتبدل، ولو أن الكفار والعصاة أطاعوا ربهم لوسعتهم رحمة الله في الآخرة، ولكنهم حرموا أنفسهم منها بكفرهم: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

ورحمة الله لعباده، ودخولهم الجنة، ليست على قدر أعمالهم، إذ أعمالهم لا تستقل باقتضاء الرحمة، وحقوق عبوديته وشكره التي يستحقها عليهم لم يقوموا بها كما يجب لعظمته وجلال سلطانه.

فلو عذبهم والحالة هذه لكان تعذيبًا لحقه، وهو سبحانه غير ظالم لهم فيه، فإن أعمالهم لا توازي القليل من نعمه عليهم، فتبقى نعمه الكثيرة لا مقابل لها من شكرهم وأعمالهم.

فإذا عذبهم الله عز وجل على ترك شكرهم، وترك أداء حقه الذي يجب عليهم، لم يكن ظالمًا لهم، فإن المقدور للعبد من الطاعات لا يأتي به كله، بل لا بد من فتور وإعراض وغفلة وتوان، وتقصير وتفريط.

وكذلك قيام المرء بالعبودية لا يوفيها حقها الواجب لها من كمل المراقبة والإجلال والتعظيم لله، وبذل مقدوره كله في تحسين العمل وتكميله ظاهرًا وباطنًا، فالتقصير لازم في حال الترك، وفي حال الفعل، وهذا هو السر في كون أعمال الطاعات تختم بالاستغفار.

ولو أتى العبد بكل ما يقدر عليه من الطاعات ظاهرًا وباطنًا، فالذي ينبغي لربه فوق ذلك، وأضعاف أضعافه، فإن عجز عنه لم يستحق ما يترتب عليه من الجزاء فإذا حرم جزاء ما لم يأت به مما يجب لربه لم يكن الرب ظالمًا له.

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٢٣.

فإذا أعطاه ربه الثواب، كان مجرد صدقة وفضل ورحمة، لا عوضًا عن عمله، والعبد مملوك لا يستحق شيئًا على سيده، فإن أعطاه شيئًا فهو إحسان منه وفضل"[١].

رابعًا - من مهام الداعية: الإنذار والبشارة:

إن من مهام الداعية الإنذار والبشارة، فينذر المدعوين بما أعدّه الله من العقوبة لمن عصى، ويبشرهم بما أعده الله من الرحمة لعباده، وهو إذ يفعل هذا يقتدي بالنبي ﷺ، فقد ذكر النبي ﷺ العقوبة التي عند الله وهذا جانب يحذر منه، كما ذكر ﷺ جانب رحمة الله تعالى وهذه بشارة يفرح بها.

ويقول حنظلة بن الربيع الأُسيِّدي رضي الله عنه: ((نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأي))[٢].

وقال النبي ﷺ: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ. فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)) قَالَ أنس: فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ. قَالَ: غَطُّوْا رُؤُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ"[٣][٤].

قال النووي: (معنى الحديث: لم أر خيرًا أكثر مما رأيته اليوم في الجنة ولا شرًا أكثر مما رأيته اليوم في النار، ولو رأيتم ما رأيت وعلمتم ما علمتُ مما رأيته اليوم وقبل اليوم لأشفقتم إشفاقًا بليغًا ولقلَّ ضحككم وكثر بكاؤكم"[٥].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((نَظَرْتُ إلى الجنَّةِ، فإذا أكثرُ أهلِها المساكينُ، ونَظَرْتُ في النَّارِ، فإذا أكثرُ أهلِها النساءُ، وإذا أَهْلُ الجَدِّ محبوسُونَ، وإذا الكُفَّارُ قَدْ أُمِرَ بهمْ إلى النَّارِ))[٦].

---

(١) موسوعة فقه القلوب ٩٣/١ - ٩٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٥٠.

(٣) الخنين: نوع من البكاء دون الانتحاب، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٤٤.

(٤) أخرجه البخاري ٥٤٠، ومسلم ٢٣٥٩.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٤٤.

(٦) أخرجه البخاري ٦٥٤٧، ومسلم ٢٧٣٦.

قال ابن حبان: "اطّلاعه ﷺ إلى الجنة والنار معًا كان بجسمه ونظره العيان تفضلاً من الله جل وعلا عليه وفرقًا فرق به بينه وبين سائر الأنبياء، فأما الأوصاف التي وصف أنه رأى أهل الجنة بها، وأهل النار بها، فهي أوصاف صورت له ﷺ ليعلم بها مقاصد نهاية أسباب أمته في الدارين جميعًا، ليرغب أمته بأخبار تلك الأوصاف لأهل الجنة ليرغبوا، ويرهبهم بأوصاف أهل النار ليرتدعوا عن سلوك الخصال التي تؤدِّيهم إليها"[١].

خامسًا - من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

جمع النبي ﷺ بين ذكر العقوبة وذكر الرحمة، وهذا جمع بين الترغيب والترهيب، قال ابن كثير عن قوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾[٢]، قد اجتمع في هذه الآية الرجاء والخوف، وهذه كقوله تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾[٣]، يقرن هذين الوصفين كثيرًا في مواضع متعددة من القرآن، ليبقى العبد بين الرجاء والخوف[٤].

إن الترغيب من الأساليب الضرورية لأي داعي، لأن النفس البشرية قد فطرت على حب الكسب المترتب على فعل شيء ما دنيويًا كان الكسبُ أو أخرويًا، كذلك الترهيب لا يستغنى عنه لأن من الأنفس من لا ترجع إلا بالزجر، وإذا كانت النعم تسبب الغفلة، فإن الترهيب يبعث اليقظة في كثير من الأحيان، وكم يفكر الناس في أشياء ثم يتذكرون النتائج السلبية المترتبة عليها فيقلعون عنها مباشرة، وقد استخدم الأنبياء أسلوب الترهيب كوسيلة لردع النفس عن الغواية واتباع خطوات الشيطان كما تضمنت الشرائع أحكامًا للترهيب كالحدود والقصاص وبعض العقوبات المقدرة على بعض المعاصي التي ترتكب ردعًا وزجرًا[٥].

---

(١) صحيح ابن حبان ٤٩٥/١٦.

(٢) سورة غافر، آية: ٣.

(٣) سورة الحجر، الآيتان: ٤٩ - ٥٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢٧/٧.

(٥) انظر: دعوة الرسل، د. بكر زكي عوض، ص ١٤٠-١٤٢.

الحديث رقم (٤٤٤)

٤٤٤ - وعن أَبي سعيد الخدريِّ ﵁: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((**إذَا وُضِعَتِ الجنازَةُ واحْتَمَلَهَا (النَّاسُ أَوِ) الرِّجَالُ عَلَى أعناقِهِمْ، فَإنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قالتْ: قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وَإنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قالتْ: يَا وَيْلَهَا ! أيْنَ تَذْهَبُونَ بها؟ يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيْءٍ إلاَّ الإنْسانُ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ**)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

الجنازة: يعني الميت بسريره[2].

يا ويلها: دعاء بالويل عند الوقوع في الهلكة. ومعنى النداء: يا حزني[3].

صعق: غشي عليه من شدة ما يسمعه[4].

الحديث يتناول جانباً غيبياً يعرض لكل ميت فالمعنى يشمل الجميع، وقد أخذ هذا العموم من أسلوب الشرط، وبناء فعل الشرط فيه لما لم يسم فاعله، والتعبير بالاحتمال عن الحمل في قوله (واحتملها) يدل على التكلف، والمشقة الجسدية، والنفسية؛ لأن ذكر الموت مما تنقبض له القلوب لاسيما قلوب غير المؤمنين، بالإضافة إلى أن الجنازة تكون حاضرة قريبة على أعناقهم، وقوله (على أعناقهم) توكيد للحمل، والقول المحكي عن الميت الصالح: (قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي) الأمر على غير حقيقته، والمقصود به الإشادة، والتنويه بصاحب العمل الصالح ترغيباً في العمل الصالح، وتكراره يوحي بحسن المصير، وجميل ما أطلعت عليه، والقول المحكي عن الميت غير الصالح (يا

---

(١) برقم ١٣١٤. وسيكرره المؤلف برقم ٩٤٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ن ز).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٢١/٣.

(٤) المرجع السابق ٢٢١/٣.

وَيْلَهَا! أَيْنَ تَذْهَبُونَ بها؟) صدر على سبيل التجريد كأنها لما رأت سوء مصيرها كرهت أن تنسب هذا المصير إليها فجردت من نفسها مثلها، وخاطبتها هذا الخطاب، بنداء الترهيب، وإضافة الويل لها، ثم الاستفهام بغرض التهويل، وهو يشير إلى سوء ما رأت، وما ينتظرها، ويؤكد هذا الهول بلوغ مدى الصوت من الألم كل شيء عد الإنسان قال: (يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيْءٍ إلاَّ الإنْسانُ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ) والتعبير بالصعق يحكي قوة الصوت الذي يبلغ حده قتل السامع، وهو هول يستلزم الجد، والاجتهاد في العمل الصالح.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١ - حكم حمل المرأة للجنازة: اتفق الفقهاء على أنه لا يتولى حمل الجنازة إلا الرجال وذلك لضعف النساء غالبًا، فيكره لهن حملها كما يكره للرجال كراهية شديدة تمكينهن منها[١].

٢ - كيفية حمل الجنازة: اختلف الفقهاء في كيفية حمل الجنازة، فذهب الحنفية والحنابلة إلى أن السنة في حمل الجنازة أن يحملها أربعة رجال من جوانبها الأربع، وذهب الشافعية في الأصح أن السنة حملها بين العمودين، وهو أن يحملها رجلان يتقدم أحدهما فيضع جانبي الجنازة على كتفه، ويتأخر الآخر فيفعل مثل ذلك، وقال المالكية إن حمل الميت ليس له كيفية معينة، فيجوز أن يحملها أربعة أشخاص وثلاثة واثنان ولا يتعين البدء بناحية من السرير "النعش"[٢].

---

(١) المبسوط ٥٦/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٤٦/٥، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٢٨/٥.

(٢) المبسوط ٥٦/٢، والشرح الصغير ٢٢٧/١، ومغني المحتاج ٣٣٦/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٥٤/٢، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١/١٦-١٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن حالة الميت بعد موته.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استبشار المؤمن بعمله الصالح وفزع العاصي من سوء عمله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: رحمة الله بالإنسان بأن لم يسمعه صوت الميت المعذب.

رابعًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن حالة الميت بعد موته:

أخبر النبي ﷺ عن حال الميت واختلاف ذلك بحسب عمل الإنسان، فالميت الصالح يستبشر فيطلب التقديم بينما غير الصالح يتحسر ويندم ويتمنى ألا يقدم ولكن هيهات هيهات وكثيرة هي الأحاديث النبوية التي تخبر عن أحوال الموتى، وقد اعتنى بعض العلماء بجمعها، كما فعل القرطبي المفسر في كتابه (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة).

ومن هذه الأحاديث، حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الجامع - كما قال القرطبي - لأحوال الموتى عند قبض أرواحهم وفي قبورهم[1]، وهو حديث صحيح له طرق كثيرة. وفيه: ((فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولاَنَ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلاَمُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ))[2].

---

(١) انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ١١٩.

(٢) أخرجه أحمد ٢٨٨/٤ رقم ١٨٥٣٤، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٥٠٣/٣٠.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: استبشار المؤمن بعمله الصالح وفزع العاصي من سوء عمله:

إن الميت الصالح يجد جزاء ما قدم، فيجد الخير يفرح به، أما غير الصالح فإنه يجد الشر الذي يسوءه، هذا واضح من الحديث كله، قال العيني: (قال ابن بطال: "قدموني" أي: إلى العمل الصالح الذي عملته يعني إلى ثوابه)[١]، وقال الطيبي: "كل من وقع في هلكة دعا بالويل، ومعنى النداء فيه: يا حزني يا هلاكي يا عذابي، احضر. فهذا وقتك وأوانك، وأضاف الويل إلى ضمير الغائب حملاً على المعنى. وعدل عن حكاية قول الجنازة "يا ويلي" كراهة أن يضيف الويل إلى نفسه)[٢].

وقال ابن حجر: (أو كأنه لما أبصر نفسه غير صالحة نفر عنها وجعلها كأنها غيره)[٣].

وقال النبي ﷺ: ((أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَها إِلَيْهِ. وَإِنْ يكُ سوى ذَٰلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ))[٤]، قال الطيبي: (قوله: "فخير تقدمونها إليه" يعني حاله في قبره يكون حسنًا طيبًا فأسرعوا به حتى يصل إلى تلك الحالة الطيبة عن قريب ولما لاحظ في جانب العمل الصالح هذا قابل قرينتها بوضع الشر عن الرقاب، وكان أثر عمل الرجل الصالح راحة، فأمر بإسراعه إلى ما يستريح إليه، وأثر عمل الرجل الطالح مشقة عليهم فأمر بوضع جيفته عن رقابهم، فالضمير في "إليه" راجع إلى الخير باعتبار الثواب والإكرام)[٥].

ويقول ﷺ: ((إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ. إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ. يُقَالُ: هَـٰذَا مَقْعَدُكَ حَتَّىٰ يَبْعَثَكَ اللّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٦].

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١١٢/٨.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٦١/٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٢١/٣.

(٤) أخرجه البخاري ١٣١٥، ومسلم ٩٤٤.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٦٠/٣ - ٣٦١.

(٦) أخرجه البخاري ١٣٧٩، ومسلم ٢٨٦٦.

قال النووي: (هذا تنعيم للمؤمن وتعذيب للكافر)[١].

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه السابق قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل الصالح: ((وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَب أَقِمِ السَّاعَةَ، رَب أَقِمِ السَّاعَةَ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي)).

وقال صلى الله عليه وسلم عن الكافر: ((وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّر فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَب لاَ تُقِمِ السَّاعَةَ))[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: رحمة الله بالإنسان بأن لم يسمعه صوت الميت المعذب:

رحمة الله بالإنسان تشمله في جميع أحواله وشؤونه، فتشمله وهو يعيش مع الأحياء كما تلحقه وهو يدفن الأموات، هذا واضح من قول النبي صلى الله عليه وسلم : "يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعه صعق"، وفي حديث آخر: ((وأمّا المنافِقُ والكافرُ فيقالُ لهُ: ماكنتَ تقولُ في هذا الرجُلِ؟ فيقول: لا أدري، كنتُ أقولُ مايقولُ الناسُ. فيقال: لا دَرَيتَ ولا تَلَيتَ. ويُضرَبُ بمطارِقَ من حديدٍ ضَربةً، فيَصيحُ صيحةً يَسمعُها مَن يَليهِ غيرَ الثقلَينِ))[٣]. (والثقلان هما الجن والإنس)[٤].

قال ابن حجر: (قوله: "لصعق" أي: لغشي عيه من شدة ما يسمعه وربما أطلق ذلك على الموت، والضمير في يسمعه راجع إلى دعائه بالويل أي: يصيح بصوت منكر لو سمعه الإنسان لغشي عليه، قال ابن بزيزة: هو مختص بالميت الذي هو غير صالح، وأما الصالح فمن شأنه اللطف والرفق في كلامه فلا يناسب الصعق من سماع كلامه انتهى. ويحتمل أن يحصل الصعق عند سماع كلام الصالح لكونه غير مألوف، وقد

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٦٧.

(٢) أخرجه أحمد ٢٨٨/٤ رقم ١٨٥٣٤، وقال محققوه: إسناده صحيح ٥٠٣/٣٠.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٧٤.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ث ق ل).

روى أبو القاسم بن منده هذا الحديث في "كتاب الأهوال" بلفظ: "لو سمعه الإنسان لصعق من المحسن والمسيء" فإن كان المراد به المفعول دل على وجود الصعق عند سماع كلام الصالح أيضا)[١].

وقال المهلب - كما في فتح الباري - : (الحكمة في أن الله يسمع الجن قول الميت "قدموني" ولا يُسمِعهم صوته إذا عذب بأن كلامه قبل الدفن متعلق بأحكام الدنيا وصوته إذا عذب في القبر متعلق بأحكام الآخرة، وقد أخفى الله على المكلفين أحوال الآخرة إلا من شاء الله، إبقاء عليهم)[٢].

رابعًا - من مهام الداعي: بيان الحقائق للمدعوين:

إن الداعية يبين الحقائق للمدعوين، حتى يظهر أثر ذلك في حياتهم وأعمالهم وأفعالهم، فتتصلح دنياهم وآخرتهم، وفي هذا الحديث بيّن النبي ﷺ حال الميت وقت حمله للدفن، وأخبر أن الصالح معدّ له الخير بخلاف غير الصالح فإن العذاب قد أعدّ له، كما أخبر أنه لو سمع الناس صوت دعائه بالويل والهلاك لصعقوا.

وقد كان النبي ﷺ يبين الحقائق للمدعوين دومًا: فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ))[٣].

قال النووي: (معناه أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان، وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد)[٤].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٢١/٣.

(٢) المرجع السابق ٢٨٣/٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٩٥٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٠٨.

الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَيْهِ. فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ[١] مَيِّتٍ. فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ. ثُمَّ قَالَ: ((أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟)) فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ. وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: ((أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟)) قَالُوا: وَاللّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لأَنَّهُ أَسَكُّ. فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: ((فَوَاللّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللّهِ، مِنْ هَـٰذَا عَلَيْكُمْ))[٢].

قال القرطبي: (ومعنى هوان الدنيا على الله: أن الله تعالى لم يجعلها مقصودة لنفسها؛ بل جعلها طريقًا موصلة إلى ما هو المقصود لنفسه، وأنه لم يجعلها دار إقامة، ولا جزاء، وإنما جعلها دار رحلة وبلاء، وأنه ملّكها في الغالب الكفرة والجهّال، وحماها الأنبياء والأولياء ... وحسبك بها هوانًا أن الله قد صغرها وحقرها وذمها وأبغضها وأبغض أهلها، ومحبيها ولم يرض لعاقل فيها إلا بالتزود منها والتأهب للارتحال عنها)[٣].

خامسًا - من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

أخبر النبي ﷺ أن الميت الصالح يقول: "قدموني قدموني"، ذلك للخير الذي يجده بخلاف غير الصالح فإنه يدعو بالويل والهلاك لما يجده من العذاب الذي أعد له، ولا شك أن الحالة الأولى ترغيب للناس في إصلاح العمل وأن الحالة الأخرى ترهيب لهم من إفساده.

إن الترغيب في الشيء يكون بتحسينه وتزيينه لأن النفس لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها، وما جاء به الشرع الحنيف كله - بعد الإقرار بالوحدانية وصدق الرسول ﷺ - لا يعدو أن يكون ترغيبًا في الخيرات وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى والرهبة من عقابه، وقد لخص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند موته حياة المؤمن الحق عندما قالوا له جزاك الله خيرًا فعلت وفعلت فقال: راغب راهب أي راغب فيما عند الله وراهب من عذابه[٤].

---

(١) أي: صغير الأذنين، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٠٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٥٧.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٠٨/٧.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر غ ب)، وموسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٢١٢٧/٦.

الحديث رقم (٤٤٥)

٤٤٥ - وعن ابن مسعود ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**الجَنَّةُ أقْرَبُ إِلى أحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذلك**)) رواه البخاري[1].

الشرح الأدبي

البداية بالجنة من براعة الاستهلال في الحديث؛ لأنها علم على كل نعيم محبوب، والتعبير بأفعل التفضيل (أقرب) يزيد من شوق المخاطب، وترقبه لشعوره بنعيم جد قريب، ومما يصعِّد شوق المخاطب إضافة لفظ أحد إلى كاف الخطاب، وميم الجمع في قوله (أحدكم) والتي تجعله معنياً بالحكم، وقوله :(مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ) كناية عن شدة القرب، وقوله (وَالنَّارُ مِثْلُ ذلك) أي في القرب، وفي الحديث طباق بين الجنة، والنار يؤكد معنى القرب، ويدعوا إلى الحذر من قرب النار، واغتنام فرصة القرب من الجنة بكثرة الصالحات التي يضاعفها الله تعالى فتقرب إليه الجنة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٦٤٨٨، وتقدم برقم ١٠٥. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٠٦.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٠٥).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الخوف وحده يدفع إلى اليأس والقنوط، والرجاء وحده يدفع إلى التحلل وعدم الالتزام، والجمع بينهما يحمل على الاتزان، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً - التربية على الجمع بين الخوف والرجاء:

للخوف والرجاء أثر متميز في بناء الشخصية وتقويمها، ولا يمكن أن يُغلب جانب على آخر، لأن ذلك يؤدي إلى نوع من الخلل في عملية التربية، فلابد من المزج بين الخوف والرجاء، وتربية النفس على الخوف من الله تعالى، مما يدفع إلى البعد عن المعاصي والسعي الجاد في طاعة الله تعالى، ومن الشواهد على ذلك قول النبي ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ. وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللّهَ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ». ويعد ذلك توجيه تربوي نبوي في تقويم النفس وحملها على الطاعة والاستقامة بدلاً من التفريط والتسويف الذي قد يورد الإنسان المهالك، وفي المقابل لابد من الرجاء والطمع في رحمة الله تعالى، وغفرانه حتى مع الكافرين فضلاً عن المؤمنين، فإن الكافر إذا تاب وأناب إلى الله تعالى وأقر بالتوحيد وأخلص العبادة لله تعالى، غفر له ما قد سلف، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾(١).

ولذا فإن التربية على الجمع بين الخوف والرجاء تربية هادفة وجادة ومثمرة، وفيها علاج لما يعترى النفس البشرية من إفراط أو قنوط.

ثانيًا - التربية بالترغيب والترهيب:

من أساليب التربية الإسلامية أسلوب الترغيب والترهيب، وهو من الأساليب التي استمدها الرسول ﷺ وعمل على تعميقها في نفوس الصحابة رضي الله عنهم، ومن الشواهد

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٣٨.

على ذلك في أحاديث الباب. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ. وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ». وقول في الجنازة: "إذا وضعت الجنازة واحتملها الناس... فإن كانت صالحة... وإن كانت غير صالحة، قالت: يا ويلها أين تذهبون..."، فهذه توجيهات نبوية تربوية تحث على طاعة الله تعالى والبعد عن المعاصي وأن رحمة الله واسعة وأن عذابه شديد، "واستخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب هنا لأن الترغيب والترهيب أمران يقومان على الخوف والرجاء، وهما خطان متقابلان في النفس الإنسانية، فقد استخدم ﷺ الترغيب بالجنة والطمع فيها بالترغيب عن طريق تحريك دوافع الخير وتنشيطها، واستخدم الترهيب هنا فيما أعده للمفسدين والمنحرفين عن سبل السلام"(١).

ولذا جاءت النتيجة لمن أثر فيه هذا الأسلوب عند جنازته من حيث الصلاح والخيرية، ومن حيث الشقاء وعدم التنفيذ فإن كانت صالحة قالت قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت ياويلها أين تذهبون بها، من هذه التوجيهات التربوية يُعلّم الرسول ﷺ الصحابة "القدرة على التمييز بين ما يضر وما ينفع كما أنهم يستطيعوا أن يستجيبوا لأوامر التكليف فيمتنع عما نهى عنه والعمل بما أمر به، مما يجعل للترغيب والترهيب أثر في سلوكه.

لكن وضع أهل التربية عوامل لنجاح هذا الأسلوب:

١ - قوة الترغيب والترهيب، فلابد أن يكون هذا الأسلوب قوياً ليقوي عند الإنسان عامل الخوف والرجاء.

٢ - مصدر الترغيب والترهيب، قوة الترغيب والترهيب تتأثر من حيث فعاليتها بالمصدر الذي ورد منه، فإن كانت من الله ورسوله كانت مصدر قوة.

٣ - مراعاته لحاجات الإنسان: من أبرز عوامل نجاح الترغيب والترهيب مراعاته لحاجات الإنسان.

---

(١) أصول التربية الإسلامية الحازمي، ص٢٩٤، أساليب التربية الإسلامية، عبدالرحمن البابطين، ص٣١.

من هذه العوامل التي استنتجها أهل التربية من توجيه المصطفى ﷺ تنجح عملية التربية في الإصلاح عن طريق الترغيب والترهيب[١].



(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٥٩٥.

٥٤ - باب فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقًا إليه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾[الإسراء: ١٠٩]، وقال تَعَالَى: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾[النجم: ٥٩].

الحديث رقم (٤٤٦)

٤٤٦ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: ((اقْرَأْ عليَّ القُرآنَ)) قلت: يَا رسول اللهِ، أقرأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: ((إنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ مِنْ غَيرِي)) فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سورةَ النِّسَاءِ، حَتَّى جِئْتُ إلى هذهِ الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[النساء: ٤١] قَالَ: ((حَسْبُكَ الآنَ)) فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فإذا عَيْنَاهُ تَذْرِفَان. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

حسبُكَ الآن: يكفيك ذلك[٢].

تذرفان: يجري ويسيل دمعهما[٣].

قول الراوي (قال لي النبي صلى الله عليه وسلم) له خصوصية من وجهين: الأول أنه اختصاص لنفسه ونفي عن غيره؛ لأنه قدم الجار والمجرور على الفاعل فأفاد الاختصاص، وتركيب عبارته يوحي باعتزازه بقول النبي صلى الله عليه وسلم له هذا القول، ثانياً: أنه سمع بنفسه، وهو الذي نقل الحديث، وأحد طرفي الحوار مما يزيد الخبر الذي يرويه تأكيداً،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٠)، ومسلم (٢٤٧/٨٠٠) والسياق للحميدي في جمعه (١/٢٢٤، رقم ٢٦٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح س ب).

(٣) المرجع السابق في (ذ ر ف).

ومقول القول هو أمر النبي له في قوله (اقْرَأْ عليَّ القُرآنَ) وتقديم حرف الجر المتصل بياء المتكلم على المفعول به للاختصاص أي عليَّ أنا لا غيري، وهذا الاختصاص لاعتقاد المخاطب أنه يريد أن يقرأ على غيره، ولذلك جاء نداؤه بـ(يا) التي ينادى بها البعيد مع قربه إشارة إلى بعد مكانته، ثم ناداه بلقبه، وأضافه لربه، وكأنه يذكره بمنزلته (رسول الله) ثم تلاه استفهام التعجب (يَا رسول اللهِ، أقرأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟!) وقدم الجار والمجرور على الفعل أي نزل عليك لا على غيرك، وقد جاء رد النبي ﷺ معللاً للأمر، وقد أكد الخبر لينزع من نفسه تلك الحالة من التعجب (إِنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ مِنْ غَيرِي) فقرأ ابن مسعود، واستمع الرسول ﷺ حتى قال له (حَسْبُكَ الآنَ)، وقوله (فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فإذا عَيْنَاهُ تَذْرِفَان) والفعل التفت فيه مفاجأة قررتها(إذا) قال ابن القيم: وأما بكاؤه ﷺ فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهملا، ويسمع لصدره أزيز، وكان بكاؤه تارة رحمة للميت، وتارة خوفاً على أمته، وشفقة عليها، وتارة من خشية الله، وتارة عند سماع القرآن، وهو بكاء اشتياق، ومحبة، وإجلال مصاحب للخوف، والخشية.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١ - التنبيه على أن الفاضل لا يأنف من الأخذ عن المفضول[١].

٢ - تواضع أهل العلم والفضل ولو مع أتباعهم[٢].

٣ - حكم الاستماع لقراءة القرآن: ذهب بعض الحنفية إلى أن الاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم حين يقرأ واجب كفائي إن لم يكن هناك عذر مشروع لترك الاستماع، وذهب البعض الآخر إلى أنه واجب عيني.

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٢/٢٢٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦/٨٠.

وذهب الحنابلة إلى أنه يستحب استماع قراءة القرآن الكريم[١].

٤ - استحباب البكاء عند استماع القراءة، لحديث الباب، ولقوله ﷺ: ((إنَّ هذا القُرآن نزل بحُزن فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا))[٢].

كما يستحب تدبرها، لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٣].

٥ - استحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له، خاصة ممن يعلم منه إجادة التلاوة للقرآن الكريم مع حسن الصوت، وهو أبلغ من التفهم والتدبر من قراءته بنفسه.

قال النووي: (اعلم أن جماعات من السلف رضوان الله عليهم كانوا يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرؤوا وهم يستمعون، وهذا متفق على استحبابه، وهو من عادة الأخيار المتعبدين وعباد الله الصالحين، وهو سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ)[٤].

٦ - جواز أمر الغير بقطع القراءة للمصلحة[٥].

فاستماع القرآن والتفهم لمعانيه من الآداب المحثوث عليها، لذا يكره التحدث بحضور القراءة، قال أبو محمد بن عبدالسلام: والاشتغال عن السماع بالتحدث بما لا يكون أفضل من الاستماع، سوء أدب على الشرع، وهو يقتضي أنه لا بأس بالتحدث للمصلحة[٦].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار ابن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١/٣٦٦، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ١/٢٤٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه ١٣٣٧، وضعفه الألباني (ضعيف سنن ابن ماجه ٢٨١).

(٣) سورة محمد، آية: ٢٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦/٨٠، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢/١٦٧.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٢/٣٢١.

(٦) البرهان في علوم القرآن ١/٤٧٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: استحباب استماع القرآن الكريم والإصغاء إليه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: جواز طلب التوقف عن قراءة القرآن الكريم إذا كانت هناك مصلحة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: استحباب البكاء عند قراءة القرآن الكريم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التدبر والاعتبار عند سماع القرآن الكريم.

خامسًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: استحباب استماع القرآن الكريم والإصغاء إليه:

القرآن الكريم كلام الله عز وجل، أنزله سبحانه لهداية الناس، فكان من المستحب استماع القرآن الكريم والإصغاء عند تلاوته يتضح ذلك من قول النبي ﷺ لابن مسعود: (اقرأ عليّ القرآن، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: يا رسول الله أنا أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أحبُّ أن أسمعه من غيري).

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث أن القرآن في سماعه ثواب كما في تلاوته)[1].

قال النووي: (في حديث ابن مسعود هذا فوائد منها: استحباب استماع القراءة والإصغاء لها. واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه وفيه تواضع أهل العلم والفضل ولو مع أتباعهم)[2].

وقال أيضًا: (اعلم أن جماعات من السلف كانوا يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرءوا وهم يستمعون، وهذا متفق على استحبابه وهو من عادة الأخيار المتعبدين وعباد الله الصالحين، وهو سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ فقد صحّ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: "اقرأ عليّ ..." الحديث، وروى الدارمي وغيره بأسانيدهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول لأبي موسى

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢/٥٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٧.

الأشعري رضي الله عنه: (ذكرّنا ربنا)، فيقرأ عنده القرآن)[١].

جاء في الموسوعة الفقهية: "يستحب للمسلم أن يطلب ممن يعلم منه إجادة التلاوة للقرآن الكريم مع حسن الصوت، التلاوة ليستمع إليها".

والآثار في هذا كثيرة معروفة، قال النووي: (وقد استحب العلماء أن يستفتح مجلس حديث النبي صلى الله عليه وسلم ويختم بقراءة قارئ حسن الصوت مما تيسر من القرآن. وقد صرّح الحنفية بأن استماع القرآن الكريم أفضل من قراءة الإنسان القرآن بنفسه، لأن المستمع يقوم بأداء فرض بالاستماع، بينما قراءة القرآن ليست بفرض)[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: جواز طلب التوقف عن قراءة القرآن الكريم إذا كانت هناك مصلحة:

إن نفس المؤمن لا تشبع من تلاوة القرآن ومن الإصغاء إليه، لكن قد يعرض له ما يجعله يطلب من القارئ أن يتوقف عن القراءة فكان له أن يفعل ذلك إذا كانت هناك مصلحة في ذلك. هذا واضح من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "حسبك الآن"، فالتفت ابن مسعود رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا عيناه تذرفان.

فالنبي صلى الله عليه وسلم طلب منه أن يتوقف نظرًا لبكائه صلى الله عليه وسلم، وقد بوّب البخاري على هذا الحديث باب: قول المقرئ للقارئ: حسبك[٣]. وقال ابن هبيرة: (فيه من الفقه أنه يجوز لمن يقرأ، عنده القرآن أن يقول للقارئ: حسبك)[٤].

ويمكن أن يستأنس في هذا المقام بما رواه نافع مولى ابن عمر قال: (كان ابن عمرَ رضي الله عنهما إذا قرأَ القرآن لم يتكلم حتى يَفرُغَ منه، فأخذتُ عليه يومًا، فقرأَ سورةَ البقرةِ حتى انتهى إلى مكانٍ قال: تدري فيمَ أُنزِلتْ؟ قلتُ: لا. قال: أُنزِلت في كذا وكذا. ثمَّ مضى)[٥].

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٠٩/٤.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٧/٤ ومراجعها.

(٣) صحيح البخاري رقم ٥٠٥٠.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥٠/٢.

(٥) أخرجه البخاري ٤٥٢٦.

وقال السيوطي: (يكره قطع القراءة لمكالمة أحد، قال الحليمي: لأن كلام الله لا ينبغي أن يُؤْثَر عليه كلام غيره، وأيده البيهقي بما في الصحيح: كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه، ويكره أيضًا الضحك والعبث والنظر إلى ما يلهي)[(١)].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: استحباب البكاء عند قراءة القرآن الكريم:

نزل القرآن موعظة وذكرى للذاكرين، فيه تبشير وتحذير، وفيه حديث عن أهوال يوم القيامة وعن الجنة والنار، كُل هذا يأخذ بالألباب والقلوب فكان المناسب أن يقع عند ذلك البكاء، هذا واضح من قول ابن مسعود ﵁ عن النبي ﷺ: "فإذا عيناه تذرفان".

قال ابن حجر: (والذي يظهر أنه بكى رحمة لأمته، لأنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيمًا فقد يفضي إلى تعذيبهم)[(٢)].

قال النووي: (وفي حديث ابن مسعود ﵁ هذا فوائد منها استحباب استماع القراءة والإصغاء لها والبكاء عندها وتدبرها)[(٣)].

وقال القرطبي: (قال علماؤنا: بكاء النبي ﷺ إنما كان لعظيم ما تضمنته هذه الآية من هول المطلع وشدة الأمر؛ إذ يؤتى بالأنبياء ﵈ شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب ويؤتى به ﷺ شهيدًا على أمته وغيرهم)[(٤)].

قال العيني: (في بكاء النبي ﷺ وجوه: **الأول**: قال ابن الجوزي: بكاؤه ﷺ عند هذه الآية الكريمة لأنّه لا بد من أداء الشهادة والحكم على المشهود وعليه إنما يكون بقول الشاهد، فلما كان ﷺ هو الشاهد وهو الشافع بكى على المفرطين منهم[(٥)].

(١) الإتقان ١/٣٠٦ - ٣٠٧، وانظر: البرهان ١/٤٦٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣/٢٥٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٧١٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٧.

(٤) التذكار في أفضل الأذكار، محمد بن أحمد القرطبي المفسر ص ١٥٠.

(٥) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢/٥٠.

الثاني: أنه بكى لعظم ما تضمنته هذه الآية الكريمة من هول المطلع وشدة الأمر إذ يؤتى بالأنبياء عليهم السلام شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب.

الثالث: أنه بكى فرحًا لقبول شهادة أمته ﷺ يوم القيامة وقبول تزكيته لهم في ذلك اليوم العظيم)[١].

وقال النووي: (ويستحب البكاء والتباكي لمن لا يقدر على البكاء، فإن البكاء عند القراءة صفةُ العارفين وشعار عُباد الله الصالحين، قال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[٢])[٣].

قال القرطبي: (هذا مدح لهم، وحق لكل من توسم العلم وحصّل منه شيئًا أن يجري إلى هذه المرتبة، فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل)[٤].

قال ابن حجر: (قال الغزالي: يستحب البكاء مع القراءة وعندها وطريق تحصيله أن يحضر قلبه الحزن والخوف بتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والوثائق والعهود، ثم ينظر تقصيره في ذلك، فإن لم يحضره حزنٌ فليبكِ على فقد ذلك وأنه من أعظم المصائب)[٥].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: أهمية التدبر والاعتبار عند سماع القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم كتاب هداية، ولا تأتي هذه الهداية إلا بالتدبر والاعتبار عند سماع القرآن الكريم أو قراءته، ولهذا قد يطلب المسلم من أخيه المسلم أن يقرأ عليه القرآن ليتدبره ويتعظ به، وهو في ذلك يتأسى بالنبي ﷺ الذي طلب من ابن

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٧٤/١٨.

(٢) سورة الإسراء، آية: ١٠٩.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٢٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٤١/١٠/٥، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٢/٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧١٧/٨، وانظر: الإتقان ٣٠١/١ - ٣٠٢.

مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه القرآن، قال النووي: (وفيه استحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه)[١].

وقال ابن حجر: (قال ابن بطال: يحتمل أن يكون أحبَّ أن يسمعه من غيره ليكون عرض القرآن سنة، ويحتمل أن يكون لكي يتدبره ويتفهمه، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر ونفسه أخلى وأنشط لذلك من القارئ، لاشتغاله بالقراءة وأحكامها)[٢].

وقال ابن القيم: (إذا أردت الانتفاع بالقرآن، فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك واحضر حضور مَنْ يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم)[٣].

وقال السيوطي: (ويسن الاستماع لقراءة القرآن وترك اللغط والحديث بحضور القراءة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٤])[٥].

وقال الزركشي: (واستماع القرآن والتفهم لمعانيه من الآداب المحثوث عليها ويكره التحدث بحضور القراءة، قال الشيخ أبو محمد بن عبد السلام: والاشتغال عن السماع بالتحدث بما لا يكون أفضل من الاستماع سوء أدب على الشرع، وهو يقتضي أنه لا بأس بالتحدث للمصلحة)[٦].

وقال العز بن عبدالسلام: (استماع القرآن أدب، ثمرته فهم معانيه والعمل بمواجبه)[٧].

وخلاصة القول أنه ينبغي على المسلم عند تلاوة القرآن أو استماعه آداب كثيرة منها الآداب القلبية، ومنها:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧١٢/٨.

(٣) الفوائد، ابن القيم ص ١٥.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٢٠٤.

(٥) الإتقان ٣٠٩/١ - ٣١٠.

(٦) البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٤٧٥/١.

(٧) شجرة المعارف والأحوال، العز بن عبدالسلام ٣١٢.

١ - معرفة أصل الكلام: وهو التنبيه إلى عظمة الكلام المقروء وعلوه وإلى تفضل الله تعالى ولطفه بخلقه حيث خاطبهم بهذا الكلام العظيم الشريف وتكفل -تفضلاً منه ورحمة - بتيسير إفهامهم إياه.

٢ - تعظيم مُنزله لأن الذي يقرؤه ليس من كلام البشر خاصة إذا تفكر في صفات الله وأسمائه وأفعاله.

٣ - حضور القلب عند التلاوة.

٤ - تدبر المقروء والمسموع إذ لا خير في عبادة لا فقه فيها.

٥ - أن يتفاعل قلبه مع كل آية بما يليق بها.

٦ - أن يستشعر بأن كل خطاب في القرآن موجه إليه شخصيًا.

٧ - أن يتأثر بكل آية يتلوها.

٨ - التخلي من موانع الفهم.

٩ - أن يتبرأ من حوله وقوته[١].

خامسًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

لقد طلب النبي ﷺ من ابن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه، ثم طلب منه التوقف بسبب بكائه ﷺ، وهذا كله تعليم، وهو وسيلة ذات فائدة كبيرة في الدعوة، قال ابن حجر عن حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه في صفة وضوء النبي ﷺ[٢]. (وفي الحديث التعليم بالفعل لكونه أبلغ وأضبط للمتعلم)[٣].

فقد أراد النبي ﷺ أن يعلم الصحابة رضي الله عنهم والأمة ذلك عمليًا من خلال طلبه من ابن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه القرآن، ثم استوقفه النبي ﷺ فإذا عيناه تذرفان. وتلك وسيلة تعليمية بالغة التأثير في نفوس المدعوين فإنها تبيّن لهم ما ينبغي أن يكون عليه المسلم حال الاستماع للقرآن من تدبر وخشوع، وأهمية ذلك.

---

(١) انظر: حق التلاوة، حسني شيخ عثمان ص ٣٩٩، ٤٠٠.

(٢) أخرجه البخاري ١٥٩، ومسلم ٢٢٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣١٣/١.

الحديث رقم (٤٤٧)

٤٤٧ - وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: خطب رسول الله ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، فقال: ((لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَليلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)) قَالَ: فَغَطَّى أصْحَابُ رسول الله ﷺ وُجُوهَهُمْ، وَلَهُمْ خَنِينٌ. متفقٌ عَلَيْهِ[١]. وَسَبَقَ بَيَانُهُ في بَابِ الخَوْفِ[٢].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الخَنين: بكاءٌ دون الانتحاب[٣].

الشرح الأدبي والمضامين الدعوية[٤]

(١) أخرجه البخاري ٤٦٢١. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٤٩.

تنبيه: الحديث بهذا اللفظ لم يخرجه مسلم، راجع تعليقنا عليه عند الحديث رقم ٤٠١.

(٢) تقدم برقم ٤٠١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ن ن).

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٤٠١).

الحديث رقم (٤٤٨)

٤٤٨ - وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سبيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ**)) رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديثٌ حَسنٌ صحيحٌ).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لا يلجُ: لا يدخل[٢].

الضَّرْع: مدرُ اللبن من الشاة والبقر، وهو كالثدي للمرأة[٣].

الحديث يشير إلى فضل البكاء من خشية الله والحديث يبدأ بأسلوب النفي العام، وعمومه جاء من وقوع الفاعل نكرة في سياق النفي وهو ما يجعله شاملاً غير مقصور على أحد بعينه، وإنما كل من بكى من خشية الله، والتعبير بالفعل الماضي يشير إلى تحقق الوقوع و(من) تفيد السببية، والتعبير بالخشية؛ لأنها نوع من الرهبة ممزوج بالإجلال، وإضافتها لله تخصيص، وقوله (حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ) تعليق على مستحيل يؤكد معنى الجملة السابقة، ومعناه استحالة، ولوج الباكي من خشية الله النار، وقوله: (وَلاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سبيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ)، لأن بينهما ما يشبه التضاد فالغبار في الدنيا، وغبار جهنم في الآخرة لذلك يستحيل أن يجتمعا فثبت بالطريقة العقلية أن المجاهد لا يدخل النار، وبناء عبارة النبي على هذا النمط يفتح باب الأجر لكل من شارك في الجهاد بأي مشاركة، ولو بدون قتال مباشر كخدمة المجاهدين

---

(١) برقم ١٦٣٣ وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٤٦٠٧، وقال الحاكم ٢٦٠/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولن يخرجاه. اورده المنذري في ترغيبه ١٩١٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ل ج).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٥٤.

والجرحى، ورعاية ركائبهم، وغيرها، ولذلك قال (في سبيل الله) أي طريقه ما دامت لله، وهذا يحقق الأجر لأضعاف المجاهدين، ويمكن غير القادر على القتال من المشاركة بما يستطيع من جهد.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل البكاء من خشية الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: النفي.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل البكاء من خشية الله:

إن البكاء من خشية الله دليل على صدق الإيمان وما يصاحب ذلك من خشوع وخضوع وتذلل وإنابة وتضرع إليه سبحانه، لذلك كان له فضل عظيم، وهذا ما أخبر به النبي ﷺ فقال: ((لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله حتى يَعُودَ اللَّبنُ فِي الضَّرْعِ)). وفي رواية النسائي: ((لاَ يَبْكِي أَحَدٌ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَتَطْعَمَهُ النارُ حَتَّى يُرَدَّ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ ولا يجتمع غبارٌ في سبيلِ الله ودخانُ جهنم في منخري مسلم أبدًا))[1].

قال السندي: (قوله: "فتطعمه النار" من طعم أي فتأكله النار ..."حتى يرد"، من التعليق بالمحال العادي ليدل على أن دخول الباكي من خشية الله في النار محال، وقبله قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[2]. ولعل الله تعالى لا يوفق للبكاء من الخشية إلا من أراد له النجاة من النار ابتداءً)[3].

قال ابن علان: ("من" فيه تعليلية أي لخشية الله الداعية إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهي، ومن كان كذلك لا يلجها بالوعد الكريم إلا تحلَّة القسم. وقوله: "حتى يعود اللبن في الضرع" أي: يدخل من مسامه إليه، أي وذلك محال عادة، فتعلق ولوج الخائف

---

(١) أخرجه النسائي ٣١٠٧، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٢٩١٠)

(٢) سورة الأعراف، آية: ٤٠.

(٣) حاشية السندي على سنن النسائي ٣١٩/٥.

الوجِلُ من الله تعالى العارف بجلاله القائم بما تقتضيه الخشية من امتثال الأوامر واجتناب النواهي، بعود اللبن إلى الضرع، والمراد بالولوج الدخول فيها، فلا ينافي وجوب المرور عليها المفسر به الورود. أما من لم يقم بقضية الخشية مما ذكر ومات على غير الشرك من المعاصي فأمره إلى مولاه، إن شاء أدخله الجنة مع الفائزين وعفا عنه ما جناه. وإن حبسه بالنار قدر ما سبق في علمه. ثم أدخله الجنة لإيمانه؛ بمحض فضله)(١).

وقد ورد في فضل البكاء من خشية الله كثير من الأحاديث، من ذلك أن من اتصف بذلك يكون في ظل الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله، فقد قال النبي ﷺ: ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله" الحديث، منهم "رجل ذكر الله ففاضت عيناه))(٢).

قال النووي: "فيه فضيلة البكاء من خشية الله تعالى"(٣).

وقال النبي ﷺ: "عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله"(٤).

(والمؤمن يعيش في جهاد مع نفسه ويراقب الله في جميع أفعاله وتصرفاته، فهو يخاف الله ويَبْكي عند ذكره سبحانه تعالى، فهذا من المخبتين الذين بشرهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾(٥). وهم الذين عناهم الله بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٦).

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٨٣-٦٨٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٠، ٦٤٧٩، ومسلم ١٠٣١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٤.

(٤) أخرجه الترمذي ١٦٣٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٣٣٨).

(٥) سورة الحج، الآيتان: ٣٤-٣٥.

(٦) سورة الأنفال، آية: ٢.

ومما قاله القرطبي[١] في تفسير هذه الآية، مع الإشارة إلى غيرها من الآيات القريبة منها في المعنى: وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره. وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه، ونظير هذه الآية ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٢]. فهذا يرجع إلى كمال المعرفة وثقة القلب، والوجل: الفزع من عذاب الله. فلا تناقض، وقد جمع الله بين المعنيين في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٣] أي تسكن نفوسهم مع الله من حيث اليقين، وإن كانوا يخافون الله. فهذه حالة العارفين بالله الخائفين من سطوته وعقوبته)[٤].

إن البكاء من خشية الله من صفات عبادة المؤمنين، فهم دائمو الذكر لله تعالى والاستحضار لعظمته تمتلئ قلوبهم وجلاً منه وتفيض أعينهم بالدموع خشية له خاصة إذا ما تليت آيات الله، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[٥]، وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[٦].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ٤/٧/٣٦٥-٣٦٦.

(٢) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٣) سورة الزمر، آية: ٢٣.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨/١٦٨-١٦٩.

(٥) سورة الإسراء، آية: ١٠٧-١٠٩.

(٦) سورة مريم، آية: ٥٨.

قال الحسن البصري: (إن المؤمنين قوم ذلت والله منهم الأسماع والأبصار والأبدان حتى حسبهم الجاهل مرض، وهم والله أصحاب القلوب، ألا تراه يقول: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾(١) والله لقد كابدوا في الدنيا حزنًا شديدًا ما أحزن الناس ولكن أبكاهم وأحزنهم الخوف من النار)(٢).

إن البكاء دليل على خشية العبد لله ومراقبته له فهو يورث الخوف من الله وهو علامة على صحة الإيمان ودليل على رقة القلب واستقامته(٣).

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

أعدّ الله سبحانه للمجاهدين في سبيل الله الفضل العظيم في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا النصر أو الشهادة، وفي الآخرة الابتعاد عن النيران ودخول الجنان، وهذا ما بينه النبي ﷺ ((ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم))(٤). قال السندي: (فيه أن المسلم الحقيقي إذا جاهد لله خالصًا لا يدخل النار وعلى هذا فمن علم في حقه خلافه فلابد ألا يكون مسلمًا بالتحقيق)(٥).

وقد قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٦).

---

(١) سورة فاطر، آية: ٣٤.

(٢) التخويف من النار، ابن رجب الحنبلي، ص ٢٣.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٤٨٢/٢.

(٤) أخرجه البخاري ٩٠٧.

(٥) حاشية السندي على سنن النسائي ٣١٩/٥.

(٦) سورة التوبة، آية: ١٢٠.

وقال رسول الله ﷺ "من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار". وفي رواية: ((مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَتَمَسَّهُ النَّارُ))(١). وقد جعل البخاري هذا الحديث تحت الآية السابقة(٢).

قال ابن حجر: (قال ابن المنير: مطابقة الآية من جهة أن الله أثابهم بخطواتهم وإن لم يباشروا قتالاً، وكذلك دل الحديث على أن من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار سواء باشر قتالاً أم لا. أ. هـ، ومن تمام المناسبة أن الوطء يتضمن المشي المؤثر لتغبير القدم)(٣).

وقال ابن حجر كذلك: ("وقوله فتمسه النار" المعنى أن المس ينتفي بوجود الغبار المذكور. وفي ذلك إشارة إلى عظيم قدر التصرف في سبيل الله، فإذا كان مجرد مس الغبار للقدم محرم عليها النار فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفد وسعه)(٤).

وقال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ في سبيلِ الله حَرَّمَهُمَا الله على النارِ)) فوثب الناس عن دوابِّهم. فما رأينا يومًا أكثر ماشيًا منه(٥).

ثالثًا - من أساليب الدعوة: النفي:

استخدم النبي ﷺ أسلوب النفي ليعبر ﷺ عن فضل البكاء من خشية الله، وفضل غبار الأقدام في سبيل الله، فعبر عن ذلك بأن نفى دخول من فعل أيًا منهما النار. ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾(٦).

---

(١) أخرجه البخاري، ٩٠٧/٢٨١١.

(٢) كتاب الجهاد: باب من اغبرت قدماه في سبيل الله، الحديث:٢٨١١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦/٦.

(٤) المرجع السابق ٣٦/٦.

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٤٦٠٤، وقال محققه: حديث صحيح.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٤٠.

قال الطاهر بن عاشور: (قد جعل لانتفاء دخولهم الجنة امتدادًا مستمرًا، إذ جعل غايته شيئًا مستحيلاً، وهو أن يلج الجمل في سم الخياط أي لو كانت لانتفاء دخولهم الجنة غاية لكانت غايته ولوج الجمل وهو البعير في سم الخياط وهو أمر لا يكون أبدًا)[1].

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١٢٧/٨.

الحديث رقم (٤٤٩)

٤٤٩ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ: إمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بالمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُه مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي والمضامين الدعوية[٢]

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ١٤٢٣، ومسلم ١٠٣١/٩١. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٦. تقدم برقم ٣٧٦.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٧٦).

الحديث رقم (٤٥٠)

٤٥٠ - وعن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه، قَالَ: أتيتُ رسولَ الله ﷺ وَهُوَ يُصلِّي ولِجَوْفِهِ أزيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ مِنَ البُكَاءِ. حديث صحيح رواه أبو داود، والترمذيُّ في الشمائل[1]، بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن الشِّخِّير: وهو عبدالله بن الشِّخِّير بن عوف بن كعب بن وَقْدان بن الحَرِيش بن كعب بن ربيعة بن عامر، الحَرَشيّ، ثم الكعبي، ثم العامريّ، من الحَرِيش، وهم بطن من بني عامر بن صعصعة.

((وفد إلى النبي ﷺ في رَهْط بني عامر))[2]. له صحبة ورواية، روى عن النبي ﷺ وروى له الجماعة سوى البخاري.

وهو في عداد البصريين، نزل البصرة، وَوَلَدُه بها[3].

غريب الألفاظ:

أزيز: خنين من الخوف وهو صوت البكاء. وقيل: هو أن يجيش جوفُه ويغلي بالبكاء[4].

---

(١) أخرجه أبو داود ٩٠٤، والترمذي في الشمائل ٣٢٢ واللفظ له. وصحّحه ابن خزيمة ٩٠٠، وابن حبان، الإحسان ٧٥٣، وقال الحاكم ٢٦٤/١: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٧٦٢.

(٢) أخرجه أحمد ٢٢٧/٢٦، حديث رقم ١٦٣١١، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) طبقات ابن سعد ٣٤/٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٤٤٠، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٧٥/٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٧٨٧، ٧٨٨، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٦٠/٤، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٥٢/٢، والسندي ٢٣٢/٢٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ ز ز).

المرجل: الإناء الذي يُغلى فيه الماء[1].

جمع الله لرسوله بين علم اليقين، وعين اليقين، كما جمع له بين الخشية القلبية، واستحضار العظمة الإلهية على وجه لم يجتمع لبشر غيره، فإذا قام لله تعالى اجتمعت هذا الأمور، وتزاحمت معاني الكمال، والجلال، والهيبة في صدره حتى يمتلأ بها فتفيض منه أزيزاً يرتج منه جسده، ودمعاً تفيض به عيناه، وهذا سر تعبير الصحابي بالأزيز، وهو حركة الإناء إذا غلى، وامتلأ، وتشبيه أزيز جوف الرسول ﷺ بأزيز المرجل يوحي بعدة دلالات منها: امتلأ صدره بهذه المعاني التي لا يحيط بها الوصف، وتزاحمها فيه، كما يوحي بشدة حرارة الشوق إلى ربه مع استشعاره لمقام الربوبية رعاية، وتربية، وحفظاً مع مقام الإلهية تعظيماً، وإجلالاً، وهيبة، يفهم ذلك من الصورة التشبيهية المعروفة عن شدة حرارة المرجل الذي لا يغلي إلا عند اشتدادها، كما يفهم من أزيز المرجل، واضطرابه بما حوله من نيران مشتعلة، قلق الرسول ﷺ وهمه بأمته، وقد أعلمه الله ما ستمر به من الأهوال، وهو لا ينساها في هذا الموقف بين يدي الله يدعوه أن يرحمهم، وأن يقيل عثراتهم فقلبه أعظم القلوب حناناً، وأكثرهم بالله علماً، وإيماناً ﷺ.

فقه الحديث

هذان الحديثان يشيران إلى الأحكام الفقهية التالية:

١ - حكم البكاء في الصلاة: اختلف الفقهاء في البكاء في الصلاة: فذهب الإمام أبو حنيفة إلى أنه إن بكى فارتفع بكاؤه بأن حصل به الحروف قطع الصلاة، وإن كان من ذكر الجنة والنار، أو خوف الله لم يقطع الصلاة لأنه يدل على زيادة الخشوع، وإن كان من وجع أو مصيبة قطع، لأن فيه إظهار الجزع فكان من كلام الناس. وروي عن أبي يوسف أن صلاته تامة في ذلك كله. وذهب الشافعي في الأصح إلى أن البكاء إن ظهر به حرفان بطلت صلاته ولو كان من خوف الآخرة، وإن لم يَبِنْ

(١) المرجع السابق في (م ر ج ل).

منه حرفان فلا تبطل، بذلك مطلقًا، لأنه لا يسمى كلامًا في اللغة ولا يكاد يتبين منه حرف محقق، فأشبه الصوت الغفل[(١)].

وذهب الحنابلة إلى أنه إن كان مغلوبًا عليه لم يؤثر، وإن كان من غير غلبة فإن كان لغير خوف الله أفسد الصلاة، وإن كان من خشية الله لم يفسد.

وذهب المالكية إلى أن البكاء في الصلاة جائز وغير مفسد لها إلا إذا كان بصوت أو من مصيبة أو وجع فإنه يبطل، وإن كان من الخشوع فلا شيء عليه[(٢)].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان خشية النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الخشوع والخشية في الصلاة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان خشية النبي ﷺ:

إن النبي محمدًا ﷺ أعرف الخلق بربه وأعلمهم به سبحانه، لذا كان ﷺ أخشاهم وأتقاهم له عز وجل، وهذا ما أخبر به الصحابي أن النبي ﷺ "يُصلِّي وَبِجَوْفِهِ أزِيزٌ كَأزِيزِ المِرْجَلِ مِنَ البُكَاءِ".

قال السندي: (أزِيزٌ" بفتح الهمزة، وكسر الزاي الأولى، أي: صوت وغليان بالبكاء. والمرجل: القدر، فإنه عند غليان الماء فيه بالنار يخرج منه صوت)[(٣)].

وقال السندي أيضًا: (أي خنين من الخشية وهو صوت البكاء، قيل: وهو أن يجيش جوفه ويغلي بالبكاء)[(٤)].

---

(١) أي الصوت الخارج منه مع الغفلة عنه وعدم الإفادة منه.

(٢) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٢/٢٧٩ وما بعدها، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٢/٢٨، ومغني المحتاج ١/١٩٥، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢/٤٦.

(٣) حاشية السندي على مسند أحمد، ٣٠/٢٣٩.

(٤) حاشية السندي على النسائي، ٣/١٨.

وقال ابن علان: (فيه دليل على كمال خوفه وخشيته وخضوعه لربه)[(١)].

وكان النبي ﷺ يصلي ويبكي خشية من الله، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح)[(٢)].

وعن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة... قال ابن عمير: ((أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَسَكَتَتْ، ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ يَا عَائِشَةُ: ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي. قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرك. قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي. قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ. قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ. قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَّ الأَرْضَ فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لم تَبْكِي، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا. لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ: وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[(٣)]))[(٤)].

وبوّب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلّى لزومُ البكاء على ما ارتكب من الحوبات وإن كان بائنًا عنها مجدًا في إتيان ضدها[(٥)].

وقد قال النبي ﷺ عن نفسه: "أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له"[(٦)].

قال الكفوي: (الخشية أشد من الخوف لأنها مأخوذة من قولهم: شجرة خاشية أي يابسة، وهو موات بالكلية. والخوف: النقص. من ناقة خوفاء: أي بها داء وليس بفوات.

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٨٥.

(٢) أخرجه أحمد ١٢٥/١ رقم ١٠٢٣، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٩٩/٢.

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ١٩٠-١٩٤.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٦٢٠، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٥) صحيح ابن حبان ٣٨٦/٢.

(٦) أخرجه البخاري ٥٠٦٣، ومسلم ١١٠٨.

ولذلك خصت الخشية بالله في قوله: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾(١)، والخشية تكون من عظم المخشي، وإن كان الخاشي قويًا، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمرًا يسيرًا. وأصل الخشية خوف مع تعظيم، ولذلك خص بها العلماء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾(٢)، على قراءة نصب الجلالة)(٣). فالخشية أعلى درجة من الخوف وغيره؛ إذ (إن الخوف حركة والخشية انجماع وانقباض وسكون، فالخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء العارفين والهيبة للمحبين والوجل للمقربين وعلى قدر العلم والمعرفة تكون الخشية، فصاحب الخوف يلتجأ إلى الهرب والإمساك وصاحب الخشية يلتجأ إلى الاعتصام بالعلم، ومَثَلهما كمثل من لا علم له بالطب ومثل الطبيب الحاذق فالأول يلتجئ إلى الحمية والهرب، والطبيب يلتجئ إلى معرفته بالأدوية والأدواء، وكل واحد إذا خفته هربت منه، إلا الله، فإنك إذا خفته هربت إليه فالخائف هارب من ربه إلى ربه)(٤).

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية الخشوع والخشية في الصلاة:

قال شرف الحق العظيم آبادي: (وفي الحديث دليل على أن البكاء لا يبطل الصلاة سواء ظهر منه حرفان أم لا، وقد قيل: إن البكاء من خشية الله لم يبطل وهذا الحديث يدل عليه)(٥).

وقال ابن حبان بعد أن أخرج هذا الحديث وأخرج قبله حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن"(٦). قال: (قوله صلى الله عليه وسلم: "يتغنى

(١) سورة الرعد، آية: ٢١.

(٢) سورة فاطر، آية : ٢٨.

(٣) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٤٢٨.

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي ٢/٥٤٤-٥٤٦.

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٤٢٦، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢٤١/٣.

(٦) أخرجه ابن حبان ٧٥١، وقال محققه: إسناده صحيح، وهو في البخاري ٥٠٢٤، وفي مسلم ٧٩٣.

بالقرآن"، يريد يتحزن به، وليس هذا من الغنية ولو كان ذلك من الغنية لقال: "يتغاني به"، ولم يقل: يتغنى به، وليس التحزن بالقرآن نقاء الجرم[١]. وطيب الصوت وطاعة اللهوات بأنواع النغم بوفاق الوقاع، ولكن التحزن بالقرآن هو أن يُقارِنَه شيئان: الأسفُ والتلهف: الأسف على ما وَقَعَ من التقصير، والتلهفُ على ما يُؤمّل من التوقير، فإذا تألَّم القلب وتوجَّع، وتحزن الصوتُ ورجَّع، بَدَرَ الجَفْنُ بالدموع، والقلبُ باللُّمُوعِ، فحينئذ يستلِذُّ المتهجِّدُ بالمناجاة، وَيَفِرُّ من الخلق إلى وَكْرِ الخلوات، رجاءَ غفران السالفِ من الذنوب، والتجاوز عن الجنايات والعيوب)[٢].

ثم قال ابن حبان معلقًا على حديث الباب: "في هذا الخبر بيان واضح أن التحزن الذي أذن الله جل وعلا، فيه بالقرآن واستمع إليه، هو التحزن بالصوت مع بدايته ونهايته، لأن بداءته هو العزم الصحيح على الانقلاع عن المزجورات، ونهايته وفور التشمير في أنواع العبادات، فإذا اشتمل التحزن على البداية التي وصفتها والنهاية التي ذكرتها، صار المتحزن بالقرآن كأنه قذف بنفسه في مقلاع القربة إلى مولاه ولم يتعلق بشيء دونه"[٣]. وقد كان للصحابة رضي الله عنهم بكاء في صلواتهم، من ذلك ما رواه عبدالله بن شداد قال: سمعت نشيج عمر بن الخطاب، وإني لفي آخر الصفوف في صلاة الصبح، وهو يقرأ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٤]، [٥]، قال ابن الأثير: (النشيج صوت معه توجع وبكاء، كما يردد الصبي بكاءه في صدره)[٦].

---

(١) جِرْم الصوت: جهارته، المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ر م).

(٢) صحيح ابن حبان ٣/٢٩-٣٠.

(٣) صحيح ابن حبان ٣/٣١.

(٤) سورة يوسف، آية: ٨٦.

(٥) أخرجه عبدالرزاق ٢٧١٦، وسعيد بن منصور ١١٣٨، التفسير، وابن سعد ٦/١٢٦، وابن أبي شيبة ١٤/٧، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٠٥٧.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ش ج)، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٢٤٢، وانظر كذلك صفة الخشوع في نضرة النعيم، ٥/١٨٢٤-١٨٣٧.

جاء في الموسوعة الفقهية: (الخشوع: السكون والتذلل، وخشع في صلاته ودعائه: أقبل بلبه على ذلك، وهو مأخوذ من خشعت الأرض إذا سكنت واطمأنت. قال الراغب: الخشوع الضراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح، والضراعة أكثر مما يستعمل فيما يوجد في القلب، ولذلك قيل فيما روي: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح، وقال القرطبي: الخشوع هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع)[١].

قال عبدالله البسام: (الخشوع في الصلاة هو روحها ويكثر ثوابها أو يقل حسبما عقله المصلي منها، وقد أثنى الله تعالى على الخاشعين فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[٢]، وقال الحداد: ومن المحافظة على الصلاة والإقامة لها حسن الخشوع فيها وحضور القلب وتدبر القراءة وفهم معانيها واستشعار الخضوع والتواضع لله عند الركوع والسجود، وامتلاء القلب بتعظيم الله وتقديسه عند التكبير والتسبيح وفي سائر أجزاء الصلاة، ومجانبة الأفكار والخوطر الدنيوية والإعراض عن حديث النفس في ذلك، بل يكون الهم مقصورًا على إقامتها وتأديتها كما أمر الله)[٣].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد رأى الصحابي عبدالله بن الشخير رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم يصلّي وهو يبكي بكاءً شديدًا، فأخبر بذلك من كان معه ونقله لهم. وهم بدورهم أخبروا من جاء بعدهم وهكذا. ولقد أفاد الإخبار في هذا الحديث أهمية الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة، وأهمية التزام الخشوع والبكاء والتضرع إلى الله تعالى، كما كان يفعل صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٦/١٩.

(٢) سورة المؤمنون الآيتان: ١ - ٢.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٤٩٨/١.

الحديث رقم (٤٥١)

٤٥١ - وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ لأُبَي بن كعب رضي الله عنه: ((إنَّ الله عز وجل أمَرَنِي أنْ أقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ...﴾ قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: ((نَعَمْ)) فَبَكَى (أُبَيٌّ)[١]. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

وفي رواية[٣]: فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الخبر الذي يسوقه الرسول ﷺ من الأخبار عظيمة الدلالة تتسم بلون من الغرابة مع الطرافة، ولذلك بدأه الرسول ﷺ بالتوكيد بحرف التوكيد، وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي، مع نسبة الفعل لله تعالى التي تزيده توكيداً ثم ذكر الجملة الاعتراضية (- عز وجل -) تنزيهاً، وتعبيره بالأمر الذي يقتضي الفور، واللزوم (أَمَرَنِي أنْ أقْرَأَ عَلَيْكَ) والتقييد بالجار والمجرور يفيد التخصيص، وقول أبي بن كعب (وسماني؟) استفهام تقرير، وتعجب، واستبعاد ومشاعر لا يحيط بها الوصف خالجت نفسه عند سماعه ما قال الرسول ﷺ، وحُقَّ له (فبكى أبي) إجلالاً وتعظيماً، ومحبة، واشتياقاً مصاحباً للخشية، فذكر الله لعبد من عباده، وتسميته، وبعث رسول السماء جبريل إلى رسول الأرض محمد ﷺ، وأمره بأن يقرأ عليه سورة (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا) تشريف، وتكريم، وفضل لا تطمح إلى مثله نفس بشرية - مهما بلغت في الطاعة - ولكنه فضل الله على أبي بن كعب رضي الله عنه لمواقفه المشهودة في الدعوة، وفيما يتعلق بأهل الكتاب، وليجعل منه نموذجاً صالحاً لأهل الكتاب يقتدون به في الإيمان ورسوله ﷺ.

---

(١) قوله: (أبيّ) لا يوجد عندهما.

(٢) أخرجه البخاري ٣٨٠٩، ومسلم ٧٩٩/٢٤٦ ولفظهما سواء.

(٣) أخرجها البخاري ٤٩٦٠، ومسلم ٧٩٩/٢٤٥.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١ - مشروعية التواضع في أخذ الإنسان العلم من أهله وإن كان دونه[١].

٢ - استحباب قراءة القرآن على الحذاق فيه وأهل العلم به والفضل، وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه، وقد سبق بيانه.

٣ - البكاء للسرور والفرح مما يبشر الإنسان به، ويعطاه من معالي الأمور.

٤ - الاستثبات في المحتملات[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان منزلة أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه.

ثانيًا: من صفات الداعية: التواضع.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل سورة البينة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التوكيد والجواب.

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان منزلة أبي بن كعب رضي الله عنه:

في هذا الحديث فضيلة واضحة لأُبيَّ بن كعب رضي الله عنه فقد أمر الله عز وجل رسوله ﷺ أن يقرأ على أبي: "لم يكن الذين كفروا"، وقد سماه الله له، وتعجب من ذلك أُبيّ وبكى.

قال ابن حجر: (قوله: قال: وسماني؟ أي هل نصّ عليّ باسمي أو قال اقرأ على واحد من أصحابك، فاخترتني أنت؟ فلما قال له: نعم، بكى إما فرحًا وسرورًا بذلك وإما خشوعًا من التقصير في شكر تلك النعمة، قال أبو العباس القرطبي: (تعجب أبي من ذلك، لأن تسمية الله له ونصّه عليه ليقرأ عليه النبي ﷺ تشريفٌ عظيم، فلذلك

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٦/٧٧.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١/٥٦، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/١٨٠، وغمز عيون البصائر لأحمد الحموي، ص ١٩٣.

بكى إما فرحًا وإما خشوعًا)[(١)].

ونص عبارة القرطبي: (الاستفهام على التعجب منه، إذ كان ذلك عنده مستبعدًا، لأن تسميته تعالى له وتعيينه ليقرأ عليه النبي ﷺ تشريف عظيم، وتأهيل لم يحصل مثله لأحد من الصحابة ﵃، ولذلك لما أخبره بذلك بكى من شدة الفرح والسرور لحصول تلك المنزلة الشريفة والرتبة المنيفة)[(٢)].

وقال ابن حجر: (وفي تخصيص أبي بن كعب التنويه به في أنه أقرأ الصحابة ﵃، فإذا قرأ عليه النبي ﷺ مع عظيم منزلته كان غيره لطريق التبع له"[(٣)]، (فقد كان - كما يقول النووي - بعده ﷺ رأسًا في إقراء القرآن وهو أجل ناشرته أو من أجلهم)[(٤)].

وقال النووي كذلك: (وفي هذا الحديث فوائد كثيرة... منها المنقبة الشريفة لأبيٍّ بقراءة النبي ﷺ عليه ولا يعلم أحد من الناس شاركه في هذا، ومنها منقبة أخرى له بذكر الله تعالى ونصه عليه في هذه المنزلة الرفيعة)[(٥)].

وقد قال النبي ﷺ: يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ فقال أُبيّ بن كعب ﵁: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[(٦)]، فضرب النبي ﷺ في صدره وقال: ((والله لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ))[(٧)].

قال النووي: (فيه منقبة عظيمة لأبي، ودليل على كثرة علمه، وفيه تبجيل العالم فضلاء أصحابه وتكنيتهم، وجواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان فيه مصلحة ولم يخف عليه إعجاب ونحوه لكمال نفسه ورسوخه في التقوى)[(٨)].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٩/٧.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٤٢٦/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٩٧/٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٧.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٦ - ٥٣٧.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(٧) أخرجه مسلم ٨١٠.

(٨) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٤٠.

وقال الذهبي: (شهد العقبة، وبدرًا، وجمع القرآن في حياة النبي ﷺ، وعرض على النبيّ عليه السلام، وحفظ عنه علمًا مباركًا، وكان رأسًا في العلم والعمل رضي الله عنه)[١].

ثانيًا - من صفات الداعية: التواضع:

إن التواضع من الصفات الأساسية التي يجب أن يتحلى بها الداعية فهذا يقربه من المدعوين ويجعلهم على أتم الاستعداد؛ لأن يتقبلوا دعوته ويعملوا بها، ومن التواضع في هذا الحديث قراءة النبي ﷺ سورة البينة على أبي بن كعب رضي الله عنه وهذا فيه من التواضع ما فيه، قال ابن حجر: (ويؤخذ من هذا الحديث مشروعية التواضع في أخذ الإنسان العلم من أهله وإن كانوا دونه؛ لأنه إن لم يأخذ من الصغار العلماء لكان علمه منفرًا والناس به يقتدون ولا قدوة إلا بالخير والعُجُب بكل أحد قبيح وبالعلماء أقبح، ولأن من تكبر بعلمه وترفع وضعه الله به، ومن تواضع بعلمه رفعه الله به)[٢].

وقال ابن هبيرة: (في هذا الحديث ما يدل على أنه لا يجوز أن يتكبر كبير أن يقرأ على صغير)[٣].

وقال القرطبي: (قال بعضهم: إنما قرأ النبيّ ﷺ على أُبيّ، ليعلم الناس التواضع؛ لئلا يأنف أحد من التعلم والقراءة على من دونه في المنزلة)[٤].

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه لما أمره النبي ﷺ أن يقرأ عليه القرآن فقرأ ابن مسعود رضي الله عنه سورة النساء[٥]، قال النووي: (وفي حديث ابن مسعود هذا فوائد وذكر منها: تواضع أهل العلم والفضل ولو مع أتباعهم)[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ١/٣٩٠، وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٢١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/١٥٩، وأدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٧٢.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/١٨٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/٢٠/١٣٩.

(٥) أخرجه البخاري ٤٥٨٢، ومسلم ٨٠٠.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٧.

وقد كان النبي ﷺ معروفًا بالتواضع ملازمًا له، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (كانت الأَمَةُ منْ إماءِ أهلِ المدينةِ تأخذُ بيدِ رسولِ الله ﷺ فتنطلقُ به حيثُ شاءتْ)(١).

قال ابن حجر: (والمقصود من الأخذ باليد لازمه وهو الرفق والانقياد، وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل، والأمةُ دون الحرة، وحيث عمم بلفظ الإماء أي أمة كانت، وبقوله: "حيث شاءت" أي من الأمكنة، والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة على ذلك، وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر ﷺ)(٢).

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل سورة البينة:

لقد خصّ الله تعالى سورة البينة بأن يقرأها النبي ﷺ على أبيّ بن كعب رضي الله عنه، قال النووي: (وأما تخصيص هذه السورة فلأنها وجيزة جامعة لقواعد كثيرة من أصول الدين وفروعه ومهماته والإخلاص وتطهير القلوب، وكان الوقت يقتضي الاختصار)(٣).

وقال ابن حجر: (قال القرطبي: خص هذه السورة بالذكر لما اشتملت عليه من التوحيد والرسالة والإخلاص والصحف والكتب المنزلة على الأنبياء وذكر الصلاة والزكاة والمعاد وبيان أهل الجنة والنار مع وجازتها)(٤).

وقال ابن تيمية: (إن هذه السورة سورة جليلة القدر، وقد ورد فيها فضائل، وقد ثبت في الصحيح أن الله أمر نبيه ﷺ أن يقرأها على أُبيّ بن كعب رضي الله عنه وتخصيص هذه السورة بقراءتها على أبيّ يقتضي اختصاصها وامتيازها بما اقتضى ذلك)(٥).

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٧٢، تعليقًا، وأخرجه أحمد ١١٩٤١/١٩ موصولًا، وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٠٦/١٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٩/٧، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٢٦/٢.

(٥) التفسير الكبير، ابن تيمية، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ٣/٧ - ٤، وانظر: بدائع التفسير، لابن القيم ٢٨٩/٥.

وقال الطاهر بن عاشور عن أغراض سورة البينة: (توبيخُ المشركين وأهلِ الكتاب على تكذيبهم بالقرآن والرسول ﷺ. والتعجيب من تناقض حالهم إذ هم ينتظرون أن تأتيهم البينة فلما أتتهم البينة كفروا بها. وتكذيبُهم في ادعائهم أن الله أوجب عليهم التمسك بالأديان التي هم عليها. ووعيدهم بعذاب الآخرة. والتسجيل عليهم بأنهم شر البرية. والثناءُ على الذين آمنوا وعملوا الصالحات. ووعدهم بالنعيم الأبدي ورضى الله عنهم وإعطائه إياهم ما يرضيهم. وتخلل ذلك تنويه بالقرآن وفضله على غيره باشتماله على ما في الكتب الإِلهية التي جاء بها الرسول ﷺ من قبل وما فيه من فضل وزيادة)[1].

رابعًا - من أساليب الدعوة: التوكيد والجواب:

حيث أكد النبي ﷺ إخباره لأُبيّ بن كعب رضي الله عنه: "إن الله عز وجل أمرني أن أقرأ عليك"، وجاء التوكيد مناسبًا لأن المقام مقام تشريف وتكريم عظيمين وقد يتعجب منه أبي فجاء التوكيد ليناسب الموقف، ومع هذا التوكيد فإن أبيًا استفصل في السؤال ليتأكد من هذه المكرمة والمنقبة التي له وما أعظمها من منقبة ومكرمة! فأجابه النبي ﷺ على سؤاله، حتى يتأكد أُبيٌّ من هذا الشرف الذي ناله وأعطاه الله إياه.

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٣٠/٤٦٨.

الحديث رقم (٤٥٢)

٤٥٢ - وعنه، قَالَ: قَالَ أَبو بكر لِعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، بعد وفاة رسول الله ﷺ: انْطَلِقْ بِنَا إلى أُمِّ أيْمَنَ رضي الله عنها نَزورُهَا، كَمَا كَانَ رسول الله ﷺ يَزُورُها، فَلَمَّا انْتَهَيَا إلَيْهَا بَكَتْ، فقالا لها: مَا يُبْكِيكِ؟ أمَا تَعْلَمِينَ أنَّ مَا عِنْدَ الله تَعَالَى خَيرٌ لرسولِ الله ﷺ! قالت: مَا أبْكِي أَنْ لاَ أَكُونَ أَعْلَمُ أنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لرسولِ الله ﷺ، وَلكِنِّي أبكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَد انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ؛ فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى البُكَاءِ، فَجَعَلا يَبْكِيَانِ مَعَهَا. رواه مسلم[١]، وقد سبق في بابِ زِيارَةِ أهلِ الخَيْرِ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

هيَّجَتْهُما: أثارتهما[٢].

الشرح الأدبي والمضامين الدعوية[٣]

(١) برقم ٢٤٥٤/١٠٣، وتقدم برقم ٣٦٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (هـ ي ج).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٦٠).

الحديث رقم (٤٥٣)

٤٥٣ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا اشْتَدَّ برسول الله ﷺ وَجَعُهُ، قِيلَ له في الصَّلاةِ، فقال: ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ)) فقالت عائشة رضي الله عنها: إنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَرَأَ القُرآنَ غَلَبَهُ البُكَاءُ، فقال: ((مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ)) [1].

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت: إنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ. متفقٌ عَلَيْهِ [2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

رجل رقيق: أي: رقيق قلبه [3].

قول الرسول ﷺ (مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ) أمر للوجوب، والإلزام على حقيقته، وفيه تزكية لإيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ووصل فعل الأمر بواو الجماعة كأنه يريد أن يجتمعوا على تنفيذ الأمر أو إشهاداً لهم على رضاه عنه، فإذا كان قد اختاره، وائتمنه على أعظم أركان دينهم فمن الأولى أن يجمع المسلمون عليه أميناً على دنياهم، خليفة لرسول الله، وكان هذا الموقف من الأسباب المرجحة لخلافته لرسول ﷺ على المسلمين، ولكن أم المؤمنين رضي الله عنها أشفقت على أبيها من هذا الحمل فراجعت الرسول ﷺ في أمره (إنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَرَأَ القُرآنَ غَلَبَهُ البُكَاءُ) وقولها (غلبه البكاء) كناية عن ارتفاع صوته بالبكاء، وانخفاض صوته بالقرآن لرقة قلبه، فكرر الرسول ﷺ أمره (مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ) متصلاً بواو الجماعة يجعل المخاطبين معنيين بتنفيذه أكده بالأمر المباشر له بالصلاة.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٢ واللفظ له، ومسلم ٤١٨/٩٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٧٩ واللفظ له، ومسلم ٤١٨/٩٥.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٨٨.

فقه الحديث

اشتمل هذا الحديث على أحكام فقهية منها:

١ - جواز البكاء في الصلاة إذ كان من سبب ذكر الجنة والنار فهذا لا يفسدها لأنه يدل على زيادة الخشوع وهو المقصود في الصلاة وإن كان غير ذلك أفسدها لأنه فعل خارج عنها.

٢ - الخلافة للمسلمين تكون للأفضل وفيه الأخذ بالقياس حيث قاس الفقهاء تقديمه في الصلاة يكون مصوغًا لتقديمه في الخلافة(١).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: منزلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خشية ورقّة أبي بكر رضي الله عنه وغلبة البكاء عليه عند قراءة القرآن.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تقديم النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه في الصلاة دلالة على جدارته بالخلافة من بعده.

أولاً - من موضوعات الدعوة: منزلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

إن أبا بكر الصديق صلى الله عليه وسلم هو أفضل الصحابة رضي الله عنهم، صحب النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلم إلى حين توفي، رافق النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته، وله المواقف الجليلة والمشاهد العظيمة، فلا عجب أن تكون له المنزلة الرفيعة عند النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا واضح من اختياره صلى الله عليه وسلم ليؤم الناس فقال صلى الله عليه وسلم "مروا أبابكر فيصلِّ بالناس" قال النووي: (فيه فوائد منها فضيلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وترجيحه على جميع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وتفضيله، وتنبيه على أنه أحق بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غيره. ومنها

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٧١/٣، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٩/١٠، و تبيين الحقاق شرح كنز الدقائق ١٥٦/١.

أن الإمام إذا عرض له عذر عن حضور الجماعة استخلف من يصلي بهم وأنه لا يستخلف إلا أفضلهم)[(١)].

وقال ابن حجر: (وفي هذه القصة من الفوائد غير ما مضى تقديم أبي بكر، وترجيحه على جميع الصحابة)[(٢)].

وقال ابن حجر (ومناقب أبي بكر رضي الله عنه كثيرة جدا وقد أفرده جماعة بالتصنيف، وترجمته في تاريخ بن عساكر قدر مجلدة. ومن أعظم مناقبه قول الله تعالى ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[(٣)] فإن المراد بصاحبه أبو بكر بلا نزاع ... وثبت في الصحيحين من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وهما في الغار ((ما ظَنُّكَ باثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُما))[(٤)] والأحاديث في كونه كان معه في الغار كثيرة شهيرة ولم يشركه في هذه المنقبة غيره)[(٥)].

قال السيوطي: (قال النووي في تهذيبه: قال مصعب بن الزبير وغيره: وأجمعت الأمة على تسميته بالصديق؛ لأنه بادر إلى تصديق رسول الله ﷺ، ولازم الصدق، فلم تقع منه هناة ما، ولا وقفة في حال من الأحوال، وكانت له في الإسلام المواقف الرفيعة منها قصته يوم ليلة الإسراء، وثباته، وجوابه للكفار في ذلك، وهجرته مع رسول الله ﷺ، وترك عياله وأطفاله، وملازمته في الغار وسائر الطريق، ثم كلامه يوم بدر ويوم الحديبية حين اشتبه على غيره الأمر في تأخر دخول مكة. ثم بكاؤه حين قال رسول الله ﷺ: إن عبدًا خيره الله بين الدنيا والآخرة "فاختار الآخرة"[(٦)] ثم ثباته يوم

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٥٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨٣/٢.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٤) أخرجه البخاري ٣٦٥٣، ٣٩٢٢، ٤٦٦٣، ومسلم ٢٣٨١.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٥٨/٦-١٥٩.

(٦) أخرجه البخاري ٣٩٠٤، ومسلم ٢٣٨٢.

وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام وخطبته الناس وتسكينهم، ثم قيامه في قضية البيعة لمصلحة المسلمين، ثم اهتمامه وثباته في بعث جيش أسامة بن زيد إلى الشام وتصميمه في ذلك، ثم قيامه في قتال أهل الردة ومناظرته للصحابة حتى حجهم بالدلائل، وشرح الله صدروهم لما شرح له صدره من الحق - وهو قتال أهل الردة - ثم تجهيزه الجيوش إلى الشام لفتوحه وإمدادهم بالأمداد، ثم ختم ذلك بمهمّ من أحسن مناقبه وأجلّ فضائله، وهو استخلافه على المسلمين عمر رضي الله عنه وتفرسه فيه، ووصيته له، واستيداعه الله الأمة، فخلفه الله عز وجل فيهم أحسن الخلافة، وظهر لعمر الذي هو حسنة من حسناته وواحدة من فعلاته تمهيد الإسلام، وإعزاز الدين، وتصديق وعد الله تعالى بأنه يظهره على الدين كله، وكم للصديق من مناقب ومواقف وفضائل لا تحصى! هذا كلام النووي)[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: خشية ورقّة أبي بكر رضي الله عنه وغلبة البكاء عليه عند قراءة القرآن:

اشتهر أبوبكر الصديق رضي الله عنه برقة القلب، فكان يبكي عند قراءة القرآن، وهذا واضح من قول عائشة رضي الله عنها ((إِن أَبا بكرٍ رجلٌ رَقيقٌ إِذا قرأَ الْقُرآنَ غلبَهُ البكاءُ))، وفي رواية ((لاَ يَمْلِكُ دَمْعَهُ))[2] وفي حديث عائشة: "إن أبابكر إذا قام مقامك لم يُسمع الناس من البكاء".

وفي رواية أخرى: ((إنَّ أبا بكرٍ رجُلٌ أَسِيفٌ إذا قام في مقامِكَ لم يَستَطِعْ أَنْ يُصلِّيَ بالناس))[3] قال ابن حجر: (أسيف بوزن فعيل وهو بمعنى فاعل من الأسف وهو شدة الحزن، والمراد أنه رقيق القلب، ولابن حبان[4] من رواية عاصم عن شقيق عن مسروق عن عائشة في هذا الحديث: قال عاصم: والأسيف الرقيق الرحيم)[5].

---

(١) تاريخ الخلفاء ٢٦-٢٧.

(٢) صحيح مسلم ٩٤-٤١٨.

(٣) صحيح البخاري ٦٦٤، ومسلم ٩٥-٤١٨ بنحوه.

(٤) صحيح ابن حبان ٢١١٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٩/٢.

بل إن أبابكر رضي الله عنه أراد أن يُقيم عمر بن الخطاب رضي الله عنه مكانه يصلي بالناس من أجل ذلك قالت عائشة رضي الله عنها: ((فأَرسلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكرٍ رضي الله عنه بأَنْ يُصلّيَ بالناسِ فأَتاهُ الرسولُ فقال: إنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يأمُركَ أَنْ تُصلّيَ بالناسِ. فقال أبو بكرٍ - وكان رجُلاً رَقيقًا - يا عمرُ صلِّ بالناسِ، فقال له عمرُ: أَنتَ أَحقُّ بذلكَ))[1].

قال النووي: (وأما قول أبي بكر لعمر رضي الله عنهما صل بالناس فقاله للعذر المذكور، وهو أنه رجل رقيق القلب كثير الحزن والبكاء، لا يملك عينيه، وقد تأوله بعضهم على أنه قاله تواضعًا. والمختار ما ذكرناه)[2].

وقد بلغ من غلبة البكاء على أبي بكر عند قراءة القرآن أن خافه المشركون بمكة على نسائهم وأبنائهم، ففي الحديث الصحيح: ((ثم بدا لأبي بكر فابتَنى مَسجدًا بفناءِ دارهِ وكان يُصلّي فيه ويقرأ القرآن فيتقذَّفُ[3] عليه نساء المشركينَ وأبناؤُهم وهم يعجَبونَ منه وينظُرونَ إليه. وكان أبو بكرٍ رجُلاً بكّاءً لا يملِكُ عينيهِ إذا قرأ القرآنَ، فأفزَعَ ذلكَ أشرافَ قريشٍ منَ المشركين، فأرسَلوا إلى ابنِ الدغنة، فقَدِمَ عليهم، فقالوا: إنّا كنّا أجَرنا أبا بكرٍ بجوارِك على أن يعبُدَ ربهُ في داره، فقد جاوَزَ ذلك فابتَنى مسجدًا بفِناءِ دارهِ فأعلنَ بالصلاةِ والقراءةِ فيه، وإنّا قد خشينا أن يفتِنَ نساءنا وأبناءنا))[4].

وأفرد السيوطي في ترجمته فصلاً بعنوان: كلماته الدالة على شدة خوفه من ربه، ساق تحته عدة أخبار، منها: دخل أبوبكر حائطًا إذا بدبسي[5] في ظل شجرة، فتنفس الصعداء ثم قال: طوبى لك يا طير تأكل من الشجر وتستظل بالشجر وتصير إلى غير

(١) أخرجه البخاري ٦٨٧، ومسلم ٩٠-٤١٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٥٩.

(٣) قال الحافظ في الفتح ٢٧٥/٧: قال الخطابي ... وأما يتقذف فلا معنى له إلا أن يكون من القذف، أي يتدافعون فيقذف بعضهم بعضًا فيتساقطون عليه.

(٤) أخرجه البخاري ٣٩٠٥.

(٥) الدُّبْسي: ضرب من الحمام. المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢٧٠.

حساب، يا ليت أبا بكر مثلك. وأخرج أحمد في الزهد عن أبي عمران الجوني، قال: قال أبوبكر الصديق: لوددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن. وأخرج أحمد في الزهد عن مجاهد قال: كان ابن الزبير إذا قام في الصلاة كأنه عود، من الخشوع. قال: وحدثت أن أبابكر كان كذلك[١].

إن تدبر قراءة القرآن يؤثر في النفوس وقد يبعثها على البكاء مما يدل على شدة الخوف من عذاب الله أو الشوق إلى ثوابه ورؤيته سبحانه، وهذا البكاء هو خشية الله تعالى والشوق إلى لقائه.

أما الذي لا يتأثر بقراءة القرآن، فهو كالجثة الهامدة، يقول - الفرنسي المسلم الذي تأثر بالقرآن - فنساي مونتاي المنصور بالله الشافعي:"إن مثل الفكر العربي الإسلامي المبعد عن التأثير القرآني: كمثل الرجل أُفرغ من دمه"[٢].

قال فضل الرقاشي: "وأي عين لا تهمل على حسن الصوت بالقرآن إلا عين غافل، أو لاهي"[٣].

أخرج ابن عساكر من طريق جعفر بن ميمون عن أبي العالية قال:"سيأتي على الناس زمان تخرب صدورهم من القرآن، وتبلى كما تبلى ثيابهم وتتهافت، فلا يجدون له حلاوة، ولا لذاذة"[٤].

وقد روى نحوه الخطيب البغدادي من رواية الصحابي حذيفة[٥].

قال النووي: (وعن أبي صالح قال: قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فجعلوا يقرؤن القرآن ويبكون، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "هكذا كنا".

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص ٩٧، وانظر: الزهد، أحمد بن حنبل ٢٤١هـ ص ١١٢ وما بعدها.

(٢) رجال ونساء أسلموا، عرفات كامل العشي ٥١/٥.

(٣) انظر: الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ٩٤، والحلية لأبي نعيم ٢٠٧/٦.

(٤) انظر: تاريخ دمشق ١٨١/١٨.

(٥) انظر: تاريخ بغداد ٤٠٠/١.

وقال أيضًا: قال الإمام أبو حامد الغزالي: البكاء مستحب مع القراءة وعندها.

قال: وطريقه في تحصيله: أن يحضر قلبه الحزن، بأن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد، والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في ذلك، فإن لم يحضره حزن... فليبكِ على فقد ذلك، فإنه من أعظم المصائب)(١).

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: تقديم النبي ﷺ لأبي بكر في الصلاة دلالة على جدارته بالخلافة من بعده:

لقد استدلّ العلماء بقول النبي ﷺ "مروا أبا بكْرٍ فليصلِّ بالناس، على أنه أحق الصحابة بالخلافة من بعده. قال النووي: (فيه تنبيه على أنه أحق بخلافة رسول الله ﷺ من غيره)(٢).

وقال السيوطي: (هذا الحديث متواتر ورد أيضًا من حديث عائشة وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعبدالله بن زمعة وأبي سعيد وعلي بن أبي طالب وحفصة رضي الله عنهم، وقد سقت طرقهم في الأحاديث المتواترة... قال العلماء: في هذا الحديث أوضح دلالة على أن الصديق أفضل الصحابة على الإطلاق وأحقهم بالخلافة وأولاهم بالإمامة... وقد استدل الصحابة أنفسهم بهذا على أنه أحق بالخلافة منهم عمر ومنهم علي. وأخرج ابن عساكر عنه قال: لقد أمر النبي عليه الصلاة والسلام أبا بكر أن يصلي بالناس وإني شاهد، وما أنا بغائب وما بي مرض، فرضينا لدنيانا ما رضي به النبي ﷺ لديننا. قال العلماء: وقد كان معروفًا بأهلية الإمامة في زمان النبي ﷺ)(٣).

وهذا ما فهمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقره عليه الصحابة رضوان الله عليهم، قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. قال: فأتاهم عمر رضي الله عنه فقال: يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر يؤم الناس فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر. فقالت الأنصار: نعوذ بالله

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ٦٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٥٩.

(٣) تاريخ الخلفاء ٥٨-٥٩.

أن نتقدم أبابكر(١).

وقال علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما: إنا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف شرفه وخيره. ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حيٌّ(٢).

وقال ابن حجر معلقًا على قول أبي بكر لعمر رضي الله عنهما: "يا عمر صلِّ بالناس" قال: (ويحتمل أن يكون رضي الله عنه فهم من الإمامة الصغرى الإمامة الكبرى وعلم ما في تحملها من الخطر، وعلم قوة عمر ذلك فاختاره، ويؤيده أنه عند البيعة(٣) أشار عليهم أن يبايعوه أو يبايعوا أبا عبيدة بن الجراح)(٤).

وقال أبو الحسن الأشعري: (وقد دل الله تعالى على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في سورة "براءة" فقال للقاعدين عن نصرة نبيه ﷺ والمتخلفين عن الخروج معه: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا ۖ﴾(٥) وقال تعالى في سورة أخرى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ يعني قوله: ﴿لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا﴾ ثم قال: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٦) وقال: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ

---

(١) أخرجه أحمد ١٣٣/١ والنسائي ٧٧٧ وحسنه الألباني (صحيح سنن النسائي ٧٤٩). وانظر: البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨٦/٨.

(٢) أخرجه موسى بن عقبة في مغازيه كما في البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٩٢/٨-٩٣ ومن طريقه الحاكم في المستدرك ٦٦/٣ والبيهقي في السنن الكبرى ١٥٢/٨، ١٥٣. وقال ابن كثير: هذا إسناد جيد.

(٣) الحديث في صحيح البخاري ٦٨٣٠.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨٠/٢.

(٥) سورة التوبة، آية: ٨٣.

(٦) سورة الفتح، آية: ١٥.

إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾ يعني تعرضوا عن إجابة الداعي لكم إلى قتالهم: ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1] والداعي لهم إلى غير ذلك النبي ﷺ الذي قال الله عز وجل له: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا﴾ وقال الله في سورة الفتح: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ فمنعم عن الخروج مع نبيه ﷺ وجعل خروجهم معه تبديلاً لكلامه، فوجب ذلك أن الداعي الذي يدعوهم إلى القتال داع يدعوهم بعد نبيه ﷺ، وقد قال الناس: هم أهل فارس وقالوا: أهل اليمامة. فإن كانوا أهل اليمامة فقد قاتلهم أبوبكر الصديق رضي الله عنه عنه ودعا إلى قتالهم، وإن كانوا الروم، فقد قاتلهم الصديق أيضًا وإن كانوا أهل فارس فقد قوتلوا في أيام أبي بكر رضي الله عنه، وقاتلهم عمر رضي الله عنه من بعده، وفرغ منهم، وإذا وجبت إمامة عمر رضي الله عنه، وجبت إمامة أبي بكر رضي الله عنه، كما وجبت إمامة عمر رضي الله عنه، لأنه العاقد له الإمامة، فقد دل القرآن على إمامة الصديق والفاروق رضوان الله عليهما وإذا وجبت إمامة أبي بكر بعد رسول الله ﷺ وجب أنه أفضل المسلمين رضي الله عنه)[2].

---

(١) سورة الفتح، آية: ١٦.

(٢) الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ٣٢٤هـ، تحقيق: بشير محمد عيون ص ١٦٩.

الحديث رقم (٤٥٤)

٤٥٤ - وعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف: أنَّ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أُتِيَ بطعام وكان صائمًا، فقال: قُتِلَ مُصْعَبُ بن عُمَيْر رضي الله عنه، وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، (فَلَمْ يوجَدْ له مَا يُكَفَّنُ فيهِ إلاَّ بُرْدَةٌ) [١] إنْ غُطِّيَ بِهَا رَأسُهُ بَدَتْ رِجْلاهُ؛ وَإنْ غُطِّيَ بهَا رِجْلاهُ بَدَا رَأسُهُ، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ - أَو قَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا - قَدْ خَشِينا أنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبكِي حَتَّى تَرَكَ الطعَامَ. رواه البخاري[٢].

ترجمة الراوي:

إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف: هو إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف الزهري المدني، أبوه عبدالرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت من المهاجرات الأول المبايعات. روى عن جماعة من الصحابة منهم: أبواه وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب.

ذكر الواقدي وغيره أنه ولد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم في أواخر أيامه. لذا ترجمه بعضهم في الصحابة كأبي نعيم الأصبهاني، لكن آخرين ذكروه في الطبقة الأولى من التابعين الثقات، توفي سنة ٧٥هـ وقيل ٧٦هـ[٣].

عبدالرحمن بن عوف: هو ابن عوف بن عبدالحارث القرشي.

أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى الذين جعل "عمر" الخلافة فيهم، وأحد السابقين البدريين الذين قيل فيهم ((اعملوا ما شئتم فقد غفرت

(١) هذه الزيادة ليست في هذه الرواية، وإنما عنده برقم ١٢٧٤.

(٢) أخرجه البخاري ٤٠٤٥.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٥/٥٥، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٦٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١/١٨، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١/١٢١ والتهذيب ١/٧٤ وتقريب التهذيب ١/٣٨.

لكم))[١]، ومن أهل قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[٢] وكان ممن هاجر الهجرتين، وشهد كل المشاهد مع رسول الله ﷺ ((وكان ممن صلى النبي ﷺ خلفه))[٣]، فحظي بهذا الفضل العظيم.

وقد ولد بعد عام الفيل بعشر سنين وكان أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام وكان اسمه في الجاهلية "عبدالكعبة" وقيل "عبد عمرو" فلما أسلم سماه النبي ﷺ عبدالرحمن[٤].

وقد آخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه، فعرض عليه سعد أن يُشاطره نعمته وأن يطلق له أحسن زوجتيه، فأبى وقال له: بارك الله لك في أهلك ومالك، ولكن دُلني على السوق، فذهب، فباع واشترى وربح، ثم لم ينشب أن صار معه دراهم، فتزوج امرأة على زنة نواة من ذهب، فقال له النبي ﷺ ((أولم، ولو بشاةٍ، بارك الله لك في مالك))[٥] فقال عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: فأقبلت الدنيا عليّ حتى رأيتني لو رفعت حجرًا لتوقعت أن أجد تحتَهُ ذهبًا أو فضة.

وكان عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه من الأجواد الذين قلّما يُنجب الزمان مثلهم. فقد تصدق على عهد النبي ﷺ بشطر ماله "أربعة آلاف، وحمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله، وقد أعتق في يوم واحدٍ ثلاثين عبدًا، وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعمائة ألف، فلما بلغ ذلك عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا يحنو عليكن بعدي إلا الصابرون))[٦] ثم قالت سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة.

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري، رقم ٣٠٠٧.

(٢) سورة الفتح، آية: ١٨.

(٣) أخرجه أحمد ٢٤٧/٤ رقم ١٨١٥٧ وقال محققو المسند: حديث صحيح ٩١/٣٠.

(٤) المستدرك ٣٠٥/٣ رقم ٥٣٨٧ وصححه الحاكم.

(٥) أخرجه البخاري ٢٧٨١ و٢٢٩٢ و٣٩٣٧.

(٦) أخرجه أحمد ١٠٤/٦ رقم ٢٤٧٢٤ وقال محققو المسند: إسناده حسن ٢٤٧/٢٤.

وبلغ جهاده في سبيل الله بالمال مبلغًا عظيمًا، وكان على الرغم من ذلك رجلاً صوّامًا قد أفزعه الخوف من الله، فقد قرب إليه طعامًا ذات يوم وكان صائمًا، فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، فكُفّن في بردتِهِ؛ إن غُطي رأسُهُ بدت رجلاه، وإن غطت رجلاه بدا رأسُهُ، ثم قال: وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بُسط لنا في الدنيا ما بُسط –قد خشينا أن تكون حسناتنا عُجّلتْ لنا، ثم جعل يبكي، حتى ترك الطعام.

وكان ممن يُفتى في عهد النبي ﷺ، وفي خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم مما سمع من النبي ﷺ، وكان قد قدم مع عمر رضي الله عنه الجابية (من بلاد الشام) وشهد في كتاب صلح أهل بيت المقدس.

وكان من أفضل أعماله، أنه قد عزل نفسه من أمر الخلافة وقت الشورى وقام باختيار من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان رضي الله عنه، ولو كان محابيًا في ذلك لأخذها لنفسه، أو لولاها لابن عمه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وقد بلغت أحاديثه عن النبي ﷺ (٦٥ حديثًا).

وقد توفي بالمدينة وبعد وفاته قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه "اذهب يا ابن عوف فقد أدركت صفوها وسبقت رنقها –وهو الكدر –

وكانت وفاته سنة (٣٢هـ) ودفن بالبقيع[١].

غريب الألفاظ:

البُردةٌ، كساء مخطط يُلتحف به أو كساء مربع أسود صغير[٢].

---

(١) طبقات ابن سعد ١٢٤/٣-١٢٦، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٤٢٢-٤٤٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٧٢٠-٧٢١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٤٧٥/٣، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٦٨/١-٩٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٥١/٤، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٤٠/٢، والأعلام، خير الدين الزركلي ٣٢١/٣، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٣٦٦/١-٣٧٤.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٨٦.

الحديث يتناول صورة حوارية تصور جانباً من زهد الصحابة رضي الله عنهم مع أن ما كانوا فيه من متاع الدنيا لا يمثل شيئاً بالنسبة لما نحن فيه، وقد حمدوا الله، وسخطنا، وموقف عبد الرحمن بن عوف يدل على ذلك، وقوله عن مصعب رضي الله عنه (وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي)، فيه دلالة على تواضعه، ومحبته لصاحبه، وقوله (، فَلَمْ يوجَدْ له مَا يُكَفَّنُ فيهِ إلاَّ بُرْدَةٌ) أسلوب قصر وجدان شيء للكفن على البردة، وتقديم الجار والمجرور (له) اختصاص أي لكفنه، وليس للبس، ولا للزينة، وحتى البردة التي لا يوجد غيرها لم تكف كما وصفها بجملة الشرط (إنْ غُطِّيَ بِهَا رَأسُهُ بَدَتْ رِجْلاهُ؛ وَإنْ غُطِّيَ بِهَا رِجْلاهُ بَدَا رَأسُهُ) وقوله (، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ) كناية عن سعة الرزق وكثرة الأموال، والتعبير بالبسط يشير إلى السعة، والانشراح، وقوله (قَدْ خَشِينا أنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا) أكد الفعل بقد، والخشية رهبة ممتزجة بإجلال، وتعجيل الحسنات كناية عن التوسعة في ألوان النعيم الدنيوي وقوله: (ثُمَّ جَعَلَ يَبكِي) يوحي بشدة تأثره، وخوفه الذي يعكس حرصه على الآخرة حتى رفض الدنيا، وقد عبَّر الراوي عن ذلك بقوله: (حتى ترك الطعام) ولا ننسى أنه كان صائماً رضي الله عنهم، وأرضاهم.

فقه الحديث

اشتمل هذا الحديث على حكم فقهي يتعلق بأحكام الكفن والتكفين.

اتفق الفقهاء على أن تكفين الميت بما يستره فرض على الكفايةَ وقد ذهب الفقهاء إلى أن الميت يكفن بعد طهره بشيء من جنس ما يجوز له لبسه في حالة الحياة فيكفن في الجائز من اللباس، ويعتبر في الأكفان حال الميت فإن كان مكثرًا فمن جياد الثياب، وإن كان متوسطًا فأوسطها وإن كان مقلاً فخشنها.

ويجوز جميع أنواع القماش القديم منها والجديد والأفضل أن تكون في الثياب البيض.

- ويشترط في الكفن أن يكون ساتر للبشرة طاهرًا.

- أنواع الكفن ثلاثة: كفن السنة وهو أكمل الأكفان وهو للرجل ثلاثة أثواب وهو كفن المصطفى صلى الله عليه وسلم.

- كفن الكفاية: وهو أدنى ما يلبس حال الحياة وهو ثوبان للرجل وهذا هو كفن أبي بكر رضي الله عنه كان له ثوبان يصلي فيهما فأوصى بأن يكفن فيهما.

- كفن الضرورة: وهو ما يستر العورة فقط وهو ثوب واحد يستر ما بين السرة والركبة[(١)].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تواضع عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عَدَم الركون إلى الدنيا والرغبة فيها.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الغني الشاكر.

أولاً: من موضوعات الدعوة: تواضع عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه:

عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة، وكان من أهل الشورى الذين حددهم عمر عند وفاته ليكون أحدهم خليفةً بعده وكان رضي الله عنه متحليًا بكريم الخصال ومحاسن الأخلاق كالتواضع، والخشية والشفقة. أما تواضعه رضي الله عنه فقوله: "قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو خير مني"، قال ابن حجر: (لعله قال ذلك تواضعًا)[(٢)].

وأما مناقبه رضي الله عنه فكثيرة: قال الذهبي: (ومن مناقبه أن النبي صلى الله عليه وسلم شهد له بالجنة، وأنه من أهل بدر الذي قيل لهم: ((اعملوا ما شئتم))[(٣)] ومن أهل هذه الآية: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[(٤)] وقد صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه[(٥)]... ومن أفضل أعمال عبدالرحمن رحمه الله عزله نفسه من الأمر وقت

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٣٠٧/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٧/٢، والأم، الشافعي، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد ٣٠٤/١، والفروع، ابن مفلح ٢٢٨/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٠/٧.

(٣) أخرجه البخاري ٣٠٠٧، ومسلم ٢٤٩٤.

(٤) سورة الفتح، آية: ١٨.

(٥) أخرجه مسلم ٨١-٢٧٤.

الشورى واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتمَّ نهوض على جمع الأمة على عثمان، ولو كان محابيًا فيها لأخذها لنفسه أو لولّاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص)[١].

وأما خشيته وشفقته ألا يلحق بمن تقدمه من الصحابة في الدرجات والفضل، فذكرُه مصعب بن عمير رضي الله عنه وفقره حال استشهاده في أحد ثم قوله "ثم بسط لنا في الدنيا ما بسط - أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا - قد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام".

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: وفيه أنه ينبغي ذكر سير الصالحين وتقللهم في الدنيا لتقل رغبته فيها. قال: وكان بكاء عبدالرحمن شفقًا ألا يلحق بمن تقدمه)[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: عدم الركون إلى الدنيا والرغبة فيها:

قال ابن حجر: (وفي الحديث فضل الزهد، وأن الفاضل في الدين ينبغي له أن يمتنع من التوسع في الدنيا لئلا تنقص حسناته، وإلى ذلك أشار عبد الرحمن بقوله "خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت")[٣].

قال ابن علان: (وقوله: "قد خشينا أن تكون حسناتنا" أي أعمالنا الصالحة الحسنة "عجلت لنا" أي: عجل لنا جزاؤها فلا نقدم على ثواب مدخر... وهذا منه من مزيد خوفه من الله تعالى وشدة خشيته له، خشي أن يكون ما هو فيه من اليسار من جزاء طاعته التي فعلها، مع أن ذلك اليسار من أسباب عمله الصالح ومتجره الأخروي الرابح، كما علم من إنفاقه في سبيل الله تعالى، وتصدقه على عباد الله. ومع ذلك لعدم نظره لعمله واعتداده خشي أن يكون ما يدخره سواه من أسباب إبعاده عن مولاه "ثم جعل يبكي" خوفًا من ذلك وأن يكون صفر اليدين من صالح الأعمال في المآل)[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٧٨/١، ٨٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٠/٧.

(٣) المرجع السابق ٤١٠/٧.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٩٠.

وقال ابن هبيرة: (في هذاالحديث أن المؤمن يستحب له إذا بسط له من الدنيا أن يذكر شدة عيش الأفاضل من المؤمنين قبله)[١].

وفي هذا السياق يُستشهد بقول خباب بن الأرت: ((هاجَرنا معَ النبيِّ ﷺ نريدُ وَجهَ اللَّه، فوقعَ أجرُنا على اللَّه تعالى، فمنّا من مضى لم يأكل من أجرِه شيئًا، منهم مُصعَب بن عُميرٍ قُتِلَ يومَ أُحدٍ وتركَ نَمِرَةً[٢]، فإذا غطينا رأسَه بَدَتْ رِجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فأمرَنا النبيُّ ﷺ أن نُغَطِّيَ رأسَه ونجعلَ على رِجلَيه منَ الإِذخرِ[٣]. ومنّا مَن أَينَعَتْ له ثمرَتهُ فهو يَهدِبُها[٤]))[٥].

قال ابن حجر: (قوله "لم يأكل من أجره شيئا" أي من عرض الدنيا، وهذا مشكل على ما تقدم من تفسير ابتغاء وجه الله، ويجمع بأن إطلاق الأجر على المال في الدنيا بطريق المجاز بالنسبة لثواب الآخرة؛ وذلك أن القصد الأول هو ما تقدم لكن منهم من مات قبل الفتوح كمصعب بن عمير ومنهم من عاش إلى أن فتح عليهم، ثم انقسموا فمنهم من أعرض عنه وواسى به المحاويج أولا فأولا بحيث بقي على تلك الحالة الأولى وهم قليل منهم أبو ذر، وهؤلاء ملتحقون بالقسم الأول، ومنهم من تبسط في بعض المباح فيما يتعلق بكثرة النساء والسراري أو الخدم والملابس ونحو ذلك ولم يستكثر وهم كثير ومنهم ابن عمر، ومنهم من زاد فاستكثر بالتجارة وغيرها مع القيام بالحقوق الواجبة والمندوبة وهم كثير أيضا منهم عبد الرحمن بن عوف، وإلى هذين القسمين أشار خباب، فالقسم الأول وما التحق به توفر له أجره في الآخرة، والقسم الثاني مقتضى الخبر أنه يحسب عليهم ما وصل إليهم من مال الدنيا من ثوابهم في الآخرة، ويؤيده ما أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رفعه ((مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٠١/١.

(٢) النَّمِرة: كساء فيه خطوط بيض وسود، المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٩٥٤.

(٣) نبت طيب الرائحة، معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣١.

(٤) أي يجنيها، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٠٠٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٤٤٨، ومسلم ٩٤٠.

اللَّهِ فَيُصِيبُونَ الْغَنِيمَةَ، إِلاَّ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الآخِرَةِ. وَيبقى لَهُمُ الثُّلُثُ. وَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ))[١] الحديث، ومن ثم آثر كثير من السلف قلة المال وقنعوا به إما ليتوفر لهم ثوابهم في الآخرة وإما ليكون أقل لحسابهم عليه)[٢].

وقال ابن القيم: (لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

النظر الأول: النظر في الدنيا، وسرعة زوالها، وفنائها، واضمحلالها، ونقصها، وخِسّتها، وألم المزاحمة عليها والحرص عليها. وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد، وآخرُ ذلك الزوال والانقطاع، مع ما يعقب من الحسرة والأسف. فطالبُها لا ينفكُ من هَمٍّ قبل حصولها، وهمٍ في حال الظفر بها، وغَمٍّ وحزن بعد فواتها... فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني: النظر في الآخرة، وإقبالها، ومجيئها ولا بُدّ، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرَّات، والتفاوت الذي بينه وبين ما ههنا. فهي كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[٣]. فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة)[٤].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الغني الشاكر:

قال ابن عبدالبر عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: (كان تاجرًا مجدودًا[٥] في التجارة وكسب مالاً كثيرًا وخلّف ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ومائة فرس ترعى بالبقيع، وكان

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٠٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٨٣.

(٣) سورة الأعلى، آية: ١٧.

(٤) الفوائد ١٤٠.

(٥) مجدود: عظيم الحظ. المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج د د).

يزرع بالجُرف[١] على عشرين ناضحًا[٢]، فكان يدخل منه قوت أهله سنة)[٣]. قال الذهبي معلقًا على هذا: (هذا هو الغني الشاكر، وأويس فقير صابر وأبوذر أو أبو عبيدة زاهد عفيف)[٤].

وقال ابن تيمية: (قد كثر تنازع الناس: أيهما أفضل الفقير الصابر، أو الغني الشاكر؟" وأكثر كلامهم فيها مشوب بنوع من الهوى، أو بنوع من قلة المعرفة، والنزاع فيها بين العلماء، والعامة والرؤساء وغيرهم. وقد ذكر القاضي أبو الحسين بن القاضي أبي يعلى في كتاب "التمام لكتاب الروايتين والوجهين" لأبيه فيها عن أحمد روايتين:

إحداهما: أن الفقير الصابر أفضل. وذكر أنه اختار هذه الرواية أبو إسحاق بن شاقلا، ووالده القاضي أبو يعلى، ونصرها هو.

والثانية: أن الغني الشاكر أفضل، اختاره جماعة منهم ابن قتيبة.

و"القول الأوّل يميل إليه كثير من أهل المعرفة والفقه والصلاح، والفقراء، ويحكى هذا القول عن الجنيد وغيره.

و"القول الثاني" يرجحه طائفة منهم، كأبي العباس بن عطاء وغيره وربما حكى بعض الناس في ذلك إجماعًا، وهو غلط.

وفي المسألة "قول ثالث" وهو الصواب أنه ليس هذا أفضل من هذا مطلقًا، ولا هذا أفضل من هذا مطلقًا بل أفضلهما أتقاهما. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[٥]، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الغنى والفقر مطيتان، لا أبالي أيتهما

---

(١) الجرف: موضع قريب من المدينة، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ر ف).

(٢) الناضح: الدابة يستغنى عليها، المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ض ح).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٤٤٤، والمجدد: العظيم الحظ. المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ص ١١٠: اسم موضع قريب من المدينة، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ١٤٩. والناضح الدابة يستقى عليها، المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٩٢٨.

(٤) السير ٩٢/١.

(٥) سورة الحجرات، آية: ١٣.

ركبت، وقد قال تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾[(١)] وهذا القول اختيار طائفة منهم الشيخ ابن حفص السهروردي، وقد يكون هذا أفضل لقوم، وفي بعض الأحوال. وهذا أفضل لقوم وفي بعض الأحوال، فإن استويا في سبب الكرامة استويا في الدرجة، وإن فضل أحدهما الآخر في سببها ترجح عليه، هذا هو الحكم العام.

والفقر والغنى حالان يعرضان للعبد باختياره تارة وبغير اختياره أخرى كالمقام والسفر، والصحة والمرض، والإمارة والائتمار، والإمام والائتمام. وكل جنس من هذه الأجناس لا يجوز إطلاق القول بتفضيله على الآخر، بل قد يكون هذا أفضل في حال، وهذا في حال، وقد يستويان في حال.

وكما أن الأقوال في المسألة "ثلاثة" فالناس "ثلاثة أصناف": غني، وهو من ملك ما يفضل عن حاجته. وفقير، وهو من لا يقدر على تمام كفايته، وقسم ثالث: وهو من يملك وفق كفايته، ولهذا كان في أكابر الأنبياء والمرسلين والسابقين الأولين من كان غنيًا: كإبراهيم الخليل وأيوب، وداود وسليمان، وعثمان بن عفان، وعبدالرحمن ابن عوف، وطلحة والزبير، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير، وأسعد بن زرارة وأبي أيوب الأنصاري، وعبادة بن الصامت، ونحوهم. ممن هو من أفضل الخلق من النبيين والصديقين.

وفيهم من كان فقيرًا: كالمسيح عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا وعلي بن أبي طالب، وأبي ذر الغفاري، ومصعب بن عمير، وسلمان الفارسي ونحوهم. ممن هو من أفضل الخلق، من النبيين والصديقين، وقد كان فيهم من اجتمع له الأمران: الغني تارة والفقر أخرى؛ وأتي بإحسان الأغنياء وبصبر الفقراء: كنبينا ﷺ، وأبي بكر وعمر.

والنصوص الواردة في الكتاب والسنة حاكمة بالقسط؛ فإن الله في القرآن لم يفضل أحدًا بفقر، ولا غنى، كما لم يفضل أحدًا بصحة ولا مرض، ولا إقامة ولا سفر، ولا إمارة ولا ائتمار، ولا إمامة ولا ائتمام، بل قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[(٢)].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٣٥.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٣.

وفضلهم بالأعمال الصالحة: من الإيمان ودعائمه، وشعبه كاليقين والمعرفة، ومحبة الله والإنابة إليه، والتوكل عليه ورجائه، وخشيته وشكره والصبر له. وقال في آية العدل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾(١).

ولذلك كان النبي ﷺ وخلفاؤه يعدلون بين المسلمين. غنيهم وفقيرهم في أمورهم. ولما طلب بعض الأغنياء من النبي ﷺ إبعاد الفقراء نهاه الله عن ذلك. وأثنى عليهم بأنه يريدون وجهه، فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾(٢)، وقال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾(٣). ولما طلب بعض الفقراء من النبي ﷺ ما لا يصلح له نهاه عن ذلك، وقال: ((يَا أَبَا ذَرَ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا. وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي. لاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ. وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ))(٤).

وكانوا يستوون في مقاعدهم عنده، وفي الاصطفاف خلفه، وغير ذلك. ومن اختص منهم بفضل عرف النبي ﷺ له ذلك الفضل، كما قنت للقراء السبعين، وكان يجلس مع أهل الصفة، وكان أيضًا لعثمان وطلحة والزبير وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير وعباد بن بشر ونحوهم من سادات المهاجرين والأنصار الأغنياء، منزلة ليست لغيرهم من الفقراء، وهذه سيرة المعتدلين من الأئمة في الأغنياء والفقراء. وهذا هو العدل والقسط الذي جاء به الكتاب والسنة، وهي طريقة عمر بن عبدالعزيز، والليث بن سعد، وابن المبارك ومالك وأحمد بن حنبل، وغيرهم، في معاملتهم للأقوياء والضعفاء والأغنياء والفقراء)(٥).

---

(١) سورة النساء، آية: ١٣٥.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٥٢.

(٣) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٢٦.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٦/٧٣-٧٥.

الحديث رقم (٤٥٥)

٤٥٥ - وعن أَبي أُمَامَة صُدَيِّ بن عجلان الباهلي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((لَيْسَ شَيْءٌ أحَبَّ إلى اللهِ تَعَالَى مِنْ قطْرَتَيْنِ وَأثرَيْنِ: قَطرَةُ دُمُوع مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَقَطرَةُ دَمٍ تُهَرَاقُ في سَبيلِ اللهِ. وَأمَّا الأثَرَانِ: فَأثَرٌ في سَبيلِ اللهِ تَعَالَى، وَأثَرٌ في فَريضةٍ مِنْ فَرائِضِ اللهِ تَعَالَى)) رواه الترمذيُّ، وقال: (حديثٌ حسنٌ).

وفي الباب أحاديث كثيرة منها:

حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، قَالَ: وعظنا رسول الله ﷺ مَوعظةً وَجلَتْ منها القُلُوبُ، وذرِفت منها الْعُيُونُ[1]. وقد سبق في باب النهي عن البدع.

ترجمة الراوي:

ابو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٤).

غريب الألفاظ:

تُهراقُ: الهاء في هراق بدل من همزة أراق، وأراقه: صبَّه[2].

الأثر: ما بقي من رسم الشيء دلالة عليه.

والأثران: أثر في سبيل الله: كخطوة، أو غبار أو جراحة في الجهاد أو سواد حِبْرٍ في طلب العلم، وأثر في فريضة: كإشقاق اليد والرجل من أثر الوضوء، وخلوف فم الصائم، واغبرار القدم في الحَجِّ[3].

الحديث قائم على أسلوب التشويق بعدة أساليب منها: النفي، وأفعل التفضيل،

---

(١) تقدم برقم ١٥٧.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي، الفيروز آبادي، والمعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (هـ ر ق).

(٣) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٤٠، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٠، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ ث ر).

والتوشيع، أما النفي فقوله: (ليس شيء أحب) وأسلوب النفي يحقق التشويق من حيث إن المخاطب إذا سمع النفي انشغل بالمنفي فترقبه مما يمهد نفسه لاستقبال المعنى، وأفعل التفضيل تأتي لترجيح أحد الشيئين المتفقين في صفة فإذا سمعها المخاطب رغب في معرفة المفضل، وتنكير كلمة (شيء) في سياق النفي يفيد العموم، وقوله (مِنْ قطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ) مثنيان مفسران بما بعدهما ن وهو لون من ألوان الإطناب يؤكد المعنى؛ لأنه يُذكر مرتين الأولى مجمل، والثانية مفصل، وهذا الإجمال ثم التفصيل يحقق التشويق، وهو ما يسمى بالتوشيع، وقد فصَّل المثنى الأول بقوله (قَطَرَةُ دُمُوع مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطَرَةُ دَمٍ تُهَرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ونلاحظ أن سر التفضيل، وسبب المزية من القيد المتصل بكل منهما (من خشية الله)، و(في سبيل الله)، وفصَّل المثنى الثاني بقوله (وَأَمَّا الأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ الله تَعَالَى) وسبب الفضل فيهما تعلقهما بالله تعالى، وهذا يدل على أن العمل يشرف بشرف المقصد، يدل على ذلك كثرة تكرار لفظ الجلالة، لأن مدار أفضلية الأعمال المذكورة على تعلقها به، والحديث لون من ألوان غرس الإخلاص في النفوس، وتعويد المسلم العمل لله حتى يتقلب في كل حركة له، وسكْنة بين العادة، والعبادة لله - تعالى - .

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل البكاء من خشية الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل آثار الأعمال الصالحة.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

خامسًا: من أساليب الدعوة: النفي والتفصيل بعد الإجمال.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل البكاء من خشية الله:

إن البكاء من خشية الله يدل على صدق إيمان العبد وعلى معرفته بقدر الله عز وجل وإجلاله له وعلى إنابته وتضرعه إليه لذا يجب أن يتصف عبده بهذا الأمر، وهذا واضح من قول النبي ﷺ: "ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين: قطرة

دموع من خشية الله" قال المباركفوري: (أي قطرة بكاء حاصلة من خشية أي من شدة خوفه وعظمته المورثة لمحبته)[١].

وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾[٢].

قال القرطبي: (قوله تعالى "ويخرون للأذقان يبكون" هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم، وحق لكل من توسم بالعلم وحصّل منه شيئًا أن يجري إلى هذه المرتبة فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل)[٣].

وقال القاسمي: (دل نعت هؤلاء ومدحهم بخرورهم باكين على استحباب البكاء والتخشع، فإن لكل ما حمد فيه من النعوت والصفات التي وصف الله تعالى بها من أحبَّه من عباده يلزم الاتصاف بها، كما أن ما ذمّ منها من مَقْته منهم، يجب اجتنابه)[٤].

وقد بكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بعد سفري وقلة زادي، إني أمسيتُ في صعود على جنةٍ أو نارٍ، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي[٥]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((سَبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: رَجُلٌ ذكرَ اللهَ [خاليًا] ففاضَتْ عَيناه))[٦].

قال العز بن عبدالسلام: (أسباب البكاء: خوف أو حزن أو محبّة أو مهابة أو فرح أو

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٨١.

(٢) سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧-١٠٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨٩/١٣.

(٤) محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٣١٠/١٠.

(٥) شرح السنة للبغوي ٣٧٣/١٤، وانظر نضرة النعيم ٨٣٣/٣-٨٤٢.

(٦) أخرجه البخاري ٦٦٠، ٦٤٧٩، ومسلم ١٠٣١.

شوق أو غير ذلك على قدر حال الباكي. وبكاء الخلوة إما لحبّ الله أو لخوفه أو إجلاله فمن السبعة الذين يظلّهم الله في ظلّه: رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه)[١].

ولذلك كان جزاؤهم أن لهم الرفيق الأعلى. قال ﷺ: ((قال الله تعالى: البكاؤون من خشيتي فأولئك لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه))[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

الجهاد في سبيل الله لا يقدم عليه إلا المؤمنون الصادقون، فقد قدموا أرواحهم وأموالهم لله عز وجل، لذا فإن قطرة الدم التي تراق في سبيل الله تكون لها مكانة كبيرة عنده سبحانه وتعالى، فقد أخبر النبي ﷺ أن "قطرة دم تهراق في سبيل الله" من أحب الأشياء إلى الله عز وجل، قال الطيبي: (وإنما أفرد الدم وأجمع الدمع تنبيهًا على تفضيل إهراق الدم في سبيل الله على تقاطر الدموع بكاءً)[٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٤].

وقال رسول الله ﷺ: ((تَضَمَّنَ اللّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي. فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ. أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَىٰ مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ. نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ

---

(١) شجرة المعارف والأحوال ٣١٢، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٢/٢-١٧٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٨/٨-١٦٩.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢٦٥٠ ١٢٠/١٢ والبيهقي في شعب الإيمان ١٠٥٢٧، ٣٤٥/٧ وسنده ضعيف، كنز العمال ١٢٦٦/٣.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٩٨/٧.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١١.

كَلْمٍ[١] يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، مَا قَعَدْتُ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا. وَلَكِنْ لاَ أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ. وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً. وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ))[٢].

قال النووي: (وفيه دليل على أن الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره، والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى)[٣].

قال العز بن عبدالسلام: (الجهاد فيه مخاطرة بالنفوس والأموال، وهو واجب لرجحان مصالحه على المخاطرة، فإن الخطر في تركه أعظم من الخطر في فعله، فإنه لو ترك لاستباح الأعداء النفوس والأبضاع والحُرَم والأموال والأطفال، ولماتت مصالحه من إرهاب العدو وإعزاز الدين وأمن المسلمين... ولاشتماله على هذه المصالح جعل تلو الإيمان)[٤]. وقال ابن القيم: (وأما الجهاد فناهيك به من عبادة هي سنام العبادات وذروتها وهو المحك والدليل والمفرق بين المحب والمدعي، فالمحب قد بذل مهجته وماله لربه وإلهه متقربًا إليه ببذل أعز ما بحضرته يود لو أن له بكل شعرة نفسًا يبذلها في حبه ومرضاته ويود أن لو قتل فيه ثم أحيى ثم قتل ثم أحيى ثم قتل فهو يفدي بنفسه حبيبه وعبده ورسوله ولسان حاله يقول:

يفديك بالنفس صبٌّ لو يكون له … أعز من نفسه شيء فداك به

فهو قد سلم نفسه وماله لمشتريها وعلم أنه لا سبيل إلى أخذ السلعة إلا ببذل

(١) الكلم بفتح الكاف وإسكان اللام: الجرح، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨١٢، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٠٧.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦، ومسلم ١٨٦٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٠٧.

(٤) شجرة المعارف والأحوال ٣٥٤.

ثمنها)[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل آثار الأعمال الصالحة:

يترتب على بعض العبادات آثار حسية تظهر للعيان، وبعض هذه الآثار أحب إلى الله سبحانه وتعالى. وذلك واضح في قوله ﷺ: ((ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين... وأما الأثران فأثر في سبيل الله تعالى، وأثر في فريضة من فرائض الله تعالى)).

قال الطيبي: (قوله "وأثر في فريضة" قال القاضي ناصر الدين البيضاوي: الأثر بفتحتين: ما بقي من الشيء دالاً عليه. والمراد بالأثر من آثار خطى الماشي في سبيل الله والساعي في فريضة من فرائضه أو ما يبقى على المجاهدين من أثر الجراحات، وعلى الساعي التعب في أداء الفرائض والقيام بها والكد فيها، من علامة ما أصابه فيها، كاحتراق الجبهة من حرّ الرمضاء التي يسجد عليها وانفطار الأقدام من برد الماء الذي يتوضأ به)[٢].

وقال رسول الله ﷺ: ((والذي نَفْسي بيدِه، لا يُكْلَمُ أحدٌ في سبيلِ الله - والله أعلمُ بمن يُكلَمُ في سبيلِه - إلا جاءَ يَومَ القيامةَ واللَّونُ لَونُ الدَّمِ، والرِّيحُ رِيحُ المسْكِ))[٣].

وقال النبي ﷺ أيضًا: ((ما شَحَبَ وجهٌ ولا اغْبَرَّت قدم في عمل يبتغي فيه درجات الآخرة بعد الصلاة المفروضة كجهاد في سبيل الله))[٤].

قال ابن حجر: (إن الصفة المذكورة "الريح ريح المسك" لا تختص بالشهيد بل هي حاصلة لكل من جرح، ويحتمل أن يكون المراد بهذا الجرح هو ما يموت صاحبه بسببه قبل اندماله لا ما يندمل في الدنيا فإن أثر الجراحة وسيلان الدم يزول، ولا ينفي ذلك أن يكون له فضل في الجملة)[٥].

---

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم ٤/٢.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٩٨/٧.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٠٣، ومسلم ١٠٥-١٨٧٦.

(٤) أخرجه أحمد ٢٤٥/٥ رقم ٢٢١٢٢، وقال محققو المسند: حسن لغيره ٤٣٢/٣٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥/٦.

رابعًا - من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن الداعية يبين الحقائق للمدعوين ويوضحها لهم حتى يتصرفوا في ضوئها، ليحققوا الصلاح والنفع لهم في الدنيا والآخرة. وقد أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث عن أحب الأشياء إلى الله تعالى، وذلك ليمتثلها المدعوون بعد معرفتهم بها وإدراكهم إياها. ومن هذا القبيل ما رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ: ((يا نبي الله، حدِّثني بعمل يدخلني الجنة لا أسألك عن شيء غيرها، قال نبي الله ﷺ: بخ، بخ، لقد سألت بعظيم، لقد سألت بعظيم، ثلاثًا. وإنه ليسير على من أراد الله به الخير، وإنه ليسير على من أراد الله به الخير، وإنه ليسير على من أراد الله به الخير، فلم يحدثه بشيء إلا قاله له ثلاث مرات، - يعني أعاده ثلاث مرات حرصًا لكيما يتقنه عنه - فقال نبي الله ﷺ: تؤمن بالله، واليوم الآخر، وتقيم الصلاة، وتعبد الله وحده لا تشرك به شيئًا، حتى تموت وأنت على ذلك، فقال: يا نبي الله، أعد لي، فأعادها له ثلاث مرات، ثم قال نبي الله ﷺ: إن شئت حدَّثتك يا معاذ برأس هذا الأمر، وقوام هذا الأمر، وذروة السنام، فقال معاذ: بلى، بأبي وأمي أنت يا نبي الله، فحدِّثني فقال نبي الله ﷺ: إن رأس هذا الأمر أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وإن قوام هذا الأمر إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإن ذروة السنام منه الجهاد في سبيل الله، إنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد اعتصموا وعصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله عز وجل))(١).

ومن قبيل بيان الحقائق، ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ. وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ. فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ))(٢). قال النووي: (قال ابن جرير وغيره: هذا حديث جامع لأنواع من الخير، لأن

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٤٥ رقم ٢٢١٢٢، وقال محققو المسند: صحيح بطرقه وشواهده ٣٦/٤٣٢.

(٢) أخرجه البخاري ٤٩٠، ومسلم ٢٩٦٣ واللفظ له.

الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا طلب نفسه مثل ذلك واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه. هذا هو الموجود في غالب الناس، وأما من نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله عليه فشكرها وتواضع وفعل فيه الخير)[1].

خامسًا - من أساليب الدعوة: النفي، والتفصيل بعد الإجمال:

أما النفي فقوله ﷺ "ليس شيء أحب إلى الله" ليثبت الأفضلية لما يذكره بعد ذلك، كما أنه ﷺ فصّل بعد إجمال في قوله: قطرتين وأثرين، وفي هذا جذب لأسماع المدعوين لمعرفة تفصيل هذا الإجمال.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٠٩، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٠/١١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

من فضل الله أنه جعل البكاء سبيلاً لتفريغ شحنة الحزن أو زيادة الانفعال والتي تؤدي في حال البقاء إلى أمراض عضوية جسيمة فكان البكاء في ذاته شفاء من بعض الأمراض.

والإسلام راعى هذه الفطرة، فلم يحرم البكاء، بل جعل الدمع دليل رقة القلب، وجعل البكاء من الخشية دليل الخوف، وما كان الله ليجمع على عبده مشقتين في وقت واحد، خوف من الله دفعه إلى البكاء وعذاب يصاب من جرائه بالشقاء.

إن رسول الله ﷺ قد لفت نظرنا إلى خير البكاء، بل وقع منه ذلك، فلقد بكى لفراق إبراهيم ابنه، وقال: "إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن... وخير البكاء ما كان لسماع نص قرآني واستشعار خوف من الله خوفاً يستحضر الإنسان معه عظمة الله استحضاراً يدفعه إلى هطول الدمع من عينه ليغسل بهذا الدمع ذنوبه.

فيكون الحجب من النار تحقيقاً لوعد الرسول ﷺ فيما أخبر عن ربه. ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً - التربية بالحوار:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالحوار والسنة النبوية رائدة في استخدام هذا الأسلوب، ومن الشواهد في باب فضل البكاء قوله ﷺ: في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال لي النبي ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ...»، فهذا توجيه نبوي حواري بين هذا الصحابي الجليل ظهر منه أهمية الحوار النبوي وأثره في عملية التربية حيث دل هذا الحوار على أهمية تدبر القرآن عند تلاوته أو سماعه حتى يكون له أثر على النفس.

"ولقد استخدمت التربية الإسلامية أسلوب الحوار والمناقشة، لما له من فوائد تربوية كجذب الانتباه، وشحذ الذهن، كما أن الحوار يعمل على تحقيق الإقناع، لذا ينبغي للمعلم أن يُعوِّد طلابه على الحوار ليقوي الحجة لديهم ويعودهم الارتجال والمواجهة والثقة

بالنفس، كما أن عليه أن يكون واسع الصدر فيرد على استفساراتهم حتى يكونوا على وعي واقتناع بما يلقيه عليهم وحتى يغيرهم ذلك"[١].

ثانيًا - التربية بالموعظة:

من أساليب التربية الإسلامية: التربية بالموعظة التي تعد من أوسع أساليب التربية انتشارًا. ومن الشواهد على ذلك في باب البكاء... قوله ﷺ عن أنس رضي الله عنه، قال: خَطَبَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ فَقَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا».

فهذا توجيه نبوي ظهر منه أسلوب التربية بالوعظ، وماله من تأثير في عملية التربية مع الصحابة رضي الله عنهم، وظهر هذا في قوله ﷺ: «فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وُجُوهَهُمْ ولَهُمْ خَنِينٌ» من أثر هذه الموعظة، والتربية بالموعظة من أكثر الأساليب تغطية للمواقف التربوية فلا يكاد يخلو موقف تربوي من المواعظ والنصائح والإرشاد التي توجه للمتربين ولا يكاد يستغنى عن هذا الأسلوب مربٍ من المربين، ولقد أكد الإسلام على الموعظة كأسلوب تربوي مهم في تنشئة الأجيال تنشئة سليمة تحقق الخير لهم ولغيرهم فدعا الحق تبارك وتعالى إلى الاهتمام بالموعظة. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٢].

وحتى تحقق الموعظة آثارها التربوية لابد من مراعاة عدد من الأمور والتي من أبرزها ما يلي:

١ - إشعار الأفراد محل التوجيه بالعطف والاهتمام.

٢ - اتباع التدرج في النصح والإرشاد.

٣ - تخير وقت الوعظ حين تكون النفس هادئة ومرتاحة.

٤ - تنويع الأسلوب المباشر وغير المباشر في النصح والتوجيه[٣].

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٨٢.

(٢) سورة يونس، آية: ٥٧.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص ٨٣.

ثالثًا: التربية بضرب الأمثال:

من أساليب التربية الإسلامية الأمثلة، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل البكاء. قوله ﷺ: «لاَ يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله حَتَّى يَعُودَ الَّلبَنُ في الضَّرْعِ، وَلاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ الله وَدُخَانُ جَهَنَّمَ».

وقد استخدم النبي ﷺ الأمثلة لأجل ترسيخ المعاني في الأذهان وتقريبها للأفهام، وحمل النفوس على طاعة الله وخشيته واجتناب معاصيه.

والأمثلة تستخدم لتقريب غير المحسوس بالمحسوس، أو لتقريب محسوس غامض وبعيد إلى محسوس آخر أكثر منه وضوحًا وقربًا، وذلك حتى يدركه الإنسان ويتفهمه، قال ابن خلدون: ينبغي الحث على الاعتماد على الأمثلة الحسية في تفهيم المتعلمين، ولا سيما في البداية، وعلماء التربية الإسلامية كثيرًا ما كانوا يسوقون الأمثلة لتوضيح المعنى المقصود من توجيهاتهم ونصائحهم المربية[١].

والأمثال هنا مصنفة حسب دلالتها ومغزاها، والمثال مضروب للاعتبار والتحذير، وذلك لأن التربية بالأمثال طريقة تربوية قائمة بذاتها توظف العقل والوجدان، وتربيتها تعمل على تحقيق أهدافها الاعتقادية والسلوكية، كما أنها طريقة ذات نتائج فعالة في حياة الفرد والجماعة ذات أثر عميق في النفس والسلوك، وفي كيان المجتمع وتكوين علاقاته[٢].

رابعًا - التربية بالترغيب:

من أساليب التربية الإسلامية الترغيب، وذلك لتماشيه مع الطبيعة البشرية، وهو من الأساليب المهمة في عملية التربية، ومن الشواهد على الترغيب في هذا الباب: قوله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...».

فهذا توجيه نبوي تربوي يرغب في الجنة، وظل الله تعالى الذي لا ظل أعظم من ظله. ولقد عود الرسول ﷺ على استعمال هذا الأسلوب كثيرًا في عملية التنشئة.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ص ١٩٦، أدب الدين والدنيا، الماوردي، ص ٢٣.

(٢) التربية بضرب الأمثال، عبدالرحمن النحلاوي، ص ١٠.

ولا يمكن أن تجدي التربية وتحقق أهدافها ما لم يعرف الإنسان أن هناك نتائج مثمرة وراء عمله وسلوكه، فإن عمل خيرًا نال السرور والحلاوة، مما يجعل الإنسان يتحكم في سلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بنتائج ذلك السلوك، وما يترتب عليه من منفعة، وكل هذا فطرة فيه ورغبة في اللذة والنعيم والرفاهية تكون مقابل القيام بعمل صالح[١].

ومن أنواع الترغيب في التربية الإسلامية التحفيز والشاهد على ذلك قول النبي ﷺ لأبي بن كعب رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَبَكَى أُبَيٌّ»، فهذا تحفيز لأبي بن كعب لتميزه عن الصحابة في حفظ القرآن، وهذا تحفيز ودافع تجاه الخير والسلوك الحسن وابتغاء رضى الله تعالى في كل عمل يفعله المرء حرصًا على نيل ما حفز عليه وخشية فواته[٢].

خامسًا - التربية على القيادة:

من أهداف التربية الإسلامية التربية على غرس روح القيادة، وهذا ما أراد النبي ﷺ تعميقه في نفس وشخصية الصحابة رضي الله عنهم، ومن شواهد ذلك في الباب عندما اشتد برسول الله ﷺ المرض فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس، فقالت عائشة رضي الله عنها: ...».

فهذا توجيه نبوي ظهر منه التربية على غرس القيادة في نفوس الصحابة رضي الله عنهم، وتربية كذلك على إنزال الناس منازلهم، يتضح ذلك من تحديد النبي ﷺ واختياره لأبي بكر رضي الله عنه صاحب المنزلة والمكانة المعروفة.

"إن الحاجة تدعو إلى قيادة ماهرة في صفوف المسلمين من الشباب، فيجب الاعتناء باختيار العناصر التي تملك السمات القيادية والحرص عليها، والاعتناء بإبراز السمات القيادية أمام الشباب، وإبراز النماذج القيادية في سير السلف، وإتاحة فرص عملية

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص ٢١٩.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص ٢١٩.

لممارسة المهمات القيادية من خلال الأنشطة التربوية"[١].

سادسًا - التربية على غرس قيمة الوفاء:

من الأهداف الخلقية للتربية الإسلامية غرس قيمة الوفاء، ولقد حرص النبي ﷺ على ذلك في تربيته للصحابة، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل البكاء:

قول أبي بكر لعمر رضي الله عنهما: «بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَىٰ أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا. كَمَا كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَزُورُهَا...»، فهذا نهج تربوي ظهر منه الوفاء سجية في خلق الصحابة رضي الله عنهما، "والوفاء قيمة إنسانية وأخلاقية عظمى لأنه يربي دعائم الثقة في الأفراد ويؤكد أواصر التعاون في المجتمع، كما أن له أهمية عظيمة على المستويين النفسي والاجتماعي، ونعني بالجانب النفسي ارتفاعه بصاحبه إلى المستوى الإنساني"[٢].

مما يعمق التواصل الاجتماعي بين المسلمين، إنها تربية إسلامية عظيمة على معاني البر والوفاء بعد موت النبي ﷺ، فقد رأى أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أن من البر والوفاء للنبي ﷺ أن يزورا أم أيمن رضي الله عنها.

سابعًا - التربية بذكر سير الصحابة رضي الله عنهم:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بذكر سير الصحابة رضي الله عنهم لما لها من خلفية تربوية لا يحققها لون آخر من ألوان الأداء اللغوي، ومن شواهد هذا الباب قول إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف أن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أتى بطعام، وكان صائمًا، فقال: قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو خير مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة إن غطى بها رأسه بدت رجلاه، وإن غطى بها رجلاه بدا رأسه.

فهذا توجيه تربوي ظهرت منه سيرة مصعب بن عمير رضي الله عنه كأسلوب تربوي يتعلم منه التقلل من الدنيا وزينتها، والحذر من التوسع فيها والاشتغال بها، والتقصير عن الواجبات بسببها، وذلك من خلال ذكر سير وقصص الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، الدويش، ص ١٣٤.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٣٦٣٩.

"ولقد امتازت القصة بميزات جعلت لها آثارًا نفسية وتربوية بليغة محكمة، بعيدة المدى على مر الزمن، مع ما تثيره من حرارة العاطفة، ومن حيوية وحركية في النفس تدفع الإنسان إلى تغير سلوكه وتعديد عزيمته، بحسب مقتضى القصة وتوجيهها، والقصة لها أهمية تربوية تشمل في:

١ - شد القارئ وتوقظ انتباهه دون توانٍ أو تراخ.

٢ - تعاملها مع النفس البشرية في واقعيتها الكاملة، متمثلة في أهم النتائج التي تريد السنة إبرازها للكائن البشري فيعرضها عرضًا صادقًا يليق بالمقام ويحقق الهدف التربوي من عرضه.

٣ - الإقناع الفكري بموضوع القصة"(١).

"وتعتبر القصة أحد عناصر التوجيه المباشر في إطار أساليب التربية، والقصة لابد أن تنتهي حتمًا إلى عبرة، وغالبًا ما توصف القصة بالتشويق وسهولة الأسلوب وتسلسل الأحداث وترابطها، مما يساعد على تعلق السامع بالقصة"(٢).

ثامنًا - من الأساليب التربوية:

ورد في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يمكن الاستفادة منها في العملية التعليمية، منها:

أ - المناقشة: كحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: "اقرأ عليّ القرآن" قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ والمناقشة من الأساليب التي تُفعّل دور المتعلم في العملية التعليمية وتدفع الملل عن المتعلمين وترفع دافعية المتعليم للتعلم.

ب - الإلقاء: كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع..." الحديث. وأسلوب الإلقاء يكون بالعرض الشفهي للمعلومات على المتعلمين، ويُمَكّن الإلقاءُ المعلمين من عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت ممكن على أكبر عدد من الطلاب.

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي، ص١٨٨.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي، ص١٥٨.

ج - الممارسة العملية: كما في قول عبدالله بن الشِّخير رضي الله عنه: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلّي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء. ولا شك أن الممارسة العملية من الأساليب التي تتميز ببقاء الأثر طويلاً في نفوس المتعلمين.

د - الموعظة: كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: "وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون" الحديث. والموعظة تستخدم في الكثير من الجوانب الحياتية المختلفة: فالآباء يستخدمونها في الكثير من الأمور التي يريدون تعليمها لأبنائهم، وتعد الموعظة من الأساليب التربوية التي تتميز بشدة بقاء أثر التعلم؛ فهي تكون نصب عين من تعلمها ووجهت إليه من قبل الآباء والمعلمين والأفراد الذين تتاح لهم الفرص لاستخدام الموعظة في حياتهم.



٥٥ - باب فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[يونس: ٢٤]، وقال تَعالَى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[الكهف: ٤٥ - ٤٦]، وقال تَعالَى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[الحديد: ٢٠]، وقال تَعالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[آل عمران: ١٤]، وقال تَعالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[فاطر: ٥]، وقال تَعالَى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾[التكاثر: ١ - ٥]، وقال تَعالَى: ﴿وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ

وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾[العنكبوت: ٦٤] والآيات في الباب كثيرة مشهورة.

وأما الأحاديث فأكثر مِنْ أن تحصر فننبِّهُ بطرف منها عَلَى مَا سواه:

الحديث رقم (٤٥٦)

٤٥٦ - عن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللّه صلى الله عليه وسلم بَعَثَ أَبَا عبيدة بنَ الجرَّاح رضي الله عنه إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا[١]، فَقَدِمَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبي عُبَيْدَةَ، فَوَافَوْا صَلاَةَ الفَجْرِ مَعَ رسولِ اللّه صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا صَلَّى رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم، انْصَرفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم حِيْنَ رَآهُمْ، ثُمَّ قَالَ: **((أَظُنُّكُمْ سَمِعتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟))** فقالوا: أجل، يَا رسول اللّه، فقال: **((أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَواللّه مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلكِنِّي أَخْشَى[٢] أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ))** متفقٌ عَلَيْهِ[٣].

ترجمة الراوي:

عمرو بن عوف الأنصاري: هو عمرو بن عوف الأنصاري ويقال له: عُمير. وذهب الحافظ ابن حجر إلى أن اسمه: عمرو. وتصغيره: عمير.

وهو حليف بني عامر بن لؤي. وقيل: كان مولىً لسهيل بن عمرو العامري.

كان من مولدي مكة وأسلم بها وهاجر إلى المدينة فارًّا بدينه إلى اللّه. وشارك في الدفاع عن الإسلام وساهم في قتال أعدائه وحمى قافلة الدعوة إلى اللّه حتى تصل إلى الناس واضحة جلية لا لبس فيها ولا تحريف، فشهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها.

---

(١) عندهما زيادة: (وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم هو صالح أهل البحرين، وأمّر عليهم العلاء بن الحضرميّ).

(٢) عندهما زيادة: (عليكم).

(٣) أخرجه البخاري ٤٠١٥، ومسلم ٢٩٦١/٦ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٥٨.

وظلّ بالمدينة حتى توفي في خلافة عمر بن الخطاب فصلى عليه عمر. وليس له إلا هذا الحديث الواحد، رواه عنه الصحابي المسور بن مخرمة[١].

غريب الألفاظ:

الجزية: المال الذي يُعقد للكتابي عليه الذمة[٢].

فتعرضوا له: سألوه بالإشارة دون تصريح[٣].

أمِّلُوا: ترقَّبوا وانتظروا[٤].

تبسم الرسول ﷺ حدث تخشع له الأبصار، وتلتفت إليه الأنظار، وينشر البشر، والسرور على كل من حوله؛ لأنهم يعلمون أنه نبي يوحى إليه؛ فإن تبسم، فهي بشرى تُزف إليهم بخير قادم، وإذا تبسم لأحد منهم كان دلالة على رضاه عنه، ولا يرضى الرسول ﷺ إلا على من أرضى الله - عز، وجل -، وقوله للوفد القادم (أظُنُّكُمْ سَمعتُمْ أنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ) استفهام تقريري فيه تودد، ورعاية حال يدل علي ذلك ما بعده من أوامر(أبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوالله مَا الفَقْرَ أخْشَى عَلَيْكُمْ) وهي أوامر للتبشير، وإدخال السرور عليهم، والتعبير بالبشر، والأمل، والسرور لون من مداعبة النفس بما تحب لتحقيق انشراحها، وإقبالها ثم يغرس المعنى المراد في هذه التربة المهيأة حتى تؤتي ثمرتها، ولذلك جاء استدراكه (، وَلكِنِّي أخْشَى أنْ تُبْسَط الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)وبسط الدنيا كناية عن

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٠٧/٣، ٤٦٣/٤ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٤٨٥، ٤٩٦ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٤٦/٤، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٨٨، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٤٨/٥ والتهذيب ٢٩٦/٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ز ي).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٣/٦.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ م ل).

رغد العيش، وسعة الرزق، وفيض المال، والتشبيه يشير إلى الأمم التي اغترت بغناها فطغت، وبغت، ونصبت من نفسها مشرعاً، وحاكما، وردت منهج الرسل فدمرها الله تدميراً، وكما تفعل الأمم الطاغية في عصرنا بقوتها في ضعاف الأمم - حسبنا الله - وهذا أيضاً على مستوى الأفراد كما حدث في قصة قارون، وغيره، وقوله (فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ) تشبيه لبيان الحال يحذر من التشبه بهم في المقدمة، وهي التنافس على الدنيا، فيشبهونهم في النتيجة، وهي الهلاك، والحديث فيه إشارة إلى ما ستصير إليه الأمة من الغنى، وهو من أعلام نبوته ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الجزية.

ثالثًا: من صفات الداعية: الرفق بالمدعوين وتبشيرهم.

رابعًا: من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من الانصراف إلى الدنيا.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: التنافس في الدنيا قد يكون فيه الهلاك.

سادسًا: من تاريخ الدعوة: الإخبار عن أسباب هلاك السابقين.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

من أساليب الدعوة في هذا الحديث أسلوب الإخبار، ويظهر ذلك في رواية عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى البحرين.. إلخ الحديث)، ولا شك أن أسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المهمة التي يمكن أن يفيد منها الداعية في دعوته لأن الإخبار ينطوي على مضامين ذات فائدة ونفع بالنسبة للمدعو، سواء كان ذلك متعلقاً بأمور دنيوية أو أمور أخروية، نظرًا لأن الدعوة إلى الله تعالج قضايا الإنسان وتتسع باتساع الإسلام واستيعابه لسائر أمور الحياة الدنيوية والأخروية.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الجزية:

الجزية هي الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالاً وصغارًا[١]، يظهر ذلك من قول عمرو رضي الله عنه: (يأتي بجزيتها)، فبعد أن تم فتح مكة في أواخر السنة الثامنة للهجرة، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، واستقرت الجزيرة العربية على دين الله تعالى أمر الله سبحانه وتعالى بمجاهدة أهل الكتاب من اليهود والنصارى[٢]، في قوله تعالى: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾[٣].

بهذه الآية تم تشريع الجزية، هذا ولم يأخذ رسول الله ﷺ جزية من أحد من الكفار قبل نزول آية الجزية، فلما نزلت أخذها من نصارى نجران، ومجوس هجر ثم أخذها من أهل أيلة، وأذرح، وأهل أذرعات وغيرها من القبائل[٤].

قال د. محمد راوس قلعة جي: "أسباب فرض الجزية: أرى أن الله تعالى فرض الجزية على أهل الذمة لأمرين:

أ - إظهارًا لسيادة الدولة الإسلامية وإقرارًا من أهل الذمة بهذه السيادة.

ب - لتكون الجزية مقابل الخدمات المتعددة التي تقدمها الدولة لأهل الذمة كالأمن وبناء الجسور وغير ذلك وعلى هذا فإن الجزية تعتبر أحد الموارد المالية للدولة تستعين بها على نفقاتها العامة.

- ويشترط فيمن تفرض عليه الجزية أن يكون ذميًا من أهل القتال حين فرضت الجزية عليه، وهو قادر على الاكتساب، وعلى هذا فإن الجزية لا تفرض إلا على حرّ،

---

(١) أحكام أهل الجزية، ابن القيم، ص ٣٤/١.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٥٣/١٥.

(٣) سورة التوبة، آية: ٢٩.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٥٣/١٥.

عاقل، بالغ، قادر على الاكتساب، وهي لا تفرض على الراهب المتعبد في صومعته المنقطع عن الناس، ولا على مريض زمن لا كسب له، ولا على شيخ هرم لا كسب له، ولا على أعمى، ولا على امرأة لا رأي لهما في الحرب.

- أما أنواع الجزية: فالجزية على نوعين:

أ - جزية عن صلح: وذلك إذا ما هاجم المسلمون بلدًا، فعرض عليهم أهله الرجوع عنهم مقابل أن يدفعوا للمسلمين جزية مقدرة، يتم الاتفاق عليها بينهم وبين المسلمين، ثم هم يوزعون هذه الجزية بينهم على ما يرونه من المصلحة لهم.

ب - جزية عن فتح: وذلك إذا ما فتح المسلمون بلدًا ضربوا على كل واحد من أهله ممن تتوفر فيه شروط دفع الجزية مبلغًا معينًا يدفعه للدولة الإسلامية كل عام.

ومن خصائص هذا النوع من الجزية أن مقدار الجزية المفروضة على الأفراد يتغير بتغير الحال المالية لدافع الجزية، فإذا افتقر قلت عليه الجزية، وإذا اغتنى بعد فقد زيدت عليه الجزية.

أما مقدارها: فإذا أراد ولي أمر المسلمين فرض الجزية على أهل الذمة قدَّر القدرة المالية لكل واحد منهم، ويفرض عليه من الجزية ما يتلاءم مع قدرته المالية من غير إرهاق له، ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجزية على أهل الذمة جعل على الغني ثمانية وأربعين درهمًا في العام، وجعل على المتوسط نصفها أربعة وعشرين درهمًا، وجعل على الفقير نصفها اثني عشر درهمًا، ولا تزاد على الغني مهما كثر ثراؤه، وإذا زاد ثراء المتوسط فرضت عليه جزية الأغنياء، وإذا زاد ثراء الفقير فرضت عليه جزية المتوسطين، وهكذا، وهو أمر اجتهادي من عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وأرى أن تؤخذ الجزية من أهل الذمة اليوم بنسبة مئوية من أموالهم كما هو حال الضرائب الوضعية.

واستيفاء الجزية من حق الدولة، فإذا ضعفت الدولة عن استيفائها واستوفاها من أهل الذمة البغاة - مثلاً - فلا يحق للدولة المطالبة بها بعد ذلك، لأن أهل الذمة لا يستطيعون دفع البغاة عنهم، بل ما هم مكلفون بذلك لأن من شرط وجوب الجزية: أن تتولى الدولة الإسلامية الدفاع عن أهل الذمة.

وتسقط الجزية بواحد مما يلي: فقدُ شرط من شروط وجوب الجزية كما إذا جُن من وجبت عليه الجزية، أو أصيب بعاهة أقعدته عن الكسب ولا مال له، ونحو ذلك، وتسقط بعجز الدولة عن حماية أهل الذمة، وباشتراك أهل الذمة في الدفاع عن الوطن الإسلامي، وبإسلام الذمي وبموته.

أما مصارف الجزية: فبعض موارد بيت مال المسلمين له مصارف خاصة لا يجوز أن يصرف في غيرها، كالزكاة مثلاً، أما الجزية فإنها تدخل خزانة الفيء في بيت المال، وتُصرف من هذه الخزانة سائرُ النفقات العامة للدولة، كميزانيات الوزارات والنفقات الخاصة برئيس الدولة ونحو ذلك(١).

ثالثًا - من صفات الداعية: الرفق بالمدعوين وتبشيرهم:

إن من صفات الداعية التي تستنبط من الحديث الرفق بالمدعوين وتبشيرهم، وهذا في قوله ﷺ: (أبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم...)، قال الطيبي: (فائدة تقديم المفعول هنا الاهتمام بشأن الفقر، فإن الوالد المشفق إذا حضره الموت كان اهتمامه بحال ولده في المال، فأعلم ﷺ أصحابه أنه وإن كان لهم في الشفقة عليهم كالأب لكن حاله في أمر المال يخالف حال الوالد وأنه لا يخشى عليهم الفقر كما يخشاه الوالد ولكن يخشى عليهم من الغنى عليهم من الغنى الذي هو مطلوب الوالد لولده.

والمراد بالفقر العهدي، وهو ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من قلة الشيء ويحتمل الجنس والأول أولى، ويحتمل أن يكون أشار بذلك إلى أن مضرة الفقر دون مضرة الغنى لأن مضرة الفقر دنيوية غالبًا ومضرة الغنى دينية غالبًا)(٢).

وقال العيني: (وفيه البشرى من الإمام لأتباعه وتوسيع أملهم منه)(٣).

---

(١) الموسوعة الفقهية الميسرة، د. محمد رواس قلع جي ٦٣٢/١.

(٢) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٩٣/٩.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٨١/١٥.

في هذا الحديث يبشر الحبيب المصطفى ﷺ أصحابه رضي الله عنهم بالبشرى في نصيبهم من أموال الجزية، فينبغي على الداعية أن يتحلى بصفة الرفق وتبشير المدعوين بالخير فلقد تحلى قدوة الدعاة، النبي الخاتم محمد ﷺ بالرفق في أقواله وأفعاله مع مَنْ دعاهم إلى الله تعالى، وكان ذلك سببًا رئيسًا من أسباب نجاحه في دعوته ﷺ.

وقد حثّ النبي ﷺ المسلمين عامة، ويدخل في ذلك الدعاة من باب أولى إلى التحلي بالرفق فمن ذلك: ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ . وَيُعْطِي عَلَىٰ الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَىٰ الْعُنْفِ. وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَىٰ مَا سِوَاهُ))[١].

وعن عائشة النبي ﷺ قال: ((إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ))[٢].

فبالرفق تُساس الطباع، ويعرف مكمن الداء، ويعطى الدواء لتستقيم الأنفس على الخير، وتقبل دعوة الله عز وجل[٣]، وتبشير المدعوين بالخير يجعل المدعوين يقبلون على الأعمال الطيبة رغبة في المبشرات وقد كان إمام الدعاة محمد ﷺ يبشر أصحاب رضي الله عنهم بالخير لشحذ هممهم ويُفرح قلوبهم فينغي على الدعاة إلى الله أن يتحلوا بصفة الرفق مع المدعوين وأن يبشروهم بالخير.

رابعًا - من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من الانصراف إلى الدنيا:

يقع على الداعية عبء تحذير المدعوين من الانصراف إلى الدنيا، ويظهر ذلك في قول رسول لله ﷺ: (... ولكني أخشى أن تُبسط الدنيا عليكم...إلخ الحديث)، قوله (فتهلكم)، قال ابن حجر: (قال ابن بطال: فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فتنتها فلا يطمئن إلى زخرفها ولا ينافس غيره فيها،

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٩٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٩٤.

(٣) انظر: كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان، ص ٧٤ - ٧٥، وصفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار، ص ٥٤ - ٥٦.

ويستدل به على أن الفقر أفضل من الغنى؛ لأنه فتنة الدنيا مقرونة بالغنى، والغنى مظنة الوقوع في الفتنة التي قد تجر إلى هلاك النفس غالبًا، والفقير آمن ذلك)[١].

فإن هذا الأمر هو الأخطر، وفي ذلك تصبير لمن يعيش حالة الفقر بأن حالته أخف ممن يعيش التنافس على الدنيا، وفيه تحذير من هذا التنافس، لأن التركيز على أمور الدنيا يؤدي إلى خسارة الآخرة، ولا بد من التوازن بينهما كما قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[٢]، وليس كل من كان يريد الدنيا ينالها إذ بيّن الله تعالى في قوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾[٣]، فالاستجابة لمن يطلب الدنيا متوقفة على مشيئة الله تعالى، وليست لكل من يرغبها.

وقد أكد النبي ﷺ على هذا المعنى فقد قال: ((مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا كُتِبَ لَهُ. وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ))[٤].

فالداعية ناصح أمين فيجب عليه تحذير المدعوين من الانصراف إلى الدنيا إذا فتحت عليهم لأن ذلك قد يكون سبب الهلاك كما قال رسول الله ﷺ: ((لا تُفْتَحُ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدٍ إِلاَّ أَلْقَى اللَّه - عزّ وجلّ - بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ والبَغْضَاءَ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ))[٥]،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٩/١١.

(٢) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١٨.

(٤) أخرجه ابن ماجة ٤١٠٥، وصححه الألباني، صحيح سنن ابن ماجة ٣٣١٣.

(٥) أخرجه أحمد ١٦/١، وقال: أحمد شاكر في التعليق على المسند ٩١/١ - ٣١: إسناد صحيح كما ورد في كتاب: رياض الدعاة والمصلحين، إعداد: بهاء الدين عقيل، د. عبد العزيز مصطفى، خرج أحاديثه: فتحي الجندي هامش ٥٨٤.

فينبغي على الداعية تحذير الناس من الانصراف إلى الدنيا ونعيمها الزائل والاهتمام بالآخرة ونعيمها الباقي.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: التنافس في الدنيا قد يكون فيه الهلاك:

ويظهر ذلك في قوله ﷺ: "فتنافسوها" كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم"، فالتنافس في الدنيا يجر الإنسان إلى فساد الدنيا والدين؛ لأن المال مرغوب فيه، فترتاح النفس لطلبه، فتتمتع منه، فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك[1]، وذلك؛ لأن الدنيا تميل إليها القلوب وتأمل الإكثار من لذاتها وزينتها، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[2]، قال السعدي: (أخبر تعالى عن إيثار الناس الدنيا على الآخرة فأخبر أن الناس زُينت لهم هذه الأمور، فرموها بالأبصار، واستحلوها بالقلوب، ومالوا إليها وجعلوها أكبر همهم)[3].

كل هذه المفاتن جعلت الناس يتنافسون في الإكثار من الأموال وغيرها من مفاتن الدنيا، قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[4]، أي: شغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها[5]، فالتنافس في الدنيا وترك الآخرة فيه هلاك الإنسان وهذا ما ينبغي أن يبينه الدعاة إلى الله.

---

(١) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٥٢٨/١ - ٥٢٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٤.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٠٢.

(٤) سورة التكاثر، آية: ١.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٧٢/٨.

سادسًا – من تاريخ الدعوة: الإخبار عن أسباب هلاك السابقين:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم"، فقد بيّن رسول الله ﷺ من أسباب هلاك السابقين التنافس في الدنيا، وذلك لأن التنافس في الدنيا حملهم على البغضاء والحسد والبخل، قال رسول الله ﷺ: ((... وَاتَّقُوا الشُّحَّ. فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ))[1].

فحذر رسول الله ﷺ أمته من التنافس لما فيه من حسد وبغضاء وحرص على عدم الإنفاق – البخل – ولأن ذلك كان من أسباب هلاك بعض السابقين.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٧٨.

الحديث رقم (٤٥٧)

٤٥٧ - وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قَالَ: جلس رسولُ الله ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فقال: ((**إنَّ مِمَّا أخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

زهرة الدنيا: حُسنها وبهجتها وكثرة خيرها[2].

الرسول ﷺ في هذا الحديث يخبر صحابته بأمر غيبي وهو إقبال الدنيا على المسلمين بعد الشدة التي عاشوا فيها ويحذرهم من الركون إليها والانشغال بمتعها حتى لا تطغى على آخرتهم، وهو يخاطب في صحابته بهذا الحديث كل الأجيال المسلمة إلى قيام الساعة حتى لا تشغلهم مباهج الحياة فينسون الآخرة، وإذا تتبعنا الأسلوب البياني للرسول ﷺ من بداية الحديث نجده ﷺ يبدأ بأسلوب التوكيد الذي يمهد النفوس لاستقبال الخبر، ولا سيما إذا كان الخبر من الأمور المستقبلية، لذا جاء قوله ﷺ (إن مما أخاف عليكم بعدي...) مؤكداً بإن مع اسمية الجملة، لأن الخبر غريب منتظر، وهو ليس تحذيراً من شر كالعادة في التحذير، ولكنه تحذير من خير مما زاد الأمر غرابة مما استدعى توكيد الجملة بأكثر من مؤكد ليمهد تربة القلوب لاستقبال بذور المعنى حتى تنبت شجرة الوعي واليقظة للتغيرات الشاملة لأكثر مناحي الحياة التي ستمر بها الأمة المسلمة من اتساع سلطانها وسعة أرزاقها وتعدد مصادر الخير التي يمكن أن تؤدي بهم إلى الغفلة والتفريط في شيء من شريعتها ومنهجها أو التكاسل في القيام بها، ثم يأتي حرف الجر (من) في قوله: (ما يفتح عليكم من زهرة

(١) أخرجه البخاري ١٤٦٥، ومسلم ١٠٥٢/١٢٣ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٦٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز هـ ر).

الدنيا) للإشارة إلى كثرة المخاوف وتجددها وأن أشدها الغرور بمباهج الحياة، ثم يأتي استخدام الموصول (ما) وما يفيده من إبهام يحيط بكل المباهج التي يمكن أن يصل إليها الذهن، ويتخيلها كل متلقي ويمكن أن تشغله عن الآخرة وتحمله على ارتكاب الخطايا ثم تأتي صيغة المبني لما لم يسمَّ فاعله (يُفتح) إشارة إلى أن تلك المباهج من أموال وأولاد وسلطان ليست محض كسب الإنسان وإنما هي فتح وعطاء من الله، وهذا الفهم يعالج في النفوس شعورها بالحرمان ويوجهها إلى طلب الفضل من الله مع ضرورة الرضا بقسمته تعالى.

ثم تأتي الاستعارة في إطار التحذير من الافتتان بالدنيا، وشهواتها في قوله ﷺ: (من زهرة الدنيا...) فقد استعار لفظ (الزهرة) وهي مأخوذة من زهرة الأشجار، وهو ما يصغر من أنوارها[1] لمباهج الدنيا وزينتها بجامع المظهر الخلاب مع قلة بقائه وسرعة فنائه في كل. ثم حذف المشبه به واستعمل لفظ المشبه به "الزهرة" في المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

واستعارة الزهرة لمباهج الحياة وجذبها للنظر مع سرعة تحولها يوحي بعدة دلالات منها:

أ- أن هذه المباهج سريعة التحول والانتقال بكثرة مكدراتها من هم ومرض أو خوف الزوال أو موت الإنسان أو ذهاب هذه المباهج من مال أو سلطان أو ولد وهذا مفهوم من حال اللفظ المستعار (الزهرة) إذ أن الزهرة سريعة التحول والذبول وهي أقصر أجزاء النبات عمراً وهذه الإشارة تجعل المتلقي لا يتعلق بزينة الدنيا، وزخرفها على حساب آخرته؛ لعلمه بتحولها السريع، أو تحوله المريع.

ب- أن هذه المباهج خداعة تخطف الأبصار وتأخذ بالألباب وتسر النفوس وتحدث نوعاً من الانفعال المغري بالانجذاب لها، وهذه الإشارة مفهومة من حال الإنسان أمام سحر الزهور وإعجابه الفطري بلونها وعبقها وارتياح النفوس لها، وفي هذه الإشارة تنبيه للإنسان بعدم الانخداع بظاهر المتاع دون التفكير في جوهره.

---

(١) انظر: أساس البلاغة للزمخشري ٤١٢/١، مادة (زهر) وعمدة القارى ٤٨٠/٦.

ج- الزهرة دائماً تبشر بالثمرة لأنها أول مراحل الإثمار، وهذا التبشير في حال الزهرة يشبه تبشير الرسول ﷺ بإقبال الدنيا على أمته.

د- في الزهرة إشارة رقيقة إلى أهم مباهج الحياة ومادة التجدد وعنصر الاستمرار وهو الأولاد؛ لأن الزهرة تحمل البذور التي هي مادة تجدد النبات واستمراره.

هـ يؤخذ من سرعة التحول والذبول المفهوم من حال الزهرة ضرورة الإسراع في استغلال هذه المباهج من مختلف الخيرات بالنفقة فيما يرضي الله من المال وغيره والتنشئة الصالحة للولد حتى ينشأ جيل صالح يحمي الأمة، وأن التواني في ذلك ضياع لهذه النعم أو تحول.[١]

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه:

آداب الخطبة:

أ - استقبال الإمام القوم، واستقبال الناس الإمام إذا خطب:

ذهب الجمهور إلى أنه يستحب للخطيب استقبال القوم بوجهه، إذا خطب، يقبل عليهم في جميع خطبتيه، ولا يلتفت في شيء منهما.

كما يستحب للقوم الإقبال بوجههم عليه، لحديث الباب، ولحديث عدي بن ثابت عن أبيه قال: كان النبي ﷺ إذا قام على المنبر استقبله أصحابه بوجوههم[٢].

قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، يستحبون استقبال الإمام إذا خطب[٣].

ولأنه الذي يقتضيه الأدب، ومكارم الأخلاق، كما أنه أبلغ في الوعظ، وحسن الإصغاء[٤].

---

(١) انظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د. ناصر راضي الزهري، ١٠٤.

(٢) أخرجه ابن ماجه ١١٣٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٩٣٢).

(٣) سنن الترمذي ١٣٤ بعد الحديث ٥٠٩.

(٤) الفتاوى الهندية ١٤٦/١، والقوانين الفقهية ٨٠، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٢٨/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٠٣/٢.

قال إمام الحرمين: (سبب استقبالهم له واستقباله إياهم واستدباره القبلة: أن يخاطبهم فلو استدبرهم كان قبيحًا خارجًا عن عرف الخطاب ولو وقف في آخر المسجد واستقبل القبلة فإن استدبروه كان قبيحًا وإن استقبلوه واستدبروا القبلة، فاستدبار واحد واستقبال الجمع أولى من عكسه)[١].

ب - قيام الخطيب أثناء الخطبة:

اختلف الفقهاء في حكم قيام الخطيب أثناء الخطبة:

فذهب الحنفية والحنابلة وابن العربي من المالكية: إلى أن قيام الخطيب أثناء الخطبة سنة، ولا يجب؛ لأنه ليس من شرطها استقبال القبلة، فلم يجب لها القيام، كالأذان. وذهب الشافعية وأكثر المالكية: إلى أن قيام الخطيب - مع القدرة - حال الخطبة شرط وذكر الدردير من المالكية: أن الأظهر أن القيام واجب غير شرط، فإن جلس أساء وصحت.

وقال الشافعية: فإن عجز عن القيام خطب قاعدًا فإن لم يمكنه خطب مضطجعًا كالصلاة، ويجوز الاقتداء به سواء أقال لا أستطيع أم سكت؛ لأن الظاهر أن ذلك لعذر، والأولى له أن يستنيب.

ودليل الشافعية أحاديث منها: عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائمًا ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائمًا. فمن نبأك أنه كان يخطب جالسًا فقد كذب[٢].

وقد دخل كعب بن عجرة رضي الله عنه المسجد وعبدالرحمن بن أم الحكم يخطب قاعدًا. فقال: انظروا إلى هذا الخبيث يخطب قاعدًا وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾[٣])[٤].

---

(١) نهاية المطلب في دراية المذهب ٢/٥٤٧، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٥٢٨.

(٢) أخرجه مسلم ٨٦٢، ٣٥.

(٣) سورة الجمعة، آية: ١١.

(٤) أخرجه مسلم ٨٦٤، ٣٩.

وقد أجاب الشافعي عن حديث أبي سعيد الخدري "أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله" - وهو حديث الباب - أجاب عنه أنه كان في غير جمعة[١]. قال الصنعاني: (وهذه الأدلة تقضي بشرعية القيام والقعود المذكورين في الخطبة، وأما الوجوب وكونه شرطًا في صحتها فلا دلالة عليه في اللفظ إلا أنه قد ينضم إليه دليل وجوب التاسي به ﷺ وقد قال: ((صلُّوا كما رَأَيْتُمُوني أُصَلِّي))[٢] وفعله في الجمعة في الخطبتين وتقديمها على الصلاة مبين لآية الجمعة فما واظب عليه فهو واجب وما لم يواظب عليه كان في الترك دليل على عدم الوجوب فإن صحّ أن قعوده في حديث أبي سعيد كان في خطبة الجمعة كان الأقوى القول الأول [وهو الجلوس سنة] وإن لم يثبت ذلك فالقول الثاني)[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: التخويف من زخارف الدنيا والحرص على الزهد فيها.

رابعاً: من أساليب الدعوة: التحذير.

خامساً: من موضوعات الدعوة: شفقة النبي ﷺ على أمته وحرصه على نجاتها.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "جلس رسول الله ﷺ" حيث أخبر عن جلوس رسول الله ﷺ على المنبر وجلوسهم حوله وقوله ﷺ لهم، وقد أفاد هذا الإخبار حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ وإصغائهم لكلامه، وكذلك شفقة النبي ﷺ على أصحابه رضي الله عنهم وخوفه من أن يقبلوا على الدنيا وزخارفها.

---

(١) انظر: سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٢٩٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣١.

(٣) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٢٩٠.

ثانياً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "إنّ مما أخاف..." حيث أفاد التوكيد في هذا الحديث شدة خوف النبي ﷺ من الانبهار والإقبال على الدنيا وافتتان الناس بها. ولقد استخدم النبي ﷺ، التأكيد لكونه من أهم الوسائل في تثبيت المعنى في القلوب وبثه في النفوس وحملها على التصديق والإيمان به ولا يكون التأكيد ذا نفوذ حقيقي إلا إذا دام تكراره ما أمكن والأمر إذا ما أكد انتهى إلى الرسوخ في النفوس على أنه حقيقة ثانية[1].

ثالثاً - من موضوعات الدعوة: التخويف من زخارف الدنيا والحرص على الزهد فيها:

حذر رسول الله ﷺ أصحابه رضي الله عنهم من التنافس في الدنيا والغفلة عن الزهد فيما يتيسر لهم من زينة الدنيا وبهجتها[2]، يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (إنّ مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها).

قال النووي: (حذرهم من زهرة الدنيا وخاف عليهم منها، وذلك لأن الذي يحصل من زهرة الدنيا ليس بخير وإنما هو فتنة لما تؤدي إليه من المنافسة والاشتغال بها عن كمال الإقبال على الآخرة)[3]، قال الحسن البصري: (والله ما أحد من الناس بسط له في أمر من أمور دنياه، فلم يخف أن يكون ذلك مكراً به واستدراجاً له إلا نقص ذلك من عمله ودينه وعقله، ولا أحد أمسك الله الدنيا عنه، ولم ير أن ذلك خيراً له إذا نقص من عمله وبان العجز في رأيه. وكان يقول: إن الله عز وجل ليعطي العبد من الدنيا مكراً به ويمنعه نظراً له)[4]، وإن الله تعالى بيّن أن الكفار هم الذين يغترون بزينة الدنيا وزخارفها فقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[5].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص ٣٠١.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم، ص ٣٠٩.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٦١.

(٤) الزهد، الحسن البصري، ص ٤٤.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢١٢.

والحرص على الزهد في الدنيا لليقين بالتفاوت بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[1]، وكان رسول الله ﷺ أزهد الناس في الدنيا، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((إِنَّمَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ، الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ، أَدَماً حَشْوُهُ لِيفٌ))[2]، فينبغي على الداعية أن يخوّف الناس من الاغترار بزخارف الدنيا، ويدعوهم إلى الزهد فيها.

ما يعين على الزهد: إن الذي يصحح هذا الزهد ثلاثة أشياء:

أحدهما: علم العبد أن الدنيا ظل زائل، وخيال زائر فهي كما قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾[3].

الثاني: علمه أن وراءها دارًا أعظم منها قدرًا وأجل خطرًا وهي دار البقاء، فالزاهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها.

الثالث: معرفته وإيمانه الحق بأن زهده فيها لا يمنعه شيئًا كتب له منها وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقض له منها فمتى تيقن ذلك ثلج له صدره وعلم أن مضمونه منها سيأتيه.

فهذه الأمور تسهل على العبد الزهد في الدنيا وتثبت قدمه في مقامه[4].

وللزهد أقسام، قال ابن القيم: الزهد أقسام:

١ - زهد في الحرام وهو فرض عين.

٢ - وزهد في الشبهات وهو بحسب مراتب الشبهة فإن قويت التحق بالواجب، وإن ضعفت كان مستحبًا.

٣ - وزهد في الفضول وهو زهد النفس حيث تهون عليه نفسه في الله.

---

(١) سورة النساء، آية: ٧٧.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٥٦، ومسلم ٢٠٨٢ هذا والأَدَمُ: الجلد.

(٣) سورة الحديد، آية: ٢٠.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ص ٢٥٤، ٢٥٥.

٤ - وزهد جامع لذلك كله، وهو الزهد فيما سوى ما عند الله وفي كل ما يشغلك عن الله [١].

رابعاً - من أساليب الدعوة: التحذير:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "إنّ مما أخاف عليكم" حيث حذر الصحابة رضي الله عنهم من انفتاح الدنيا عليهم.

والتحذير من الأساليب الدعوية المهمة التي تفيد في زجر المدعو عن الأمور التي حُذّر منها، وقد جاء التحذير في هذا الحديث لتنبيه الناس إلى خطورة الانقطاع للدنيا والإقبال عليها بالطريقة التي تُنسي الإنسان آخرته، وتجعله مقصراً في التزود من الأعمال الصالحة.

خامساً - من موضوعات الدعوة: شفقة النبي ﷺ على أمته وحرصه على نجاتها:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث شفقة النبي ﷺ على أمته، وحرصه على نجاتها، وهذا يظهر في خوفه على أمته من انفتاح الدنيا عليهم فتفتنهم عن الآخرة.

ورسول الله ﷺ هو رحمة الله للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [٢].

وشفقة النبي ﷺ بأمته وحرصه على نجاتها لم تفارقه لذلك بشر النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم بفوائد الشفقة والتي منها أهم فائدة: أنها تكون سببًا للنجاة من النار؛ فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ. وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا. رَجُلٌ يُؤْتَىٰ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا. فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ. فَيُقَالَ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا. وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: نَعَمْ. لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ. وَهُوَ

---

(١) الفوائد لابن القيم، ص ١١٨.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً. فَيَقُولُ: رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لاَ أَرَاهَا ههُنَا. فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ))[١]، هذه هي شفقة النبي ﷺ بأمته وحرصه على نجاتها.

فقد كان ﷺ رحيماً في كل المواطن، وكانت عيناه تفيضان بالدموع عندما يفيض قلبه بالرحمة، وقد يُسمع صوت بكائه عليه الصلاة والسلام، ولم يفقد الرحمة حتى في المواقف التي يضطهد فيها، يُضيق عليه أهل مكة الخناق هو وأصحابه، بل يؤذونه ويعذبون أصحابه فيقول: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُون))[٢].

وفي يوم الفتح صنع بمن حاربه السنين الطويلة ووقف في وجه الدعوة وقتل أصحابه فعل بهم كما فعل يوسف عليه السلام بأخوته عندما قال: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٣]، وقال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)[٤].

وكانت رحمته تسع جميع الناس، ويحس بها كل الناس الضعفاء والأقوياء على حد سواء[٥]، وعندما طلب منه أن يدعو على المشركين قال: ((إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً. وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً))[٦]. من فوائد الشفقة:

١ - طريق موصل إلى الجنة.

٢ - دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٣ - تثمر الألفة والمحبة بين الناس.

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٠.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٩٠.

(٣) سورة يوسف، آية: ٩٢.

(٤) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٤/٥٥.

(٥) رحمة الله "أسبابها آثارها"، مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض: العدد ٤٥، ربيع الأول - جمادى الآخرة ١٤١٦هـ، ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٦) أخرجه مسلم ٢٥٩٩.

٤ - مظهر من مظاهر مراقبة الله عز وجل.

٥ - الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة.

٦ - دليل على قرب العبد من ربه ومحبته له[١].

وبهذه الرحمة والشفقة وما تفعله من آثار وما تتصل به من صفات الجلال والكمال أنشأ الرسول ﷺ الأمة الإسلامية[٢].

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٢٣٩٢/٦.

(٢) تميز الأمة الإسلامية مع دراسة نقدية لموقف المستشرقين منه، إعداد: د. إسحاق بن عبدالله السعدي، سلسلة الرسائل العلمية (٤٩) عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٥٠٢/١.

الحديث رقم (٤٥٨)

٤٥٨ - وعنه: أن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإنَّ الله تَعَالَى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

خَضِرة: غضة ناعمة طريَّة[٢].

جاءت عبارته ﷺ : (إن الدنيا حلوة خضرة) لتجلّي أبعاد أكثر مباهج الدنيا خطورة وهو المال وتبيّن وجه الانتفاع به فبدأ العبارة بأسلوب التوكيد بإن مع اسمية الجملة ولعل السبب في هذا التوكيد يرجع إلى تمكُّن الرغبة للمال وحبه في نفوس الناس وانشغالهم عن خطره فجاءت هذه المؤكدات عناية بالأمر وتنبيهاً إلى خطره، وقوله ﷺ : (الدنيا خضرة حلوة) (ليس هو صفة الدنيا، وإنما هو للتشبيه كأنه قال: الدنيا كالبقلة الخضراء الحلوة) ووجه الشبه إقبال النفس عليه وسرورها به، وهو تشبيه بليغ حذف منه الوجه والأداة مما أعطى المعنى تأكيداً يفيد شدة التشابه في الصفة بين المشبه والمشبه به، والتعبير بالاستخلاف يوحي بتبادلها من خلفاء إلى خلفاء مما يؤكد على عدم بقائها وقوله: (فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) كالتعليل للجملة السابقة قصد به التحذير من الغرور كأنه استخلفهم فيها على سبيل الاختبار لهم، ولذلك جاء الأمر بعدها صريحاً (فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ) والأمر للتحذير، والنص على التحذير من النساء بعد التحذير من الدنيا من ذكر الخاص بعد العام عناية به إشارة إلى أنها من أعظم الفتن فعلى ذلك استلزمت مزيد تحذير، وكأنه ﷺ يرى حال الناس، وما هم فيه من بلاء لأنهم ضربوا عن الذكر صفحاً عن أوامره، ونواهيه، وتركوا النساء

---

(١) برقم ٢٧٤٢/٩٩، وتقدم برقم ٧٠. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦٠٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ض ر).

يتبعن كل ناعق بخراب المجتمع المسلم، وتفريغ تعاليم النبي، وتوجيهاته من مضمونها - وحسبنا الله - .

المضامين الدعوية[(١)]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٧٠).

الحديث رقم (٤٥٩)

٤٥٩ - وعن أنس رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: ((**اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إلاَّ عَيْشَ الآخِرَةِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الحديث فيه إيجاز قِصر، وهو كثرة المعاني في قلة الألفاظ، وهي طبقة من الكلام لا تتأتى إلا للفصحاء، والمتأمل لهذا الحديث القصير يجده أنه احتوى معاني عظيمة تتضمن جملة الفوارق بين الحياة الدنيا بكل نقصها، والآخرة بكمالها، وقد بدأ بلفظ اللهم، والنداء بصيغة (اللهم) نداء تفخيم وتعظيم، وأصل الأسلوب يا الله حذفت أداة النداء، وعوض عنها الميم في آخر لفظ الجلالة وقيل: زيدت الميم للتعظيم، والتفخيم كزيادتها في زرقم قال ابن فارس: (الزرقم: أجمع أهل اللغة أن أصله من الزرق؛ فإن الميم فيه زائدة[2] والميم حرف شفهي يجمع الناطق به شفتيه، فوضعته العرب علماً على الجمع فقالوا للواحد: أنت فإذا جاوزوه إلى الجمع قالوا: أنتم، وكذلك هو، وهم)، وكذلك في المتصل يقولون: ضربت، وضربتم، وإياك، وإياكم، وإياه، وإياهم ونظائره نحو: به، وبهم، ويقولون للشيء الأزرق: أزرق فإذا اشتدت زرقته واستحكمت، قالوا: زرقم... وتأمل الألفاظ المعقود فيها الميم كيف تجد الجمع معقوداً بها مثل (ألم الشيء يلمه، إذا جمعه، ...وإذا علم هذا من شأن الميم؛ فهم ألحقوها في آخر هذا الاسم الذي يسأل الله - سبحانه - به في كل حاجة - وكل حال إيذانا بجميع أسمائه وصفاته، فالسائل إذا قال: (اللهم إني اسألك) كأنه قال: (ادعو الله الذي له الأسماء الحسني والصفات العلى، بأسمائه وصفاته فأتي بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم إيذانا بسؤاله تعالى بأسمائه كلها، والداعي مندوب إلى أن يسأل الله تعالى بأسمائه،

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤١٣، ومسلم ١٨٠٥/١٢٧ ولفظهما سواء.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ٥٣/٣.

وصفاته كما في الاسم الأعظم...)[١] وقوله (لا عيش إلا عيش الآخرة) قصر لصفة العيش الحقيقي الكامل على موصوف هو عيش الآخرة نفياً لها عما سواه على سبيل المبالغة وعدم الاعتداد بغيرها إشارة إلى كمال الصفة في الحياة الأخروية لأنها كاملة من جميع الوجوه بعكس الدنيا التي يحدوها النقص في أكثر نواحيها، ويطويها الفناء، والإنسان مرض فيها للأعراض من فقر، ومرض، وهرم، وموت إن أخطأه هذا نهشه هذا.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة القصر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الآخرة والزهد في الدنيا.

ثالثًا: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً - من أساليب الدعوة القصر:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة"، حيث قصر العيش على الآخرة، وهذا يُشعر بأهمية الآخرة واهتمام رسول الله ﷺ بها لما فيها من خير ونعيم فقصر العيش عليها وأسلوب القصر من أساليب الدعوة المعبرة عن أهمية وعظم الأمر الذي أُستُعمل فيه القصر، لذا فإنه ينبغي للداعية أن يفيد من هذا الأسلوب في دعوته.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل الآخرة والزهد في الدنيا:

من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث فضل الحياة الأخروية والزهد في الدنيا، وذلك؛ لأن الآخرة دار البقاء ودار النعيم الدائم، أما الدنيا فهي دار الفناء ودار النعيم الزائل، وقال ابن عثيمين: (قوله ﷺ: "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة"، يعني: العيشة الهنية الراضية الباقية هي عيش الآخرة، أما الدنيا فإنه مهما طاب عيشها فمآلها للفناء وإذا لم يصحبها عمل صالح فإنها خسارة)[٢]، قال تعالى:

---

(١) انظر: دراسة الأساليب الإنشائية في صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، ص ٣٢٨، د. ناصر راضي الزهري، رسالة مخطوطة في كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بأسيوط.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/٧٩٣.

﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[١]، وقال أيضًا: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾[٣].

قال ابن كثير رحمه الله: (يقول تعالى مخبرًا عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها، وأنها لا دوام لها، وغاية ما فيها لهو ولعب "وإن الدار الآخرة لهي الحيوان" أي: الدائمة الحق الذي لا زوال لها انقضاء، بل هي مستمرة أبد الآباد، وقوله: "لو كانوا يعلمون" أي: لآثروا ما يبقى على ما يفنى[٤].

فالدنيا بالنسبة للآخرة دنيئة ليست بشيء، قال رسول الله ﷺ: ((ومَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ من الجنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدّنْيَا وَمَا عليها))[٥]. وليكن شعار كل مؤمن الزهد في هذه الحياة الدنيا الفانية ولا يحبها حب شهوة كحب من أراد أن يكون كأهل وقوم قارون، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾[٦].

فهذه هي عادة الناس يحبون ويرغبون في الحياة الدنيا ويتمنوا أن يكونوا كأغنيائها، ولذلك كان الرد من الذين زهدوا الدنيا وعلموا أن الآخرة هي خير من أي أموال. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ

---

(١) سورة التوبة، آية: ٣٨.

(٢) سورة النساء، آية: ٧٧.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٦٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٢٩٤.

(٥) أخرجه البخاري ٢٨٩٢.

(٦) سورة القصص، آية: ٧٩.

(٧) سورة القصص، آية: ٨٠.

فِي حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [1]) [2].

فينبغي على الداعية أن يبين للمدعوين فضل الحياة في الآخرة وأنها هي الباقية، أما الدنيا فهي زائلة فلا بد من الزهد فيها مع بيان حقيقة الزهد.

ثالثًا - من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن من واجبات الداعية التي تستنبط من هذا الحديث بيان الحقائق للمدعوين، ويظهر ذلك من بيان رسول الله ﷺ لحقيقة العيش والنعيم وأنه هو عيش الآخرة.

فمهما بلغت الحياة الدنيا من الطيبات والملذات فإن مصيرها إلى زوال وفناء، ولكن الله تعالى أعدّ لعباده المؤمنين في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فالداعية ناصح أمين عالم بحقيقة الأشياء فينبغي له أن يبين الحقائق للمدعوين وإلا عوقب على كتمان العلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [3].

إن ذلك يوجب على الداعية بيان الحقائق للمدعوين وعدم كتمانها، لأن ذلك من صميم رسالته الدعوية التي كُلّف بها.

---

(١) سورة الشورى، آية: ١٩.

(٢) تفسير البيضاوي ٣٠٤/١ بتصرف يسير.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٩.

الحديث رقم (٤٦٠)

٤٦٠ - وعنه، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلاَثَةٌ: أهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ: فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أهْلُهُ وَمَالُهُ وَيبْقَى عَمَلُهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يتناول معنى المنافع الحقيقية التي يجب أن يسعى إليه الإنسان، ويدخرها للآخرة، ففيه ترغيب ضمناً في التزود من العمل الصالح، وترهيب من سيء العمل، والأسلوب خبري يصور بحركة الفعل المضارع جنازة ميت يصير خلفه ثلاثة يشيعونه يرجع اثنان، ويبقى منهم واحد، وذكر العدد ثلاثة ثم تفصيله من التفصيل بعد الإجمال تشويقاً للسامع، وتوكيداً للمعنى، وفي الحديث حسن تقسيم لأنه ذكر كل ما يتبع الميت في قوله: (ثلاثة) ثم قسمها: (أهله - ماله - عمله) ثم فرقها بقوله: (فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أهْلُهُ وَمَالُهُ وَيبْقَى عَمَلُهُ) ومثل هذا الصنيع من التصرف في فنون القول على ما فيه من التشويق للمعنى، وإعمال ذهن المخاطب بما يجعله مستغرقاً في المعنى، فإنه يقرر المعنى، ويؤكده، حيث كرر من يتبع الميت ثلاث مرات، دون أن نشعر بتكرار، مع إضافة معنى جديد في كل مرة ذكره فيها فقد ذكر أولاً أن من يتبع الميت ثلاثة، هم أهله، وماله، وعمله، ثم ذكر الثلاثة مرة ثانية، وأضاف معنى بقاء اثنين، ورجوع واحد، وهو ما يجب أن يحرص عليه المؤمن، ثم ذكر الثلاثة مرة ثالثة بإضافة معنى التعريف بالباقي ليتنبه الإنسان إليه، والتنبيه على الذي يرجع، وهما أهله، وماله، والتحذير من الانشغال بهما على حساب الباقي.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥١٤، ومسلم ٥/٢٩٦٠، والسياق للحميدي في جمعه ٢/٥٣٥، رقم ١٨٩٨، وتقدم برقم ١٠٤. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٢٧.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٠٤).

الحديث رقم (٤٦١)

٤٦١ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَاللهِ، يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَاللهِ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

البؤس: الخضوع والفقر وشدة الحاجة[2].

فيصبغ في النار صبغة: أي: يُغمس كما يغمس الثوب في الصِّبغ[3].

الحديث يتناول مشهداً من الغيب المنتظر يوضح المفارقة بين مقاييس الدنيا، والآخرة في النعيم، والعذاب، والحديث مفعم بوسائل الإنشاء التي تصف أدق المشاعر، وأخفاها في نفس المتكلم كما يعتمد المطابقة بين أنعم أهل الدنيا، وحاله بعد أن يغمس في النار، وبين أبأس أهل الدنيا، وحاله بعد أن يغمس غمسة في الجنة، وقوله (يصبغ صبغة) فيه جناس يقرر المعنى، ويؤكده، ولفظ صبغة يدل بوزنه على أنها صبغة، واحدة مما يدل على قوة الأثر، ومدى التغيير، وقوله (هل رأيت خيراً قط) استفهام تقرير للتحقيق، والتثبيت ينوه بشدة أثر العذاب الذي أنسته غمسة فيه ألوان النعيم التي طالما أترف فيها، وقوله (هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟) استفهام تقرير، وتوكيد للأول غير أن الثاني أضاف خصيصة للسؤال، وهي كونه لم يمر، ولو عرضاً بنعيم،

---

(١) برقم ٢٨٠٧/٥٥. أورده المنذري في ترغيبه ٥٤٣٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب أ س)

(٣) المرجع السابق في (ص ب غ).

ولو لغيره، ومعنى هذا أن تلك الغمسة محت من ذاكرته كل متاع رآه في الدنيا لنفسه، أو حتى لغيره، ويدل على ذلك رده على السؤال (لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ) وعبارته بنيت على إيجاز يتطلبه الموقف، ومعناها: لا لم أر نعيماً ولم يمر بي خير قط، ثم أكد إجابته بالقسم بالله، ولا ننسى أنه يقسم بالله بين يدي الله بعد أن صار إلى عين اليقين، وهو موقف لا يحتمل الكذب فلماذا قال ما قال؟ مع أنه أكثر أهل الأرض نعيماً دل على ذلك استخدام أفعل التفضيل (أنعم)، والمفضل عليه (أهل) المضاف للدنيا، والحقيقة أنه لم يكذب؛ لأنه لم يخالف قوله ما يشعر به، ولكن شدة الهول محت من ذاكرته ما رآه محواً لم يبق له أثراً ومن هنا نتبيَّن عبقرية اختيار اللفظ في التعبير بـ(صبغة) لأنها تدل على صبغ صاحبها بصبغتها، وتلوينه بلونها، وتحويله، وهو ما حدث مع أنعم أهل الدنيا حيث صبغته بصبغة الجحيم فصار جحيماً حتى الذكرايات التي مرت به صبغتها، وكأنها من هولها انسحبت على الماضي، حتى لا يغتر شقي بما هو فيه من نعيم يذوب في غمسة في الجحيم، ثم قابل هذا المعنى المقرر بمقابله لصورة النعيم الذي يمحو بصبغة منه كل شقاء رآه أشقى أهل الأرض إشارة إلى أن على المؤمن أن يصبر على ما يلاقيه من مشقة الطاعة، وشدة الصبر عن المعصية، وما يكابده في الحياة، لأن غمسة في الجنة ستنسيه ما هو فيه مع أنه أقل شقاء من غيره.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن بعض أحوال أهل الجنة وأحوال أهل النار.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: تنعيم أهل الجنة وشدة عذاب أهل النار.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: السعادة الحقيقية بدخول الجنة، والشقاوة الحقيقة بدخول النار.

أولاً – من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن بعض أحوال أهل الجنة وأحوال أهل النار:

إن من خصوصيات النبي ﷺ التي تظهر في هذا الحديث الإخبار عن بعض أحوال أهل الجنة وأهل النار، يظهر ذلك في قوله ﷺ: "يؤتى بأنعم الدنيا من أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة.. ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة...".

إن هذا من معجزات رسول الله ﷺ ودلائل نبوته ما اطلع عليه من الغيوب الماضية والمستقبلة وإخباره عنها، وإذا كان من المعلوم أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده فقد جاءت أدلة تفيد أن الله تعالى استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم[1].

قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[2]، وما وقع من على لسان رسول الله ﷺ من الإخبار بالمغيبات فبوحي من الله تعالى وهو من إعلام الله عز وجل لرسوله ﷺ للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته[3].

وقد ورد عنه ﷺ الكثير من الأخبار التي تتعلق بأهل الجنة وأهل النار منها قوله ﷺ: ((اطَّلَعْتُ في الجنة فرأيتُ أكثرَ أهلِها الفُقَراءَ، واطَّلعتُ في النار فرأيتُ أكثرَ أهلِها النساءَ))[4].

ثانيًا – من اساليب الدعوة: الترهيب:

ويظهر ذلك في ذكر رسول الله ﷺ لحال من يغمس مرة في النار وفي ذلك ترهيب

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٥٤٢/١.

(٢) سورة الجن، الآيتان: ٢٦ – ٢٧.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٥٤٣/١.

(٤) أخرجه البخاري ٢٧٣٨.

من النار وشدة عذابها وتخويف الناس منها وذلك من أجل أن يحرصوا على العمل الصالح الذي ينجيهم من عذابها، وقد ورد الترهيب في هذا الحديث لأجل أبعاد المدعو عن الإخلاد إلى الدنيا وزخارفها ومُتعها الزائلة، وتخويفه بالترهيب من الله وحسابه وعقابه وناره. وبيان أن كل ذلك إلى فناء وأنه لا يغني عن الإنسان شيئًا، والدعاة مطالبون بانتهاج هذا الأسلوب مع الناس.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في ذكر رسول الله ﷺ لحال من يغمس مرة واحدة في الجنة من أهلها وفي ذلك ترغيب من رسول الله ﷺ في الجنة ونعيمها، وأسلوب الترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[(١)].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: تنعيم أهل الجنة وشدة عذاب أهل النار:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث تنعيم أهل الجنة وشدة عذاب أهل النار. ويشهد لذلك في الحديث قوله ﷺ: "يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار".

وتنعيم أهل الجنة قال فيه الله تعالى: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[(٢)]، قال السعدي: (أي: كل ما تعلقت به مشيئتهم فهو حاصل فيها "ولدينا" فوق ذلك "مزيد" أي: ثواب يمدهم به الرحمن الرحيم، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[(٣)].

وأما شدة عذاب أهل النار فقد قال فيه تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾[(٤)].

قال السعدي رحمه الله: (ذكر حال أهل النار وعذابهم فقال: "والذين كفروا" أي: جحدوا ما جاءتهم به رسلهم من الآيات وأنكروا لقاء ربهم لهم نار جهنم، يعذبون فيها

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

(٢) سورة ق، آية: ٣٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٥٠.

(٤) سورة فاطر، آية: ٣٦.

أشد العذاب، وأبلغ العقاب "لا يقضى عليهم" بالموت "فيموتوا" فيستريحوا، (ولا يخفف عنهم من عذابها) فشدة العذاب وعظمه مستمر عليهم في جميع الآناء واللحظات"[١]، ومن تنعيم أهل الجنة قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢] وسبب هذا النداء هو وعد الله أصحاب أهل الجنة النعيم والكرامة وكل خير علمه الناس أو لم يعلموه ووعد أهل النار كل خزي وعذاب علمه الناس أو لم يعلموه، ولذلك كان رد أهل النار على أهل الجنة "نعم" لقينا من الخزي والهوان والعذاب ما كان نتيجة لأعمالنا، لكن قال أهل الجنة فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا من النعيم والكرامة[٣]. فينبغي على الداعية أن يذكّر المدعوين بالجنة ونعيمها والنار وعذابها.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: السعادة الحقيقية بدخول الجنة، والشقاوة الحقيقة بدخول النار:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث السعادة الحقيقية تتحقق بدخول الجنة وهذا يظهر من بيانه ﷺ لحال من غُمس مرة في الجنة فينسى بؤس الدنيا كله، والشقاوة الحقيقية في دخول النار ويظهر ذلك في بيان رسول الله ﷺ لحال أكثر الناس نعيمًا في الدنيا فغمسة واحدة في النار تنسيه نعيم الدنيا.

وقد بيّن المولى تبارك وتعالى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ۝١٠٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧ ۞وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٦٣٦.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٤٤.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ٥/٤٩٥.

مَجْذُوذٍ﴾[(١)]، فأهل النار في شقاء دائم لا ينقطع لاتصال عذابهم وأهل الجنة في نعيم دائم لا ينقطع لاتصال نعيمهم. لأنهم كانوا دائمًا ما يشعرون بمعية الله فتجعلهم في أُنس دائم بربهم، ونعيم موصول بقربة يحسون أبدًا بالنور يغمر قلوبهم ولو أنهم في ظلمة الليل البهيم ويشعرون بالأنس يملأ عليهم حياتهم وإن كانوا في وحشة من الخلطاء والمعاشرين ينشد ما قاله العبد الصالح:

إن قلبًا أنت ساكنهُ ... غير محتاج إلى السرج [(٢)]

(١) سورة هود، الآيات: ١٠٥ - ١٠٨.

(٢) الإيمان والحياة، القرضاوي، ص ١٠٠.

الحديث رقم (٤٦٢)

٤٦٢ - وعن المُسْتَوْرِد بن شَدَّاد رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: (([١] **مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ**)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

المستورد بن شداد: هو المستورد بن شدّاد بن عمرو القرشي الفِهْري المكي، له ولأبيه صحبة. قيل: إنه كان غلامًا يوم قُبض رسول الله ﷺ ولكنه سمع منه ووَعَى عنه.

شارك في الفتوحات وساهم في نشر دين الله، فقد شهد فتح مصر.

سكن الكوفة ثم أقام بمصر وسكنها، وقد روى عنه المحدثون من أهل الكوفة والبصرة ومصر وغيرهم. وله في صحيح مسلم حديثان.

توفي بالإسكندرية ٤٥هـ في خلافة معاوية[٣].

غريب الألفاظ:

اليم: البحر[٤].

---

(١) عند مسلم قبل هذا زيادة: (والله). تبع فيه المؤلفُ، والمنذريُّ: الحميديَّ في جمعه ٥٣٧/٣، رقم ٣١٠٠ حيث لم يوردها.

(٢) برقم ٢٨٥٨/٥٥. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٤٢.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٧٠٢، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٤٨/٥ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٣٠، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٨٢/٧، والتهذيب ٥٧/٤ والأعلام، خير الدين الزركلي ٢١٥/٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ي م م).

الشرح الأدبي

وقد استخدم الرسول ﷺ عدة أشكال بلاغية في تمام الدقة والإصابة، وتمام الوضوح، وأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء لينفي أن تكون الدنيا بالنسبة للآخرة إلا كهذا المقدار الذي أصاب الإصبع فبلله بالنسبة للبحر، وهو قصر موصوف هو (كون الدنيا) على صفة وهي المقدار القليل المشار إليه من خلال المثل، ثم يأتي التشبيه التمثيلي في قوله ﷺ: (ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم) فقد شبه الرسول ﷺ حال الدنيا ونسبتها إلى الآخرة بحال ونسبة الإصبع المبلل بالقياس إلى ماء البحر، ووجه الشبه نسبة المحدود إلى ما لا حدود له سواء في الزمان، أو المكان أو فيما يشتمل على كل منهما"وهذا التشبيه يجعل المعنى واضحاً أتم الوضوح لبيان حال الدنيا بالنسبة للآخرة، ويقرر قصر عمر الدنيا وسرعة زوالها، ويصل بهذا المعنى إلى جميع المخاطبين على اختلاف أفهامهم بنفس الدرجة التي يصل بها إلى أسرعهم فهماً، وهذا مما لا تجده إلا في طبقات الكلام العالي، كالقرآن وكلام الرسول ﷺ، وفي بعض كلام بعض أذكياء البلغاء، ثم يأتي أسلوب الأمر ليؤكد العبرة ويخلص إلى المراد في قوله ﷺ (فلينظر بم يرجع؟) بغرض اللفت والتنبيه والاعتبار؛ ليضع النتيجة المراد استخلاصها من الحديث في بؤرة الشعور بين السمع والبصر ومركز العقل حتى ترسخ فيها صورة حقيقية للدنيا، وحقارتها بجوار الآخرة، والوصول بالمخاطبين إلى حقيقة صارت مؤكدة في الحديث وهو هوان الدنيا - حتى إذا ما ازدهرت يوماً - بين يدي أحدهم تذكر سبابة الرسول ﷺ تحكي إصبعاً مبللاً إزاء بحر هذا البلل هو دنياه"[1].

أولاً: من أساليب الدعوة: القصر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: ضرب الأمثال.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حقارة نعيم الدنيا مقارنة بنعيم الآخرة.

رابعًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

---

(١) انظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري، ١١١.

أولاً - من أساليب الدعوة: القصر:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ...".

حيث قصر الدنيا بالنسبة للآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها ودوام الآخرة، ودوام لذاتها، ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصبع إلى باقي البحر"[١].

وأسلوب القصر من أساليب الدعوة التي ينبغي أن يستخدمها الداعية لقصر دعوته أو كلامه على ما يريد حث المدعوي عليه والاهتمام به.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: ضرب الأمثال:

يظهر في قوله ﷺ "... إلا مثل ما يجعل أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع؟" فضرب مثل لتوضيح قلة نعيم الدنيا بالنسبة للآخرة كالذي وضع أصبعه في البحر وأخرجه.

إنه تشبيه وهو قمة في البلاغة، إذ وضح رسول الله ﷺ ضآلة الدنيا وما فيها أمام عظمة نعيم الآخرة، وأن نسبة ما ذكر من نعيم الدنيا وقلة زمانها إلى نعيم الآخرة ليس إلا مثل نسبة ذرات الماء الباقية على الإصبع إذا غمست في البحر.

قال المناوي: (فلينظر نظر اعتبار وتأمل بم يرجع، وضعه موضع قوله "فلا يرجع بشيء" استحضارًا لتلك الحالة بأن يستحضر مشاهدة السامع ثم يأمره بالتأمل والتفكر هل يرجع بشيء أم لا؟ وهذا تمثيل تقريبي وإلا فأين المناسبة بين المتناهي وغيره؟ والمراد أن نعيم الدنيا بالنسبة لنعيم الآخرة في المقدار كذلك أو ما الدنيا في قصر مدتها وفناء لذتها بالنسبة للآخرة في دوام نعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصابع إلى باقي البحر)[٢].

وأسلوب ضرب الأمثال أسلوب من الأساليب الدعوية المهمة، فقد كان رسول الله ﷺ يستعين به على توضيح المواعظ بضرب المثل مما يشاهده الناس بأم أعينهم، ويقع تحت حواسهم وفي متناول أيديهم ليكون وقع الموعظة في النفس أشد وفي الذهن أرسخ.

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٦٤.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٣٥٩/٦.

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذي يَقْرَأُ القُرآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُها طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذي لا يقْرَأُ القُرآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ ولا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الفاجِرِ الَّذي يَقْرَأُ القُرآنَ كَمَثَلِ الرَّيحانَةِ رِيحُها طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، ومَثَلُ الفَاجِرِ الَّذي لا يَقْرَأُ القُرآنَ، كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ، طَعْمُهَا مُرٌّ، وَلا رِيحَ لَهَا))[١].

فالناس كما قسمهم الرسول ﷺ أربعة أنواع، والسامعون يرهفون السمع وحاسة التصوير يريدون أن يتعرفوا هذه الأقسام الأربعة ليوازنوا بينها، ويحددوا في أي صنف يكونون... وهذه الموازنة تجعلهم يرغبون بالتعرف على سمات كل طائفة، ثم ينضمون إلى الطائفة الموجودة[٢]. فضرب الأمثال من أساليب الدعوة التي اعتبرها الشرع الحنيف، وأكثر القرآن من ذكرها[٣]؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٤].

فينبغي على الداعية استخدام أسلوب ضرب الأمثال ليقرب المعنى إلى الأفهام ويحرك العواطف والوجدان إلى قبول دعوته.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: حقارة نعيم الدنيا مقارنة بنعيم الآخرة:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث حقارة نعيم الدنيا مقارنة بنعيم الآخرة، فالحياة الدنيوية لا تقارن بالحياة الأخروية، والإنسان في الدنيا أشبه حالاً بالمسافر أو الغريب عابر سبيل.

قال رسول الله ﷺ: ((مَالِي وَلِلدُّنْيَا، ما أَنَا في الدُّنْيَا إلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا))[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٢٠، ومسلم ٧٩٧.

(٢) انظر: التربية النبوية، عثمان قدري مكانسي ص٣١، ٣٢.

(٣) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص ٣٢٤.

(٤) سورة النور، آية: ٣٥.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٣٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٣٦).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((أخذ رسولُ اللّه ﷺ بمنكبي فقال: كن في الدُّنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سَبِيل. وكان ابنُ عمرَ يقول: إذا أمسيتَ فلا تنتَظِر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء. وخُذْ من صحتِكَ لمرضِك، ومن حَياتِك لموتك))(١).

قال ابن رجب: (وهذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا، وأن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطنًا ومسكنًا، فيطمئن فيها، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر: يهيئ جهازه للرحيل.

وقد اتفقت على ذلك وصايا الأنبياء وأتباعهم، قال تعالى حاكيًا عن مؤمن آل فرعون أنه قال: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾(٢))(٣).

إن التفاوت بين نعيم الدنيا والآخرة كبير، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلاً﴾(٤). وقال تعالى: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾(٥).

وقال ابن كثير: (ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى فإن الدنيا دنية فانية، والآخرة شريفة باقية)(٦).

رابعًا - من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

يظهر ذلك من بيان رسول الله ﷺ لدنو الدنيا وحقارتها بالنسبة للآخرة ونعيمها وهى حقيقة بينها رسول الله ﷺ لأمته. (فمثل من يتلهى بالدنيا عن الآخرة كمثل من يتشاغل بصورة عما تدل عليه أو تصوره، بل الأمر أيسر من هذا. إن ما يحصله من الخير

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤١٦.

(٢) سورة غافر، آية: ٣٩.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٣٧٧.

(٤) سورة النساء، آية: ٧٧.

(٥) سورة الأعلى، الآيتان: ١٦-١٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٣٨٢.

لا قيمة له بالنظر إلى ما يفوته، إن يفرح بقطرة من بحر النعم الكبير وينسى ما يتركه فعلى المؤمن أن يتعقل وعلى الكافر أن يتدبر ومن الله التوفيق والتسديد)[١].

فالداعية هو الذي يبين للناس الحقائق لأنه يقوم بالأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والناس يثقون في أقواله فينبغي عليه أن يبين لهم حقيقة الأشياء، وإن لم يفعل خشي أن ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[٢]، فينبغي على الداعية بيان الحقائق للمدعوين.

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم، ص ٢١١.

(٢) سورة البقرة، آية : ١٥٩.

الحديث رقم (٤٦٣)

٤٦٣ - وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ بالسُّوقِ[(١)]، وَالنَّاسُ كَنَفَتَيْهِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: ((**أَيُّكُم يُحِبُّ أنْ يَكُونَ**[(٢)] **هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟**)) فقالوا: مَا نُحِبُّ أنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ ثُمَّ قَالَ: ((**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**)) قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا[(٣)]، إنَّهُ أسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ! فقال: ((**فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**)) رواه مسلم[(٤)].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

كَنَفَتيه: عن جانبيه[(٥)].

الأسَكُّ: الصغير الأذُن[(٦)].

درهم: قطعة نقدية من الفضة وزنها ٢,٨١٢ جرامًا، أي ما يزيد قليلاً عن ثلاثة جرامات من الفضة إلا ربعًا[(٧)].

أراد النبي ﷺ أن يقرر بصورة عملية أن الدنيا لا تساوي عند الله شيئاً، وقد توصل لهذا بضرب المثل الماثل بينهم بهذه الجيفة التي ألقاها أصحابها زهداً فيها فأمسك بها مسكة تمهد لما يرمي إليه من تحقير للممثل له فأمسك بأُذن الجدي ثم قال :(أيكم

---

(١) عند مسلم زيادة: (داخلاً من بعض العالية)، وهي لا توجد عند المنذري في ترغيبه.

(٢) لفظ مسلم: (أن هذا).

(٣) عند مسلم زيادة: (فيه).

(٤) برقم ٢٩٥٧/٢. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٣٢.

(٥) رياض الصالحين ٢٢٤.

(٦) المرجع السابق ٢٢٤.

(٧) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٨٩.

يحب أن هذا له بدرهم؟) وطريقة عرض الرسول ﷺ زادت هذا المعروض حقارة زادها استفهامه تحقيراً قرره الصحابة بردهم (ما نحب أنه لنا بشيء)، وأكدوه باستفهامة لخُصت حجم هذا التحقير (وما نصنع به؟) ثم عاد يقرر، ويؤكد على هذه الحقيقة مرة أخرى بتقريرهم بها (قال: أتحبون أنه لكم ؟) فإذا انتهي هذا الحوار بالسؤال، والإجابة وانتهي إلى نتيجة مؤكدة ثابتة في الأنفس بمدى هوان هذا الجدى الأسك عند أهله، وأكد تحقيره له حياً؛ لأنه أسك، وميتاً؛ لأنه جيفة - لا تنفع - نقل كل هذا الاحتقار في النفوس لهذه الجيفة السكاء بكامل هوانها؛ ليقرر بها مدى هوان الدنيا عند الله، وأنها لا تساوى جناح بعوضة، وتشبيهها بهذه الجيفة تنفيراً للصحابة منها؛ لكي لا يتنافسوا فيها، ويصرفهم إلي الحياة الكاملة - في الآخرة - ، وطريقة النبي ﷺ طريقة استدراج، وتقرير للحكم بحقارة الدنيا، وهوانها، يتوصل إليه المخاطب بنفسه، ويقرره بنتيجة لا يمكنه إنكارها؛ وبذلك يكون قد خاطب في المخاطبين كل مواطن الحس، وحرك فيهم سواكن المشاعر، وأقرت بذلك عقولهم بعد أن وعته قلوبهم، لقد طبع بدقة أسلوبه، وتنويعه بين الوسائل المرئية، والمسموعة والمعقولة طبع في أنفسهم صورة المتكالبين على الدنيا بصورة لاهثين في مضمار للفوز بجيفة جدي أسك، وهذا من تمام فطنة الرسول ﷺ.

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١ - جواز مس ميتة مأكول اللحم، وأن غسل اليد بعد مسها ليس بضروري[١].

٢ - حكم الأضحية بالسكاء.

اتفق الفقهاء على أن السكاء إذا كانت صغيرة الأذنين فإنها تجزئ في الأضحية، إلا أن المالكية قالوا: إن كانت الأذن صغيرة جدًا، بحيث تقبح معها الخلقة فلا تجزئ.

أما التي خلقت بلا أذنين، فقد اختلف الفقهاء في حكمها هل تجزئ أم لا؟ فذهب الجمهور إلى أنها لا تجزئ في الأضحية. لقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أمرنا رسول

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٨/١.

الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن[1] أي: أن نتأمل سلامتها من الآفات [2].

وذهب الحنابلة إلى أنها تجزئ؛ لأن ذلك لا يخل[3].

أولاً: من أساليب الدعوة: ضرب الأمثال.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: القسم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: هوان الدنيا على الله.

أولاً - من أساليب الدعوة: ضرب الأمثال:

يظهر ذلك في ضربه مثل الدنيا وهوانها على الله بالجدي الميت وهوانه وعدم قيمته عند الناس.

ولضرب الأمثال أثناء الدعوة أكبر الآثار في النفوس - فإن المقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر في العقول مالا يؤثره وصف الشيء ذاته - ذلك بأن الغرض من ضرب المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته ويصير الحس مطابقًا للعقل، وذلك هو النهاية في الإيضاح[4].

(والأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس، الذي يلمسه الناس فتقبله العقول، لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن، إلا إذا صيغت في صورة حية قريبة الفهم، وتكشف الأمثال عن الحقائق وتعرض الغائب في معرض الحاضر، وتجمع الأمثال المعنى الرائع في عبارة موجزة. ويضرب الممثل للترغيب في المثل به حين يكون مما ترغب فيه النفوس،

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٨٠٤، والترمذي ١٥٠٣، والنسائي ٤٣٧٨، وابن ماجه ٣١٤٣، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٥٤٤).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (ش ر ف)

(٣) البدائع ٧٥/٥، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ١٢٠/٢، وحاشية الشبراملسي بهامش نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ١٢٨/٨، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٦/٣، والمغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٦٢٥/٨.

(٤) انظر: هداية المرشدين، علي محفوظ، ص ١٧٧.

ويضرب المثل للتنفير حينما يكون الممثل به مما تكرهه النفوس، ويضرب المثل لمدح الممثل به، ويضرب المثل حين يكون المُمَثَّل به فيه صفة يستحقها الناس)[(١)].

(وللأمثال قدرة على الاستحواذ على المشاعر، وإيقاظ النفوس، وتجديد نشاطها، فالإنسان يميل بطبيعته إلى الاستشهاد بالأمثال لما يرى فيها من جمال حكمتها، ولطافة لفظها، وإصابتها المعنى)[(٢)] (فإن الأمثال وسيلة من وسائل الإقناع، فإن المورد للمثل، إنما هو في الحقيقة يقيس الأمر الذي يدعيه على أمر معروف ومسلم به عند من يخاطبه، ومن ثم لزم التسوية بينهما في الحكم.

وقد استعمل رسول الله ﷺ المثل وسيلة من وسائل الدعوة بنواحيها المختلفة[(٣)].

ثانيًا: من أساليب الدعوة: القسم:

ويظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "فو الله ..."؛ حيث أقسم رسول الله ﷺ على أن الدنيا أهون عند الله من هذا الجدي الأسك الميت.

وأسلوب القسم له شأن عظيم وتأثير عجيب في الدعوة إلى الله، إذ أنه يعمل على تعظيم الأمر في نفس المدعو وذهنه، كما يعمل على جمع الانتباه حول المقسم عليه، بصيغة مؤكدة من المقسم، خاصة إذا كان المقسم هو رسول الله ﷺ المؤيد بالوحي من عند الله، فإن ذلك يساعد على تثبيت المعاني المشتملة عليها الدعوة هذا من جهة، ومن جهة أخرى: فإن العقل الإنساني تعود وأدرك أن الكلام العظيم المستحق للاهتمام هو الذي يبدأ بالقسم، فعلى سبيل المثال لما أراد ﷺ أن يبين الوعيد الوارد في عصيان المرأة زوجها، كما جاء ذلك في أحاديث صحيحة، منها ما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((إذا دعا الرجل امرأته لفراشه ، فأبت أن تجيء فبات غضبانًا عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح))[(٤)].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٤٢.

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ٢٩٩.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص ٤٢٣-٤٢٤.

(٤) أخرجه البخاري ٥١٩٣.

وفي رواية عند الإمام مسلم عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا، فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلاَّ كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا، حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا))[(١)] فعند سماع هذا الوعيد يشعر المدعو بقشعريرة في نفسه وبدنه، ولكن في الرواية الثانية يشعر بمزيد خوف وحذر، والسبب كما هو واضح تقديم النبي ﷺ الوعيد وتأكيد بالقسم بذات الله العظيمة، فأعطى للحديث قوة ترهيب أكثر[(٢)].

والقسم النبوي يبصر بالعاقبة الوخيمة للعصاة ومن ذلك قوله ﷺ ((يا أمةَ محمد والله لو تَعلمونَ ما أعلمُ، لضحِكتم قليلاً ولبَكيتم كثيرًا))[(٣)] فالحديث فيه إشارة مؤكدة إلى عاقبة الذين اتخذوا الدنيا دارًا للهو والضحك والمسرات، بأن عاقبته ستكون ندمًا وحزنًا وبكاء، وقد أكد عليه الصلاة والسلام ذلك بالقسم لاختصاصه ﷺ بمعارف بصرية وقلبية لم تجتمع لأحد غيره على وجه التفصيل كما جمع الله له بين علم اليقين على وجه لم يجتمع لغيره)[(٤)].

وأسلوب القسم من أساليب الدعوة التي تؤكد على أهمية الدعوة وذلك لأن الداعية لا يقسم إلا إذا كان هناك أمر عظيم يريد التأكيد عليه، مما يجعل المدعو أكثر حرصًا على إجابة الدعوة وشعورًا بأهميتها فينبغي على الداعية استخدام أسلوب القسم.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: هوان الدنيا على الله:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من هذا الحديث هوان الدنيا على الله ويظهر ذلك في قوله ﷺ: "فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم...".

قال القرطبي رحمه الله: (وقوله: "والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم" الدنيا: وزنها فُعْلى وألفها للتأنيث، وهي من الدنو بمعنى القرب، وهي صفةٌ لموصوف محذوف،

---

(١) أخرجه مسلم ١٤٣٦.

(٢) انظر: الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصرالله بن محمد نياز، ص ١٣٢-١٣٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٦٣١، ومسلم ٩٠١.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٣٦/١١، والترهيب في الدعوة ١٣٩.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[(١)] غير أنه قد كثر استعمالها استعمال الأسماء، فاستغني عن موصوفها، كما جاء في هذا الحديث والمرادُ: الدار الدنيا، أو الحياة الدنيا التي تقابلها الدار الأخرى، أو الحياة الأخرى، ومعنى هوان الدنيا على الله: أنَّ الله تعالى لم يجعلها مقصودة لنفسها؛ بل: جعلها طريقًا موصلةً إلى ما هو المقصودُ لنفسه، وأنه لم يجعلها دار إقامة، ولا جزاء، وإنما جعلها دار رحلةٍ وبلاء، وأنه ملكها في الغالب الكفرة والجهَّال، وحماها الأنبياءَ، والأولياء، والأبدال. وقد أوضح النبي ﷺ هذا المعنى فقال: ((لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ))[(٢)]، وحسبك بها هوانًا، أن الله قد صغَّرها، وحقَّرها، وذمَّها، وأبغضها، وأبغض أهلها، ومحبيها، ولم يرض لعاقلٍ فيها إلا بالتزوُّد منها، والتأهُّب للارتحال عنها، ويكفيك من ذلك ما رواه أبو عيسى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: ((الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إلاَّ ذِكْرُ الله وَمَا وَالاَهُ وَعَالِمٌ أَو مُتَعَلِّمٌ))[(٣)])[(٤)].

وقد استخدم النبي ﷺ عدة أساليب في بيانه وفي هذا الحديث استخدم العبارة والإشارة في قوله وإشارته إلى الجدي الميت، ليرسخ في القلوب معالم ومعاني الزهد في الدنيا وليؤكد على حقارة الدنيا عند الله تعالى.

قال ابن عثيمين رحمه الله: (فهذا جدي ميت لا يساوي شيئًا، ومع ذلك فالدنيا أهون وأحقر عند الله تعالى من هذا الجدي الأسك الميت، فهي ليست بشيء عند الله، ولكن من عمل فيها عملاً صالحًا؛ صارت مزرعة له في الآخرة، ونال فيها السعادتين: سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

أما من غفل وتغافل وتهاون ومضت الأيام عليه وهو لم يعمل؛ فإنه يخسر الدنيا

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٢٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٩٠).

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣٢٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٩١).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٠٨/٧.

والآخرة. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[2].

وكل ابن آدم خاسر إلا هؤلاء الذين جمعوا هذه الأوصاف الأربعة: آمنوا، وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، جعلنا الله وإياكم منهم)[3].

---

(١) سورة الزمر، آية: ١٥.

(٢) سورة العصر.

(٣) شرح رياض الصالحين ١/٧٩٣.

الحديث رقم (٤٦٤)

٤٦٤ - وعن أبي ذر رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبي ﷺ في حَرَّةٍ بالمَدينَةِ، فَاسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ، فقال: ((**يَا أَبَا ذَرٍّ**)) قلت: لَبَّيْكَ يَا رسولَ الله. فقال: ((**مَا يَسُرُّنِي أنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَلاثَةُ أيَامٍ**[1] **وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إلاَّ شَيْءٌ أرْصُدُهُ لِدَيْنٍ**[2]**، إلاَّ أنْ أقُولَ بِهِ في عِبَادِ الله هكذا وَهَكَذَا وَهكَذَا**)) عن يَمِينِهِ وعن شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، ثُمَّ سَارَ[3]، فقال: ((**إنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ إلاَّ مَنْ قَالَ بالمَالِ**[4] **هكَذَا وَهكَذَا وَهكَذَا**)) عن يمينِهِ وعن شِمَالِهِ ومِنْ خَلْفِهِ ((**وَقَلِيلٌ مَا هُمْ**)). ثُمَّ قَالَ لي: ((**مَكَانَكَ لاَ تَبْرَحْ حَتَّى آتِيكَ**)) ثُمَّ انْطَلَقَ في سَوادِ اللَّيْلِ حَتَّى تَوَارَى، فَسَمِعْتُ صَوتًا، قَدِ ارْتَفَعَ، فَتَخَوَّفْتُ أنْ يَكُونَ أحَدٌ[5] عَرَضَ للنَّبيِّ ﷺ، فَأَرَدْتُ أنْ آتِيهِ فَذَكَرتُ قَوْلَه: ((**لا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ**)) فلم أبْرَحْ حَتَّى أتَانِي، فَقُلْتُ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوتًا تَخَوَّفْتُ مِنْهُ[6]، فَذَكَرْتُ لَهُ، فقال: ((**وَهَلْ سَمِعْتَهُ؟**)) قلت: نَعَمْ، قَالَ: ((**ذَاكَ جِبريلُ أتَانِي. فقال: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لاَ يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**))، قلت: وَإنْ زَنَى وَإنْ سَرَقَ؟ قَالَ: ((**وَإنْ زَنَى وَإنْ سَرَقَ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[7]، وهذا لفظ البخاري.

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

حرَّة المدينة: الحرة: الأرض ذات حجارة سُود كأنها أحرقت. وحرّة المدينةَ: موضع بظاهر المدينة تحت واقم[8].

---

(١) لفظ البخاري (ثالثة).

(٢) أخرجه مسلم ٣١/٩٩١ إلى هنا، وكذا البخاري برقم ٢٣٨٩.

(٣) لفظ البخاري: (مشى).

(٤) (بالمال) لا توجد عند البخاري.

(٥) (أحد) لا توجد عند البخاري.

(٦) (منه) لا توجد عند البخاري.

(٧) أخرجه البخاري ٦٤٤٤ واللفظ له، ومسلم ٣٢/٩٤ بعد الحديث ٣١/٩٩١. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٧٠.

(٨) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ر ر)، وأطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ١٤٤.

أُحُدُ: جبل أحمر بينه وبين المدينة المنورة قرابة ميل في شماليها[١].

أرْصُدُهُ: أُعِدُّه أو أحفظه[٢].

أقول به: قال ابن الأثير: العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام واللسان، فتقول: قال بيده: أي: أخذ. وقال برجله: أي مشى... وقال بثوبه: أي رفعه. والمراد هنا: إنفاق المال والتصدق به[٣].

قال بالمال: أشار به[٤].

سواد الليل: أي ليلة قد غاب فيها القمر[٥].

توارى: أي غاب شخصه[٦].

عرض للنبي ﷺ: أي تعرّض له بسوء[٧].

الحوار الذي دار بين رسول الله ﷺ وصاحبه يدل على المحبة، والإجلال يجسِّد ذلك النداء في بدايته (يَا أَبَا ذَرٍّ) والرد المفعم بالإجلال، والتقدير(لَبَّيْكَ يَا رسولَ الله)، و قول الرسول ﷺ: (أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ الله) كناية عن إنفاق المال، وقوله: (هكذا وَهَكَذَا وَهكَذَا) كناية عن جهات الإنفاق التي تشير إلى تعدد طرق الإنفاق، وقد وضحها الراوي بقوله: (عن يَمِينِهِ وعن شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) ومن الملاحظ أن الإشارة لم تشمل ما بين يديه، ولعل ذلك يرجع إلى أن ما بين يدي الإنسان بيِّن لا يحتاج إلى توضيح، وغالباً ما يكون ما بين يديه من أهله، وخاصته الذين يلزمه نفقتهم، بعكس

---

(١) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٣، وأطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ١١٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ص د).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٧٧٨، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧١/١١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧١/١١.

(٥) المرجع السابق ٢٧١/١١.

(٦) المرجع السابق ٢٧١/١١.

(٧) المرجع السابق ٢٧١/١١.

من خلفه ومن على يمينه، وشماله، فإنه لا يراهم إلا إذا نبه إليهم، والتفت إليهم، وقول الرسول ﷺ (((إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ) كثافة المؤكدات في العبارة تؤكد أهمية الخبر، والرغبة في صرف اهتمام المخاطب إلى العناية بالخبر، وتوسيط ضمير الفصل (هم) بين المبتدأ، والخبر يفيد اختصاصه به، والتقييد بالظرف (يوم) وإضافته للقيامة يصعِّد الإحساس بالخطر وقوله (إِلاَّ مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هكَذَا وَهكَذَا وَهكَذَا) استثناء من الحكم السابق يخرج المنفقين في وجوه الخير من الوعيد، وقوله (ذَاكَ جِبرِيلُ أَتَانِي. فقال: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ) استخدم إشارة القريب لقرب انصرافه، والإشارة إليه تشوق إلى الخبر الذي أرسل به، ومن اسم موصول متضمن معنى الشرط، يربط موت المسلم على الإخلاص بدخول الجنة، وقول الرسول (وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟) استفهام تقريري للتحقيق، والتثبيت لعظم البشرى، وقول جبريل عليه السلام (وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ) جملة شرطية محذوفة الجواب تقديره: دخل الجنة، واستخدام (إن) في الشرط يشير إلى عدم التحقق؛ لأنه من المستبعد أن يسرق المسلم المخلص، أو يزني، والحديث يتضمَّن بشارة عظيمة لأمة محمد ﷺ مع دعوة المسرفين للتوبة، والرجوع إلى الله.

ذكر ابن حجر لحديث أبي ذر فوائد كثيرة، نذكر منها ما يلي:

١ - حسن الأدب مع الأكابر، وأن الصغير إذا رأى الكبير منفردًا لا يتسور عليه، ولا يجلس معه، ولا يلازمه إلا بإذن منه. وهذا بخلاف ما إذا كان في مجمع كالمسجد والسوق فيكون جلوسه معه بحسب ما يليق به.

٢ - جواز تفدية الصغير الكبير بنفسه وبغيرها، والجواب بمثل لبيك وسعديك؛ زيادة في الأدب.

٣ - الانفراد عند قضاء الحاجة.

٤ - أن امتثال أمر الكبير والوقوف عنده، أولى من ارتكاب ما يخالفه بالرأي، ولو كان فيما يقتضيه الرأي توهم دفع مفسدة حتى يتحقق ذلك، فيكون دفع المفسدة أولى.

٥ - جواز استفهام التابع من متبوعه على ما يحصل له فائدة دينية أو علمية أو غير ذلك.

٦ - المراجعة في العلم بما تقرر عند الطالب في مقابلة ما يسمعه مما يخالف ذلك.

٧ - الحث على الإنفاق في وجوه الخير، وأن النبي ﷺ كان في أعلى درجات الزهد في الدنيا بحيث إنه لا يحب أن يبقى يده شيء من الدنيا إلا لإنفاقه فيمن يستحقه، وإما لإرصاده لمن له حق، وإما لتعذر من يقبل ذلك منه؛ لتقييده في رواية همام عن أبي هريرة الآتية في التمني بقوله: ((أجدُ من يَقبَلُه))[١].

٨ - ومما يؤخذ جواز تأخير الزكاة الواجبة عن الإعطاء إذا لم يوجد من يستحق أخذها، وينبغي لمن وقع له ذلك أن يعزل القدر الواجب من ماله ويجتهد في حصول من يأخذه، فإن لم يجد فلا حرج عليه ولا ينسب إلى تقصير في حبسه.

٩ - تقديم وفاء الدين على صدقة التطوع.

١٠ - وفيه جواز الاستقراض.

١١ - الحث على وفاء الديون وأداء الأمانات.

١٢ - جواز استعمال "لو" عند تمني الخير.

١٣ - الحض على إنفاق المال في الحياة وفي الصحة وترجيحه على إنفاقه عند الموت. لما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسول اللهِ أيُّ الصدقةِ أعظمُ أجرًا؟ قال: **((أن تَصدَّقَ وأنتَ صَحيحٌ شَحيحٌ تَخشى الفَقْرَ وتأمُلُ الغِنى، ولا تُمْهِلُ حتى إذا بلغت الحُلْقُومَ قلتَ: لفُلانٍ كذا ولفلانٍ كذا، وقد كان لفلان))**[٢] وذلك أن كثيرًا من الأغنياء يشح بإخراج ما عنده ما دام في عافية فيأمل البقاء ويخشى الفقر، فمن خالف شيطانه وقهر نفسه إيثارًا لثواب الآخرة فاز، ومن بخل بذلك لم يأمن الجور في الوصية، وإن سلم لم يأمن تأخير تجيز ما أوصى به أو تركه أو غير ذلك من الآفات، ولا سيما إن خلف وارثًا غير موفق، فيبذره في أسرع وقت ويبقى وباله على الذي جمعه[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٢٢٨.

(٢) أخرجه البخاري ١٤١٩، ومسلم ١٠٣٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٦٨-٢٧١.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من صفات الداعية: التواضع.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الإنفاق، والبذل في أبواب الخير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على المسارعة في أداء الدين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الزهد في الدنيا.

خامسًا: من صفات المدعو: الالتزام بأوامر النبي ﷺ وعدم مخالفتها.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد وشناعة الشرك.

سابعًا: من حقوق المدعو: مراجعة الداعية للتأكد من بعض الأمور.

أولاً - من صفات الداعية: التواضع:

يظهر ذلك في قول أبي ذر رضي الله عنه: "كنت أمشي مع النبي ﷺ"، قال ابن علان: (فيه كمال تواضعه ﷺ مع أصحابه وعدم ترفعه على أحد منهم)[2]. التواضع خلق حميد، اتّسم به الأنبياء والعلماء والصالحون، ويكون بتنازل المرء عن شيء من قدره لغرضٍ نبيل، وفيه دليلٌ على شفافية الروح، ورجاحة العقل، وطمأنينة النفس، وصدق الشعور بوجود الآخرين وبالنفس.

والتواضع خلق - كسائر الأخلاق - ذو شقين: فردي واجتماعي؛ فهو في جانبه الشخصي يعكس حالة عليا من التسامي الروحي يتمثل في كسر الميل النفسي إلى التسلط والتفرد، ونفي دواعي العُجب والغطرسة والخيلاء؛ وهذا كله يشق على النفس الإنسانية اتباعه لما يخالف ما رُكّب في هواها من مسارعةٍ في حب الذات والاستجابة إلى نزعاتها الأنانية ورغبة التملك المطلقة.

ولا يلبث الإنسان المتواضع أن يحصد ثمار تواضعه، وتظهر آثار سلوكه في تعامله الاجتماعي مع الناس، عندما يلتمسون معنى التواصل الإنساني وترك الزيف والادعاء، ويُبدي لهم بشرًا ومباسطةً بعيدة عن التكلف والاصطناع، فعند ذلك تُفتح له القلوب

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٤٦٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٤٦٥).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤/٧٠.

وتلين له النفوس ويصيب منها موقعًا عظيمًا، فينقلب إلى سيّد تنقاد إليه الرغائب طواعية، وينال من التقدير والإكبار والاحترام ما يعجز عن نوله وبلوغه كل أحمق متكبر، ظن أن التعالي على الناس والترفع عن مُوادّتهم والتباسط إليهم يجعله ذا مكانة في نفوسهم.

ثمة حقيقةٌ واضحةٌ تغيب عن أذهان كثير من الناس، في زحمة الحياة ومواجهة مشكلات التفاعل البشري اليومية، هي أن التواضع مفتاح القلوب والسبيل إلى ولوجها والتمكن منها، إذ أن "من لانت كلمته وجبت محبته". لعل ذلك يبدو أمرًا معروفًا لا لبس فيه، لكن مظاهر التعامل الاجتماعي تؤكد غياب هذا المفهوم من الناحية النظرية فضلاً عن الناحية العملية(١).

فقد كان رسول الله ﷺ مع رفعة مقامه شديد التواضع فعندما رأى رجلاً يرتعد منه كان يظنه كملوك الأرض، قال له رسول الله ﷺ "هون عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش، كانت تأكل القديد"(٢).

ولقد كان رسول الله ﷺ يمشي مع أصحابه رضي الله عنهم، ويجلس معهم، ويسعى في قضاء حوائجهم، ولا يستنكف من الجلوس مع فقرائهم وكان يتلطف مع الصغار والأطفال ولا يسارع في نزع يده عندما يصافح أحدًا وغير ذلك من الشواهد التي تدل على تواضعه ﷺ مما يستوجب الاقتداء به.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على الإنفاق، والبذل في أبواب الخير:

إن من موضوعات الدعوة في هذين الحديثين الحث على الإنفاق والبذل في أبواب الخير، ويتضح هذا من قول رسول الله ﷺ "ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهبًا تمضي عليه ثلاثة أيام عندي منه دينار..."، وقوله: "لو كان لي مثل أحد ذهبًا لسرني أن لا تمر عليه ثلاث ليال وعندي منه شيء....."، قال ابن حجر: فيه الحث على الإنفاق في وجوه الخير(٣).

---

(١) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية ٥/١٦.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٣٣١٢، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٦٧٧).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٥/١١.

فالإنفاق والبذل في أبواب الخير من أعظم القربات ثوابًا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١].

قال ابن كثير: (هذا مدح منه تعالى للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات من ليل أو نهار، والأحوال من سر وجهار، حتى أن النفقة على الأهل تدخل في ذلك"[٢]. كما قال رسول الله ﷺ: "وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعه، حتى ما تجعل في في امرأتك)[٣]. والإنفاق له أثر على أخلاق الناس فهو يخلصهم من الشح –وهو عدم الإجمال في الطلب والتكالب على الجمع – ومن البخل وهو التقتير خوفًا من الفقر أو حبًا للمال ورغبة في عدم التفريط فيه، حتى أن البخيل قد يكتفي بالجمع للمال دون أن يظهر أثر نعمة الله عليه في ملبسه ومأكله ومسكنه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[٤].

وقد ذمَّ الرسول الكريم ﷺ الشح والبخل بشدة وأثنى على الكرم والسخاء وبذل المال في سبيل الله. وضرب الرسول ﷺ في ذلك الأمثال، فقال: ((مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ. كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ. قَدِ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى ثُدِيِّهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا. فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ. حَتَّى تُغَشِّيَ أَنَامِلَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ. وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ قَلَصَتْ. وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلَقَةٍ مَكَانَهَا)). قَالَ أبو هريرة – راوي الحديث – : (فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ يَقُولُ بِإِصْبَعِهِ فِي جَيْبِهِ. فَلَوْ رَأَيْتَهُ يُوَسِّعُهَا وَلاَ تَوَسَّعُ)[٥]. قال ابن القيم معقبًا: (لما كان البخيل محبوسًا عن الإحسان،

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٠٧/١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٧٣/٤٤٠٩، ومسلم ١٦٢٨.

(٤) سورة الحديد، آية: ١٨.

(٥) أخرجه البخاري ٥٧٩٧ واللفظ له، ومسلم ١٠٢١.

ممنوعًا من عن البر والخير كان جزاؤه من جنس عمله، فهو ضيق الصدر، ممنوع من الانشراح، ضيق العطن صغير النفس، قليل الفرح، كثير الهم والغم والحزن، لا يكاد تُقضى له حاجة، ولا يُعان على مطلوب)[١].

ولا شك أن الإنفاق في سبيل الله يحتاج إلى الترشيد في هذا العصر بحيث تراعى الأولويات، من دعم المجاهدين وإغاثة الملهوفين ورعاية المستضعفين، والاهتمام بتعليم أبناء المسلمين المغتربين، وكذلك في ديار المسلمين الفقيرة التي لا تتمكن من الصرف على التعليم، والإنفاق على طبع الكتب الإسلامية النافعة وقف الأموال على المدارس الدينية، ورعاية اليتامى والأرامل، وقبل ذلك كله نفقة الإنسان على أهله، ففي الحديث: ((إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة))[٢].

والإنفاق في سبيل الله في الأمور المندوبة والواجبة من أموال الأفراد الخاصة أساس في بنية المجتمع الإسلامي، وهو يهدف إلى تحقيق التكافل الاجتماعي والانتعاش الاقتصادي بدوران المال بين عدد كبير من الناس مما يثمر حركة نشيطة في البيع والشراء نتيجة ارتفاع القدرة الشرائية عند الأفراد، لذلك سعى الإسلام إلى توزيع الثروات وتفتيتها وتأكيد الحقوق العامة فيها، فنهى عن السرف وتبديد المال وحجر على السفهاء، وشرع نظام الميراث الذي يفضي إلى عدم حصر الثروة بابن العائلة الكبير أو بالذكور مستهدفًا أن تعم الفائدة على أكبر عدد من الناس، وكذلك تشريع الزكاة يهدف إلى الارتفاع بمستوى الفئات الفقيرة من أبناء المجتمع، وتحقيق مشاركتهم في التملك والاستثمار والاستهلاك مما يعود بالخير على تماسك المجتمع وتحقيق المودة بين المسلمين إضافة إلى تنشيط الحركة الاقتصادية.

ومضى الصحابة رضي الله عنهم يتصدقون بالأموال العظيمة في سد الخلل في المجتمع وأعمال المروءات، وتجهيز الجيوش، ونشر العلم والعمران، ويحثون على الصدقة، وشعارهم قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٣]. فكان

---

(١) الوابل الصيب، ابن القيم، ص ٧٤.

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٥١ واللفظ له، ومسلم ١٠٠٢.

(٣) سورة الحشر، آية: ٩.

عمر رضي الله عنه يقول: (ذكر لي أن الأعمال تتباهى فتقول الصدقة: أنا أفضلكم)[(١)].

وكان بعض الصحابة - عبدالرحمن بن عوف أو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما - يطوف بالبيت الحرام وليس له دأب إلا هذه الدعوة: رب قني شح نفسي، رب قني شح نفسي، فقيل له: أما تدعو بغير هذه الدعوة؟ فقال: إذا وقيت شح نفسي فقد أفلحت[(٢)].

ورغم كثرة الإنفاق، فإن الأموال كانت تزيد زيادة عظيمة[(٣)].

فينبغي على الداعية أن يدعو الناس للإنفاق والبذل في أبواب الخير، وعليه أن يبين لهم ثواب ذلك وفضله.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحث على المسارعة في أداء الدين:

إن موضوعات الدعوة في هذين الحديثين الحث على المسارعة في أداء الدين، وهذا يظهر في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "... إلا شيء أرصده لدين ..."، قال الحافظ ابن حجر: (قال ابن بطال: فيه إشارة إلى عدم الاستغراق في كثير الدين والاقتصار على اليسير منه أخذًا من اقتصاره على ذكر الدينار الواحد، ولو كان عليه مائة دينار مثلاً لم يرصد لأدائها دينارًا واحدًا، وفيه الاهتمام بأمر وفاء الدين، وما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الزهادة في الدنيا)[(٤)].

وقال العيني: (ومما يستفاد من الحديث الاهتمام بأمر الدين وتهيئته لأدائه وصرف المال إلى وجوه القربات عند القدرة عليه والخوف من استغراق الدين لان المديون إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف والاحتراز من المطل عند القدرة لأنه في معنى الخيانة في الأمانة، وقد جاء في خيانة الأمانة من الوعيد ما رواه إسماعيل بن إسحاق من حديث زاذان عن عبدالله بن مسعود قال عن القتل في سبيل الله يكفر كل ذنب إلا الدين والأمانة، قال: وأعظم ذلك الأمانة تكون عند الرجل فيخونها فيقال له يوم القيامة: أدّ

---

(١) تفسير الطبري ٤٣/٢٨.

(٢) تفسير الطبري ٤٣/٢٨.

(٣) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص ٣٠٩، ٣١٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٥/١١.

أمانتك. فيقول: من أين وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال: نحن نريكها فيمثل له في قعر جهنم فيقال له: انزل فأخرجها فينزل فيحملها على عنقه حتى إذا كاد زلّت فهوت وهوى في إثرها أبدًا، وفيه ما يدل على فضل أمة محمد ﷺ)[١]. والحث على المسارعة في أداء الدين من الأشياء ينبغي أن يحرص عليها المسلم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾[٢].

والدين حق على المدين، ومن لم يف بذلك فلم يؤد الحقوق إلى أهلها، أو أخرها تأخير بالغًا فقد حمل نفسه إثمًا عظيمًا ووزرًا وعذابًا أليمًا، وسيقتص منه يوم القيامة[٣]. قال رسول الله ﷺ: "لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء"[٤].

فينبغي على المسلم المسارعة إلى أداء ما عليه من دين في الدنيا حتى لا يقتص منه يوم القيامة.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الزهد في الدنيا:

من موضوعات الدعوة في هذين الحديثين الزهد في الدنيا، وذلك يستنبط من قوله ﷺ في الحديثين: "لو أنه له من مال مثل جبل أحد ما أبقى منه شيء بعد ثلاث أيام".

قال ابن حجر: وأن النبي ﷺ كان في أعلى درجات الزهد في الدنيا بحيث إنه لا يحب أن يبقى بيده شيء من الدنيا إلا لإنفاقه فيما يستحقه"[٥].

وقال ابن عثيمين: (وهذا يدل على أن النبي ﷺ من أزهد الناس في الدنيا؛ لأنه لا

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٢٢٩/١٢.

(٢) سورة المائدة، آية: ١.

(٣) انظر: دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح الصغير، ص ٢٢٩.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٥/١١.

بريد أن يجمع المال إلا شيئًا يرصده لدين، وقد توفي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في شعير أخذه لأهله)[١].

والإنسان إذا عرف حقيقة الدنيا وحقارتها، وعرف الآخرة وخطرها فإنه يبادر ببذل نفسه وماله رغبة في رضا الله عز وجل والفوز بجنته[٢]؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأَخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٣].

خامسًا - من صفات المدعو: الالتزام بأوامر النبي ﷺ وعدم مخالفتها:

يظهر ذلك في التزام أبي ذر رضي الله عنه بأمر رسول الله ﷺ بالثبات مكانه حتى يأتيه رسول الله ﷺ رغم أنه سمع صوت فخاف على رسول الله ﷺ ولكن ذكر الأمر فالتزم به، ففي الحديث الوقوف عند أمره ﷺ ولزوم طاعته قال ابن حجر: (ففيه أن امتثال أمر الكبير والوقوف عنده أولى من ارتكاب ما يخالفه بالرأي، ولو كان فيما يقتضيه الرأي توهم دفع مفسدة حتى يتحقق ذلك فيكون دفعها أولى اهـ)[٤].

وهذا ما يجب أن تكون عليه جميع الأمة، وذلك لأن رسول الله ﷺ معلم الأمة الذي أمر الله عز وجل بطاعته، فلا تصح مخالفة أمره، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾[٥]. وذلك لأنه يدعو إلى صراط مستقيم[٦]، فينبغي على المسلم الالتزام بأوامر النبي ﷺ ويدعو المدعوين إلى ذلك.

---

(١) شرح رياض الصالحين ١/٧٩٥.

(٢) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص ٢٦٤.

(٣) سورة التوبة، آية : ٣٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٧٤.

(٥) سورة النور، آية: ٥٤.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٧٦.

سادسًا - من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد وشناعة الشرك:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "ذاك جبريل أتاني فقال: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة... الخ".

فيظهر في ذلك فضل التوحيد وشناعة الشرك، فالتوحيد فضله عظيم والشرك شناعته شديدة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[١]. وقال رسول الله ﷺ "من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار"[٢].

قال النووي: (أما حكمه ﷺ على من مات يشرك بدخول النار ومن مات غير مشرك بدخول الجنة فقد أجمع عليه المسلمون)[٣]. وقال الحافظ ابن حجر: (قوله: "من مات يشرك بالله دخل النار" وقال القرطبي: معنى نفي الشرك أن لا يتخذ مع الله شريكًا في الإلهية، لكن هذا القول صار بحكم العرف عبارة عن الإيمان الشرعي)[٤].

والمعنى الإجمالي الجامع للتوحيد: عرّفه السعدي بتعريف شامل جامع، ذكر فيه حد هذا التعريف وكذا تفسيره، وأركانه، فقال: (فأما حده وتفسيره وأركانه فهو أن يعلم، ويعترف على وجه العلم واليقين، أن الله هو المألوه وحده، المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها، ليست موجودة بأحد من المخلوقات، ولا يستحقها إلا الله تعالى، فإذا عرف ذلك واعترف به حقًا أفرده بالعبادة كلها الظاهرة والباطنة، لا يقصد - بذلك - غرضًا من الأغراض غير رضا ربه وطلب ثوابه، متابعًا في ذلك رسول الله ﷺ فعقيدته ما دل عليه الكتاب والسنة، وأعماله ما شرعه الله ورسوله،

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٢) أخرجه مسلم ٩٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٣/٣.

وأخلاقه، وآدابه - الاقتداء بنبيه ﷺ - في هديه وسمته وكل أحواله)[١].

فينبغي على الدعاة أن يبينوا للناس فضل التوحيد وشناعة الشرك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن الله خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته والإنابة إليه، ومحبته والإخلاص له، فبذكره تطمئن قلوبهم وبرؤيته في الآخرة تقر عيونهم ولا شيء يعطيهم في الدنيا أعظم من الإيمان به وحاجتهم إليه في عبادتهم إياه وتألههم كحاجتهم وأعظم في خلقه لهم وربوبيته إياهم فإن ذلك هو الغاية المقصودة لهم، وبذلك يصيرون عاملين متحركين، ولا صلاح لهم ولا فلاح، ولا نعيم ولا لذة بدون ذلك بحال. بل من أعرض عن ذكره ربه فإن له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمى. ولهذا كان الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ولهذا كانت لا إله إلا الله أحسن الحسنات، وكان التوحيد بقول: لا إله إلا الله، رأس الأمر)[٢].

سابعًا - من حقوق المدعو: مراجعة الداعية للتأكد من بعض الأمور:

يظهر ذلك في قول أبي ذر: "وإن زنى وإن سرق".

قال ابن حجر: (فيه المراجعة في العلم بما تقرر عند الطالب في مقابلة ما يسمعه مما يخالف ذلك، لأنه تقرر عند أبي ذر من الآيات والآثار الواردة في وعيد أهل الكبائر بالنار وبالعذاب، فلما سمع من مات لا يشرك دخل الجنة استفهم عن ذلك بقوله: "وإن زنى وإن سرق"، قوله: "وإن زنى وإن سرق" واقتصر على ذكر هذين لأن أحدهما متعلق بحق الله سبحانه، والآخر بحق العباد، فكأنه يقول: إن من مات على التوحيد دخلها وإن تلبس بمعصية متعلقة بحق الله تعالى أو بحق عباده، وزيادة شرب الخمر في رواية للإشارة إلى فحش تلك الكبيرة لأنها تؤدي إلى خلل في العقل الذي به شرف الإنسان على البهائم. وبوقوع الخلل فيه قد يزول التوقي الذي يحجز عن ارتكاب بقية الكبائر[٣]. فللمدعو الحق في مراجعة الداعية حتى يتأكد ويزول لديه الشك، وعلى الداعية أن يقبل هذه المراجعة دون إنكار منه على من يراجعه من المدعوين.

---

(١) الفتاوى السعدي ٧/١٠.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١/٢٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٧٤.

الحديث رقم (٤٦٥)

٤٦٥ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، لَسَرَّنِي[1] أنْ لاَ تَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاَثُ لَيالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إلاَّ شَيْءٌ أرْصُدُهُ لِدَيْنٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الجملة التي بدأ الحديث بها فيها لون من التشويق نبع من تركيبها حيث بدأت بداية افتراضية كنموذج معد سلفاً لأصحاب الأموال المتراكمة يبين لهم سنة نبيهم عند تكاثر الأموال، لأن كان يخاطب الزمان على امتداده، والمكان على انبساطه، وقوله ﷺ (لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَباً) كناية عن محبته الإنفاق، وكراهيته للكنز، وتقديم الجار والمجرور (لى) للاختصاص أي لي خاصة، والتعبير بالسرور يوحي بسعادة ممزوجة بالراحة، واللام لتوكيده، وتنكير كلمة (شيء) للتقليل أي لا أبقي، ولو شيئاً قليلا إلا ما أعده لسداد دين لأن الدين لا يغفر لصاحبه حتى يقض دينه.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) لفظ البخاري: (ما يسرني).

(٢) أخرجه البخاري ٢٣٨٩ واللفظ له، ومسلم ٩٩١/٣١.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٤٦٦)

٤٦٦ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1]، وهذا لفظ مسلم[2].

وفي رواية البخاري[3]: ((**إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أسْفَل مِنْهُ**)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أجدرُ: أحق[4].

ألا تزدروا: ألا تحتقروا[5].

الخلق: الصورة الظاهرة[6].

الحديث يعالج جانباً نفسياً في المسلم بتصحيح طريقة رؤية نعمة الله، وكثير من الناس لا يرون النعمة لأنهم لا يعرفون كيف يرونها لأنهم ولدوا على حالة معينة من الثراء، والصحة والستر، فلم يشعروا بما هم فيه، فإذا رأوا من هم أحسن حالاً في إحدى النعم سخطوا على ما هم فيه، فعلمنا الرسول ﷺ كيف نرى هذه النعم، بأمره (انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) والأمر توجيه وإرشاد بغرض صرف النظر لاستشعار ذنعم الله، وفيه دعوة ضمنية للقناعة، والرضى، ثم أكد هذا الأمر بالنهي

---

(١) تنبيه: اللفظ الأول ليس متفقًا عليه، وإنما اللفظ الثاني، هو المتفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٣/٩) بهذا اللفظ.

(٣) برقم (٦٤٩٠)، وكذا مسلم (٢٩٦٣/٨).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٠٩.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٠٩.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ق).

عن ضده (وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ)، والتعبير بأفعل التفضيل (أسفل) عند النظر إلى الأقل، لأنه كلما رأى نفسه أحسن حالا من غيره كلما استشعر حجم النعمة عليه فناسب أن يتتبع بالنظر فيمن دونه من هو أقلهم، ولذلك عبر بأفعل التفضيل في جانبه، بينما عبر بالظرف في صورة المصدر (فوق) الذي لا يدعوا إلى تتبع الأعلى فيمن فوقه، وقد علله بقوله: (فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّه عَلَيْكُمْ) تحقيقاً للإقناع العقلي ببيان العلة، وهي عدم احتقار نعمة الله، والتعبير بأفعل التفضيل (أجدر) إشارة إلى أن الجدير بالمؤمن ألا يشغل نفسه بتتبع أحوال الناس بين الغنى، والفقر ولا يحتقر نعمة الله عليه، والأجدر منه أن تكون نظرته لمن حوله في متاع الدنيا لمن هو دونه، وفي الاجتهاد في الطاعات لمن هو أعلى منه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل القناعة والرضا والشكر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: خطر التطلع إلى ما في أيد الناس.

رابعًا من موضوعات الدعوة: فضل الزهد في الدنيا.

خامسًا: من واجبات المدعو: استشعار فضل الله عليه.

سادسًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما يحقق لهم الرضا والسكينة.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "انظروا... ولا تنظروا... فلينظر".

وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المهمة حيث يبيِّن اهتمام الداعية بالدعوة ويشعر المدعوين بأهمية ما يؤمرون به من النظر إلى من هم أقل منهم في شؤون الحياة، وألا ينظروا إلى من هم أعلى منهم شأنا حتى يستشعروا فضل الله عليهم ويذوقوا طعم الرضا.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل القناعة والرضا والشكر:

يستنبط هذا من عموم الحديث حيث أرشدنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث إلى الطريق الذي يورثنا القناعة ويملأ نفوسنا بالرضا، ويعرفنا نعم الله علينا لنقوم

بشكرها واستشعار فضل الله تعالى علينا من خلال ما حبانا به من نعم كثيرة، ومن ثم فقد أمرنا النبي ﷺ أن ننظر إلى من هو دوننا في أعراض الحياة الدنيا دون من هو فوقنا فيها لأن ذلك يدعو إلى الاعتراف بنعمة الله علينا وإكبارها والشكر عليها، لا احتقارها والاستهانة بها[1].

إن هذا الحديث الجليل يجعل النفس البشرية راضية مرضية إذا عمل به، فالنفس لها شهواتها ورغباتها وترغب أن تتطلع إلى أرباب الأموال وأحوالهم، وهذا الحديث يضع لهذه النفس حدود هذا التطلع، حيث جعل لها دائرة تنظر فيها لا تتعداها ألا وهي النظر إلى من هو أدنى في أمور الدنيا، وبهذا النظر يستشعر المسلم النعمة التي يتقلب فيها: التي لم ينلها مَن هو أدنى منه، فيحمد الله تعالى على ذلك ويشكره على ما حباه من الخير، وبذلك تزداد النعم لأن الله تعالى وعد وأكد: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[2]، وحينما تلهج الألسنة وتتحرك الجوارح بالطاعة فهو شكر لله تعالى فتزداد النعم.

وبهذا التوجيه النبوي الرشيد تطمئن النفوس وترتاح لأنها قد أحسَّت بنعمة الله عليها، وعلى العكس فإن النفس إذا حلَّقت في سماء النعم التي يتقلب فيها أرباب الثروات وتنظر إلى من هو أعلى منها في الأموال فإنها قد تتأثر وتتحسر وتعتريها الكآبة وقد تقع في مرض الحسد.

فجاء هذا الحديث في قمة التدابير الوقائية من الأمراض النفسية، وعالج بعض المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، فهنيئًا لمن عمل به وحصّن نفسه من تلك المصائب.

فينبغي على الداعية توجيه المدعوين إلى القناعة والرضا والشكر وبيان فضل ذلك.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: خطر التطلع إلى ما في أيدي الناس:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث خطر التطلع إلى ما في

---

(١) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ٢٢١.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٧.

أيدي الناس وذلك؛ لأن الذي لا ينظر إلى من هو أسفل منه يتطلع إلى من هو أعلى منه وينشغل بالدنيا عن الآخرة فيكون في ذلك الندامة والخسران.

قال المناوي: قال الغزالي: وعجب للمرء كيف لا يساوي دنياه بدينه، أليس إذا لامته نفسه فارقها يعتذر إليها بأن من الفسّاق كثرة فينظر أبدًا في الدين إلى من دونه لا لمن فوقه؟ أفلا يكون في الدنيا كذلك؟

وقال الحكيم: لا يزال الإنسان يترقى في درجات النظر علوًا علوًا كلما نال درجة سما به حرصه إلى النظر إلى ما فوقها، فإذا نظر إلى من دونه في درجات الدين اعتراه العجب فأعجب بنفسه، فطال بتلك الدرجة على الخلق، واستطال فرمى به من ذلك العلو فلا يبقى منه عضو إلا انكسر وتبدد، وكذا درجات الدنيا إذا رمى ببصره إلى من دونه تكبر عليه فتاه على الله بكبره وتجبر على عباده فخسر دينه.

وقد أخذ هذا الحديث محمود الوراق فقال: لا تنظرنَّ إلى ذوي المؤثل والرياش، فتظل موصول النهار بحسرة قلق الفراش، وانظر إلى من كان مثلك أو نظيرك في المعاش تقنع بعيش كيف كان وترض منه بانتعاش[1].

قال ابن علان: قال بعض السلف: صاحبت الأغنياء فكنت لا أزال في حزن أرى دار واسعة ودابة فارهة ولا عندي شيء من ذلك، فصحبت الفقراء فاسترحت. وفي معناه ما أخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن الشخير رفعه "أقلوا الدخول على الأغنياء فإنه قِمن أن لا تزدروا نعم الله"[2]، وأما إذا نظر في الدنيا إلى من هو دونه ظهر له نعمة الله عليه فشكرها وتواضع وفعل ما فيه الخير، وكذا إذا نظر إلى من هو فوقه في الدين ظهر له تقصيره فيما أتى به فحمله ذلك على الخضوع لمولاه، وألا ينظر لعمله ولا يعجب به ويزداد في الجهد في العمل والدأب فيه[3].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي (٥٩/٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٢/٤ رقم ٧٩٣٩، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان (٤٠٣/٢-٤٠٤).

هذا فالذي لا ينظر إلى منه أسفل ولكن ينظر إلى من هو أعلى منه يورثه ذلك الهم والحزن وينسيه حمد الله وشكره، ويكون غير راضٍ بما قسم الله له، ويكون حاسدًا لغيره على ما آتاه الله من فضله وهذا منهي عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[(١)].

فينبغي على الداعية أن يبيّن للمدعوين خطر التطلع إلى ما في أيدي الناس من الغنى.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل الزهد في الدنيا:

يستنبط هذا من عموم الحديث فالذي ينظر إلى من هو أسفل منه يكون على رضا بما قسم الله متوكلاً على الله، غني النفس، لا يحرص على الازدياد لغير الحاجة ولا يلح في الطلب، ولا يلحف في المسألة فكأنه واجد أبدًا[(٢)]. والزهد في الدنيا يجعل الإنسان قانعًا بما رزقه الله ولو كان قليلاً.

قال رسول الله ﷺ ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ))[(٣)]. فينبغي على الداعية أن يبين للمدعوين فضل الزهد في الدنيا.

خامسًا - من واجبات المدعو: استشعار فضل الله عليه:

ويظهر ذلك من قول رسول الله ﷺ "فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم". قال النووي: (قال ابن جرير وغيره: هذا حديث جامع لأنواع من الخير؛ لأن الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه، هذا هو الموجود في غالب الناس، وأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله تعالى عليه فشكرها وتواضع وفعل فيه الخير)[(٤)]. وقال العيني: (قوله: "فلينظر إلى من هو أسفل

---

(١) سورة طه، آية: ١٣١.

(٢) انظر: حديث النفس وجولات الخاطر، عبدالإله بن سليمان الطيار ص ١٦.

(٣) أخرجه مسلم ١٠٥٤.

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي (١٨/٩٧).

منه" ليسهل عليه نقصانه ويفرح بما أنعم الله عليه، ويشكر عليه وأما في الدين وما يتعلق بالآخرة فلينظر إلى من هو فوقه لتزيد رغبته في اكتساب الفضائل)[١].

فما من حال للمرء إلا وفي الناس من هو دونه فيها كما فيهم من هو أعلى منه فيها، فالعاقل ينظر إلى المبتلى بالأسقام وينتقل إلى ما فضل عليه من العافية التي هي أساس التمتع بطيبات الحياة، وينظر إلى من في خلقه نقص من عمى أو صمم أو بكم أو تشويه في الشكل ويزن ذلك بسلامته من هذه العاهات وأشباهها، وينظر إلى من ابتلي بالدنيا وجمعها مع إهماله القيام بحق الله فيها، ويعلم أنه قد رجحه بالإقلال وبقلة التبعة في الأموال وبسلامة دينه، وينظر إلى من بلي بالفقر المدقع، والدَّين المثقل، وينتقل إلى سلامته منهما وهكذا يوازن بين حاله وأحوال من دونه فيرى تفضيل الله له على كثير من خلقه، ويستعظم نعم الله عليه فليهج بشكره ويجدّ في عبادته استشعاراً لفضل الله عليه[٢].

سادسًا - من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما يحقق لهم الرضا والسكينة:

إن من مهام الداعية التي تستنبط من عموم الحديث إرشاد المدعوين إلى ما يحقق لهم الرضا والسكينة ويظهر ذلك في إرشاد النبي ﷺ الإنسان المسلم في هذا الحديث ما يحقق له الخير الكثير.

وقال الحافظ ابن حجر: (قال ابن بطال: هذا الحديث جامع لمعاني الخير لأن المرء لا يكون بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهدا فيها إلا وجد من هو فوقه، فمتى طلبت نفسه اللحاق به استقصر حاله فيكون أبدًا في زيادة تقربه من ربه، ولا يكون على حال خسيسة من الدنيا إلا وجد من أهلها من هو أخس حالاً منه، فإذا تفكر في ذلك علم أن نعمة الله وصلت إليه دون كثير ممن فضل عليه بذلك من غير أمر أوجبه، فيلزم نفسه الشكر، فيعظم اغتباطه بذلك في معاده).

---

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني (٢٣/٧٩).

(٢) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ٢٢١.

وقال غيره: في هذا الحديث دواء الداء؛ لأن الشخص إذا نظر إلى من هو فوقه لم يأمن أن يؤثر ذلك فيه حسدًا، ودواؤه أن ينظر إلى من هو أسفل منه ليكون ذلك داعيًا إلى الشكر[1].

فقد أرشد رسول الله ﷺ أمته في هذا الحديث إلى ما يحقق لهم الرضا والسكينة ويدعوهم إلى استشعار نعم الله عليهم فينبغي على الداعية أن يقتدي برسول الله ﷺ في إرشاد المدعوين إلى ما يحقق لهم الرضا والسكينة.

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (١١/٣٢٣).

الحديث رقم (٤٦٧)

٤٦٧ - وعنه، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ)) رواه البخاري[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تعس: هو دعاء عليه بالهلاك[٢].

عبد الدينار: طالبه الحريص على حِفظه، فكأنه لذلك خادمه وعبدُه[٣].

القطيفة: كساء له أهداب[٤].

الخميصة: ثوب أسود أو أحمر له أعلام[٥].

الحديث يبدأ بداية خبرية لفظاً إنشائية معنى؛ لأن قوله (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ) دعاء عليه بالتعس، والتعس في اللغة الانحطاط والعثور...، وهو أن يخطئ حجته - من خاصم - وبغيته أن طلب؛[٦] ودعاء الرسول ﷺ بصيغة الماضي يفيد حرصه على تحقق التعس لمن استعبده الدرهم، والدينار بغرض الترهيب من حب المادة، والتكالب عليها، والتعبير بالعبودية للتنفير، والتقبيح وإضافة العبد للدينار للذم، وقوله (عبد الدينار) كناية عن شدة حب المال وإنفاق الوقت، والجهد في إصلاحه كما يتفانى العبد في خدمة سيده، وصورة الرق، والعبودية صورة

---

(١) برقم ٢٨٨٦، و٦٤٣٥. أورده المنذري في ترغيبه ١٨٤٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ت ع س).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٥٩.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ط ف).

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ م ص).

(٦) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١/٤٣٣، ٤٣٤ في (ت ع س).

منفرة جعلها الرسول ﷺ وسيلة للتنفير من حب المال الذي يستغرق العمر، ويستنفد الجهد، وينسيه ربه، ودينه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التنفير من الإفراط في حب المال.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التمثيل.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التحذير.

رابعًا: من واجبات المدعو: القناعة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: التنفير من الإفراط في حب المال:

ويظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "تعس عبد الدينار...". في هذا الحديث العظيم يعالج النبي ﷺ مرضًا من أمراض الأمة بل البشرية وذلك بتنفير الإنسان من هذا المرض الذي جثى على القلوب ألا وهو الانغماس بالحب الشديد للدنيا، وقد نهى النبي ﷺ عن هذا الحب بهذا الأسلوب البلاغي العالي وبهذا الدعاء الذي يخوف النفس البشرية من مغبة هذا التعلق الشديد بالدنيا. فهل يرضى مؤمن أن يشمله هذا الدعاء؟! قال الطيبي: (خص العبد بالذكر ليؤذن بإنغماسه في محبة الدنيا وشهواتها، كالأسير الذي لا خلاص له عن أسره، ولم يقل: مالك الدينار أو جامع الدينار؛ لأن المذموم من الدنيا الزيادة على قدر الحاجة لا بقدر الحاجة)[1].

فالإنسان بطبيعته محبٌ للمال لأنه من زينات الدنيا قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2].

ولكن الإفراط في حب المال منهي عنه؛ لأنه يفتن الإنسان ويجعله عبدًا له ويشغله عن طاعة الله قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[3] قال ابن حجر: (أي

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٩/٢٨٨.

(٢) سورة الكهف، آية: ٤٦.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٨.

تشغل البال عن القيام بالطاعة)[١].

وقال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ))[٢].

فينبغي للداعية أن ينهى المدعوين عن الإفراط في حب المال حتى لا يكونوا عبيدًا له فالمال وسيلة ولكنه ليس الغاية المبتغاة، فالغاية المبتغاة هي رضا الله واستعمال المال فيما يرضيه.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: التمثيل:

حيث مثل النبي ﷺ لصور استعباد المال للإنسان بعبد الدينار والدرهم.

وأسلوب التمثيل من الأساليب التي تقرب المعنى وتوضحه للأفهام قال تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾[٣] قال الحكيم الترمذي: (اعلم أن ضرب الأمثال لمن غاب عن الأشياء، وخفيت عليهم الأشياء، فالعباد يحتاجون إلى ضرب الأمثال لما خفيت عليهم الأشياء فضرب لهم مثلاً من عند أنفسهم لا من عند نفسه، ليدركوا ما غاب عنهم، فأما من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فلا يحتاج إلى الأمثال، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. قال عز وجل: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾[٤] فالأمثال نموذجات لما غاب عن الأسماع لتهتدي النفوس بما أدركت عيانًا)[٥].

فينبغي للداعية أن يفيد من الأمثال لتوضيح المعاني وتقريبها لأذهان المدعوين في دعوته.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: التحذير:

وهذا يستنبط من عموم الحديث حيث حذر النبي ﷺ الإنسان الحريص على جمع المال من أن يكون عبدًا له وذلك بقوله ﷺ "تعس عبدالدينار والدرهم..". قال

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٨/١١.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٣٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٠٥).

(٣) سورة إبراهيم، آية: ٤٥.

(٤) سورة النحل، آية: ٧٤.

(٥) الأمثال من الكتاب والسنة، لأبي عبدالله محمد بن الحكيم الترمذي، تحقيق: محمد علي البجاوي ١، ٢.

الطيبي: (في قوله: "تعس وانتكس"، فيه الترقي في الدعاء عليه؛ لأنه إذا تعس انكب على وجهه، فإذا انتكس انقلب على رأسه، وقيل التعس الخر على الوجه والنكس الخر على الرأس... وهذا دعاء عليه بالهلاك). وقال ابن حجر: (وقوله: "عبدالدينار" أي: طالبه الحريص على جمعه القائم على حفظه: فكأنه لذلك خادمه وعبده... وفيه إشارة إلى الدعاء عليه بما يثبطه عن السعي والحركة، وسوغ الدعاء عليه كونه قصر عمله على جمع الدنيا واشتغل بها عن الذي أمر به من التشاغل بالواجبات والمندوبات)[(١)].

قال سليم الهلالي: (وفيه التحذير من العبودية لغير الله، وخاصة لهذه الأشياء الفانية كالمال والكساء)[(٢)]. وقد أفاد التحذير في هذا الحديث أهمية البعد عن حب المال والحرص عليه، حتى لا يكون الإنسان بمثابة العبد له ومما أفاده التحذير خطورة وقوع المؤمن في هذا الأمر.

رابعًا - من واجبات المدعو: القناعة:

يستنبط هذا من عموم الحديث، لأن الإنسان القنوع لن يكون عبدًا للمال وسوف يكون راضيًا بما أُعطي وإن لم يُعط صبر؛ لأنه عبدٌ لله وليس عبدًا للمال. والعبودية لله تورث الرضى والقناعة على خلاف العبودية لغير الله؛ فإنها تولد الشح والبخل والهلع والأثرة[(٣)]. وقال المناوي: (قال الغزالي: سبيل النجاة أن تخلص عملك وتجرد إرادتك لله والقلوب والنواصي بيده سبحانه وتعالى، فهو يميل إليك القلوب، ويجمع لك النفوس، ويشحن من حبك الصدور، فتنال من ذلك ما لا تناله بجهدك وقصدك، وإن لم تفعل وقصدت رضا المخلوق دونه صرف عنك القلوب ونفر منك النفوس، وأسخط عليك الخلق أجمعين فتكون من الخاسرين)[(٤)].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٩/١١.

(٢) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٥٣٤/١-٥٣٥.

(٣) المرجع السابق ٥٣٤/١-٥٣٥.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٢١٨/١.

والقناعة من أهم صفات المؤمنين؛ لأن المؤمن على يقين بكرم الله ونعمه والقناعة فيها الغنى التام.

قال رسول الله ﷺ ((ليسَ الغِنى عن كثرةِ العَرَض، ولكنَّ الغَنى غِنى النفس))[1] فقد بيّن رسول الله ﷺ أن الغنى ليس بسعة الثروة ووفرة المال وكثرة المتاع ولكن الغنى غنى النفس، فمن استغنى بما في يده عما في أيدي الناس، ولم تتطلع إليه نفسه، وإن كان المال قلاً إذ رضاه بالقسم، وزهده قناعته، جعلته في درجة من الغنى دونها بطبقات أهل الثراء الذين حرموا الرضا والقناعة[2].

فإذا اقتنعت توفرت لك راحة إن القناعة للقلوب نقاء[3]

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٤٦، ومسلم ٢٤١٧.

(٢) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ١٧٨.

(٣) انظر: حديث النفس، عبدالإله بن سليمان الطيار، ص ١٧.

الحديث رقم (٤٦٨)

٤٦٨ - وعنه رضي الله عنه، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ سَبعِينَ مِنْ أهْلِ[1] الصُّفَّةِ، مَا مِنهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ: إمَّا إزارٌ، وَإمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا فِي أعنَاقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أنْ تُرَى عَوْرَتُهُ. رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الصفة: مكان مُظَلَّلٌ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة إبان العصر النبوي بعد الهجرة، يأوي إليه فقراء المهاجرين ينامون فيه[3].

رداء: ما يوضع على المنكبين وفوق الكتفين من ثوب وبُرد ونحوهما[4].

إزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن من السرة إلى ما تحتها، ويسمي كذلك: المئزر[5].

الكساء: اللباس[6].

الحديث يعرض صورة لما كان عليه المسلمون من ضيق العيش، وقلة ذات اليد مع الزهد في الدنيا، والرضى بما قسم الله، وقول الراوي (لقد رأيت) يؤكد الخبر لأن الرؤية أقوى طرق العلم، وذكر العدد يشير إلى أنه حال كثير من الناس كما توحي به جملة (مَا منهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ) حيث دلت النكرة (رجل) على العموم، وحرف الجر

---

(١) لفظ البخاري: (أصحاب).

(٢) برقم ٤٤٢.

(٣) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٣٧.

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٩٨.

(٥) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٥، و٢٦٦.

(٦) المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٧٨٨.

(من) قبلها يدل على الاستغراق، وهذا النفي يوحي بشدة الفقر، ورثاثة الهيئة، والرداء هو ما يستر النصف الأعلى من البدن، والإزار ما يكسو النصف الأسفل، قوله (قد ربطوا) أي الأكسية فحذف المفعول للعلم به قوله (فمنها) أي فمن الأكسية باعتبار أن الكساء جنس، وهذه الصورة تشير إلى انشغالهم بالآخرة، وترك المظاهر، والجري خلف المتاع الزائل رضي الله عنهم.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١ - حكم ستر العورة خارج الصلاة: أجمع الفقهاء على وجوب ستر العورة خارج الصلاة بحضرة الناس(١).

٢ - حكم سترة العورة في الصلاة: أجمع الفقهاء على وجوب ستر العورة في الصلاة، وحدها للرجل ما بين السرة والركبة عند الجمهور، وفي رواية للحنابلة أنها الفرجان(٢).

٣ - حكم دخول السرة والركبة في العورة: اختلف الفقهاء على أقوال:

أ - أنهما داخلتان فيها.

ب - أنهما خارجتان عن العورة، وبه قال مالك والشافعي وأحمد(٣).

ج - أن السرة من العورة بخلاف الركبة فليست منها، وجه عند الشافعية(٤).

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٥٨/٣، وبداية المجتهد ٩٤/١، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١٠٤/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، أبو الحسن المرداوي ٢٢٠/٢، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٥٨/١.

(٢) الاختيار ٦١/١ وما بعدها، وبداية المجتهد ١٥٠/١-١٥١، ومغني المحتاج ١٨٤/١-١٨٥، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٠١/١.

(٣) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٨٦/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٧٣/١٣.

(٤) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٧٣/٣.

د - أن الركبة من العورة بخلاف السرة فليست منها، وبه قال أبو حنيفة[١].

٤ - ما يجزئ من الثياب في الصلاة: لا يجزئ من الثياب في الصلاة إلا ما ستر العورة عن غيره وعن نفسه، فإن ظهرت عورته له أو لغيره فسدت صلاته، وإن كان من غير عمد فسترها في الحال لم تبطل، وإن تكشف منها يسير لم تبطل صلاته أيضًا، عند الحنفية والمالكية والحنابلة، وقال الشافعية تبطل لأنه حكم تعلق بالعورة واستوى قليله وكثيره كالنظرة[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: رقة حال أهل الصُفَّة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: زهد الصحابة ﷺ.

ثالثًا: من واجبات المدعو: إيثار الآخرة على الدنيا.

أولاً - من موضوعات الدعوة: رقة حال أهل الصُفَّة:

يظهر هذا من قول أبي هريرة ﷺ: "... ما منهم رجل عليه رداء: إما إزار وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ الساقين..."، وهذا يدل على رقة حالهم، وقد جاء في الحديث: (أهل الصُفَّة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال، إذا جاءته ﷺ الصدقة أرسل بها إليهم ولم يُصب منها وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها)[٣].

فقد كان رسول الله ﷺ يواسيهم ويمدهم بما عنده من طعام، وقد ورد في ذلك ما أخرجه الحاكم عن طلحة البصري قال: كان الرجل منا إذا قدم المدينة فكان له

---

(١) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٢٥٧/١، ٢٥٨، والمغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٨٦/٢.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٥٤٤/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ١٥٠/١، ١٥١، والمهذب ٩٢/١، والمغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٠٣/١، ٥٠٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٥٢.

بها عريف نزل على عريفه وإن لم يكن له بها عريف نزل الصُّفَّة، فقدمت فنزلت الصُّفَّة، فكان يجري علينا من رسول الله كل يوم مدٌّ من تمر بين اثنين ويكسونا الخنف، فصلَّى بنا رسول الله ﷺ بعض صلاة النهار، فلما سلَّم ناداه أهل الصفة يمينًا وشمالاً: يا رسول الله أحرق بطوننا التمر وتخرقت عنا الخنف فمال رسول الله ﷺ إلى منبره فصعده فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر الشدة ما لقي من قومه حتى قال: ((وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ وَعلَى صاحِبِي بِضْعَ عَشْرَةَ وَما لي وَلَهُ طَعامٌ إلا الْبرير، قال: قلت لأبي حرب: وأيّ شيء البرير؟ قال: طعام رسول الله ثمر الأراك، فَقَدِمْنا عَلى إِخْوانِنا هؤُلاءِ مِنَ الأَنْصارِ وَعظمُ طعامِهِم التَّمْرُ فَواسونا فِيهِ وَاللهِ لَوْ أَجِدُ لَكُمْ الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ لأَشْبَعْتُكُمْ مِنْهُ وَلكِنْ عَسى أَنْ تُدرِكوا زَمانًا حَتّى يُغْدى عَلى أَحَدِكُمْ بِجَفْنَةٍ وَيُراحُ عَلَيْهِ بِأُخْرَى، قال: فقالوا: يا رسول الله أنحن اليوم خير أم ذاك اليوم؟ قال: بَلْ أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرٌ أَنْتُمُ الْيَوْمَ مُتحابّونَ وَأَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ))، أراه قال: متباغضون[(١)].

وقد أخرج الحاكم غيره من الأحاديث الواردة في معاشرة أهل الصفة وقال: "تأملت هذه الأخبار الواردة في أهل الصفة فوجدتهم من أكابر الصحابة رضي الله عنهم ورعًا وتوكلاً على الله عزّ وجل وملازمة لخدمة الله ورسوله اختار الله تعالى لهم ما اختاره لنبيّه ﷺ من المسكنة والفقر والتضرع لعبادة الله عزّ وجل وترك الدنيا لأهلها ...، فمن جرى على سنتهم وصبرهم على ترك الدنيا والأنس بالفقر وترك التعرض للسؤال فهم في كل عصر بأهل الصفة مقتدون وعلى خالقهم متوكلون"[(٢)].

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر: أن أصحاب الصُّفَّة كانوا أناسًا فقراء، وأن النبي ﷺ قال: ((مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثالِثٍ، وَإِنْ أَرْبَعٌ فَخَامِسٌ أَوْ سَادِسٌ))[(٣)]، كل ذلك يدل على رقة حال أهل الصُّفَّة.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٤/٣، رقم ٤٣٤٧ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٥٥٣/٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٢.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: زهد الصحابة رضي الله عنهم:

يُستنبط هذا من عموم الحديث فقد كان الصحابة رضي الله عنهم زاهدين في الدنيا راغبين في الآخرة، وقد ورد في زهد الصحابة رضي الله عنهم الكثير من الأحاديث والآثار منها.

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: ((بَعَثَنَا رَسُولُ اللّه ﷺ وَنَحْنُ ثَلاثُمَائَةَ نَحْمِلُ زَادَنَا عَلَى رِقَابِنَا فَفَنِيَ زَادُنَا حَتَّى كَانَ يَكونُ لِلرَّجُلِ مِنَّا كلَّ يَوْمٍ تَمْرَةٌ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللّه وَأَيْنَ كَانَتْ تَقَعُ التَمْرَةُ مِنَ الرجُلِ؟ فقالَ: لَقَدْ وَجَدْنَا فَقْدَها حِينَ فَقَدْنَاهَا فَأَتَيْنَا البَحْرَ فَإِذَا نَحْنُ بِحُوتٍ قَدْ قَذَفَهُ البَحْرُ فَأَكَلْنَا مِنْهُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا مَا أَحْبَبْنَا))[1].

قال النووي: (وفي هذا بيان ما كان الصحابة رضي الله عنهم عليه من الزهد في الدنيا والتقلل منها والصبر على الجوع وخشونة العيش وإقدامهم على الغزو مع هذا الحال)[2].

وهذا عمر رضي الله عنه وهو خليفة المسلمين يرقع ثوبه، فعن أنس رضي الله عنه قال: (رأيت عمر وهو يومئذ أمير المؤمنين وقد رقع بين كتفيه برقاع ثلاث لبد بعضها على بعض).

وقال معمر في حديثه: "لما قدم عمر رضي الله عنه الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض. فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة، قالوا: الآن يأتيك. فلما أتاه نزل فاعتنقه ثم دخل عليه بيته فلم يرّ في بيته إلا سيفه وترسه ورحله"[3].

ثالثًا - من واجبات المدعو: إيثار الآخرة على الدنيا:

يستنبط هذا من عموم الحديث، فأهل الصُفَّة كانوا زاهدين في الدنيا إيثارًا للآخرة عليها؛ لأنهم يعلمون أن الآخرة خير وأبقى، ومتاع الدنيا قليل، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٨٣، ومسلم ١٩٣٥، والترمذي ٢٤٧٥ واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٣٤.

(٣) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، جمع: أحمد فريد، ص ٥٦ - ٥٧.

(٤) سورة النساء، آية: ٧٧.

وقد كان ﷺ يربي صحابته رضي الله عنهم على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، فكان يقول: ((مَالِي وَلِلدُّنْيَا، ما أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا))(١).

فينبغي على المدعو أن يؤثر الآخرة على الدنيا ويقتدي برسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم.

قال ابن القيم: (لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

النظر الأول: النظر: في الدنيا، وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها، ونقصها، وخستها، وألم المزاحمة عليها والحرص عليها. وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع، مع ما يعقب من الحسرة والأسف. فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها، وهم من حال الظفر بها، وغم وحزن بعد فواتها.. فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني: النظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها ولا بُد، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات، والتفاوت الذي بينه وبين ما ههنا. فهي كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾(٢).

فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة. فإذا تم هذان النظران آثر ما يقتضي العقل إيثاره، وزهد فيما يقتضي الزهد فيه. فكل أحد مطبوع على أن يترك النفع العاجل واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة، إلا إذا تبين له فضل الآجل على العاجل، وقويت رغبته في الأعلى الأفضل. فإذا آثر الفاني الناقص، كان ذلك إما لعدم رغبته في الأفضل.

وكل واحد من الأمرين يدلُّ على ضعف الإيمان، وضعف العقل والبصيرة. فإن الراغب في الدنيا، الحريص عليها، المؤثر لها، إما أن يصدق بأن ما هناك أشرف

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٣٦).

وأفضل وأبقى، وإما أن لا يصدق؛ فإن لم يصدق بذلك كان عادمًا للإيمان رأسًا، وإن صدق بذلك ولم يؤثره، كان فاسد العقل سيئ الاختيار لنفسه.

وهذا تقسيم حاضر ضروري، لا ينفك العبد من أحد القسمين منه. فإيثار الدنيا على الآخرة إما من فساد في الإيمان، وإما من فساد في العقل. وما أكثر ما يكون منهما. ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره هو وأصحابه رضي الله عنهم وصرفوا عنها قلوبهم، وطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعدّوها سجنًا لا جنة. فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب، ولوصلوا منها إلى كل مرغوب. فقد عُرضت عليه مفاتيح كنوزها فردّها، وفاضت على أصحابه فآثروا بها ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها، وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى أذن بالرحيل)[1].

(١) الفوائد ١٤٠ - ١٤١.

الحديث رقم (٤٦٩)

٤٦٩ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الكَافِرِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الحديث يقوم على جملتين قصيرتين في كل واحدة منهما تشبيه بليغ، وبين الجملتين طباق يؤكد المعنى الفارق بين الإيمان الموجه للأفعال، والذي يربط صاحبه بأوامر الله، ونواهيه ويقيده بقيد الشرع، وبين الكافر الذي يعيش دون منهج يحكمه، فيفعل ما يشاء يسوقه هواه إلى حيث رداه كما طابق بين النتيجتين المترتبتين على نوع الاعتقاد، وإذا نظرنا إلى التشبيهين في الجملتين نجد أنهما يشيران إلى عدة دلالات منها: الإشارة إلى أن المؤمن يحي بين أمر الله، ونهيه مسجون في الأمر، والنهي لا يخرج عنهما كما لا يخرج المسجون، وفي المقابل يصور التشبيه الكافر بالحر الطليق من القيود، لا تحده حدود، ولا يعترف بقيود كما يشير التشبيه بالسجين إلى قلة المتاع، وقلة القواطع لأن السجين منقطع عن المتاع منقطع عن الناس، انفراد السجين يشير إلى انفراد المؤمن عن الناس وجمعيته بربه، تسبيه المؤمن بالسجين يقرر أن حريته الحقيقية عند خروجه من الدنيا ولقاء ربه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تسلية المؤمن لما يواجهه من منغصات في الدنيا.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: شحذ الهمم للإقبال والاستعداد للآخرة.

ثالثًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: تسلية المؤمن لما يواجهه من منغصات في الدنيا:

يظهر ذلك من قول رسول الله ﷺ "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر".

---

(١) برقم ٢٩٥٦/١.

وفي ذلك بشرى عظيمة للصابرين على فعل الطاعات والحسنات واجتناب المعاصي والسيئات، وأن هذا السجن لم يلبث المؤمن فيه إلا فترة لا يمكن تقدير زمن قصرها بالنسبة للآخرة التي لا يمكن تقدير زمن طولها؛ لأنها ما لا نهاية، هذا بالنسبة للفترة الزمنية، أما بالنسبة للطيبات فإن طيبات الدنيا قليلة جدًا بالنسبة للجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقال المناوي: الدنيا أي الحياة الدنيا سجن المؤمن بالنسبة لمن أعد له في الآخرة من النعيم المقيم، وجنة الكافر بالنسبة لما أمامه من عذاب الجحيم، وعمّا قريب يحصل في السجن المستدام - نسأل الله السلام يوم القيامة - وقيل المؤمن صرف نفسه عن لذاتها فكأنه في السجن لمنع الملاذ عنه، والكافر سرحها في الشهوات فهي له كالجنة.

قال السهروردي: والسجن والخروج منه يتعاقبان على قلب المؤمن على توالي الساعات ومرور الأوقات، لأن النفس كلما ظهرت صفاتها أظلم الوقت على القلب حتى ضاق وانكمد، وهل السجن إلا تضييق وحجر من الخروج؟ فكلما همَّ القلب بالتبري عن مشائم الأهواء الدنيوية والتخلص عن قيود الشهوات العاجلة تشهيًا إلى الآجلة وتنزهًا في فضاء الملكوت ومشاهدة للجمال الأزلي حجزه الشيطان المردود من هذا الباب المطرود بالاحتجاب، فتدلى بحبل النفس الأمَّارة إليه فكدُر صفو العيش عليه، وحالَ بينه وبين محبوب طبعه، وهذا من أعظم السجون وأضيقها، فإن من حيل بينه وبين محبوبه ضاقت عليه الأرض بما رحُبت وضاقت عليه نفسه...

ذكروا أن الحافظ ابن حجر لما كان قاضي القضاة [1] مرَّ يومًا بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة، فهجم عليه يهودي يبيع الزيت الحار، وأثوابه ملطخة بالزيت وهو في غاية الرثاثة والشناعة، فقبض على لجام بغلته. وقال: يا شيخ الإسلام تزعم أن نبيكم قال: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)، فأي سجن أنت فيه؟! وأي جنة أنا فيها؟! فقال: أنا بالنسبة لما أعد الله لي في الآخرة من النعيم كأني الآن في السجن، وأنت بالنسبة لما أعد لك في الآخرة من العذاب الأليم كأنك في جنة، فأسلم اليهودي [2].

---

(١) الأفضل أن يقال: كبير القضاة أو شيخ القضاة.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٣/٥٤٦.

قال النووي: (أي كل مؤمن مسجون ممنوع من الشهوات المحرمة والمكروهة مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان، وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد)[1].

والمؤمن تقابله بعض المنغصات في الدنيا فأراد رسول الله ﷺ أن يفرّج عنه ويعلمه أن مهما اشتد به الألم أو المنغصات فإن هذا حال الدنيا وأن ذلك هو الذي سوف يوصله للجنة، قال رسول الله ﷺ ((حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ. وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ))[2] فالمكاره يدخل فيها الاجتهاد في العبادات والمواظبة عليها والصبر على مشاقها، وكظم الغيظ والعفو والحلم والصدقة والإحسان إلى المسيء والصبر على الشهوات ونحو ذلك[3]. فينبغي على الداعية أن ينهج نهج رسول الله ﷺ في تسلية المدعوين لما يواجههم من من منغصات.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: شحذ الهمم للإقبال والاستعداد للآخرة:

وهذا يستنبط من عموم الحديث حيث بيّن رسول الله ﷺ أن الدنيا سجن للمؤمن وجنة للكافر، والدنيا زائلة فانية فلابد للمؤمن أن يستعد ويعمل للجنة الخالدة في الآخرة.

وشحذ الهمم للإقبال والاستعداد للآخرة منهج إسلامي يظهر في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ فهما يحثان المسلمين على العمل الصالح من أجل الاستعداد للآخرة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[4].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٠٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٢٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٥٢.

(٤) سورة هود، آية: ٢٣.

وقال رسول الله ﷺ ((إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً. يُعْطَى بهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بهَا فِي الآخِرَةِ))[1] وفي هذا شحذ للهمم على العمل الصالح فينبغي على الداعية شحذ همم المسلمين للإقبال والاستعداد للآخرة.

ثالثًا - من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

يستنبط من هذا الحديث، أن جنة المؤمن في الآخرة، كما أن سجن الكافر في الآخرة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾[2] فقد أخرج الطبري بسند جيد عن ابن عباس ﴿حَصِيرًا﴾ سجنًا[3]. فبين رسول الله ﷺ حقيقة الدنيا بالنسبة للمؤمن وكذلك حقيقتها بالنسبة للكافر.

فالدعوة إلى الله تعالى لا تكون إلا من نفوس ارتوت من حب الله، فأحبت عباد الله، وكان من حبها لله الغيرة على محارمه أن تنتهك، وعلى ينابيع الخير أن تجف وعلى معالم الحق أن تدرس، ثم كان حبها لعباد الله أن تردهم عن مسارب الضلال ومسالك الغوايات والفتن، وكان طريقها إلى بيانها للحقائق للمدعوين، وهذا من مهام الداعية التي ينبغي أن يحرص عليها.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨٠٨.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٨.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤/٥٠٨.

الحديث رقم (٤٧٠)

٤٧٠ - وعن ابن ﵄، قَالَ: أخذ رسول الله ﷺ بِمَنْكِبَيَّ، فقال: ((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأنَّكَ غَرِيبٌ، أو عَابِرُ سَبيلٍ)).

وَكَانَ ابن عُمَرَ ﵄، يقول: إِذَا أمْسَيتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رواه البخاري[1].

قالوا فِي شَرْحِ هَذَا الحديث معناه: لاَ تَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيَا وَلاَ تَتَّخِذْهَا وَطَنًا، وَلاَ تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِطُولِ البَقَاءِ فِيهَا، وَلاَ بِالاعْتِنَاءِ بِهَا، وَلاَ تَتَعَلَّقْ مِنْهَا إلاَّ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْغَرِيبُ فِي غَيْرِ وَطَنِهِ، وَلاَ تَشْتَغِلْ فِيهَا بِمَا لاَ يَشْتَغِلُ بِهِ الغَرِيبُ الَّذِي يُرِيدُ الذَّهَابَ إِلَى أهْلِهِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

المنكب: ما بين الكتف والعنق[2].

والرسول ﷺ في هذا الحديث يغرس في نفس المؤمن فكرة الاغتراب ليحدث في وجدانه توازناً يجعله قادراً على رؤية حقيقة الدنيا وهي في الوقت نفسه - فكرة الاغتراب - تشير إلى أن له غاية أسمى ووطناً يجب أن يعود إليه في الجنة التي خرج منها في ركاب أبيه آدم عليه السلام.

ولترسيخ هذا المفهوم استخدم الرسول ﷺ عدة أشكال بلاغية منها:

البداية بأسلوب الأمر، واختار صيغة الأمر (كن) الدالة على طلب إحداث أمر لم يكن موجوداً وهو أمر إرشاد وتوجيه لجميع المؤمنين في كل زمان ومكان في شخص

(١) برقم ٦٤١٦. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٩٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ك ب).

عبد الله رضي الله عنه لما يجب أن تكون عليه علاقتهم بالدنيا فلا يستكثرون من متاعها بما يشغلهم عن آخرتهم، ثم يأتي التصوير بالتشبيه لإخراج المألوف القريب (الدنيا) مخرج المستغرب البعيد حيث جعل الدنيا دار غربة الأمر الذي يدفع المؤمن إلى عدم التعلق بشيء فيها وعدم الاستكثار من متاعها فجاء قوله صلى الله عليه وسلم (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) حيث شبه الحال التي يجب أن يكون عليها عبد الله رضي الله عنه - وكل فرد من الأمة - بالغريب، أو عابر السبيل بجامع عدم التعلق بما يثقل أو يشغل عن المقصود في كلٍ.

وتشبيه الرسول صلى الله عليه وسلم للحال التي يجب أن يكون عليها المؤمن في الدنيا بحال الغريب أو عابر السبيل، له عدة دلالات.

أ- عدم الإكثار في الاختلاط المضيع للوقت والمشتت للهدف وهذا مفهوم من حال الغريب الذي يقتصر في اختلاطه بالناس على ما يحتاج إليه في سفره، ويوضح مقصوده.

ب- عدم انشغال المؤمن بما يفسد قلبه من صراع مع الناس وما يتبعه من حقد، وحسد، ونفاق كما لا ينشغل الغريب بمثل هذه الأمور لعدم اختلاطه بالناس، وقلة معرفته بهم.

ج- وحدة الهدف، وعدم تشعب الهموم بالمؤمن كما أن الغريب هدفه واحد وهو الرجوع إلى لوطنه، كما يدل علي السعي الدائب الدائم الذي يجب أن يكون عليه المؤمن في الدنيا وعدم الاسترخاء، والركون حتى يلقى ربه كما أن الغريب أو عابر السبيل دائمان في سعيهما حتى يصلا إلى وطنهما.

هـ - بث الشعور الوجداني بالحنين إلى الله، وما ادخره للمؤمن في الآخرة كما يشعر الغريب بحنينه إلى موطنه الأمر الذي يدفعه إلى قطع المسافات وعبور المفاوز يحدوه أمل مغداق، وقلب خفاق.

ثم يأتي أسلوب العطف المقرب للفكرة والموضح دلالة اللفظة حيث عطف قوله صلى الله عليه وسلم : (أو عابر سبيل) على قوله: (كأنك غريب)، و(أو) للتنويع فإن قيل الغريب هو عابر سبيل فما وجه العطف؟ أجيب: بأن العبور يستلزم الغربة والمبالغة فيه أكثر؛

لأن تعلقاته أقل من تعلقات الغريب، وهو من عطف العام على الخاص)[١]، ومما تجدر الإشارة إليه في بلاغة الرسول ﷺ في هذا الحديث ما فيه من إيجاز القصر وإذا كان البلغاء يقولون (البلاغة لمحة دالة، فعبارة الرسول ﷺ: (كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل) تطوي معاني كثيرة من تحذير من الدنيا، والاغترار بها، والركون إليها، والتنافس فيها، وما يولده من أحقاد وحسد ونفاق وارتكاب لمختلف الخطايا جرياً وراء شهواتها، وفيها أيضاً توجيه للمؤمنين ممثلين في شخص ابن عمر رضي الله عنهما إلى الغاية العظمى والهدف الأسمى ولفت النظر إلى ما يجب التنافس فيه بالعطف المحقق للتنويع والمؤذن بالمنافسة لاختيار أفضل النوعين في طريق الآخرة.

ولا ننسى - في إطار بلاغة الرسول ﷺ في تهذيب النفس البشرية وعلاج أمراضها - ومنها التعلق بالدنيا ذكاء الرسول ﷺ الفطري في إعداد المخاطب فكرياً، وشعورياً، وهدهدة خواطره عن طريق الحركة السابقة لعبارته والتي حكاها عبد الله رضي الله عنه: (أخذ الرسول ﷺ بمنكبي وقال:...) وهذا الفعل الذي قد يبدو عفوياً يوحي للمخاطب بالمودة والقربى والحظوة من المتحدث إضافة إلى أنه يلفت انتباهه ويضمن إنصاته ويحقق متابعته؛ لذلك تجد الصحابي يحكي فعل الرسول ﷺ معه كما يحكي قوله، وكذا أكثر كلام النبي ﷺ وتوجيهاته تصدر بعد تهيئة ذهنية، وتمهيد فكري وتأثير شعوري، مفضٍ إلى الإقناع، ومن الجدير بالذكر أن الأسلوب عام يناقش قضية شاملة رغم توجيه الخطاب لشخص بعينه، ومما له اتصال بالموضوع، والخطاب فيه عاماً ما جاء في[٢].

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٥/٥٠٠.

(٢) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري، ١٠٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: إظهار الهيئة أو الشكل الذي يكون عليه الداعية.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التشبيه.

رابعًا: من واجبات الداعية: حث المدعو على المبادرة إلى الأعمال الصالحة.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: المسارعة في العمل للآخرة وقصر الأمل في الدنيا.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: اغتنام الفرص في تحصيل الثواب والاستعداد للآخرة.

أولاً - من أساليب الدعوة: إظهار الهيئة أو الشكل الذي يكون عليه الداعية:

يظهر ذلك في قول ابن عمر رضي الله عنهما: "أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي". وفي هذا بيان للصورة والشكل الذي كان عليه النبي ﷺ حينما وجه دعوته لابن عمر مما يبعث على الاهتمام والتركيز وشد انتباه المدعو، حيث أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي ابن عمر رضي الله عنهما؛ لأن ذلك من أساليب الدعوة المؤثرة في المدعوين.

قال ابن حجر: (وفي الحديث: فإنه للمعلم الإمساك بأعضاء المتعلم عند التعليم والموعوظ عند الموعظة، وذلك للتأنيس والتنبيه ولا يفعل ذلك غالبًا إلا بمن يميل إليه، وفيه مخاطبة الواحد وإرادة الجمع)[(١)].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر هذا في قول رسول الله ﷺ "كن في الدنيا..." وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تبين للمدعوين أهمية ما يؤمرون به مما يجعلهم حريصين على سماع وفهم ما يحمله هذا الأمر، والاهتمام به لذا يحسن بالداعية أن يفيد من هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: التشبيه:

إن من أساليب الدعوة التي تظهر من هذا الحديث أسلوب التشبيه ويظهر ذلك في

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٣٩.

قوله: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل". قال الطيبي: ليست أو للشك بل للتخيير والإباحة، والأحسن أن تكون بمعنى بل، قال الجوهري: فشبه الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مسكن يأويه ولا مسكن يسكنه، ثم ترقَّى وأضرَب عنه إلى عابر السبيل، لأن الغريب قد يسكن في بلد الغربة بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شاسع وبينهما أودية مردية ومفاوز مهلكة وقُطَّاع طريق، فإن من شأنه أن لا يقيم لحظة ولا يسكن لمحة.

ومن ثم عقبه بقوله: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ... الخ" وبقوله وعد نفسك في أهل القبور، والمعنى: استمر سائرًا ولا تفتر، فإنك إن قصرت انقطعت وهلكت في تلك الأودية، وهذا معنى المشبه به، وأما المشبه فهو قوله: "وخذ من صحتك لمرضك" أي: إن العمر لا يخلو عن صحة ومرض، فإذا كنت صحيحا فسر سير القصد، وزد عليه بقدر قوتك ما دامت فيك قوة، بحيث يكون ما بك من تلك الزيادة قائما مقام ما لعله يفوت حالة المرض والضعف"[1].

قال ابن عثيمين: (وهذا التمثيل الذي ذكره النبي ﷺ هو الواقع؛ لأن الإنسان في هذه الدنيا مسافر، فالدنيا ليست دار مقر؛ بل هي دار ممر، سريع راكبه لا يفتر ليلاً ولا نهارًا، فالمسافر ربما ينزل منزلاً فيستريح، ولكن مسافر الدنيا لا ينزل، هو دائمًا في سفر، كل لحظة فإنك تقطع بها شوطًا من هذه الدنيا لتقرب من الآخرة.

فما ظنكم بسفر لا يفتأ صاحبه يمشي ويسير. أليس ينتهي بسرعة؟ الجواب: بلى، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾[2].

وينبغي للإنسان أن يقيس ما يستقبل من عمره بما مضى، فالذي مضى كأنه لا شيء، حتى أمسك الأدنى، كأنك لم تمر به، أو كأنه حلم، وكذلك فما يستقبل من دنياك، فهو كالذي تقدم، ولهذا لا ينبغي الركون إلى الدنيا ولا الرضا بها؛ وكأن الإنسان مخلد فيها.

---

(١) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٢٧/٢.

(٢) سورة النازعات، آية: ٤٦.

فالتشبيه أسلوب دعوي يجعل القول واضحًا، موجزًا، حكيمًا، ينتصب صدقه في العقول فيألفه الناس ويجري بينهم، ويشيع في أحاديثهم.

والناس من قديم الزمان، يجدون في طبائعهم الميل إلى الاستشهاد بالمثل، فقد يكون أحدهم بصدد حال يحكيها أو يسمعها فيحضره مثل يشابهها في المعنى فيستشهد به، لا لأن الكلام يزيد به صدقًا، بل لأن النفس تستأنس بالمثل، ويلتمع في جوانبها ضوء من وضوحه، وجمال حكمته، فما أسرع ما تتفرج جوانب النفس عن ثغرة يتعانق فيها معنى المثل القديم ومعنى المثل الحديث الجديد ثم تنطبق عليهما في تزاوج ووئام فإذا بالحال التي كانت تحكى قد استقرت لدى السامعين في رضى وقبول واطمئنان ويسمى هذا بضرب المثل أو التشبيه فينبغي على الداعية أن يحرص على الاستئناس في دعوته بالتشبيه وضرب الأمثال حتى يقرب المعنى إلى الأفهام)[(١)].

رابعًا - من واجبات الداعية: حث المدعو على المبادرة إلى الأعمال الصالحة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "كن في الدنيا كأنك غريب...".

قال ابن حجر: (وقوله: "خذ من صحتك ... الخ" أي: اعمل ما تلقى نفعه بعد موتك، وبادر أيام صحتك بالعمل الصالح، فان المرض قد يطرأ فيمتنع من العمل فيخشى على مَن فرط في ذلك أن يصل إلى المعاد بغير زاد، ولا يعارض ذلك الحديث الماضي في الصحيح إذا مرض العبد أو سافر كتب الله له ما كان يعمل صحيحا مقيما لأنه ورد في حق من يعمل والتحذير الذي في حديث بن عمر في حق من لم يعمل شيئًا، فإنه إذا مرض ندم على تركه العمل وعجز لمرضه عن العمل فلا يفيده الندم، وفي الحديث مسُّ المعلم أعضاء المتعلم عند التعليم والموعوظ، وحرص النبي ﷺ على إيصال الخير لأمته، والحضّ على ترك الدنيا والاقتصار على ما لا بد منه)[(٢)].

فينبغي للداعية أن يحث المدعوين على المبادرة إلى الأعمال الصالحة ويبين لهم أن الحياة قصيرة فلابد من المبادرة إلى الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ

---

(١) انظر: تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ص ٦٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٣٩.

ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، من المسابقة بمعنى المبادرة والمسارعة أى بادروا بالأعمال الصالحة شكرًا لربكم وتزودوا في دنياكم لأخراكم فإن الله تعالى قد بين لكم سبيل النجاة فلا عذر لكم في التفريط[٣].

فيجب على الداعية حث المدعو على المبادرة إلى الأعمال الصالحة.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: المسارعة في العمل للآخرة وقصر الأمل في الدنيا:

يظهر هذا في قوله ﷺ "... كأنك غريب أو عابر سبيل"، هذه الوصية الجليلة البليغة ترسخ اصلاً من أصول الزهد، وتعالج مرضًا من أمراض القلوب المتفشي في نفوس عشاق الدنيا، للاهتمام بالآخرة، والقناعة بما رزق الله تعالى وقصر الأمل، والتوازن بين الدنيا والآخرة، ولتعيش النفوس محررة من رق عشق الدنيا والركض وراءها، والتنافس فيها والتقاتل عليها.

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: لما كان الغريب قليل الانبساط إلى الناس بل هو مستوحش منهم إذ لا يكاد يمر بمن يعرفه مستأنس به فهو ذليل في نفسه خائف، وكذلك عابر السبيل لا ينفذ في سفره إلا بقوته عليه وتخفيفه من الأثقال غير متثبت بما يمنعه من قطع سفره معه زاده وراحلته يبلغانه إلى بغيته من قصده شبهه بهما، وفي ذلك إشارة إلى إيثار الزهد في الدنيا وأخذ البلغة منها والكفاف فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر ما يبلغه إلى غاية سفره فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل)[٤].

وقال المناوي: (وهذا أصل عظيم في قصر الأمل، وأن لا يتخذ الدنيا وطنًا وسكنًا بل يكون فيها على جناح سفر مهيأ للرحيل، وقد اتفقت على ذلك وصايا جميع الأمم،

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٣) هداية المرشدين، علي محفوظ، ص ٢٤٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٣٨.

وفيه حث على الزهد والإعراض عن الدنيا والغريب المجتهد في الوصول إلى وطنه لا بد له من مركب وزاد ورفقاء وطريق يسلكها، فالمركب نفسه ولا بد من رياضة المركوب ليستقيم للراكب، والزاد التقوى والرفقاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والصراط المستقيم، وإذا سلك الطريق لم يزل خائفا من القطاع إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه بينها إلا ذراع أو عابر سبيل)[١]. وفي ذلك حث على المسارعة في العمل للآخرة وقصر الأمل في الدنيا وعدم الركون إليها، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[٢]، أمر الله تعالى المسارعة إلى مغفرته، وإدراك جنته، التي عرضها السموات والأرض، فكيف بطولها التي أعدها للمتقين، فهم أهلها وأعمال التقوى هى الموصلة إليها"[٣].

سادسًا - من موضوعات الدعوة: اغتنام الفرص في تحصيل الثواب والاستعداد للآخرة:

يظهر هذا في قول ابن عمر رضي الله عنهما: (إذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت، فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك). قال الطيبي: (انظر أيها المتأمل في هذا الكلام الجامع، وانتهز الفرصة لكي لا تندم. ونعم ما قال من قال:

إذا هبت رياحك فاغتنمها ... فإن لكل خافقة سكون

ولا تغفل عن الإحسان فيها ... فما تدري السكون متى يكون

فإذا ظفرت بذاك فلا تقصر ... فإن الدهر عادية تخون

قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗا﴾[٤])[٥].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٥٢/٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١١٥- ١١٦.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٥٨.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٢٨/٣.

وفي ذلك بيان لاغتنام تحصيل الثواب متى استطاع الإنسان ذلك حتى لو حصل له تقصير في وقت ما لا نجبر ذلك، قال رسول الله ﷺ: (بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا، ويمسى كافرًا، أو يمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا)(١).

قال النووي: (معنى الحديث: الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر، ووصف ﷺ نوعًا من شدائد تلك الفتن وهو أن يمسى مؤمنًا ثم يصبح كافرًا أو عكسه، وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب)(٢).

فينبغي على الإنسان العاقل أن يغتنم صحته وأوقاته في طاعة الله وأن يعمل على تحصيل الثواب والاستعداد للآخرة.

ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: "إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، فإنك قد تموت قبل أن تمسي، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح" فإنك قد تموت قبل أن تصبح، ولكن انتهز الفرصة، لا تؤخر العمل، لا تركن إلى الدنيا فتؤمل البقاء مع أنك لا تدري.

"وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك" انتهز الصحة، انتهز الحياة، فإنك قد تمرض فتعجز، وقد تفتقر فتعجز، وقد تموت فينقطع عملك(٣).

---

(١) أخرجه مسلم ١١٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٨.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثمين، ٧٩٧/١.

الحديث رقم (٤٧١)

٤٧١ – وعن أَبي العباس سهل بن سعد الساعدي ﷺ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي ﷺ، فقال: يَا رسولَ الله، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فقال: ((**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبّكَ النَّاسُ**)) حديث حسن رواه ابن ماجه[1]، وغيره بأسانيد حسنة.

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

ازهد في الدنيا: قال الزهري: الزهد في الدنيا هو أن لا يغلب الحلالُ شكرَه ولا الحرام صبرَه[2].

الشرح الأدبي

قول الرجل للرسول ﷺ (دلني) دليل على أنه جاء يلتمس الهداية ثم إنه رقيق القلب رقيق المشاعر يريد أن يحيا في محبة الله، ومحبة من حوله، وتلك نية طيبة، وتعبيره بالعمل؛ لأنه يشمل الفعل، والقول، ثم إنه استخدم أسلوب الشرط الذي يربط عمله بالنتيجة التي يطلبها، وقد فهم الرسول ﷺ طبيعته، وأجابه بما يصلح حاله، ويحقق غرضه، بقوله (ازهد في الدنيا يحبك الله) والأمر للنصح والإرشاد، والترغيب في الزهد في الدنيا؛ لأنه يوجب محبة الله – تعالى – ثم إنه أمره بالزهد مرة أخرى فيما عند الناس حتى تتحقق محبتهم له، ونلاحظ شيوع ألفاظ المحبة التي تستصحب أجمل المعاني كالإيثار، والوفاء، والعطاء، وهذه المعاني تحقق السعادة وتنمي روح التعاون.

---

(١) برقم ٤١٠٢، وكذا قال المؤلف في أربعينه ٣١، وقال الحاكم في المستدرك ٣١٣/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الحافظ في بلوغ المرام ١٣٧٦: سنده حسن. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦٩٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز هـ د).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء، والسؤال والجواب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة ما يؤدي إلى محبة الله ومحبة الناس.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الزهد في الدنيا، و فيما عند الناس.

خامسًا: من آداب المدعو: السعي لتحصيل محبة الله ومحبة الناس.

أولاً - من أساليب الدعوة: النداء، والسؤال والجواب:

يظهر النداء في قول الرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ فقال: "يا رسول الله..."، وأسلوب النداء من أساليب الدعوة التي تلفت الانتباه والتي يستخدمها المدعو مع الداعية للفت انتباهه وإعلامه بالرغبة في الإفادة منه، والسؤال والجواب يظهر في قول الرجل: "دلني على عمل... فقال ﷺ "ازهد فيما عند الناس..." الحديث. وقد أفاد ذلك أهمية السؤال عن الأعمال التي تحبب الإنسان إلى الله تعالى وأيضًا الأعمال التي تجعل الإنسان محببًا إلى الناس ويعد ذلك من المؤشرات الإيجابية التي تدل على سلامة قلب المدعو وحرصه على مرضاة ربه سبحانه وتعالى.

فينبغي للداعية أن يفيد من أسلوب السؤال والجواب ويشجع المدعوين على ذلك؛ لأنه يعدّ من الظواهر الصحية في المجتمع المسلم؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون النبي ﷺ لمعرفة أمور دينهم.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة ما يؤدي إلى محبة الله ومحبة الناس:

ويظهر ذلك في قول الرجل الذي جاء إلى رسول الله ﷺ: "يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس". قال سليم الهلالي في فقه الحديث: (حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة ما يقربهم إلى الله وينفعهم في الناس لتستقيم حياتهم معهم، وهو من باب جمع خيري الدنيا والآخرة)[1]. ومما يؤكد على أهمية معرفة ما يحقق

---

(١) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٥٣٧/١.

محبة الله تعالى، وما يجلب محبة الناس. إن محبة الله للإنسان أساس كل خير في الدنيا والآخرة: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله قال: وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحبَبته كنت سمعه الذي يسمع به وبَصرَه الذي يبصر به ويدَه التي يبطِش بها. ورجله التي يمشي بها، وإنْ سألني لأَعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذَنه. وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن نفسِ المؤمن يكرَه الموتَ وأنا أكرَه مَساءته))[١]، وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾[٢].

(فالله تبارك وتعالى هو الودود، الذي يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم وهم يحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء، قد امتلأت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه ودًا ومحبة وإنابة.

وهو سبحانه الودود، الذي يحب ويود من أناب إليه، وذو المغفرة لمن تاب إليه، الواد لأهل طاعته، الراضي عنهم بأعمالهم الصالحة، المحسن إليهم لأجلها، المادح لهم بها، المثيب لهم عليها.

وهو سبحانه الودود، الذي يحب من أطاعه، ويبغض من عصاه، يحب التوابين ويحب المتطهرين، ويحب المؤمنين والمتقين، ويحب الصابرين والصادقين، ويحب المحسنين والمتوكلين.

ويبغض ويكره الكافرين والمشركين، والمستكبرين والمفسدين، والظالمين والفاسقين، والمسرفين والخائنين، والكاذبين والمنافقين.

فعلى المسلم أن يفعل ما يحبه الله ويرضاه، ويجتنب ما يبغضه ويسخطه، وأن يتودد إلى ربه بامتثال أمره واجتناب نهيه. كما تودد إليه ربه بإدرار نعمه وفضله، وأن يحبه كما أحبه، ويحسن إلى خلقه كما أحسن الله إليه)[٣].

أما محبة الناس فهي أساس التعاون والمودة والرحمة فإذا أحب الناس بعضهم بعضًا

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

(٢) سورة البروج، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٣) موسوعة فقه القلوب، د. محمد بن إبراهيم التويجري ٢٣٧/١.

عمتهم البركة وساد بينهم التعاون والإيثار والأمن لذلك حرص الصحابة ﭬ على معرفة ما يؤدي إلى محبة الناس. قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ «أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ»[(١)]. فصحابة رسول الله كانوا حريصين على معرفة ما يؤدي إلى محبة الله ومحبة الناس.

ولهم في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة فقد جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يُصلح ما بينه وبين خلقه. فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته)[(٢)].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "ازهد في الدنيا... وازهد فيما...".

وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تشعر المدعوين بأهمية ما يؤمرون به مما يبعث على الاهتمام فهو بذلك من دواعي التركيز والانتباه.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل الزهد في الدنيا، و فيما عند الناس:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس".

قال الطيبي: (فيه دليل على أن الزهد في الدنيا أعلى المقامات وأفضلها؛ لأنه جعله سببًا لمحبة الله تعالى وأن محب الدنيا متعرض لبغض الله تعالى)[(٣)].

أما الزهد فيما عند الناس: "فإن من أشرف المنى ترك الطمع إلى الناس إذ لا غنى لذي طمع وتارك الطمع يجمع به غاية الشرف، فطوبى لمن كان شعار قلبه الورع ولم يعم بصره الطمع.

---

(١) أخرجه مسلم ٩٣.

(٢) الفوائد، ابن القيم، ص ٨٤-٨٥.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٠٧/٩.

"ومن أحب أن يكون حرًا فلا يهوى ما ليس له؛ لأن الطمع فقر، كما أن اليأس غنى، ومن طمع ذل وخضع، أن من قنع عف واستغنى"(١).

ففي هذا الحديث يرشد رسول الله ﷺ المؤمنين بالتقلل من أمور الدنيا لكي لا تتعلق نفوسهم بملذات الدنيا والإكثار منها، وأن تكون الدنيا بأيديهم لا بقلوبهم، حتى يتمكنوا من الإقبال على عبادة الله تعالى بإخلاص، فينالوا محبة الله تعالى، وهذا لا يعني ترك الدنيا إطلاقًا ولكن الوسطية مطلوبة إذ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾(٢).

وفي هذا الحديث معالجة للمشكلات الاقتصادية التي يعاني منها البشر في هذا الزمان، الذين يتسابقون ويتنافسون على جمع المال، وقد يشوبه الربا والشبهات ثم لا يحسنون التصرف فيه فيعيشون حياة الإسراف والبخل، وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾(٣).

وبالتقلل من ملذات الدنيا يقل هذا التسابق المحموم والتنافس المذموم، ويحبب الناس إلى أرباب هذا الفعل المحمود.

وقد بين العلماء الزهد وأنواعه قال العلامة ابن قيم الجوزية: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة. والورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة.

وهذه العبارة من أحسن ما قيل في (الزهد، والورع) وأجمعها.

وقال سفيان الثوري: الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ، ولا لبس العباء.

وقد قال أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه:

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ١٤٢.

(٢) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٢٩.

الأول: ترك الحرام، وهو زهد العوام.

والثاني: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص.

والثالث: ترك ما يشغل عن الله، وهو زهد العارفين(١).

وقال المناوي: (ازهد) من الزهد بكسر أوله وقد يفتح وهو لغة: الإعراض عن الشيء احتقارًا. وشرعًا: الاقتصار على قدر الضرورة مما يتيقن حِله.

وقيل: أن لا يطلب المفقود حتى يفقد الموجود في الدنيا باستصغار جملتها واحتقار جميع شأنها لتحذير الله تعالى منها واحتقاره لها، فإنك إن فعلت ذلك يحبك الله لكونك أعرضت عما أعرض عنه ولم ينظر إليه منذ خلقه.

وفي إفهامه أنك إذا أحببتها أبغضك فمحبته مع عدم محبتها؛ ولأنه سبحانه وتعالى يحب من أطاعه ومحبته مع محبة الدنيا لا يجتمعان، وذلك؛ لأن القلب بيت الرب فلا يحب أن يشرك في بيته غيره، ومحبتها الممنوعة هي إيثارها بنيل الشهوات لا لفعل الخير والتقرب بها، والمراد بمحبته غايتها من إرادة الثواب فهي صفة ذاتية أو الإثابة فهي صفة فعلية، وازهد فيما في أيدي الناس منها يحبك الناس؛ لأن قلوبهم مجبولة على حبها مطبوعة عليها ومن نازع إنسانا في محبوبه كرهه وقلاه، ومن لم يعارضه فيه أحبه واصطفاه ولهذا قال الحسن البصري: لا يزال الرجل كريمًا على الناس حتى يطمع في دنياهم فيستخفون به ويكرهون حديثه(٢).

خامسًا - من آداب المدعو: السعي لتحصيل محبة الله ومحبة الناس:

يظهر ذلك في قول الرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ: "يارسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس".

فالإنسان العاقل يجب أن يسعى لتحصيل محبة الله ومحبة الناس، ومحبة الله تعالى أساس لمحبة الناس، قال رسول الله ﷺ: "إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا نادى جبريل، إن الله قد أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء إن الله

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/١٠-١٢.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٤٨١/١.

قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض"[١]. ومحبة الله تدرك بطاعة أوامره واجتناب نواهيه والتقرب إليه بالطاعات فيجب على المسلم أن يحرص على طاعة الله حتى يحبه الله عز وجل.

أما محبة الناس فإنها مما ينبغي أن يحرص عليها الإنسان، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على محبة الناس، ويظهر ذلك في قصة أبي هريرة رضي الله عنه وأمه عندما طلب من رسول الله ﷺ الدعاء لهما بمحبة الناس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا، قال: فقال رسول الله ﷺ: "اللهم حبب عبيدك هذا، يعني: أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين"، فما خُلِقَ مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني"[٢]. ولمنزلة المتحابين في الله شأن عظيم؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله تعالى يقول: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي))[٣].

فليحرص كل مؤمن على تحصيل هذه المنزلة عن طريق الحب في الله عز وجل، ولذلك قال ﷺ يحكي عن ربه تبارك وتعالى يقول: ((حقت محبتي للمتحابين في))[٤].

اعلم أن هذا الثواب في هذه المحبة إنما يكون إذا كانت في الله خالصة لا يشوبها كدر، وإذا قويت محبة الله عز وجل في القلب قويت محبته بعباده، فلينظر الإنسان من يؤاخي ممن يحب، ولا ينبغي أن يتخير إلا من سَبَرَ عقله ودينه[٥].

فمن آداب المدعو أن يسعى لتحصيل محبة الله ومحبة الناس.

---

(١) أخرجه البخاري ٧٤٨٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٤٩١.

(٣) أخرجه مسلم ١٧٠٨.

(٤) موطأ مالك ١٧١١، ٢/٩٥٣.

(٥) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، ص ٤٨٣.

الحديث رقم (٤٧٢)

٤٧٢ - وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، قَالَ: ذَكَرَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه ، مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا ، فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رسول الله ﷺ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي، مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأ بِهِ بَطْنَهُ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٠).

غريب الألفاظ:

الدِّقْل: ردىء التمر[2].

سمة الصالحين تدبر الأحوال، ومراجعة الأعمال، والاعتبار بحوادث الأيام، وهذا الحديث يحكي مراجعة أمير المؤمنين لماضي الأمة، وحالهم مع رسول ﷺ، وقول الراوي (مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا) كناية عما فتح الله عليهم من الأمصار، وما جمعوا من الغنائم، والتعبير بالإصابة دلالة على التحقق، ، والمقصود بالناس المسلمون خاصة، وقوله (لَقَدْ رَأَيْتُ رسول الله ﷺ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي) التعبير بالفعل رأى يؤكد وضوح الذكرايات؛ لأنها بنيت على أقوى طرق العلم، وقد أكده باللام الموطئة للقسم، وقد الداخلة على الماضي، والتعبير بالفعل (يظل) يفيد الاستمرار بدلالته، وبصيغته كما يستحضر الصورة، وما أدق استخدامه للفعل يتلوى، والذي يصور حركة الأمعاء يطوي بعضها بعضاً ثم إن الظرف(اليوم) يعطي حركة الفعل امتداداً على المدى الطويل، ثم زادها امتداداً، وتمطياً بنفي الوجدان الذي يمنح الأمل بانطفاء نار الجوع التي أحرقت الجوف الطاهر - بأبي أنت وأمي يا رسول الله - .

---

(١) برقم ٢٩٧٨/٣٦. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٩٤.

(٢) رياض الصالحين ٢٢٧.

المضامين الدعوية[(١)]

أولاً: من أساليب الدعوة: الحكاية.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: بيان الحالة التي كان عليها النبي ﷺ من الزهد في الدنيا.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تعليم النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم الزهد.

رابعًا: من صفات الداعية: الزهد والقناعة والإعراض عن الدنيا.

خامسًا: من معجزات النبي ﷺ: تكثير الطعام.

أولاً - من أساليب الدعوة: الحكاية:

ويظهر ذلك في ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا فقال: "رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه".

فهو رضي الله عنه حكى ما كان عليه حال النبي ﷺ، وأسلوب الحكاية يلاحظ فيها المحاكاة والوقوف على ما جرى فقط[(٢)].

وقد أفادت الحكاية في هذا الحديث بيان تلك الحالة من الزهد في الدنيا التي كان يعيشها رسول الله ﷺ، وإيثاره لذلك على الشبع والتمتع بملذات الحياة، وقد كان ذلك باستطاعته، فلو أنه ﷺ دعا الله تعالى أن يُحوّل بطحاء مكة ذهبًا، لتحقق له ذلك بإذن الله تعالى، ولكنه آثر عيش الزهد.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان الحالة التي كان عليها النبي ﷺ من الزهد في الدنيا:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذه الأحاديث بيان الحالة التي كان عليها النبي ﷺ من الزهد في الدنيا، لقد كان النبي ﷺ أزهد الناس في الدنيا، ويكفي تقلله منها وإعراضه عن زهرتها؛ وقد سيقت إليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها إلى أن تُوفي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله[(٣)]، وهو يدعو ويقول: ((اللَّهُمَّ

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٤٧٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٤٧٣، ٤٧٤).

(٢) انظر: القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي، ص ٣١.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ١٩٨/١.

اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا))[١].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((إِنْ كُنَّا، آلَ مُحَمَّدٍ، لَنَمْكُثُ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ بِنَارٍ. إِنْ هُوَ إِلاَّ التَّمْرُ وَالْمَاءُ))[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَبِيتُ اللَّيَالِيَ الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا وَأَهْلُهُ لاَ يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ))[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، مِنْ طَعَامِ بُرٍ، ثَلاَثَ لَيَالٍ تِبَاعًا. حَتَّى قُبِضَ))[٤]. وعنها رضي الله عنها قالت: ((كان فِراشُ رسولُ الله ﷺ من أدم وحَشْوُهُ لِيف))[٥].

لقد دعا ﷺ إلى الله هنا وهناك وبلّغ رسالته للقاصي والداني، وجاهد في الله حق جهاده فلقي من سقط القوم وأذاهم ما تترنح له الجبال الراسيات فاحتمله واحتمل - صابرًا محتسبًا - من ضنك الحياة وضيق العيش ما لا يقدر عليه أحد من الناس سواه

وقد ثابر على زهده وترفعه عن الدنيا في أيام الرخاء كما كان أيام الشدة، وحسبك ما استفاض من أخبار زهده في الدنيا وإعراضه عن زهرتها أيام سيقت إليه بعد الفتوح ووضعت بين يديه[٦].

وقد عد فخر الدين الرازي استمراره ﷺ على الزهادة مع توافر الكنوز بين يديه معجزة عقلية من دلائل نبوته القوية. وقال: (إنه ﷺ تحمّل في أداء الرسالة أنواعًا من المشاق والمتاعب، ولم يظهر في عزمه فتور لا في إصراره قصور. ثم إنه لما قهر الأعداء ووجد العسكر العظيم والدولة القاهرة القوية. ونفّذ أمره في الأموال والأزواج، لم يتغير

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٦٠، ومسلم ١٠٥٥.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٥٨، ومسلم ٢٩٧٢.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣٦٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٣٦).

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٥٤، ومسلم ٢٩٧٠.

(٥) أخرجه البخاري ٦٤٥٦، ومسلم ٢٠٨٢.

(٦) انظر: نبوة محمد ﷺ في القرآن د. حسن ضياء الدين عنز، ص ١٣٢ - ١٣٣.

عن منهجه الأول والزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة. وكل من أنصف علم أن المزور لا يكون كذلك فإن المزور إنما يزور الكذب والباطل على الخلق ليجد الدنيا، فإذا وجدها ولم ينتفع بها كان ساعيًا في تضييع الدنيا والآخرة على نفسه. وذلك ما لا يفعله أحد من العقلاء)[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: تعليم النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم الزهد:

هذا يظهر من عموم الأحاديث لأن رسول الله ﷺ هو القدوة لصحابته رضي الله عنهم، ولأمته، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾[٢]، وبما أن الرسول ﷺ هو القدوة والمعلم لصحابته رضي الله عنهم وأمته يكون زاهدًا في الدنيا معرضًا عنها ففي ذلك تعليم لأمته بأهمية الزهد في الدنيا والتقلل من متاعها، لأن الإنغماس في الدنيا يجعل المؤمن يغفل عن آخرته، وقد بيّن النبي ﷺ أهمية القناعة والزهد في الدنيا.

فقال ﷺ: ((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا))[٣]، وقال ﷺ: ((مَالِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا))[٤].

وكل ذلك؛ لأن الآخرة خير وأبقى فيجب على المسلمين ألا يضيعوا الآخرة بالانغماس في الدنيا والركون إليها.

رابعًا - من صفات الداعية: الزهد والقناعة والإعراض عن الدنيا:

يظهر هذا من عموم الأحاديث حيث بينت زهد النبي ﷺ وقناعته وإعراضه عن الدنيا، والدعاة ورثة النبي ﷺ وأتباعه يدعون إلى الله على بصيرة، ويقتدون

---

(١) الأربعين في أصول الدين، الفخر الرازي ص ٣١٢.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣٤٧، وابن ماجة ٤١٤١، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ٣٣٣٩).

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٣٦).

به ﷺ، وإلى التحلي بصفاته في كل صفاته والتي من جملتها الزهد في الدنيا والقناعة بما أعطاهم الله، والإعراض عن الدنيا لحقارتها وهوانها، فمن أجل ذلك كان لا بد للداعية أن يكون متصفاً بالزهد والقناعة والإعراض عن الدنيا، وإلا انطبق عليه ما وصف الله به أهل الكتاب ومن نحى نحوهم حيث قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1].

إن الزهد هو ترك الشيء والإعراض عنه وهو ضد الرغبة، فكيف يعدُّ زاهدًا من هوى قلبه الدنيا وحرص على كسبها؟ ولا نقصد بذلك إطلاق القول، إنما نقصد من شغلت الدنيا قلبه، واستحوذت على كل رغباته أو بعضها، فلا يعد زاهدًا من خلت يداه من الأموال والضياع وعاش في ضنك شديد، ولبس خشن الثياب، إذا كان يتطلع إلى تحسين الحال وكسب الأموال، إلا إذا كانت نيته وجه الله تعالى. فكم من غني ملك الكثير كان زاهدًا، وزهد مما لا شك فيه أفضل وأعظم من زهد من لم يملك، لهذا قال أحد الصالحين: "الناس يقولون: مالك بن دينار زاهد، إنما الزاهد عمر بن عبدالعزيز الذي أتته الدنيا فتركها"[2].

وعلى هذا ليس إخلالاً بالزهد من ملك الثروات الهائلة،وكسب الأموال الطائلة إذا كان زاهدًا فيها، معرضًا عنها، لم تدخل قلبه ولم تتجاوز يده، فليس هناك من هو أزهد من الصحابة رضي الله عنهم وقد كان منهم من يملك الآلاف المؤلفة كعثمان، وعبدالرحمن بن عوف، وأبي بكر رضي الله عنهم، وقد توفي عبدالرحمن بن عوف وترك ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ومئة فرس وترك ثلاث نسوة أصاب كل واحدة مما ترك ثمانون ألفاً[3].

وليس الزهد المطلوب مقتصرًا على الأموال فحسب، بل يتعدى إلى الأمور الشعورية

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٤.

(٢) مناقب عمر بن عبدالعزيز، ابن الجوزي، ص ١٨٤.

(٣) طبقات ابن سعد ٢/١٣٦.

والنفسية كالزهد في حب الرئاسة والجاه، والسمعة وذياع الصيت وغيرها.

فالزهد يدفع باتجاه التضحية والجهاد، اللذين فيهما إعزاز للأمة وحفاظ على وحدتها وكرامتها.

والزهدُ ينقي النفس مما يعتريها من أمراض القلوب كالحسد والغرور، والعجب والرياء وحب الرياسة وذياع الصيت ... إلخ.

وفي الزهد صفاء للروح والنفس، وارتقاء لها في سلم الكمال الروحي، وفيه صلاح للقلب لخلوه من هم الدنيا وإقباله على هموم الآخرة.

وفيه تهذيب للأخلاق وصلاح لها؛ لأن الزاهد رقيق المشاعر بعيد عن اهتمامات عوام الناس وتوجهاتهم، وعن الانتصار لنفسه وأذية غيره. إن الداعية الزاهد أقدر على استحواذ مشاعر الناس وكسب ودهم ومحبتهم، وبالتالي يكون سماعهم له ولتوجيهه أكثر من سماعهم لغيره، جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: ((وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ))(١)(٢).

خامسًا - من معجزات النبي ﷺ: تكثير الطعام:

يظهر ذلك في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: فأكلت منه حتى طال فكِلتُه ففنى)، "والذي يظهر أنه كان من الخصوصية لعائشة رضي الله عنها ببركة النبي ﷺ"(٣)، وقد وقع مثل ذلك في مزود أبي هريرة رضي الله عنه فقد ورد عنه أنه قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِتَمَرَاتٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ فِيهِنَّ بِالْبَرَكَةِ فَضَمَّهُنَّ، ثُمَّ دَعَا لِي فِيهِنَّ بِالْبَرَكَةِ، فَقَالَ لِي: ((خُذْهُنَّ فَاجْعَلْهُنَّ فِي مِزْوَدِكَ هَذَا أَوْفِي هَذَا الْمِزْوَدِ كُلَّمَا أَرَدْتَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا فَأَدْخِلْ يَدَكَ فيه فَخُذْهُ وَلاَ تَنْثُرْهُ نَثْرًا، فَقَدْ حَمَلْتُ مِنْ ذَلِكَ التَّمْرِ كَذَا، وَكَذَا مِنْ وَسْقٍ فِي سَبِيلِ اللهِ وَكُنَّا نَأْكُلُ مِنْهُ وَنُطْعِمُ، وَكَانَ لاَ يُفَارِقُ حِقْوِي حَتَّى كَانَ يَوْمُ قَتْلِ عُثْمَانَ فَإِنَّهُ انْقَطَعَ))(٤).

---

(١) أخرجه ابن ماجة ٤١٠٢ وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ٣٣١٠).

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص ٣٤٣ - ٣٤٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٨٥.

(٤) أخرجه الترمذي رقم ٣٨٣٩، وقال الألباني: حسن الإسناد (صحيح سنن الترمذي ٣٠١٥).

وقد ورد عنه ﷺ الكثير من بركاته في تكثير الطعام وهذا من دلائل نبوته ومعجزاته التي أيده الله بها وخصه دون غيره.

فقد بعث النبي ﷺ في بيئة قليلة الغذاء والماء، وكان هو وأصحابه يتعرضون لحالات من الشدة يقل فيها الطعام والماء أو يكاد ينعدم، فكان مما أيده الله به من المعجزات تكثير القليل من الطعام والماء على يديه، فيتغلب هو وأصحابه بقدرة الله تعالى بهذه المعجزات والخوارق على ظروف البيئة الصحراوية القاسية، التي يحتاجون فيها للطعام والشراب، إلى جانب حاجتهم للماء من أجل الطهارة للعبادة، وأصبح ذلك من معجزاته التي رآها العشرات والمئات بل والآلاف من أصحابه، وتناقلها الناس في عهده ثم نقلت إلينا بأصح طرق الرواية، وإليك طرفًا من هذه المعجزات:

خوارق ازدياد الطعام: فمن معجزاته ﷺ الخارقة للعادة أن يكثر الله الطعام القليل الذي لا يكفي إلا الأفراد، فإذا به بعد نزول البركة فيه بفضل دعائه ﷺ يكفي العشرات أو المئات أو الآلاف وقد وقع ذلك في مواقف متعددة، منها ما حدث عند حفر الخندق[1].

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ خَمَصًا. فَانْكَفَأْتُ. إِلَى امْرَأَتِي. فَقُلْتُ لَهَا: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللّهِ خمَصًا شَدِيدًا. فَأَخْرَجَتْ لِي جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ. وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ[2]. قَالَ فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنَتْ. فَفَرَغَتْ إِلَىٰ فَرَاغِي. فَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا. ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللّهِ . فَقَالَتْ: لاَ تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللّهِ وَمَنْ مَعَهُ. قَالَ فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنَّا قَدْ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا. وَطَحَنَتْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا. فَتَعَالَ أَنْتَ فِي نَفَرٍ مَعَكَ. فَصَاحَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَقَالَ: ((يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ لَكُمْ سُورًا. فَحَيَّهَلاَ بِكُمْ)) وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((لاَ تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلاَ تَخْبِزُنَّ عَجِينَتَكُمْ، حَتَّىٰ أَجِيءَ)) فَجِئْتُ وَجَاءَ

(١) بينات الرسول ﷺ ومعجزاته، عبدالمجيد الزنداني، ص ٢٧١.

(٢) بهيمة داجن: هي الصغيرة من أولاد الضأن.

رَسُولُ اللَّهِ يَقْدُمُ النَّاسَ. حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي. فَقَالَتْ: بِكَ. وبِكَ. فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ لِي. فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينَتَنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ. ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ. ثُمَّ قَالَ: ((ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ. وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلاَ تُنْزِلُوهَا)) وَهُمْ أَلْفٌ. فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا. وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ. وَإِنَّ عَجِينَتَنَا ـ أَوْ كَمَا قَالَ الضَّحَّاكُ ـ لَتُخْبَزُ كَمَا هُوَ[1].

ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يديه ﷺ من خوارق العادات شيء كثير كما يقطع بوجود الوقائع[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٤١٠١، ٤١٠٢، ومسلم ٢٠٣٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٨٢/٦.

الحديث رقم (٤٧٣)

٤٧٣ - وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: تُوفِّي رسول الله ﷺ، وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلاَّ شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لي، فَأكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

ذُو كبد: شمل جميع الحيوان[2].

شطر شعير: شيء من شعير[3].

الرفُّ: خشب يُرفع عن الأرض إلى جنب الجدار يُوَقَّى به ما يُوضع عليه[4].

كِلْتُهُ: أخذت منه بالكيْل والمِقدار[5].

ففني: فرغ[6].

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يناسب المعنى الذي يرد في ركابه، وغير مؤكد لعدم المعارض، لأنه يُقابل به خالي الذهن من الخبر، وقد صدر في ثوب القصر بالنفي، والاستثناء لقصر وجدان المطعوم على شيء من شعير، وهذا يدل على ما كان عليه رسول ﷺ، وآل بيته رضوان الله عليهم من الزهد والانصراف الكلي إلى الآخرة،

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠٩٧ واللفظ له، ومسلم ٢٩٧٣/٢٧. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨١٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٨٥/١١.

(٣) رياض الصالحين ٢٢٧

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ف ف).

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ي ل).

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٨٥/١١.

وقولها (من شيء) استخدام من يفيد الاستغراق، وكلمة شيء تفيد العموم، وقولها (ذو كبد) كناية عن الإنسان، والحيوان، والتعبير بذي كبد يفيد عدم وجود ما يصلح لطعام الناس، أو لطعام الحيوان، إلا المقدار المستثنى من الشعير وهو توكيد لنفي وجود أي طعام بخلافه، وقولها: (فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ)أي بقي فترة طويلة تأكل، وهي تظن كل يوم أن ينتهي وقولها(فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ) علمت مقداره فانتهى، بمعنى أنه كان يبارك فيه ما كان مجهولاً، فلما علمته نفد، واستخدام الفاء يدل على سرعة نفاده.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٤٧٤)

٤٧٤ - وعن عمرو بن الحارث أخي جُوَيْرِيَة بنتِ الحارث أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ: مَا تَرَكَ رسولُ الله ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِينارًا، وَلاَ دِرْهَمًا، وَلاَ عَبْدًا، وَلاَ أَمَةً، وَلاَ شَيْئًا إلاَّ بَغْلَتَهُ الْبَيضَاءَ الَّتي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلاَحَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً. رواه البخاري[١].

ترجمة الراوي:

جويرية بنت الحارث: هي "أم المؤمنين" جويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية.

إحدى زوجات النبي ﷺ، ولدت قبل البعثة بنحو ثلاثة أعوام تقريبًا وقد سُبِيتْ يوم غزوة المُريسيع وهي غزوة بني المصطلق، في السنة الخامسة وقيل السادسة من الهجرة، وكان أبوها سيد قومه، وقَبْلَ زواجها بالنبي ﷺ كانت تحت مسافع بن صفوان فقُتل يوم المريسيع، وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة جميلة.

قالت فيها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (كانت جويرية عليها حلاوة وطلاوة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه) فأتت رسول الله ﷺ تستعينه على كتابتها، فكرهتُها -يعني لحُسنِها - فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يَخْفَ عليك وقد كاتبتُ، فأعني. فقال النبي ﷺ: ((أوخير من ذلك: أؤدي عنك، وأتزوَّجك))؟ قالت نعم ففعل، فبلغ الناس، فقالوا أصهارُ رسول الله ﷺ! فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق. فقالت عائشة: فلا نعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها)[٢].

وتزوجها النبي ﷺ وهي ابنة عشرين سنة، وكان اسمها "بَرَّة"، فسماها رسول الله ﷺ جويرية[٣]، وكانت من فضليات النساء أدبًا وفصاحة، وقد كانت كثيرة

---

(١) برقم ٢٧٣٩. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨١٩.

(٢) أخرجه ابن هشام في السيرة ٢٩٤/٢، ٢٩٥، وأبو داود ٣٩٣١ وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم، رقم ٢١٤٠.

الاجتهاد بالعبادة لله تعالى والإكثار من ذكر الله والصوم وفعل الخيرات.

وقد روت عن النبي ﷺ أحاديث بلغت سبعة أحاديث.

وقد عاشت بعد رسول الله ﷺ رضيةً مرضيةً إلى أن استقر الأمر لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وتوفيت بالمدينة بعد منتصف القرن الأول من الهجرة سنة ٥٦هـ وقيل سنة ٥٠هـ وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة آنذاك[1].

عمرو بن الحارث المصطلقي: وهو عمرو بن الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة، وهو المصطلق بن سعد بن كعب بن عمرو وهو خزاعة، الخزاعي، المصطلقيّ، أخو أم المؤمنين جويرية بنت الحارث زوج النبي ﷺ وكان أبوه صهر عبدالله بن مسعود، له ولأبيه صحبة، روى عمرو بن الحارث عن النبي ﷺ وعن أخته جويرية، وعن أبيه الحارث بن أبي ضرار، وعبدالله بن مسعود، وزينب امرأة عبدالله بن مسعود، وقيل عن ابن أخيها عنها، وروى له الجماعة، وهو في عداد أهل الكوفة، وذكره ابن سعد في الطبقات في أهل الكوفة، ولم يؤرخ لحياته ولا لوفاته[2].

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/١١٦-١٢٠، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٨٨٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٦٥٩-١٦٦٠، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٧/٥٧-٥٩، والأعلام، خير الدين الزركلي ٢/١٤٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤/٦٦٧-٦٦٨، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٨٤/٥٢٤، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/٢٦١-٢٦٥، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١/١٦٩-١٧٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/١٩٦، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٤٩٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٤/١٩٧، ١٩٨، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٦٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٥/٢٩٩، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣/٢٦١.

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري غرضه الفائدة، لأن كل حياته ﷺ سنة لأمته، وفي الحديث السابق أخبرت أم المؤمنين عائشة أن النبي ﷺ توفي، وليس في بيتها إلا القليل من الشعير، وهنا يخبر عمرو بن الحارث بأسلوب القصر الذي يتسم بالحسم، والتأكيد، ويقرر الخصوصية، قصر صفة الترك على الأصناف البسيطة المذكورة في الحديث، ونفى كل ما عداها (مَا تَرَكَ رسولُ الله - ﷺ - ... إلا ....) والأصناف التي نفاها تمثل غالب أموالهم، ثم استقصاها بكلمة (ولا شيئاً) وهو من ذكر العام بعد الخاص وقوله عن البغلة في جملة الموصول، وصلته (التي كان يركبها) تتميم بلاغي يفيد أنها لم تكن للتجارة، ولا لغرض الادخار، وإنما كانت للاستعمال الشخصي.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمج المضامين الدعوة لهذا الحديث (٤٧٤) مع المضامين للحديث رقم (٤٧٢ ، ٤٧٣).

الحديث رقم (٤٧٥)

٤٧٥ - وعن خَبابِ بن الأَرَتِّ رضي الله عنه، قَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ رسول الله ﷺ نَلْتَمِسُ[١] وَجْهَ اللهِ تَعَالَى، فَوَقَعَ أجْرُنَا عَلَى اللهِ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَأكُل مِنْ أجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ: مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ رضي الله عنه، قُتِلَ يَوْمَ أُحُد، وَتَركَ نَمِرَةً، فَكُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ، بَدَتْ رِجْلاَهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رِجْلَيْهِ، بَدَا رَأْسُهُ، فَأمَرَنَا رسول الله ﷺ، أنْ نُغَطِّي رَأْسَهُ، وَنَجْعَل عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الإذْخِرِ، وَمِنَّا مَنْ أيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِبُهَا. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

خباب بن الأرت: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤١).

غريب الألفاظ:

نَمِرةً: كساءً ملونًا من صوف[٣].

الإذخر: حشيشة طيبة الرائحة تسقفُ بها البيوت فوق الخشب[٤].

أينعت: أي نضجت وأدركت[٥].

يُهدِبُها: يقطفها ويجتنيها، وهذه استعارة لما فتح الله تعالى عليهم من الدنيا وتمكنوا فيها[٦].

الحديث من مجموعة الأحاديث التي تتناول الأمة وقت الشدة، وما لاقاه الصحابة

---

(١) لفظ البخاري في هذه الرواية: (نريد)، وبهذا اللفظ برقم ١٢٧٦ والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٣٦٢/٢، رقم ٢٨٤٣.

(٢) أخرجه البخاري ٣٨٩٧، ومسلم ٩٤٠/٤٤ والسياق للحميدي في جمعه ٣٦٢/٢، رقم ٢٨٤٣. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٤٨.

(٣) رياض الصالحين ٢٢٨.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (إ ذ خ ر).

(٥) رياض الصالحين ٢٢٨.

(٦) رياض الصالحين ٢٢٨.

الأطهار حتى استقر الحال، وصارت الدولة للإسلام، وقول خباب رضي الله عنه (نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللهِ تَعَالَى) كناية عن الإخلاص لله، والتوكل عليه، وقوله (فَوَقَعَ أجْرُنَا عَلَى اللهِ) كناية عن تحقق الأجر، والجملة إجمال فصَّله ما بعده، وذكر النموذج الأعلى (فَمِنَّا مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَأكُل منْ أجْرِهِ شَيْئاً، مِنْهُمْ: مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ رضي الله عنه) وقد صور حاله بأنه لم يصب من الدنيا شيئاً عن طريق المقابلة في أسلوب الشرط (إِذَا غَطَّيْنَا بهَا رَأْسَهُ، بَدَتْ رِجْلاَهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رِجْلَيْهِ، بَدَا رَأسُهُ) فقابل الفعل غطى بالفعل بدت، وقابل بين رأسه، ورجلاه، والعكس، وهذه المقابلة تصور قصر الثوب عن الجسد الطاهر يجذبه صحابي إلى أسفل ليغطي قدميه، ويجذبه آخر ليغطي رأسه، ففصل بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغطوا به رأسه، ويغطوا قدميه بورق الشجر، وقوله (وَمِنَّا مَنْ أيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِبُهَا) كناية عن إقبال الدنيا عليهم بمتاعها من أموال، وضياع، وغيرها، وقوله (يهدبها) على صيغة المضارع لاستمرار الحال الماضية، والآتية استحضارا لها في مشاهدة السامع، مع ما يثيره اللفظ بمعناه، وهو قطف الثمر من شعور بالسرور، والفراغ، والأمان الذي - طالما - افتقدوه.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١ - حكم تكفين الميت: أجمع المسلمون على أن تكفين الميت بما يستره فرض كفاية، ولا يسع عامتَهم تركُه، وإذا قام بذلك بعضهم أجزأ عن الباقين[١].

٢ - إذا ضاق الكفن عن ستر جميع البدن ولم يوجد غيره: قال النووي (فيه دليل على أنه إذا ضاق الكفن عن ستر جميع البدن ولم يوجد غيره، جعل مما يلي الرأس، وجعل النقص مما يلي الرجلين ويستر الرأس فإن ضاق عن ذلك سترت العورة، فإن

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨/٧/٤، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢/٢٢٣، ومغني المحتاج ١/٣٣٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢/١٢٢، وحاشية الخرشي ٥/٢٥٦.

فضل شيء جعل فوقها، فإن ضاق عن العورة سترت السوأتان، لأنهما أهم وهما الأصل في العورة)[1] وقال الشوكاني: (وفيه أنه يستحب إذا لم يوجد ساتر ألبتة لبعض البدن أو لكله أن يغطى الإذخر، فإن لم يوجد فما تيسّر من نبات الأرض)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: الهجرة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم في هجرتهم على التماس الأجر من الله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل مصعب بن عمير رضي الله عنه.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان الحال التي كان عليها الصحابة رضي الله عنهم.

أولاً - من تاريخ الدعوة: الهجرة:

ويظهر ذلك في قول خباب بن الأرت رضي الله عنه "هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم".

قال الشافعي: (كان المسلمون مستضعفين بمكة زمانًا لم يؤذن لهم فيه بالهجرة منها، ثم أذن الله عز وجل لهم بالهجرة وجعل لهم مخرجًا فيقال نزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾[3] فأعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قد جعل الله تبارك وتعالى لهم بالهجرة مخرجًا، وقال: ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ﴾[4].

وأمرهم ببلاد الحبشة فهاجرت إليها منهم طائفة، ثم دخل أهل المدينة في الإسلام فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم طائفة فهاجرت إليهم غير محرم على من بقي ترك الهجرة إليهم، وذكر الله جل ذكره للفقراء المهاجرين وقال: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ﴾

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨/٧/٤.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ص ٧٠٠.

(٣) سورة الطلاق، آية: ٢.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٠.

قرأ الربيع إلى ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[(١)] قال الشافعي: ثم أذن الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة، ولم يحرم في هذا على من بقي بمكة المقام بها وهي دار شرك، وإن قلّوا بأن يفتنوا، ولم يأذن لهم بجهاد، ثم أذن الله عز وجل لهم بالجهاد، ثم فرض هذا عليهم أن يهاجروا من دار الشرك)[(٢)].

فالهجرة إلى المدينة كانت إيذانًا بقيام دولة الإسلام، وتحوّل الدعوة الإسلامية إلى طور جديد مقرون بالعزة والغلبة شعاره "كلمة الله هي العليا" ولما كان فرض الهجرة بعد استقرار النبي ﷺ بالمدينة، بقصد تكثير جمع المسلمين حول النبي ﷺ لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع لتكوين المجتمع المسلم المتكامل المطبق لشريعة الإسلام، وبقصد تكوين جيش الإسلام للقتال مع رسول الله ﷺ ضد أعداء دعوة الإسلام؛ ولتعلم شرائع الدين من النبي ﷺ؛ ولمبايعته ﷺ على الإنضواء تحت راية دولته وتلبية ندائه إلى الجهاد[(٣)]، فحدث كل ذلك بالهجرة وكانت الهجرة من أهم الأحداث في تاريخ الدعوة إلى الله، فبعد أن قوي المسلمون بالمدينة علت راية الإسلام وانتشرت الدعوة في كل مكان وظهر الحق، ولذا كانت الهجرة نقطة تحول في تاريخ الدعوة الإسلامية.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم في هجرتهم على التماس الأجر من الله تعالى:

يظهر هذا في قول خباب بن الأرت رضي الله عنه هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله تعالى، وهذا يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم في هجرتهم على التماس الأجر من الله تعالى، وهذا ما أيده المولى تبارك وتعالى في قوله ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[(٤)]

---

(١) سورة النور، آية: ٢٢.

(٢) الأم ، الشافعي، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد ص ٧٦٠.

(٣) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي @ والخلفاء الراشدين، بلاغ الدعوة، د. أحمد فؤاد سيد ص ٣٩، ٤٠.

(٤) سورة الحشر، آية: ٨.

قال ابن كثير: (أي خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه)[١].

وقال قتادة: (في قوله: "للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم" إلى آخر الآية: قال: هؤلاء المهاجرون؛ تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، وخرجوا حبًّا لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما كانت فيه من شدة، حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه؛ ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفرة في الشتاء ما له دثار غيرها)[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل مصعب بن عمير رضي الله عنه:

يظهر ذلك في قول خباب رضي الله عنه "هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله تعالى، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئًا، منهم مصعب بن عمير رضي الله عنه قتل يوم أحد...".

وهذا يدل على فضل مصعب بن عمير رضي الله عنه فهو أحد السابقين في الإسلام وهاجر إلى الحبشة وهاجر إلى المدينة[٣] وعن البراء قال: ((أول من قدم علينا من أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وسلم مُصعَبُ بن عُمير وابنُ أُمِّ مَكْتوم، فَجَعَلا يُقرِئانِنَا القرآنَ...)) [٤] وشهد بدرًا ثم شهد أُحدًا ومعه اللواء فاستشهد[٥] وقد ورد ((أنَّ عبدَ الرحمنِ بنَ عَوفٍ رضي الله عنه أُتِيَ بطعامٍ وكان صائمًا. فقال: قُتِلَ مُصعَبُ بنَ عُمَيرٍ. وهو خيرٌ منِّي...))[٦].

فمصعب بن عمير رضي الله عنه صحابي جليل وله فضل عظيم؛ لأنه من السابقين في الإسلام وممن شهد بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لعلّ اللّهَ اطّلَعَ على من شهدَ بدرًا فقال: اعملوا ماشِئتم فقد غفرتُ لكم))[٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٨/٨.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٦٦/١٤، ٣٦٧.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٤٦.

(٤) أخرجه البخاري ٤٩٤١.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٤٦.

(٦) أخرجه البخاري ١٢٧٥.

(٧) أخرجه البخاري ٤٢٧٤.

وكثيرون من الصحابة رضي الله عنهم تمثلوا بمصعب بن عمير رضي الله عنه هذا وتذكروا حاله أيام غناهم سبق ذكر عبدالرحمن بن عوف له، وها هو خباب بن الأرتّ رضي الله عنه يذكره - في هذا الحديث الذي نحن بصدده - . لقد كان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد واستشهد فيها، ولم يجدوا ما يستر جسمه بعد موته فأكملوا ستر رجليه بنبات طيب الرائحة يقال له - الإذخر - وأشار كل من تحدثوا عنه من الصحابة رضي الله عنهم إلى أن ذلك كان من دلائل فضله حيث إنه ادُّخِرَ له أجره كاملاً لم يصله منه شيء في الدنيا، أما غيره من الصحابة فقد عجل لهم بعض الثواب في الدنيا فخافوا أن يكون ذلك على حساب الآخرة، وهو شعور طيب صادق يبعث على الزهد وحسن التصرف والتحكم في الدنيا. وهذا ما ينبغي أن نكون عليه، فليس الغنى في الدنيا دليل نجاة ولا الفقر فيها دليل شقاء، والعبرة بالعمل، وكلما مالت بالإنسان ناحية الفقر فصبر كان دليلاً على وفرة ثوابه وكثرة حب الله له[1].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: بيان الحال التي كان عليها الصحابة رضي الله عنهم:

يظهر ذلك في قول خباب ابن الأرت رضي الله عنه "... فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئًا..." فبيّن ما كان علي حال الصحابة رضي الله عنهم في بداية الدعوة الإسلامية من فقر وشدة العيش وقد ورد في بيان ذلك الكثير من الأحاديث منها: قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ((إنِّي لأَوَّلُ رجلٍ أَهْرَاقَ دَمًا في سَبيلِ الله، وَإِنِّي لأَوَّلُ رَجُلٍ رَمَى بسَهْمٍ في سَبيلِ الله، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَغْزُو في العِصَابَةِ مِنْ أَصْحَابِ مُحمَّدٍ مَا نَأْكُلُ إلاَّ وَرَقَ الشَّجَرِ وَالْحُبْلَةَ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ وَالبَعِيرُ))[2].

((عن فَضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ، أَنَّ رَسُولَ الله كَانَ إِذَا صَلَّى بالنَّاسِ يَخِرُّ رِجَالٌ مِنْ قَامَتِهِمْ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الْخَصَاصَةِ وَهُمْ أَصْحَابُ الصُّفَّةِ حَتَّى تَقُولَ الأَعْرَابُ هَؤُلَاءِ مَجَانِينُ أَوْ مَجَانُونُ فَإِذَا صَلَّى رَسُولُ الله انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَالَكُمْ عِنْدَ الله لأَحْبَبْتُمْ أَنْ تَزْدَادُوا فاقَةً وَحَاجَةً))[3].

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ٢١٨.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٦٥، ٢٣٦٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٢٨).

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣٦٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٣٠).

إنهم أناس صبروا وتحملوا المشاق في سبيل نصرة دينهم وإعانة نبيهم فكانوا بحق خير الناس.

فينبغي للداعية أن يبين للمدعوين تلك الحال التي كان عليها صحابة رسول الله ﷺ من فقر وقسوة عيش وصبر ابتغاء رضوان الله، فمكّن الله لهم في الأرض وفتحوا البلاد، وفاضت الخيرات، فأكرمهم الله تعالى بفضله ومنّ عليهم بالنعم التي لا تعد ولا تحصى - نعم الدنيا ونعم الآخرة - جزاء صبرهم وتحملهم أصبحوا فيه من نعيم ورغد، مما يستوجب شكر نعم الله، وعبادته وطاعته.

الحديث رقم (٤٧٦)

٤٧٦ - وعن سهلِ بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**لَوْ كَانَت الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**)) رواه الترمذيُّ[(١)]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

البعوضة: واحدة البَعُوض، وهو صغار البّقِّ[(٢)].

الشرح الأدبي

اختيار الجناح، لأن ليس له وزن، ولا فائدة، وإضافته للبعوضة لإفادة التحقير، وحاصل هذا أنها لا وزن لها عند الله، ولا قيمة، والتعبير ب(لو)وهي حرف امتناع لامتناع، يعني امتناع عدم السقي لامتناع مساواة الدنيا لجناح البعوضة، وتنكير لفظ كافر يفيد العموم؛ لأنه نكرة في سياق النفي، والتعبير بشربة الماء مبالغة في حرمانه، لأنها آخر ما يمكن أن يمنع، ثم إنه عبَّر بالفعل (تعدل) الذي يعني تساوي، ولم يقل (تفوق أو تزيد) مثلاً، ومعناه أن الدنيا في أحسن حالاتها لن تساوي هذا المقدار الحقير، ولو تأملنا الأحاديث التي تقارن بين الدنيا، والآخرة كالأحاديث السابقة في الباب لوجدنا أنه لا توجد نسبة بينهما؛ لأنه لا نسبة بين عمر الدنيا - مهما طالت - لأنها فانية، وبين معنى الخلود في الآخرة، لأن النسبة في تغير مستمر كلما مرَّ الزمان - بعد انقضاء الدنيا - قلت نسبة الدنيا بجوار الآخرة إلى أن تصير كما وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي مر قريباً في هذا الباب (مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي اليَمِّ(فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ !).

---

(١) برقم ٢٣٢٠ وقال: هذا حديث صحيحٌ غريبٌ. وقال الحاكم ٣٠٦/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٣٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ع ض).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعو: بيان هوان الكافر على الله تعالى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: هوان الدنيا على الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان هوان الكافر على الله تعالى:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها جرعة ماء". إن الكافر عدو الله لأنه يشرك به وهو من أهون الأشياء على الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[1] أي هو يوم القيامة بمنزلة من لا يملك لنفسه نفعًا ولا يدفع عن نفسه ضرًا ولا عذابًا؛ فهو بمنزلة من خرّ من السماء فهو لا يقدر أن يدفع عنه نفسه "فتخطفه الطير" أي: تقطعه بمخالبها[2]. ولهوان الكافر على الله فمهما يعمل من عمل لا قيمة له عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[3].

قال ابن كثير: (وهذا يوم القيامة حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من خير وشر، فأخبر أنه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال - التي ظنوا أنها منجاة لهم - شيء؛ وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله. فكل عمل لا يكون خالصًا وعلى الشريعة المرضية فهوباطل، فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معًا، فتكون أبعد من القبول حينئذ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾)[4] قال رسول الله ﷺ:

(١) سورة الحج، آية: ٣١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥٥/١٢/٦.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٠٢/٦.

((إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا. فَيَقُولُ: هذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ))، وفي رواية: ((لاَ يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلاَّ أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ، النَّارَ، يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا)) وفي رواية: ((يَجِيءُ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ. وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى))[1].

قال النووي: ("الفكاك" - بفتح الفاء وكسرها - والفتح أفصح وأشهر، وهو: الخلاص والفداء. ومعنى هذا الحديث ماجاء في حديث أبي هريرة: (لكل أحد منزل في الجنة ومنزل في النار، فالمؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار؛ لاستحقاقه ذلك بكفره)[2]. ومعنى "فكاكك من النار": أنك كنت مُعرضًا لدخول النار، وهذا فِكَاكك؛ لأن الله - تعالى - قدر لها عددًا يملؤها، فإذا دخلها الكفار بكفرهم وذنوبهم صاروا في معنى الفكاك للمسلمين.

وأما رواية: "يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب"، فمعناه: أن الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين، ويسقطها عنهم، ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم، فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين، ولابد من هذا التأويل؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[3].

وقوله: "ويضعها" مجاز، والمراد: يضع مثلها بذنوبهم كما ذكرناه، لكن لما أسقط - سبحانه وتعالى - عن المسلمين سيئاتهم، وأبقى على الكفار سيئاتهم، صاروا في معنى من حمل إثم الفريقين؛ لكونهم حملوا الإثم الباقي، وهو إثمهم، ويحتمل أن يكون المراد آثامًا كان للكفار سبب فيها؛ بأن سَنُّوها، فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى، ويوضع على الكفار مثلها؛ لكونهم سَنُّوها، ومن سنّ سنة سيئة كان عليه مثل

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٦٧.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٤٣٤١ بلفظ: "ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى: "أولئك هم الوارثون" وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٥٠٣).

(٣) سورة فاطر، آية: ١٨.

وزر كل من يعمل بها، والله أعلم.

وقد جاء عن عُمَرَ بن عبدالعزيز، والشافعي رحمهما الله أنهما قالا: هذا الحديث أرجى حديث للمسلمين، وهو كما قالا؛ لما فيه من التصريح بفداء كل مسلم، وتعميم الفداء، ولله الحمد[١]. وفيه هوان الكافر على الله تعالى.

فينبغي على الداعية أن يبيّن للمدعوين هوان الكافرين على الله تعالى وفضل المؤمنين عند الله تعالى.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: هوان الدنيا على الله:

يظهر ذلك من قول رسول الله ﷺ: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء".

فإن الكافر عدو الله والعدو لا يعطي شيئًا مما له قدر عند المعطي، فمن حقارتها عنده لا يعطيها لأوليائه[٢]. ويعطيها للكافرين ليمتعهم قليلاً ثم يكون مأواهم الجحيم. فالدنيا وما فيها من المظاهر، التي تسلب العقول، وتبهر العيون وتملك القلوب، أهون على الله عز وجل من جناح بعوضة[٣].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾[٤]، وقال أيضًا: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[٥].

قال قتادة (هي متاع متروك توشك أن تضمحل بأهلها؛ فينبغي للإنسان أن يأخذ من هذا المتاع بطاعة الله سبحانه ما استطاع)[٦].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩/٨٨-٨٩.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٥١/٢.

(٣) حديث النفس وجولات الخاطر، عبدالإله سليمان الطيار، ص ٨٢.

(٤) سورة محمد، آية: ٣٦.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢/٤/٢٠٢.

قال الشاعر:

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له ... من الله في دار المقام نصيبُ

فإن تُعجبُ الدنيا رجالاً، فإنها ... متاع قليل، والزوال قريبُ[1]

فالعاقل الذي يعمل في الدنيا لكسب الآخرة وذلك ما أمر الله به عباده في قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾[2] (أي: اطلب فيما أعطاك من الدنيا الدار الآخرة وهي الجنة؛ فإن من حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه في الآخرة لا في التجبر والبغي)[3]؛ فينبغي على الداعية أن يبيِّن للمدعوين حقيقة الدنيا وهوانها على الله وأنها دار معبر وممر للآخرة فينبغي الإكثار فيها من الطاعات والاستعداد فيها بالصالحات لتكون عونًا يوم الحساب.

---

(١) حديث النفس ٨٣.

(٢) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣١٤/١٣/٧.

الحديث رقم (٤٧٧)

٤٧٧ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((أَلاَ إنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إلاَّ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى، وَمَا وَالاهُ، وَعالِمًا وَمُتَعَلِّمًا[1])) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسنٌ).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مَا والاهُ: ما أدناه مما أحبّه الله تعالى. والوَلْي: القُرْب والدنو[3].

الشرح الأدبي

(ألا) طرقة مستفتح تنبه إلى أهمية ما يليها، يأخذ بها الأسماع لتنصت إليه، ويقطع بها شواغل القلوب لتنصرف إليه، ثم إنه أكد الكلام بحرف التوكيد مع الاسمية الدالة على الثبات، والدوام، لأهمية هذا الخبر، وخطره، وفيه تنبيه إلى ضرورة وعيه، ثم إن التعبير باللعنة يوحي بالغضب، وينبه على خطأ، ويوحي بمشاعر الرهبة ثم إن ثبات معنى اللعنة المفهوم من التعبير بالجملة الاسمية يشير إلى دوام هذه الصفة للدنيا، وأنها لن تنفك عنها يوماً لتطيب لأحد ثم إنه كرر اللعنة لما فيها، وهو من ذكر الخاص بعد العام عناية به، لأنه هو الذي يشغل الناس عن آخرتهم، إلا ما تصل بالآخرة منه، ولذلك جاء قوله (إلاَّ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى، وَمَا وَالاهُ، وَعالِماً وَمُتَعَلِّماً) وفيه تعظيم لقيمة الذكر، وما والاه أي أحبه الله من أعمال البر وأفعال القرب، أو معناه ما والى ذكر الله أي قاربه من ذكر خير، أو تابعه من اتباع أمره، واجتناب نهيه؛ لأن ذكره يوجب

---

(١) لفظ الترمذي: (وعالمٌ أو متعلمٌ). والمثبت لفظ ابن المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم ٢٣٢٢ وقال: هذا حديث حسنٌ غريبٌ. وسيتكرر برقم ١٣٨٦. أورده المنذري في ترغيبه ١١٧.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٢٠، وانظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٥٢/٢.

ذلك، وفيه بيان لفضل الانشغال بالعلم تعليماً، وتعلماً؛ لأن العلم طريق لله، ولذلك كان طريقاً للجنة، وفي الحديث سجع بديع بين قوله (إِلاَّ ذِكْرَ اللهِ) وبين (وَمَا وَالاهُ) وجناس رقيق بين عَالِماً، وَمُتَعَلِّماً) يؤكد أفضلية الطرفين باستثنائهم من اللعنة العامة التي شملت الدنيا، وما فيها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان بغض الدنيا وبغض ما يبعد عن ذكر الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترغيب في الأعمال التي تحفل بذكر الله وتعلم العلم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب والترغيب.

رابعًا: من مهام الداعية: دلالة المدعوين على فعل ما ينفعهم من ذكر الله وتعلم العلم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان بغض الدنيا وبغض ما يبعد عن ذكر الله:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى...).

فالدنيا مبغوضة من الله لكونها مبعدة عنه وملعون ما فيها مما يشغل عن الله إلا ذكر الله[1].

أي أن الدنيا مبغوضة ساقطة القدر، هي وما فيها، ما عدا ذكر الله وطاعته الموصلة لمرضاته والعلم وأهله، مما يبقي الدين ويحفظ الشريعة ويقرب إلى الله تعالى. ولا يخفى أن الدنيا المذمومة هي دنيا المادة المبعدة عن الله تعالى بين الناس الصارفة عن العبادة، أما ما عدا ذلك فليس بمذموم بل محمود[2].

والدنيا متاع منقطع قد يزول بين عشية أو ضحاها فلا بد أن تكون مبغوضة للمؤمن، قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾[3]، "أي:

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٥٢/٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، الحسيني هاشم، ص ٣١٨.

(٣) سورة الكهف، آية: ٤٥.

(واضرب) يا محمد مثل الحياة الدنيا في زوالها وفنائها وانقضائها (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض)، أي: ما فيها من الحب، فشب وحسن، وعلاه الزهر والنور والنضرة ثم بعد ذلك كله (أصبح هشيمًا) يابسًا (تذروه الرياح) أي: تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال"[1].

والدنيا كثيرة المفاتن والملاهي وهذه الأشياء قد تبعد عن ذكر الله وهذا ما أمر الله باجتنابه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[2]، يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره فإن في ذلك الربح والفلاح، وينهاهم أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكره، لأن في ذلك الخسارة العظيمة[3].

فينبغي على الداعية أن يبين بغض الله للدنيا وبغضه ما يبعد فيها عن ذكره تعالى.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الترغيب في الأعمال التي تحفل بذكر الله وتعلم العلم:

يستنبط ذلك من قوله ﷺ: (... إلا ذكر الله تعالى وما والاه وعالمًا ومتعلمًا)، فقد لعن الدنيا وما فيها، واستثنى ذكر الله وتعلم العلم وهذا لفضلهما وترغيبًا في تحصيلهما، وقد ورد في فضل ذكر الله تعالى الكثير من الآيات والأحاديث، مثل قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[4]، وقال: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾[5]، وقال تعالى مثنيًا على الذاكرين ومبينًا لثوابهم عنده ومنزلتهم: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[6]، وقال رسول الله ﷺ: ((يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٦١/٥.

(٢) سورة المنافقون، آية: ٩.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٨٠١.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٥) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

عَبْدِي بِي. وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي. إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي. وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلأ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ...))[١].

قال ابن القيم: (الذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل ومن منعه عزل، وهو قوت القلوب التي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا وهو سلاحهم الذي يقاتلون به من قطع الطريق، ومأواهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب...، به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات وتهون عليهم به المصيبات، وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلال وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقه وإذا واطأ في ذكر قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء وكان له عوضًا من كل شيء)[٢].

وكذلك ورد في فضل العلم وتعلمه الكثير من الآيات والأحاديث التي يعرف بها فضل العلم وأجره، وشموخ أهله، ورفعه طلابه، من ذلك قول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[٣].

قال ابن كثير: (أي وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم، المتضلعون منه)[٤]، كما نفى المولى تبارك وتعالى التسوية بين أهله وغيرهم فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥]، وكذلك أهل العلم يرفعهم الله، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٦]، وأمر رسوله ﷺ بالدعاء به فقال:

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٧٥.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٥٨/٣ - ٢٥٩.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٤٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٧٩/٦.

(٥) سورة الزمر، آية: ٩.

(٦) سورة المجادلة، آية: ١١.

﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [(١)]، وقد بيّن رسول الله ﷺ فضل العلم والتعلم في كثير من الأحاديث، من ذلك قوله ﷺ: ((مَنْ يُرِدِ اللّهُ به خَيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين))[(٢)]، وقوله ﷺ: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمسُ فِيه عِلْمًا سَهَّلَ اللّه لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))[(٣)].

فينبغي للداعية أن يبين للمدعوين فضل ذكر الله تعالى وفضل العلم ويرغبهم في الثواب العظيم لذلك.

ثالثًا – من أساليب الدعوة: الترهيب والترغيب:

يظهر الترهيب في لعنه ﷺ الدنيا وما فيها ولا يلعن رسول الله ﷺ إلا كل قبيح، ففي ذلك ترهيب منها لتحذير الناس من الركون إليها والتعلق بها ونسيان الآخرة.

أما الترغيب فيظهر في قول رسول الله ﷺ: (إلا ذكر الله تعالى وما والاه وعالما ومتعلمًا)، حيث رغّب في ذكر الله والعلم والتعلم لأنه استثناهم من لعنه الدنيا وما فيها.

وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تجعل المدعو يجتنب ما يُرهب منه فالترهيب يقصد به كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثابت عليه بعد قبوله.

وأسلوب الترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبوت عليه[(٤)].

رابعًا – من مهام الداعية: دلالة المدعوين على فعل ما ينفعهم من ذكر الله وتعلم العلم:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ألا إن الدنيا ملعونة... إلا ذكر الله تعالى... وعالمًا ومتعلمًا).

حيث دلّ رسول الله ﷺ أمته على ما ينفعهم في الدنيا مثل: ذكر الله تعالى وتعلم العلم.

---

(١) سورة طه، آية: ١١٤.

(٢) أخرجه البخاري ٧١، ومسلم ١٠٣٧.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٦٤٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٣٤).

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

فينبغي للداعية أن يعمل جاهدًا على دلالة المدعوين على ما ينفعهم من ذكر الله تعالى، وذلك لأن أفضل حال العبد حال ذكره رب العالمين، واشتغاله بالأذكار الواردة عن رسول الله ﷺ سيد المرسلين[1].

وكذلك تعلم العلم وتعليمه ويكفي العلم شرفًا أمره تعالى نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2].

لذا فإن من المهام التي ينبغي للداعية أن يوليها اهتمامًا كبيرًا دلالة المدعوين على فعل ما ينفعهم من خلال كثرة ذكر الله تعالى، والحرص على تعلم العلوم النافعة وهذا باب عظيم من أبواب الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) انظر: الأذكار، النووي، ص ١٧.

(٢) سورة طه، آية: ١١٤.

الحديث رقم (٤٧٨)

٤٧٨ - وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لاَ تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ فَتَرْغَبُوا فِي الدُّنْيَا)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديثٌ حسنٌ).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

الضَّيعةُ: البستانُ والقرية والمزرعة[2].

قوله ﷺ (لا تتخذوا الضيعة) نهي غرضه التحذير مما يمكن أن يشغل عن طاعة الله من أمور الدنيا، واتصال الفعل المنهي عنه بواو الجماعة يعطيه عموم ليشمل كل مسلم، وما أروع التعبير بالضيعة الذي يستصحب بمدلوله معنى الضياع، ضياع الطاعة، ضياع الأجر، ضياع الجنة، احذر أن تتخذ من الفاني ما يُضيِّع منك الباقي، ثم إنه أراد أن يحقق الإقناع القلبي؛ لأن النفس إذا اهتدت إلى العلة اقتنعت بالقضية، وسهل عليها اتيان الفعل، واجتناب النهي، فبيَّن العلة (فَتَرْغَبُوا فِي الدُّنْيَا) والتعبير بالرغبة يشير إلى المحبة، والميل الذي يأخذه عن الآخرة، وهو سبب النهي، وهذا النهي الذي انصب على اتخاذ الضيعة ينسحب على كل ما يشغل المؤمن عن فرائض الله - تعالى - .

فقه الحديث

حكم اتخاذ الضيعة:

قال القرطبي: (ولا ينكر أن يكون للوليّ مال وضيْعة يصون بها ماله وعياله وحسبُك بالصحابةِ وأموالهم مع ولايتهم وفضلِهم، وهم الحجةُ على غيرهم. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ((بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا

---

(١) برقم ٢٣٢٨. وقال الحاكم ٣٢٢/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٥٥/٢.

فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ. فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ. فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ. فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ. فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ. فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ. فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلاَنٌ. لِلإِسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ. فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ. لاِسْمِكَ. فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ. وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ)) وفي رواية ((وَأَجْعَلُ ثُلُثَهُ فِي الْمَسَاكِينِ وَالسَّائِلِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ))[١].

قلت: وهذا الحديثُ لا يناقضُه قولُه عليه الصلاة والسلام: ((لاَ تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ فتركَنوا إلى الدُّنْيَا)) خرَّجه الترمذي[٢] من حديث ابن مسعود وقال فيه: حديثٌ حسن؛ فإنَّه محمولٌ على من اتخذَها مستكثرًا أو متنعمًا ومتمتعًا بزهرتها، وأمَّا من اتخذَها معاشًا يصونُ بها دينَه وعيالَه؛ فاتخاذُها بهذه النيةِ من أفضلِ الأعمال، وهي من أفضلِ الأموال؛ قال عليه الصلاةُ والسلام: ((نِعْمَ المالُ الصَّالحُ للرَّجُلِ الصالحِ))[٣])[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن الاستكثار من الضياع.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من الإخلاد إلى الدنيا والركون إليها.

ثالثًا: من صفات الداعية: الخوف والشفقة على المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: النهي عن الاستكثار من الضياع:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا" فإذا كثر المال عند الناس نسوا الآخرة، ولهذا نهي رسول الله ﷺ عن اتخاذ الضياع يعني الحدائق

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩٨٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٢٨ وهو حديث الباب.

(٣) أخرجه أحمد ١٩٧/٤ رقم ١٧٧٦٣، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٩٩/٢٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٤٥/١٣-٣٤٦. وانظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٥٠٢/٦.

والبساتين، فإن الإنسان يلهو عما هو أهم منها من أمور الآخرة[١].

ولما كانت الدنيا ليست بدار قرار فإنه محاولة الإنسان الإكثار منها والتمتع فيها ولو بالطيبات الحلال تجره إلى الحرام. إنها تعلق قلبه بها، وتميله إليها، وتجعل تركها عليه أليمًا، وتُبَغِّضُ إليه مشاق العبادة، وتحرمه من كثير من الفضائل كالصبر والرحمة وغيرها. ولا شك أن أشد ما يجذب الإنسان إلى الدنيا التوسع في امتلاك الأرض وبناء الدور واستخدام الكماليات، التي لا ينتهي التنافس فيها إلى غاية ولا يصل إلى نهاية[٢].

وقد نهى الله تعالى المؤمنين وحذرهم من أن تلههم الدنيا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[٣] حذر المؤمنين أخلاق المنافقين؛ أي لا تشتغلوا بأموالكم كما فعل المنافقون[٤]. وينهاهم أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله فإن محبة المال والأولاد مجبولة عليها أكثر النفوس، فتقدمها على محبة الله، وفي ذلك الخسارة العظيمة[٥].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من الإخلاد إلى الدنيا والركون إليها:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا" حيث حذر من الإخلاد إلى الدنيا والركون إليها فالحاصل أن الإنسان يجب أن يكون زاهدًا في الدنيا مقبلاً على الآخرة، وأن الله تعالى إذا رزقه مالاً فيجعله عونًا على طاعة الله، وليجعل الدنيا في يده لا في قلبه حتى يفوز بخيري الدنيا والآخرة[٦].

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٧٩٩/١.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٣١٩.

(٣) سورة المنافقون، آية: ٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢٩/١٨/٩.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٨٠١.

(٦) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٧٩٩/١.

لأن زخارف الدنيا ومتعها إلى زوال، والذي يبقى للإنسان هو العمل الصالح، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾(١).

أما الذي يحرص على الإخلاد إلى الدنيا والركون إليها هم المشركون قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾(٢).

أما المؤمن فلا يحرص في الدنيا إلا على طاعة الله والعمل على مرضاته للاستعداد للآخرة ودخول الجنة قال رسول الله ﷺ ((وموضعُ سوطِ أحدِكُم من الجنةِ خيرٌ منَ الدنيَا وما عيهَا))(٣) من أجل ذلك ينبغي على المسلم ألا يخلد إلى الدنيا أو يركن إليها.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل" وكان ابن عمر يقول: (إذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)(٤).

قال ابن رجب: (وهذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا، وأن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطنًا ومسكنًا، فيطمئن فيها ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر: يهيء جهازه للرحيل.

وقد اتفقت على ذلك وصايا الأنبياء وأتباعهم، قال تعالى حاكيًا عن مؤمن آل فرعون أنه قال: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾(٥).

---

(١) سورة الكهف، آية: ٤٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ٩٦.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٩٢، ومسلم ١٨٨١.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤١٦.

(٥) سورة غافر، آية: ٣٩.

وكان النبي ﷺ يقول: ((مَالِي وَلِلدُّنْيَا، ما أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا))[١].

ومن وصايا المسيح عليه السلام لأصحابه أنه قال لهم: اعبروها ولا تعمروها، ورُوي عنه أنه قال: من ذا الذي يبني على موج البحر دارًا، تلكم الدنيا، فلا تتخذوها قرارًا.

فينبغي للمؤمن أن يكون حاله فيها على أحد حالين: إما أن يكون كأنه غريب مقيم في بلد غربة، همه التزود للرجوع إلى وطنه، أو يكون كأنه مسافر غير مقيم البتة، بل هو ليله ونهاره، يسير إلى بلد الإقامة، فلهذا وصَّى النبي ﷺ ابن عمر أن يكون على أحد هذين الحالين)[٢].

ثالثًا – صفات الداعية: الخوف والشفقة على المدعوين:

يظهر ذلك في خوف وشفقة رسول الله ﷺ على أمته من أن يتخذوا الضياع ويرغبوا في الدنيا.

ورسول الله ﷺ كان يخاف على أمته ويحرص على هدايتهم فهو رحمة للعالمين كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٤] أي يحب لكم الخير ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه "بالمؤمنين رؤوف رحيم" أي: شديد الرأفة والرحمة بهم أرحم بهم من والديهم[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣٧٧ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٣٦).

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٢٧٧-٢٧٨.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣١٢.

فليعلم الداعية أن الشفقة على الخلق سبب النجاة قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾(١) قال السعدي: في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ أي: للخلق من إعطاء محتاجهم، وتعليم جاهلهم، والقيام بما يحتاجون إليه من جميع الوجوه، ومساعدتهم على المصالح الدينية والدنيوية، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه(٢).

وقال رسول الله ﷺ ((الرّاحِمونَ يَرْحَمُهُمْ الرّحمن، ارْحَمُوا من في الأرْضِ يَرْحَمْكُمْ من في السّماءِ))(٣).

فإذا كان الداعية إلى الله يخاف على المدعوين ويشفق عليهم كان ذلك أدعى إلى محبتهم له وقبول دعوته.

---

(١) سورة البلد، الآيتان ١٧، ١٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٨٥٦.

(٣) أخرجه الترمذي ١٩٢٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٩).

الحديث رقم (٤٧٩)

٤٧٩ - وعن عبدِ اللّه بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَرَّ عَلَيْنَا رسولُ اللّه ﷺ وَنَحْنُ نعالِجُ خُصًّا لَنَا، فَقَالَ: ((مَا هَذَا؟)) فَقُلْنَا: قَدْ وَهَى، فَنَحَنُ نُصْلِحُهُ، فَقَالَ: ((مَا ارَى الأَمْرَ إلاَّ أعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ)).

رواه أَبو داود والترمذيُّ[(١)] بإسناد البخاري ومسلم، وقال الترمذي: (حديثٌ حسنٌ صحيحٌ).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

نعالج خُصًّا لنا: نصلح بيتًا لنا، والخُصُّ: بيت من شجر أوْ قصب[(٢)].

وهى: ضعف[(٣)].

الأمرَ: الأجل[(٤)].

أعجل من ذلك: أسرع من ذلك[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٢٣٦، والترمذي ٢٣٣٥ ولفظهما سواء. وصحّحه ابن حبان ٢٩٩٦. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٠١.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٥٩/٢، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ص ص).

(٣) المرجع السابق ١٨٥٩/٢.

(٤) المرجع السابق ١٨٥٩/٢.

(٥) المرجع السابق ١٨٥٩/٢.

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في قصر الأمل يعالج فيه الرسول ﷺ ظاهرة الانشغال بالدنيا، والتنافس فيها قبل استفحالها، رغم أن صحابته كانوا أقل الناس رغبة فيها، ولكنه كان يعدهم لحمل أمانة نشر الرسالة، وهذا يقتضي تفرغاً تاماً وتوجيهاً لكل طاقات النفس نحوه، ولذلك جاء استفهامه (ما هذا يا عبد الله ؟!) تقليلاً وتحقيراً وإنكاراً لما انشغل به من إصلاح حائطه، انشغالا، ولو كان بسيطاً، ورغم أن الحائط من طين، وإصلاحه لن يبقيه طويلاً إلا أن الرسول ﷺ قال له في أسلوب قصر :(ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك) أسرع من إصلاح حائط وَهَي فما أقصر الأمل في عيني من رأي الحياة بعين البصيرة!، وما أطول الأمل في أبصارنا القصيرة !.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والسؤال عنهم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان حال الصحابة رضي الله عنهم وما فيها من رقة وزهد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية استحضار الموت.

أولاً - من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والسؤال عنهم:

يظهر ذلك في قول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: "مر علينا رسول الله ﷺ...".

فعلى الداعية أن يكون عونًا للمدعو يقضي حاجته، ويعينه في أموره الشخصية، ويتفقد أحواله كما يتفقد أحوال نفسه، ويؤثره على نفسه ويسأل عنه إذا غاب فإذا كان مريضًا عاده، وإن كان مشغولاً أعانه، وإن كان ناسيًا ذكره، يرحب به إذا دنا، ويوسع له إذا جلس ويصغي إليه إذا حدث[1].

وقد ورد في القرآن الكريم في قصة سليمان عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾[2].

---

(١) انظر: الأخوة الإسلامية، عبد رب النبي على أبو السعود، ص ١٦.

(٢) سورة النمل، آية: ٢٠

قال ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: (ومن واجبات ولاة الأمور تفقد أحوال الرعية، وتفقد العمال ونحوهم بنفسه كما فعل عمر رضي الله عنه في خروجه إلى الشام سنة سبع عشرة هجرية، أو بمن يكل إليه ذلك فقد جعل عمر محمد بن مسلمة الأنصاري يتفقد العمال)(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٢)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))(٣).

فعلى الداعية أن يقف على ما يعترض المدعو من مشكلات محاولاً حلها قدر الإمكان لتصفو نفس المدعو وتكون قابلة لتلقي الدعوة، فإن المدعو ينظر إلى الداعية نظرة الاحترام والتقدير، وقد يكون أمره مطاعًا أكثر من أمر الوالدين، فليقدر الداعية هذه النظرة حق تقديرها ويشعره بقدر مسؤوليته(٤).

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان حال الصحابة رضي الله عنهم وما فيها من رقة وزهد:

يظهر ذلك في قول عبدالله رضي الله عنهما: (ونحن نعالج خُصًا لنا...).

والخُص بالضم: البيت من القصب أو البيت يسقف بخشبة كالأزج(٥).

وهذا يدل على حال الصحابة رضي الله عنهم وما فيها من رقة وزهد في حياتهم، وزهد الصحابة ورقة حالهم ورد فيها الكثير من الآثار:

فهذا أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين (لما بويع للخلافة أصبح وعلى ساعده أبراد وهو ذاهب إلى السوق، فقال عمر رضي الله عنه: أين تريد؟ قال: السوق، قال: تصنع ماذا وقد وُلِّيت أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ فقال عمر: انطلق

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٤٥/١٩/٨.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٤) انظر: أدب المؤمن، أحمد حمزة عبد الباقي، د. أمينة أحمد يحيى، مطبعة خالد بن الوليد: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ٢٢/١.

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٢٢٤.

يفرض لك أبو عبيدة، فانطلقا إلى أبي عبيدة فقال: أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا بأوكسهم، وكسوة الشتاء والصيف، إذا أخلقتَ شيئًا رددته وأخذت غيره ففرضا له كل يوم نصف شاة، وما كساه في الرأس والبطن)[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (رأيتُ سَبعينَ من أهلِ الصُّفَّةِ ما منهم رجُلٌ عليه رداء، إما إزارٌ وإما كِساءٌ قد رَبطوا في أعناقِهم، فمنها ما يَبلغُ نِصفَ الساقَينِ، ومنها ما يَبلُغُ الكَعْبَينِ، فيَجْمعهُ بيَدِه كراهِيةَ أن تُرَى عَورَتُه)[٢].

وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَأْمُرُ بِالصَّدَقَةِ. فَيَنْطَلِقُ أَحَدُنَا يَتَحَامَلُ حَتَّى يَجِيءَ بِالْمُدِّ. وَإِنَّ لأَحَدِهِمُ الْيَوْمَ مِائَةَ أَلْفٍ))[٣].

وهذه الآثار تدل على رقة حال الصحابة رضي الله عنهم وزهدهم في الدنيا.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أهمية استحضار الموت:

يظهر ذلك في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك)، إشارة إلى الموت وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر الموت، فقال: ((أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ)) - يعني الموت -[٤].

قال الطيبي: "شبه اللذات الفانية والشهوات العاجلة ثم زوالها ببناء مرتفع ينهدم بصدمات هائلة، ثم أمر المنهمك فيها بذكر الهادم لئلا يستمر في الركون إليها، ويشتغل كما يجب عليه من التزود إلى دار القرار وأنشد زين العابدين رضي الله عنه:

فيا عامر الدنيا ويا ساعيًا لها ... ويا آمنًا من أن يدور الدوائر

على خطر تمشي وتصبح لاهيًا ... أتدري بماذا لو عقلت تخاطر

تخرب ما يبقى وتعمر فانيا ... فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر[٥]

---

(١) حياة الصحابة، الكاندهلوي، ص ٤٣٤.

(٢) أخرجه البخاري ٤٤٢.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤١٩٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٥١).

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣٠٧، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ١٨٧٧).

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣/٣٢٩.

وعن أنس ﷺ قال: خَطَّ رَسُولُ اللهِ خَطًّا، وَقَالَ: ((هذَا الإنْسَانُ))، وَخَطَّ إِلَى جَنْبِهِ خَطًّا وَقَالَ: ((هذَا أَجَلُهُ))، وَخَطَّ آخَرَ بَعِيدًا مِنْهُ فَقَالَ: ((هذَا الأمَلُ)) فَبَيْنَمَا هُوَ كَذلِكَ إِذْ جَاءَهُ الأقْرَبُ[1].

فينبغي استحضار الموت وقربه للإنسان حتى لا ينشغل عن الآخرة وهذا ما بينه رسول الله ﷺ، فعن البراء ﷺ قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي جِنَازَةٍ. فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ. فَبَكَى، حَتَّى بَلَّ الثَّرَى. ثُمَّ قَالَ: ((يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هذَا فَأَعِدُّوا))[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤١٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٤١٩٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٨٣).

الحديث رقم (٤٨٠)

٤٨٠ - وعن كعب بن عياض رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ ، يقول: (**إنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وفِتْنَةُ أُمَّتِي: المَالُ**) رواه الترمذيُّ[(١)] ، وقال: (حديثٌ حسنٌ صحيحٌ).

ترجمة الراوي:

كعب بن عياض: هو كعب بن عياض الأشعري، له صحبة نزل الشام، له أربعة أحاديث أو أكثر، منها هذا الحديث.

وذكر ابن عبدالبر أن جابر بن عبدالله روى عنه. وقيل: روت عنه أم الدرداء. لكن الحافظ في الإصابة قال: فيه نظر، فإنما روى جابر وكذلك أم الدرداء عن كعب بن عاصم الأشعري[(٢)].

غريب الألفاظ:

فتنة: أي ما يمتحنون ويختبرون به[(٣)].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بلافتة قصيرة تعجل بالحكم، وتمهد لما يريد أن يقرر، وفيه لون من التشويق، والتوكيد كما سيتبين (إنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً) وهي تحمل حكماً عاماً مؤكداً بعدة مؤكدات يقرر اشتراك جميع الأمم في وجود الفتنة، وهو يرجع إلى فروق تميز كل أمة عن أختها، ثم ذكر خاصاً من هذا العام، يتعلق بالأمة المحمدية، وهو (وفِتْنَةُ

---

(١) برقم ٢٣٣٦. وصحّحه ابن حبان الإحسان ٣٢٢٣، وقال الحاكم ٣١٨/٢: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٦٢٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٤٥٩/٤ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٢٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٦٩/٦ والتهذيب ٤٧٠/٣.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٢١.

أُمَّتِي: المَالُ) وفيها إيجاز بحذف المسند إليه لدلالة الكلام السابق عليه، وهو قوله: هي المال ؛لأنها آخر الأمم، ومن المعقول أن تطور الإنسان في الدنيا يزداد من عام إلى عام فيحصل تقدم، ورقي يترتب عليه زيادة المال، وتعدد أشكاله، ومن ثم التنافس فيه، والانشغال به عن الآخرة كما نرى حال الناس في زماننا من قلة القناعة، والشكر مع كثرة الخيرات.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، والتحذير.

ثانيًا: من تاريخ الدعوة: افتتان الأمم السابقة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: المال فتنة للأمة الإسلامية.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد، والتحذير:

١ - أسلوب التوكيد: يظهر أسلوب التوكيد في قول رسول الله ﷺ "إن لكل أمة فتنة" حيث أكد وجود الفتن.

وأسلوب التوكيد من الأساليب التي لها آثار إيجابية في الدعوة إلى الله تعالى، نظرًا لما يحدثه هذا الأسلوب من تأثير في نفس المدعو بالنسبة للأمر الذي تم التأكيد عليه.

٢ - أسلوب التحذير: يستنبط أسلوب التحذير من قوله ﷺ "... وفتنة أمتي المال" حيث حذر من فتنة أمته ﷺ بالمال.

وأسلوب التحذير من الأساليب الدعوية المفيدة التي تعمل على تنبيه المدعوين إلى مواطن الخطر التي يجب الابتعاد عنها أو الحذر منها، وقد حذر النبي ﷺ في هذا الحديث من الافتتان بالمال، نظرًا لخطورة ذلك على المسلم وعلى سائر الأمة الإسلامية.

ثانيًا - من تاريخ الدعوة: افتتان الأمم السابقة:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "إن لكل أمة فتنة..." فذكر افتتان الأمم السابقة. وقد ورد ما يدل على ذلك في القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[1].

---

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ٢، ٣.

وقد ذكر القرآن من الأفراد الذين افتتنوا من الأمم من قوم موسى عليه السلام قارون الذي أعطاه الله المال الكثير وكان هذا المال سببًا في افتتانه وسببًا في هلاكه قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[1].

قال ابن عاشور: (كان من صنوف أذى أئمة الكفر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، ومن دواعي تصلبهم في إعراضهم عن دعوته اعتزازهم بأموالهم وقالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[2] أي على رجل من أهل الثروة فهي عندهم سبب العظمة ونبذهم المسلمين بأنهم ضعفاء القوم، وقد تكرر في القرآن توبيخهم على ذلك كقوله: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾[3] وقوله: ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾[4] الآية. روى الواحدي عن ابن مسعود وغيره بأسانيد: أن الملأ من قريش وسادتهم منهم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والمطعم بن عدي والحارث بن نوفل. قالوا: أيريد محمد أن نكون تبعًا لهؤلاء، يعنون خبابًا، وبلالاً، وعمارًا، وصهيبًا. فلو طرد محمد عنه موالينا وعبيدنا كان أعظم له في صدورنا وأطمع له عندنا وأرجى لاتباعنا إياه وتصديقنا له

(١) سورة القصص، الآيات: ٧٦-٧٧.

(٢) سورة الزخرف، آية: ٣١.

(٣) سورة سبأ، آية: ٣٥.

(٤) سورة المزمل، آية: ١١.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾[١] إلى قوله ﴿بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾. وكان فيما تقدم من الآيات قريبًا قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾[٢] إلى قوله ﴿ٱلْمُحْضَرِينَ﴾.

وقد ضرب الله الأمثال للمشركين في جميع أحوالهم بأمثال نظرائهم من الأمم السالفة فضرب في هذه السورة لحال تعاظمهم بأموالهم مثلاً بحال قارون مع موسى وإن مثل قارون صالح لأن يكون مثلاً لأبي لهب ولأبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب قبل إسلامه في قرابتهما من النبي ﷺ وأذاهما إياه، وللعاصي بن وائل السهمي في أذاه لخباب بن الأرت وغيره، للوليد بن المغيرة من التعاظم بماله وذويه. قال تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾[٣] فإن المراد به الوليد بن المغيرة... وافتتاح الجملة بحرف التوكيد يجوز أن يكون لإفادة تأكيد خبر "إن" وما عطف عليه وتعلق به مما اشتملت عليه القصة وهو سوء عاقبة الذين تغرهم أموالهم وتزيدهم فلا يكترثون بشكر النعمة، ويستخفون بالدين، ويكفرون بشرائع الله)[٤].

وقد بين رسول الله ﷺ أول فتنة بني إسرائيل فقال: ((إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ. وَإِنَّ اللّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ. فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ. فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ))[٥].

يظهر من ذلك تأكيد القرآن الكريم وكذلك أحاديث رسول الله ﷺ على افتتان الأمم السابقة وفي ذلك تنبيه لأخذ العبرة منهم وعدم الوقوع في أخطائهم.

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٥٢.

(٢) سورة القصص، آية: ٦٠.

(٣) سورة المدثر، الآيتان: ١١، ١٢.

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٢٠/٨/١٧٤.

(٥) أخرجه مسلم ٢٧٤٢.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: المال فتنة للأمة الإسلامية:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "... وفتنة أمتي المال".

وقد بين القرآن الكريم أن المال فتنة فقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[(١)].

أي اختبار وامتحان منه لكم، إذا أعطاكموها ليعلم أتشكرونه عليها وتطيعونه فيها، أو تشتغلون بها عنه، وتعتاضون بها منه[(٢)] كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[(٣)].

فالمال زينة من زينات الدنيا كما قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[(٤)] والنفس ضعيفة قد تفتن بهذه الزينة وتنشغل بها عن الآخرة؛ لذلك حذر رسول الله ﷺ أمته من فتنة المال. فقال ((فواللهِ ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تُبسطَ عليكم الدُّنيا كما بُسِطَت على من كان قبلكم، فتَنافسوها كما تَنافسوها، وتُهلككم كما أهلكَتهم))[(٥)].

قال ابن عثيمين: (وهذا هو الواقع، وانظر إلى حالنا نحن لما كان الناس إلى الفقر أقرب، كانوا لله أتقى، وأخشع، وأخشى، ولما كثر المال، كثر الإعراض عن سبيل الله، وحصل الطغيان، وصار الإنسان الآن يتشوق لزهرة الدنيا وزينتها.. سيارة، بيت، فرش، لباس، يباهي الناس بهذا ويعرض عما ينفعه في الآخرة.

وصارت الجرائد والصحف وما أشبهها لا تتكلم إلا عن الرفاهية وما يتعلق بالدنيا، وأعرضوا عن الآخرة، وفسد الناس إلا من شاء الله[(٦)]. فكان في ذلك فتنة للأمة بالمال كما أخبر رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٢/٤.

(٣) سورة التغابن، آية: ١٥.

(٤) سورة الكهف، آية: ٤٦.

(٥) أخرجه البخاري ٣١٥٨، ومسلم ٢٩٦١.

(٦) شرح رياض الصالحين ٧٩١/١.

وفتن الدنيا كثيرة الأنواع، واسعة الأرجاء، ويجمعها كل ما كان للإنسان فيه حظ عاجل أشغل عن طاعة الله ورسوله.

والأموال أعظمها فتنة، وأطمها محنة، وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لأحد عنها، وإذا وجدت فلا سلامة منها، وإذا فقد المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفرًا، وإذا وجد حصل فيه الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره إلا خسرًا كما قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾(١).

والأموال بوجه عام لا تخلو من الفوائد والآفات، وفوائدها من المنجيات، وآفاتها من المهلكات، وتميز خيرها من شرها لا يدركه إلا ذو البصائر في الدين من العلماء الأبرار.

فالدنيا فتنها كثيرة، والمال بعض أجزاء الدنيا، والجاه بعضها، واتباع شهوة البطن والفرج بعضها، وأكل الحرام بعضها ونحو ذلك(٢).

أما آفات المال الدينية فثلاث:

الأولى: أن المال يجر إلى المعاصي غالبًا؛ لأن من استشعر القدرة على المعصية انبعثت دواعيه إليها.

والمال نوع من القدرة يحرك داعية الإنسان إلى المعاصي، فصاحب القدرة إن اقتحم ما يشتهي هلك، وإن صبر لقي شدة في معاناة الصبر مع القدرة، وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء.

الثانية: أن المال يحرك الإنسان إلى التنعم في المباحات حتى تصير له عادة وإلفًا فلا يصبر عنها، وربما لا يقدر على استدامتها إلا بكسب فيه شبهة فيقتحم الشبهات، ويترقى إلى الكذب والنفاق، ثم يدخل في المحرمات لتكميل شهواته، ثم يترقى إلى الكبائر كما قال سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾(٣).

---

(١) سورة العلق، الآيتان: ٦، ٧.

(٢) موسوعة فقه القلوب ٤/٣٢٦٨-٣٢٦٩.

(٣) سورة مريم، آية: ٥٩.

الثالثة: أن يلهيه ماله عن ذكر الله عز وجل وعبادته، وهذا هو الداء العضال الذي لا ينفك عنه أحد، فإن أصل العبادات ذكر الله عز وجل، والتفكر في جلاله وعظمته، وذلك يستدعي قلبًا فارغًا يناجي ربه لا يشغله شيء عنه، وصاحب الضيعة يصبح ويمسي متفكرًا في أحوال ضيعته، وصاحب التجارة يمسي ويصبح متفكرًا في أحوال تجارته، وفي الخوف على ماله.

هذا سوى ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن، والهم والغم، والعناء والتعب، في متاع يفنى، وخير من ذلك لو كان الجهد في أرباح تبقى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[(١)].

وقال النبي ﷺ: ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ))[(٢)]. وقال الرسول ﷺ: ((اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا))[(٣)].

والسنة فيمن وجد المال أن يستعمله في السخاء والإيثار، واصطناع المعروف، ومن فقد المال أن يستعمل القناعة والاقتصاد في المعيشة.

وإذا تيسر للإنسان في الحال ما يكفيه فلا يضطرب لأجل المستقبل، وإذا انسد عنه باب كان ينتظر منه الرزق فلا ينبغي أن يضطرب قلبه، فلن ينقص رزقه الذي قدره الله له: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[(٤)].

وقال النبي ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ. فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥.

(٢) أخرجه مسلم ١٠٥٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٦٠، ومسلم ١٠٥٥ واللفظ له.

(٤) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ. خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ))[1])[2].

لقد حذر النبي ﷺ أمته من الافتتان بالمال من خلال عدد من النصوص، ومن جملتها أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا فُتِحَتْ عليكُمْ خُزائِنُ فارِسَ والرُّومِ، أيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟ قَالَ عبد الرحمن بن عوفٍ: نكونُ كما أَمَرَنَا اللَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ إِلَى مَسَاكِينِ المُهَاجِرِينَ، فَتَحْمِلُونَ بَعضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ))[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَحْسِرُ الفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَيَقْتَتِلُ عَلَيْهِ النَّاسُ، فيُقتَلُ مِنْ كُلِّ مِئَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ»، قَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنْ أَدْرَكْتَهُ، فَلا تَكونَنَّ مِمَنْ يُقَاتِلُ عَلَيْهِ))[4] وهذا من معجزات رسول الله ﷺ ودلائل نبوته مما اطلع عليه من الغيوب المستقبلة وإخباره عنها[5].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٢١٤٤ وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٧٤٣).

(٢) انظر: موسوعة فقه القلوب ٤/ ٣٢٧٠-٣٢٧٢.

(٣) أخرجه مسلم ٢٩٦٢.

(٤) أخرجه مسلم ٢٨٩٤.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ١/ ٥٤٢.

الحديث رقم (٤٨١)

٤٨١ - وعن أَبي عمرو، ويقالُ: أَبو عبدِ الله، ويقالُ: أَبو ليلى عثمان بن عفان ﷺ: أنَّ النبي ﷺ، قَالَ: ((**لَيْسَ لابْنِ آدَمَ حَقٌّ فِي سِوَى هذِهِ الخِصَالِ: بَيْتٌ يَسْكُنُهُ، وَثَوْبٌ يُوارِي عَوْرَتَهُ، وَجِلْفُ الخُبزِ وَالماءِ**)) رواه الترمذيُّ[(١)]، وقال: (حديث صحيح).

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: هو عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي.

ولد بمكة بعد عام الفيل بست سنين، وأسلم بعد البعثة بقليل وهو أمير المؤمنين، وثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة الذين جعل "عمر ﷺ الأمر شورى بينهم، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق ﷺ، وأول من هاجر إلى الحبشة مع زوجته رقية بنت النبي ﷺ فعن شهاب: ((أن عثمان بن عفان ﷺ وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ خرجا مهاجرين من مكة إلى الحبشة الأولى، ثم قدما على رسول الله ﷺ مكة ثم هاجرا إلى المدينة))[(٢)] فكان من السابقين إلى الإسلام، وممن صلى القبلتين، وهاجر الهجرتين، ولقب بذي النورين لزواجه من بنتي النبي ﷺ "رقية ثم أم كلثوم".

وقد عُدّ في البدريين وأثبت له النبي ﷺ في ذلك سهمًا على الرغم من تخلفه وما ذلك إلا لتمريض زوجته رقية التي كانت عليلة، فأمره النبي ﷺ بأن يمكث معها[(٣)] وعُدّ في أهل الحديبية، بعد أن بعثه النبي ﷺ إلى أهل مكة، لكونه أعزّ بيت

---

(١) برقم ٢٣٤١ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. قال الدارقطني في العلل ٢٦٥: كذا رواه حُريث بن السائب، عن الحسن، عن حمران بن عثمان، عن النبي ﷺ، ووهم فيه. والصواب: عن الحسن، عن حمران، عن بعض أهل البيت. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧١٢.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٦٢٢/٢ رقم ٤٣٠٥، وقال قد اتفق الشيخان على إخراج حديث ابن أبي شيبة وغيره والزهري، عن عروة، عن عبيد الله بن عدي، عن المسور بن مخرمة في خروج عثمان بن عفان إلى أرض الحبشة.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٩٨.

بمكّة، فأشيع أنهم قتلوه، فكان ذلك سبب البيعة، فضرب النبي ﷺ بشماله على يمينه، وقال ((هذه يدُ عثمان))[١]، فقال الناس هنيئًا لعثمان وقد أقام بنفسه وماله في واجب النصرة، ثم جهز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرًا وخمسين فرسًا!! كما اشترى بئر رومة بعشرين ألفًا، وتصدق بها كما ابتاع توسعة المسجد النبوي بخمسة وعشرين ألفًا.

وقد بويع للخلافة بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٢٣هـ، فأتم جمع القرآن وتمت في خلافته فتوحات كثيرة في آسيا وأفريقيا.

وكان ﷺ شديد الحياء، قال فيه النبي ﷺ: ((ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة))[٢]، وهو الذي قال عن نفسه: ما تغنيت ولما تمنيتُ، ولا وضعتُ يدي اليمنى على فرجي منذ بايعتُ بها رسول الله ﷺ!! وما مرّتْ بي جمعة إلا وأعتق فيها رقبة!! ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام، ولا سرقت!! وكان رجلاً شديد المتابعة لسنة النبي ﷺ، كثير قيام الليل، بل كان أول من ختم القرآن في ركعة!! وقد اهتز أُحدٌ يومًا وكان عليه النبي ﷺ، وأبو بكر وعمر وعثمان فقال النبي ﷺ اسْكُن أُحُدُ فليس عليك إلا نبيٌّ وصديق وشهيدان[٣]، وصدق الصادق الأمين فقد قتل عثمان شهيدًا بعد ما حوصِرَ أربعين يومًا وكان سبب ذلك أنه رضي الله عنه كان كَلِفًا بأقاربه، لين العريكة كثير الإحسان والحلم. وقد خص أقاربه بالولايات والأعمال، فأقبل عليه أهل مصر يشكون واليهم "عبدالله بن أبي السرح" فعزله وكتب له كتابًا بتولية محمد بن أبي بكر الصديق فرضوا بذلك، فلما كانوا في أثناء الطريق رأوا راكبًا على راحلته، ومعه كتابًا مفترى، إلى ابن أبي السرح يحرّضه ويحثه على قتلهم إذا قدموا عليه، فرجعوا به إلى عثمان رضي الله عنه، فحلف لهم أنه ما كتب، ولا أذن بذلك وصدق رضي الله عنه فهو أجل قدرًا وأنبل ذكرًا، فطلبوا منه أن يسلمهم كاتبه، فخشى عليه منهم القتل ولم

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦٩٨.

(٢) أخرجه مسّلم ٢٤٠١.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٩٩.

تقم بينة على أنه هو الذي أرسل الكتاب المفترى، وكان كاتبه مروان بن الحكم "ابن عمه" فغضبوا وحاصروه في داره -وكانوا من الكوفة والبصرة ومصر - يراودونه على أن يخلع نفسه فأبى "امتثالاً لقول النبي ﷺ ((يا عثمان، إن الله مقمِّصك قميصًا فإنْ أرادَك الله عز وجل عسى أن يُلبسك قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني. يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصًا فإن أدرك المنافقون على خلعه، فلا تخلع حتى تلقاني... ثلاثًا))[١].

ورفض أن يقاتلهم وقال: إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهدًا، فأنا صابرٌ عليه[٢].

وأراد الصحابة الأطهار أن يدافعوا عنه بحياتهم فأبى رضي الله عنه وقال لأبي هريرة رضي الله عنه عزمًا عليك يا أبا هريرة إلا رميت سيفك فإنما يراد نفسي، وسأقي المؤمنين بنفسي، قال أبو هريرة فرميت بسيفي فلا أدري أين هو حتى الساعة فتسوَّروا عليه من دار إلى دار، فدخلوا عليه فقتلوه، فعظم ذلك على أهل الخير من الصحابة وغيرهم.

فقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: والله ما أعنتَ على قتله ولا أمرتُ ولا رضيت، وقال: كان عثمان أوصلنا للرحم، وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين، وقالت عائشة لما بلغها مقتل عثمان: "قتلوه، وإنه لأوصلهم للرحم وأتقاهم للرب"، وبعد مقتله رضي الله عنه انفتح باب الفتنة الأولى وفي الإسلام.

وقد بلغت رواياته عن النبي ﷺ (١٤٦) حديثًا. وتوفي شهيدًا سنة ٣٥هـ وهو ابن تسعون أو ثمانون سنة[٣].

---

(١) أخرجه أحمد ٨٧/٦ رقم ٤٥٦٦، وقال محققو الإسناد: إسناده صحيح ١١٢/٤١.

(٢) أخرجه أحمد ٥٨/١ رقم ٤٠٧، وقال محققو الإسناد: إسناده حسن ٤٦٧/١.

(٣) طبقات ابن سعد ٥٢/٣-٨٤، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٥٤٤-٥٥١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٥٧٨/٣-٥٨٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٨٩٠-٨٩١، والأعلام، خير الدين الزركلي ٢١٠/٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٢٦/٥-١٣٠، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٣، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٢١٠/١-٢٢٠.

غريب الألفاظ:

الخِصال: المراد هنا: ما يحصل للرجل ويسعى في تحصيله[١].

يواري: يستر[٢].

الجلفُ: قال الترمذي: سمعت أبا داود سليمان بن سالم البلخي يقول: سمعت النضر بن شميل يقول: الجِلْف: الخبز ليس معه إدام[٣]، وقال غيره: هو غليظ الخبز، وقال الهرويُّ: المراد به هنا: وعاء الخبز كالجوالق[٤] والخُرْج[٥].

الحديث يتناول الحد الذي يكفي الإنسان في حياته، ويبني قناعته عليه، وهذا يضمن للإنسان عدم الانشغال بالمال الذي يمكن أن يكون صنماً يستعبد القلب من دون الله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ...)(البقرة ١٦٥) وقد بدأ الحديث بأسلوب النفي ليعزل عن المؤمن ما يضره مما زاد عن الحاجة، وفيه تقوية لجانب التكافل، والتعاون، (لَيْسَ لابْنِ آدَمَ حَقٌّ فِي سِوَى هذهِ الخِصَالِ) وهذا إجمال فيه تشويق يتبعه تفصيل يحقق التوكيد بذكر الخصال، والتعبير بالحق يدل على أنه لازم ضروري، والتعبير بالخصال يشير إلى انفراد كل واحدة منها عن الأخرى، وأولها :بيت يسكنه، وذكر فعل السكن بعد ذكر البيت بيان للغاية منه، وهي السكن، وليس لغيره، والثانية: ثَوْبٌ يُوارِي عَوْرَتَهُ، والتعبير بمواراة العورة مبالغة في الاكتفاء بالضروري، وترك ما زاد، الثالثة: جِلْفُ الخُبزِ وَالماء، أي إناء الخبز، والماء، أو الجلف نوع غليظ من الخبز.

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٢٣.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٦١/٢.

(٣) الإدام: هو ما يؤكل مع الخبز، أي شيء كان. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ د م).

(٤) الجوالق: الغِرارة وهي وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ل ق) و(غ ر ر).

(٥) وعاء من شعر أو جلد، ذو عدلين، يوضع على ظهر الدابة لوضع الأمتعة فيه. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ر ج).

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي والإثبات.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الزهد في الدنيا والاقتصار على حد الكفاف.

ثالثًا: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان حرص الإنسان على المال.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بيان أن ما يحرص عليه الإنسان من حظوظ الدنيا فانٍ، وما يقدمه للآخرة باقٍ.

أولاً - من أساليب الدعوة: النفي والإثبات:

قد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ: "ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال... إلخ"، حيث نفى أن يكون لابن آدم حق ثم أثبت له الحق في ثلاث خصال ذكرها النبي ﷺ، والنفي والإثبات من الأساليب الدعوية التي تجعل المدعو على بينة من أمره فينتفع بما أُمر به ويتجنب ما نُهي عنه وفي ذلك عظيم الفائدة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الزهد في الدنيا والاقتصار على حد الكفاف:

(الزهد هو عدم احتفال القلب بالدنيا والأموال وإن كانت في اليد)[٢]، (وليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون ثواب المصيبة - إذا أصبت بها - أرغب منك فيها لو لم تصبك)[٣]، (فقد يكون الغني زاهدًا وقد يكون الفقير غير زاهد)[٤].

(والزهد على ثلاثة أوجه. الأول: ترك الحرام، وهو زهد العوام. والثاني: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص. والثالث: ترك ما يشغل عن الله، وهو زهد العارفين)[٥]، (وقد كان القرآن مملوءًا من التزهيد في الدنيا، والإخبار بخستها وقلتها

---

(١) تم دمج المضامين الحديث لهذا الحديث -٤٨١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٤٨٢).

(٢) الفروق، القرافي ٤/٢٠٩.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/١٨٣.

(٤) الفروق، القرافي ٤/٢٠٩.

(٥) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/١٨١.

وانقطاعها، وسرعة فنائها، والترغيب في الآخرة، والإخبار بشرفها ودوامها)[١]، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[٢] وقال: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[٥].

وهذا ما أكد عليه النبي ﷺ في هذين الحديثين من قوله "ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال... الخ" وقوله ﷺ "وهل لك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفنيت، أو ما لبست فأبليت أو ما تصدقت فأمضيت".

قال الطيبي: (قال البيضاوي: أراد بـ "الحق" ما يستحقه الإنسان لافتقاره إليه وتوقف تعيشه عليه، وما هو المقصود الحقيقي من المال" اهـ، ومن شرع في سعي الدنيا والاستمتاع بها وبمستلذاتها ومباحاتها أوقع نفسه ودينه في خطر عظيم، فيجب عليه أن يحترز منها كل الاحتراز إلا ما لابد له منه، وهو هذه الخصال الثلاث)[٦]. وقال ابن عثيمين: (في قوله ﷺ: "وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضت" هكذا قال النبي ﷺ وهو كذلك فإن الإنسان ما له من ماله إلا هذه الأشياء، إما أن يأكل طعامًا وشرابًا، وإما أن يلبس من أنواع اللباس،

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١٧٨/٢.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٦.

(٣) سورة الحديد، آية: ٢٠.

(٤) سورة طه، آية: ١٣١.

(٥) سورة الأعلى، آية: ١٦-١٧.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٠٦/٩.

وإما أن يتصدق، والباقي له هو ما يتصدق به، أما ما يأكله وما يلبسه؛ فإن كان يستعين به على طاعة الله كان خيرًا له، وإن كان يستعين به على معصية الله وعلى الأشر والبطر كان محنة عليه والعياذ بالله)[١].

وفي بيان فضل الزهد في الدنيا والاقتصار على الكفاف، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ. قَالَ: فَجَلَسْتُ فَإِذَا عَلَيْهِ إِزَارٌ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ. وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ. وَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ، نَحْوِ الصَّاعِ، وَقَرَظٍ فِي نَاحِيَةٍ فِي الْغُرْفَةِ. وَإِذَا إِهَابٌ مُعَلَّقٌ. فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ. فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا بْنَ الْخَطَّابِ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَمَا لِي لاَ أَبْكِي؟ وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لاَ أَرَى فِيهَا إِلاَّ مَا أَرَى وَذَلِكَ كِسْرَى وَقَيْصَرُ فِي الثِّمَارِ وَالأَنْهَارِ. وَأَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَصَفْوَتُهُ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ. قَالَ: يَا بْنَ الْخَطَّابِ أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟ قُلْتُ: بَلَى))[٢].

وقال الحسن البصري: (والله أدركت أقوامًا لو شاء أحدهم أن يأخذ هذا المال من حله أخذه فيقال لهم ألا تأتون نصيبكم من هذا المال فتأخذونه حلالاً؟ فيقولون لا، إنا لنخشى أن يكون أخذه فسادًا لقلوبنا، وقال: أدركت أقوامًا لا يفرحون بشيء من الدنيا أتوه، ولا يأسون على شيء منها فاتهم، وقال: لقد رأيت أناسًا تعرض لأحدهم الدنيا حلالاً فلا يتبعونها، يقولون: ما ندري ما حالنا فيها)[٣].

فيجب النظر إلى الدنيا بعين الزوال وقصر الأمل فيها وخلو القلب عنها وليس المراد الفقر الذي يضطر الإنسان إلى المسألة والذلة فذلك هو ما استعاذ منه النبي ﷺ في قوله ((اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفْرِ و الفَقْرِ))[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١/٨٠٠.

(٢) أخرجه البخاري ٤٩١٣، ومسلم ١٤٧.

(٣) الزهد، الحسن البصري ٢٩.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/٣٤ رقم ١٠٦، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

ثالثًا - من مصادر الدعوة القرآن الكريم:

يظهر ذلك في الحديث من قول الراوي: "أتيت النبي ﷺ، وهو يقرأ: ألهاكم التكاثر"، فالقرآن الكريم هو (كلام الله المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس)[1]، (أنزله الله تبارك وتعالى ليكون دستورًا للأمة، وهداية للخلق، وحجة قائمة إلى يوم الدين)[2].

(فالقرآن للداعية هو حجته التي لا تضل وبينته التي لا تزول ورايته التي لا تتوارى يعطيه طلاوة وحلاوة، ويزيده بهاء ووضاءة ويمنحه إقناعًا وهداية واتباعًا... لسان من لا لسان له وفصاحة من لا فصاحة عنده وطريق من ضل الدرب وتاه عن الصراط المستقيم كما هو عقل وصواب، وعزم ومضاء، وإرادة وحكم، واستقامة وتقدم، وعدالة واستقرار وأمن وطمأنينة، ورحمة ورأفة، ومبدأ وفكرة، كما هو حياة بغير ضلال أو عوج أو شرور وآثام وفتن وأهواء)[3]. ومنه يستمد الداعية مادته الدعوية فيستشهد بآياته ويلتمس شواهده وفي ذلك عظيم الأثر على المدعوين.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: بيان حرص الإنسان على المال:

يظهر ذلك من قول عبدالله بن الشخير رضي الله عنه: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: "ألهاكم التكاثر" قال: "يقول ابن آدم مالي، مالي ... إلخ الحديث"، قال القرطبي: (وقوله: "ألهاكم التكاثر" يعني شغلكم الإكثار من الدنيا، ومن الالتفات إليها عما هو الأولى بكم من الاستعداد للآخرة، وهذا الخطاب للجمهور إذ جنس الإنسان مفطور، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾[4] وكما قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ

---

(١) الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١/١٨٨، والتبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني، ٦.

(٢) انظر: بحث حفظ القرآن الكريم وتعليمه، د. حمد بن ناصر العمار، ص ٢.

(٣) الخطابة وإعدد الخطيب، د. توفيق الواعي، ١١٦.

(٤) سورة القيامة، الآيتان: ٢٠، ٢١.

﴿ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾[(١)] الآية. وقوله: "يقول ابن آدم مالي مالي" أي يغتر بنسبة المال إليه وكونه في يديه، حتى ربما يعجب به ويفخر به، ولعلّه تعب هو في جمعه، ويصل غيره إلى نفعه[(٢)].

(مما لا شك فيه أن المال هو قوام الحياة ووسيلة العيش لكنه ليس غاية العباد وقد ذم الإسلام عباد المال الذين يتخذون من جمع المال هدفًا لحياتهم وكسبهم كما ذم القرآن الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، فكنزهم للمال دليل على أنهم اتخذوا المال غاية)[(٣)]، قال ابن الجوزي: (رأيت من أعظم حيل الشيطان ومكره، أن يحيط أرباب الأموال بالآمال، والتشاغل باللذات القاطعة عن الآخرة وأعمالها فإذا علقهم بالمال - تحريضًا على جمعه وحثًا على تحصيله - أمرهم بحراسته بخلاً به وحرصًا عليه)[(٤)]، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "يقول ابن آدم: مالي، مالي" وهذا ما بينه الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[(٥)] وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[(٦)].

قال ابن كثير: (أي: وإنه لحب الخير - وهو المال - لشديد وفيه مذهبان: أحدهما: أن المعنى: وإنه لشديد المحبة للمال، والثاني: وإنه لحريص بخيل؛ من محبة المال، وكلاهما الصحيح)[(٧)].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٤.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧/١١٠-١١١.

(٣) انظر: نظام الإسلام الاقتصادي مبادئ وقواعد عامة، محمد المبارك ص ٢٦.

(٤) انظر: صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٦٨.

(٥) سورة الفجر، آية: ٢٠.

(٦) سورة العاديات، آية: ٨.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/٤٦٧.

(وقد أنذر الله تعالى من استحوذ عليه حب المال ورأى لنفسه حقًا وحرية في التصرف فيه، والضنّ به، والحدب عليه، فقال: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾[1])[2].

(وأنذر تعالى المسلمين كذلك بأن الحرص والاضراب عن الإنفاق في سبيل الله بسخاء وعلو همة، وبذل النفس والنفيس لله تعالى، وخذلان هذا الدين الذي به بقاؤهم وحياتهم، وانتصارهم، وازدهارهم سعي في هلاك النفس، ومرادف لما يسمونه اليوم "الانتحار" فقال: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3])[4].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: بيان أن ما يحرص عليه الإنسان من حظوظ الدنيا فان، وما يقدمه للآخرة باق:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، وما ما لبست فأبليت، أو ما تصدقت فأمضيت". فبيّن ﷺ أن ما يحصل عليه الإنسان من مأكل وملبس سيزول أثره بمرور الأيام وبالموت، ويبقى حسابه، إن أسرف فيه أو حصّله من حرام، أما ما تصدق به على المحتاجين قاصدًا به وجه الله فنفعه باق في الآخرة عند الله عز وجل[5].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٢٤.

(٢) الأركان الأربعة (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج)، أبو الحسن علي الحسني الندوي ص ١٠١.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٤) الأركان الأربعة: (الصلاة، الصيام، الزكاة، الحج)، أبو الحسن الندوي، ١٠١.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٣٢٠.

قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾[(١)] (فبين تعالى الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة؛ بأن هذه تنفد وتحول، وما عند الله من مواهب فضله ونعيم جنته ثابت لا يزول لمن وفى بالعهد، وثبت على العقد، ولقد أحسن من قال:

هب الدنيا تساق إليك عفوًا ... أليس مصير ذاك إلى انتقال

وما دنياك إلا مثل فيءٍ ... أظلك ثم آذن بالزوالِ[(٢)]

وقد أكد النبي ﷺ على ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: ((أن رسولَ الله ﷺ أمرَ أن تذْبَح شاةٌ فيقسِّمها بين الجيران، فقسَّمَتها بين الجيران، ورفعَت الذِّراع إلى النبيِّ ﷺ، وكان أحبَّ الشاة إليه الذِّراعُ، فلما جاء النبي ﷺ قالت عائشة رضي الله عنها: ما بقي عِندنا منها إلاَّ الذراعُ، قال: كلُّها بَقِيَ إلاَّ الذِّراعُ))، وفي رواية ((ما بقي منها إلا كتفها))[(٣)] وفي ذلك دليل على أن ما عند الله خير وأبقى.

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٧٣/١٠/٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤١٣٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٥٠).

الحديث رقم (٤٨٢)

٤٨٢ - وعن عبد الله بن الشِّخِّيرِ - بكسر الشينِ والخاء المعجمتين - رضي الله عنه ، أنه قَالَ: أتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ ، وَهُوَ يَقْرَأُ : ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قَالَ: ((**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مالي، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إلاَّ مَا أكَلْتَ فَأفْنَيْتَ، أَو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن الشِّخِّير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٥٠).

غريب الألفاظ:

أمضيتَ: أنْفَذْتَ فيه عطاءك ولم تتوقَّفْ فيه[2].

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في الزهد في الدنيا يبين ما للمال من فتنة، وما لابن آدم حقيقة من ماله وتعلقه به الذي عكسته كلمة (مالى) بإضافته إليه وتكرار الكلمة نفسها يؤكد شغفه به، وتكالبه على جمعه من الحرام، والحلال، ويعكس تمسكه به وظنه أنه خالد فيه بغفلته، ولذلك جاء استفهام النبي ﷺ (وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا....؟) نفي لأن يكون للمال فائدة حقيقية لابن آدم، إلا في هذه الأوجه الثلاثة. يقف بحسم أمام مشاعر الأثرة، فالتكالب على جمع المال من الحرام، والحلال التي أشاعتها عبارة (مالي مالي)، ويقرر خطأ التكاثر في الأموال من حلال، وحرام حتى يفكر الإنسان ملياً في طرق جمعه، وسبل إنفاقه، وأداة الاستفهام (هل) مثلت صحية الاحتجاج على مشاعر حب التملك، والتمسك بالمال، والتكالب على جمعه، ووقفت - لحظات - بالنفس الأمارة بالسوء أمام ضمير الإنسان الواعي، أمام داعي الله في قلب

---

(١) برقم ٢٩٥٨/٣. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٣١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ض ى).

المؤمن؛ لترجع نفساً لوامة تقر بنفي ما نفاه الرسول ﷺ، وتقر بأنه ليس لها من المال إلا (ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت) وأن ما زاد فللورثة يتنعمون، والجامعون يحاسبون. هذا ما أفادته الأداة بالإضافة إلى معنى النفي مع ما بعثته من يقظة، وترقب حتى نهاية الحديث.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٤٨٣)

٤٨٣ - وعن عبدِ الله بن مُغَفَّل رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رجل للنبي ﷺ: يَا رسولَ الله، وَاللهِ إنِّي لأُحِبُّكَ، فَقَالَ: ((انْظُرْ مَاذَا تَقُولُ؟)) قَالَ: وَاللهِ إنِّي لأُحِبُّكَ، ثَلاثَ مَرَّات، فَقَالَ: ((إنْ كُنْتَ تُحِبُّنِي فَأَعِدَّ لِلفَقرِ تِجْفَافًا، فإنَّ الفَقْرَ أسْرَعُ إلَى مَنْ يُحِبُّني مِنَ السَّيْلِ إلَى مُنْتَهَاهُ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مُغفَّل المزني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٦).

غريب الألفاظ:

تِجفافًا: التجفاف: شيء يُلْبَسُهُ الفَرَسُ، ليتقي به الأذى، وقد يلبسه الإنسان[2].

مُنتهاه: أي مستقره[3].

عبارة الإنسان البليغ انعكاس صادق لمشاعره، وإذا نظرنا في عبارة هذا الرجل الذي جاء يخبر الرسول ﷺ بمشاعره، وأنه يحبه، وقد جاء نداؤه يحمل الإجلال، والتقدير حيث استخدم (يا) التي ينادى بها البعيد مع قربه إشارة إلى بعد مكانته، ثم ناداه بلقبه، وأضافه لربه، تشريفاً، ثم صدَّر خبره بالقسم بلفظ الجلالة (الله) ثم بحرف التوكيد، واسمية الجملة، واللام الداخلة على جملة خبر (إن) كما صاغ فعل المحبة في صورة المضارع للدلالة على الاستمرار، والتجدد، وكأن حب النبي في قلبه مع استمراره يتجدد بالزيادة، وهذه العبارة كثيفة المؤكدات التي تشع بالمحبة قابل بها رسول الله ﷺ فقال له (انظر ماذا تقول؟) الأمر(انظر) للتدبر، والتأمل ليراجع نفسه، والاستفهام (ماذا تقول؟) للتنبيه، كأنه ينهاه عن الدعوة دون الاجتهاد في العبادة،

---

(١) برقم ٢٣٥٠ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وله شاهد من حديث أبي ذر، أخرجه الحاكم ٣٣١/٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) رياض الصالحين ٢٣٠.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٦٦/٢.

والعمل، وقوله (فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافاً) استعار التجفاف للصبر؛ لأنه يستر الفقر كما يستر التجفاف البدن عن الضر، والتشبيه بالسيل يدل على سرعة البلايا المفهومة من سرعة السيل، كما يفيد تتابعها، واتصالها كتتابع الماء في السيل، واتصاله، كما يدل على القوة، لأن السيل يندفع بقوة تجرف ما يلاقيها كما يشير إشارة خفية إلى أنه تلك البلايا يتبعها تقريب من الله للعبد، وفيوضات، وتفريج كما يحدث بعد السيل من الخصب، والنماء، والري فينمو العشب، وتسقي الدواب، وحاصل الحديث أن من ادعى محبة الله ورسوله فعليه أن يجتهد في العبادة، وأن يصبر على البلاء، وأن يقتدي بالرسول ﷺ في الزهد في متاع الدنيا الزائل، وأن يعلم أن الابتلاء سنة الله في المؤمنين فإن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل خصوصاً سيد الأنبياء فيكون بلاؤه أشد بلائهم، ويكون لأتباعه نصيب على قدر ولائهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء والقسم والتوكيد.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: مراجعة الداعية للمدعو وسؤاله للتأكد من حقيقة ما يقول.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التكرار والشرط.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: نظرة الإسلام إلى الفقر.

خامسًا: من مهام الداعية: بيان أن حب النبي ﷺ مقدم على الدنيا وزينتها.

أولاً - من أساليب الدعوة: النداء والقسم، والتوكيد:

إن النداء من الأساليب الدعوية التي يكون بها لفت انتباه الداعية والمدعوين واستحضار أذهانهم، وهذا ما ورد في الحديث من قول "يا رسول الله"، فالنداء قد يستخدمه الداعية للفت انتباه المدعو واستحضار ذهنه وقد يسخدمه المدعو للفت انتباه الداعية إلى أنه يريد منه الإجابة على شيء أو توضيحه أو إبلاغه بشيء يريد معرفة حكمه وهو أسلوب دعوي مفيد في الدعوة لتحقيقه للفت الانتباه واستحضار الذهن. أما القسم فيقصد به الحلف واليمين، وهو من الأساليب التي أوردها العرب وعرفها الناس قديمًا واستعملوه تأكيدًا لخبر، أو تعظيمًا لشيء، أو جمع انتباه حول غاية، وقد أحسّ

العرب الجاهليون بأهدافه ومراميه فاستعملوه في كلامهم وجعلوه دليلاً على إثبات الحق. يقول زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء[(١)]

وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث في قول الرجل: "والله إني لأحبك"، فالقسم أسلوب دعوي يستخدم من الداعية أو المدعو للتأكيد على كلامه، والتأكيد على هدفه وأهميته. أما التوكيد فيقصد به تقوية الكلام وإثباته في أذهان المدعوين وهذا ما ورد في الحديث من تأكيد الرجل على حب النبي ﷺ في قوله: "إني لأحبك"؛ حيث أُكد كلامه بـ "إن" وكرره ثلاثًا وفي ذلك زيادة تأكيد، ومن المعلوم أن العرب لا تؤكد إلا ما تهتم به؛ فإن من اهتم بشيء أكثر ذكره، وكلما عظم الاهتمام كثر التأكيد، فالتوكيد أسلوب دعوي يستخدم للتأكيد على الشيء وبيان أهميته[(٢)].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: مراجعة الداعية للمدعو وسؤاله للتأكد من حقيقة ما يقول:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ "انظر ماذا تقول" أي: رمت أمرًا عظيمًا وخطبًا خطيراً فتفكر فيه، فإنك توقع نفسك في خطر وأي خطر أعظم من أن يستهدفها غرضًا لسهام البلايا والمصائب[(٣)]. وفي ذلك بيان للأمر وإيضاحه على النحو الذي أراده المدعو، وفي ذلك عظيم الفائدة، لتقديم الإجابة المناسبة للمدعو.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: التكرار والشرط:

وقد ورد التكرار في الحديث من قول "والله إني لأحبك، ثلاث مرات" وبالتكرار تعظم الفائدة في ترسيخ المعنى وتأكيده في الأذهان وبيان أهميته وإيضاحه للسامعين، ((وقد كَانَ النبي ﷺ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا حَتَّى تُفْهَمُ عَنْهُ))[(٤)]، أما الشرط فهو من الأساليب الدعوية التي يحصل بها استحضار انتباه المدعو في انتظار فعل الشرط

---

(١) الدعوة الإسلامية، د. أحمد غلوش ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

(٢) محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ص ٢٥٧.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٦٦/٢.

(٤) أخرجه البخاري ٩٥.

وجواب الشرط وقد ورد ذلك في الحديث من قوله ﷺ "إن كنت تحبني فأعدَّ للفقر تجفافًا... إلخ".

رابعًا - من موضوعات الدعوة: نظرة الإسلام إلى الفقر:

مما لا شك فيه أن الأحاديث الواردة في مدح الزهد في الدنيا لا تعني مدح الفقر فإن الزهد يقتضي ملك شيء يزهد فيه، فالزاهدُ حقًا من ملك الدنيا فجعلها في يده ولم يجعلها في قلبه، والإسلام يجعل الغِنَى نعمة يمتن الله بها، ويطالب بشكرها، ويجعل الفقر مشكلة بل مصيبة يستعاذ بالله منها ويضع مختلف الوسائل لعلاجها.

وحسبنا أن نذكر هنا أن الله امتن على رسوله بالغنى فقال: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[1]، وجعل إيتاء المال من عاجل مثوبته تعالى لعباده المؤمنين: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[2]، والأحاديث النبوية تعتبر الفقر آفة خطيرة يخشى سوء أثرها على الفرد وعلى المجتمع معًا، وعلى العقيدة والإيمان، وعلى الخلق والسلوك، وعلى الفكر والثقافة، وعلى الأسرة والأمة جميعًا[3].

وقد أراد النبي ﷺ أن يتسامى بهمم الصحابة رضي الله عنهم ،وأن يزهدهم في الدنيا حيث أراد أن يؤهلهم التأهل النفسي لتحمل ظروف الفقر وشظف العيش وقسوته، وأن يوطن كل منهم نفسه على تحمل ومكابدة تلك الظروف، ولذا قال النبي ﷺ لمن أخبره بأنه يحبه: (إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافًا فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه)، قال المباركفوري: (قوله: "إن كنت تحبني حبًا بليغًا كما تزعم "فأعد" أمرمخاطب من الإعداد، أي: درعًا وجنة. وفي القاموس: التجفاف بالكسر آلة الحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقيه في الحرب فمعنى الحديث: إن كنت صادقًا في

---

(١) سورة الضحى، آية: ٨.

(٢) سورة نوح، الآيات: ١٠ - ١٢.

(٣) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص ١٧ - ١٨.

الدعوى ومحقًا في المعنى فهيء آلة تنفعك حال البلوى، فإن البلاء والولاء متلازمان في الخلا والملا. ومجمله أنه تهيأ للصبر خصوصًا على الفقر لتدفع به عن دينك بقوة يقينك ما ينافيه من الجزع والفزع، وقلة القناعة وعدم الرضا بالقسمة، وكنى بالتجفاف عن الصبر لأنه يستر الفقر كما ستر التجفاف البدن عن الضر. قال القاري: "من السبيل" أي إذا انحدر من علو "إلى منتهاه" أي مستقره في سرعة وصوله، والمعنى أنه لا بد من وصول الفقر بسرعة إليه، ومن نزول البلايا والرزايا بكثرة عليه، فإن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل خصوصًا سيد الأنبياء فيكون بلاؤه أشد من بلائهم، ويكون لأتباعه نصيب على قدر ولائهم[(١)].

لأن من علامات حب النبي ﷺ اتباع منهجه والاقتداء به، ومن ذلك التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود.

ولا أدل على ذلك من ترك المهاجرين لديارهم وأموالهم والهجرة إلى المدينة مع النبي ﷺ ،ولقد عاش أصحاب رسول الله ﷺ تلك الظروف القاسية فهذا مصعب بن عمير رضي الله عنه الذي كان يعيش حياة حافلة بالمتع في مكة آثر شظف العيش، وهاجر إلى المدينة وأبلى بلاءًا حسنًا في الجهاد مع النبي ﷺ حتى إنه حينما استشهد لم يجدوا له الكفن الذي يكفيه وكفن في بردته وكانوا إذا غطوا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطوا رجليه بدا رأسه وهناك الأمثلة الكثيرة على ذلك، لذا أراد النبي ﷺ أن يوطن أصحابه رضي الله عنهم على تحمل قسوة العيش، وكان من هذه الأمثلة:

أن صهيبًا حين أراد الهجرة، قال له أهل مكة: أَتَيْتَنَا صُعْلوكًا حقيرًا، فتغير حالُك! قال: أرأيتم إن تركت مالي، أمخلون أنتم سبيلي؟، قالوا: نعم. فخلع لهم ماله. فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فقال: ((رَبِحَ صُهَيْبٌ، رَبِحَ صُهيبٌ))[(٢)(٣)].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨٦٦.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/٢٢٧، ٢٢٨ من طريق هوذة بن خليفة عن عوف، عن أبي عثمان النهدي قال: (بلغني)، وقال محققو السير: ورجاله ثقات.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/٢٢.

خامسًا - من مهام الداعية: بيان أن حب النبي ﷺ مقدم على الدنيا وزينتها:

إن محبة النبي ﷺ أصل عظيم من أصول الدين، فلا إيمان لمن لم يكن الرسول ﷺ أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين(١)، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(٢).

قال القاضي عياض: (فكفى بهذا حضًا وتنبيهًا ودلالة وحجة على إلزام محبته ﷺ ووجوب فرضها)(٣).

وهذا ما يوجب تقديم محبته ﷺ وأقواله وأوامره على من سواه وإن تعارض ذلك مع الدنيا وزينتها قدم حبه وأقواله وأوامره وإن كان ذلك يدفع بصاحبه إلى كدر العيش وضيق الدنيا، وهذا ما يستفاد من نص الحديث في قوله ﷺ: (إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافًا... إلخ).

وقد أكد النبي ﷺ على وجوب تقديم حبه على ما سواه فقال: ((لاَ يُؤمِنُ أَحَدَكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ))(٤)، وعن عبدالله بن هشام قال: ((كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَارَسُولَ اللهِ، لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، إلاَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَه عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللهِ، لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الآنَ يَاعُمَرُ))(٥)، وفي ذلك بيان على وجوب

---

(١) محبة النبي ﷺ وتعظيمه، عبداللطيف بن محمد الحسن، ضمن بحوث كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ٦٤.

(٢) سورة التوبة، آية: ٢٤.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/٢٨١.

(٤) أخرجه البخاري ١٥، ومسلم ٤٤.

(٥) أخرجه البخاري ٣٦٩٤.

تقديم حب النبي ﷺ وأقواله وأوامره وإن أدى ذلك إلى ضيق الدنيا وفقرها. كما دل على ذلك الحديث الذي نحن بصدده، ولكن يلزم التنبيه على أن هذا الحديث لم يسلم بصحة وروده عن النبي ﷺ كثير من العلماء، قال ابن عثيمين: (ولكن هذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ، لأنه لا ارتباط بين الغنى ومحبة النبي ﷺ، فكم من إنسان غني يحب الرسول ﷺ، وكم من إنسان فقير أبغض ما يكون إليه الرسول عليه الصلاة والسلام، فهذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ.

فعلامة محبة الرسول ﷺ أن يكون الإنسان أشد اتباعًا له، وأشد تمسكًا بسنته كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[1]. فالميزان اتباع الرسول ﷺ، ومن كان للرسول أتبع فهو له أحب، وأما الفقر والغنى فإنه بيد الله عز وجل[2].

(١) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/٨٠١.

الحديث رقم (٤٨٤)

٤٨٤ - وعن كعب بن مالك رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

كعب بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

غريب الألفاظ:

حِرصَ المرء: شدة اهتمامه ورغبته[2].

الشرح الأدبي

أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبيِّن خطر الحرص على المال، والجاه على دين المرء فاختار بعبقرية صورة واقعية من بيئة المخاطبين يستوي الجميع في فهمها، وهي صورة الذئاب الجائعة في الغنم، وقد استخدم التشبيه لنقل هذه الصورة، وهذا التشبيه يوحي بعدة دلالات منها :

* شدة التأثير على دين المسلم يفهم ذلك من حال الذئب الجائع كما يفهم من التثنية الإحاطة التي تزيد من صعوبة إفلات الغنم من الذئبين، ويشير هذا في جانب المشبه إلى أن من اجتمع في قلبه حب المال، والشرف فهما أشد تضييعاً لدينه

* في التشبيه بالغنم في مواجهة الذئاب إشارة إلى ضعف النفس البشرية أمام إغراء المال، والمنصب.

* كما أنه اختار الغنم لضعفها، وسرعة استسلامها للمفترس، وكذا نفس الإنسان التي جبلت على حب المال، والجاه.

---

(١) برقم ٢٢٧٦. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٣٢٢٨. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٥٣.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي ، الفيروز آبادي في (ح ر ص).

* كما أن اختيار الذئب من سائر الوحوش، لخفة حركته، وتسلله إلى فريسته دون جلبة كما يحدث مع الأسد، أو غيره من الوحوش وهذا يشير إلى أن حب المال، والجاه يتسلل شيئاً، فشيئاً إلى النفس، ويظل ينمو مع نمو المال، وارتقاء المنصب، وإشارات الناس حتى يستعبد القلب من دون الله.

كما أن التعبير بالإرسال، يوحي بالنية الموجهة، والقصد، وهو ما يشير إلى الحديث الذي سبق في الباب بأن فتنة الأمة المحمدية في المال، والمال يؤذن بالجاه، فقلما يفترقان، كما أن الذئب حيوان قلما يهاجم منفرداً، والتعبير بأفعل التفضيل (أفسد) يشير إلى أنهما فاقا المشبه به في الإفساد، وفي هذا تأكيد على خطرهما، ووجوب الحرص عليهما وضرورة حراسة الدين منهما كما يحرس الراعي البصير غنمه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: ضرب المثل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان خطورة الحرص على المال والجاه على الدين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من تفضيل الدنيا على الآخرة.

رابعًا: من واجبات الداعية: تحذير المدعوين مما قد يضر بدينهم.

أولاً - من أساليب الدعوة: ضرب المثل:

قد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ "ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه"، (فهذا مثل عظيم جدًا ضربه النبي ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين يأتيان في الغنم، وقد غاب عنها رعاؤها ليلاً، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها، ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل، فأخبر النبي ﷺ أن في حرص المرء على المال والشرف: إفسادَه لدينه وليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم؛ بل إما أن يكون مساويًا وإما أكثر، يشير إلى أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال الشرف في الدنيا إلا القليل، كما أنه لا يسلم من الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين

فيها إلا القليل، فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا)[(١)].

(وضرب المثل من الأساليب الدعوية الناجحة في الدعوة فهو يستخدم لتقريب المراد وتفهيم المعنى، وإيصاله إلى ذهن السامع وإحضاره في نفسه، بصورة المثال الذي مُثِّل به، فقد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه، وضبطه، واستحضاره له، باستحضار نظيره، فإن النفس تأنس بالنظائر، والأشباه، الأنس التام وتنفر من الغربة والوحدة، وعدم النظير)[(٢)] وفي ذلك عظيم الفائدة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان خطورة الحرص على المال والجاه على الدين:

(مما لاشك فيه أن حب المال والرياسة والحرص عليهما يُفسدُ دين المرء حتى لا يبقى منه إلا ما شاءَ الله، كما أخبر بذلك النبي ﷺ وأصل محبة المال والشرف: من حب الدنيا، وأصل حب الدنيا اتباع الهوى)[(٣)].

وهذا ما رهب منه النبي ﷺ وبين خطورته في قوله: "... بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه" وفي بيان خطورة ذلك قال الطيبي: (ومعناه ليس ذئبان جائعان أرسلا في جماعة من جنس الغنم بأشد إفسادًا لتلك الغنم من حرص المرء على المال والجاه...، وأما المال فإفساده أنه نوع من القدرة يحرك داعية الشهوات، ويجر إلى التنعم في المباحات فيصير التنعم مألوفًا، وربما يشتد أنسه بالمال ويعجز عن كسب الحلال فيقتحم في الشبهات مع أنها ملهية عن ذكر الله تعالى، وهذه لا ينفك عنها أحد. وأما الجاه فيكفي به إفسادًا أن المال يبذل للجاه ولا يبذل الجاه للمال وهو الشرك الخفي، فيخوض في المراءاة والمداهنة والنفاق وسائر الأخلاق الذميمة، فهو أفسد وأفسد)[(٤)]. وفي ذلك فساد لدين المسلم.

---

(١) شرح حديث ما ذئبان جائعان، ضمن مجموع رسائل ابن رجب، ٦٥/١.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٢٣٩/١.

(٣) شرح حديث ما ذئبان جائعان، ضمن مجموع رسائل ابن رجب، ٨٩/١.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٠٣/٩.

وهذا ما أكده ابن رجب: (في أن الحرص على المال يكون على نوعين: أحدهما مفسدة محبة المال مع شدة طلبه من وجوهه المباحة، والمبالغة في طلبه والجد في تحصيله واكتسابه من وجوهه مع الجهد والمشقة...، ولو لم يكن في الحرص على المال إلا تضييع العمر الشريف في الذي يفنى ولا قيمة له، وقد كان يمكن لصاحبه اكتساب الدرجات العلى والنعيم المقيم، فضيعه الحريص في طلب رزق مضمون، مقسوم لا يأتي منه إلا ما قدر وقسم، ثم لا ينتفع به؛ بل يتركه لغيره ويرتحل عنه، ويبقى حسابه عليه ونفعه لغيره، فيجمع لمن لا يحمده، ويقدم على من لا يعذره، لكفى بذلك ذمًا للحرص، فالحريص يضيع زمانه الشريف، ويخاطر بنفسه التي لا قيمة لها في الأسفار وركوب الأخطار لجمع مال ينفع به غيره...، والنوع الثاني: من الحرص على المال أن يزيد على ما سبق ذكره في النوع الأول، حتى يطلب المال من الوجوه المحرمة ويمنع الحقوق الواجبة، فهذا من الشح المذموم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((اتقوا الشُّحَّ، فإنَّ الشح أَهْلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ حملهم على أن سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، واستحلوا محَارِمَهُمْ))[2]...، ومتى وصل الحرص على المال إلى هذه الدرجة، نقص بذلك الدين والإيمان نقصًا بينًا...، وأما حرص المرء على الشرف فهذا أشد هلاكًا من الحرص على المال فإن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها، والرياسة على الناس والعلو في الأرض أضر على العبد من طلب المال، وضرره أعظم، والزهد فيه أصعب، فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف...، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾[3])... وأعلم أن الحرص على الشرف يستلزم شرًا عظيمًا قبل وقوعه في السعي في أسبابه، وبعد وقوعه بالخطر

---

(١) سورة الحشر، آية: ٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٦٩٨.

(٣) سورة القصص، آية: ٨٣.

العظيم الذي يقع فيه صاحب الولاية من التظلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد[(١)].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من تفضيل الدنيا على الآخرة:

(إن من اتباع الهوى الرغبة في الدنيا، ومن الرغبة فيها حب المال والشرف ومن حب المال والشرف استحلال المحارم، ومن أجل ذلك عتب على صاحب المال والشرف الرغبة في الدنيا وتفضيلها على الآخرة)[(٢)].

هذا ما يستفاد من سياق الحديث، وفي ذلك قال تعالى محذرًا ومرهبًا من تفضيل الدنيا على الآخرة ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[(٣)]، وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[(٤)].

قال السعدي: (من كان يريد حرث الآخرة "أي أجرها وثوابها، فآمن بها وصدق وسعى لها سعيها" نزد له في حرثه بأن نضاعف عمله وجزاءه، أضعافًا كثيرة "ومن كان يريد حرث الدنيا" بأن كانت الدنيا هي مقصوده، وغاية مطلوبه فلم يقدم لآخرته، ولا رجا ثوابها، ولم يخش عقابها "نؤته منها"نصيبه الذي قسم له "وما له في الآخرة من نصيب" قد حرم الجنة ونعيمها، واستحق النار وجحيمها)[(٥)].

رابعًا - من واجبات الداعية: تحذير المدعوين مما قد يضر بدينهم:

حيث حذر النبي ﷺ أمته من الحرص على المال والشرف - الولاية والمناصب وبيّن

---

(١) شرح حديث ما ذئبان جائعان، ضمن مجموع رسائل ابن رجب، ١/٦٤-٧٢.

(٢) انظر: شرح حديث ما ذئبان جائعان، ضمن مجموع رسائل، ابن رجب، ١/٨٩.

(٣) سورة هود، آية: ١٥-١٦.

(٤) سورة الشورى، آية: ٢٠.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٧٠٢-٧٠٣.

لهم أن ذلك يضر بدينهم ودين الإنسان هو رأس ماله الوحيد المطلوب المحافظة عليه وقد حذره النبي ﷺ من أمرين أسرع إلى فساده والقضاء عليه من الذئاب الجائعة في الغنم، وهي الحرص على تحصيل المال والإكثار منه، والحرص على الشرف والجاه، والتفاخر بهما لما في ذلك من بذل الدين والتحلل منه والتستر به والوقع في الشبهات بل المحرمات كما هو معلوم[1].

وإن مما يجب على الداعية القيامُ به تحذيرَ المدعوين مما يضر بدينهم واقتداؤه بحرص النبي ﷺ على ذلك، وقد كان النبي أشد الحرص على هداية الناس وتعليمهم وتحذيرهم مما قد يضر بدينهم، وقد بين الحق تبارك وتعالى ذلك في قوله: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[2] وقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[3] وهذا ما ورد في الحديث من حرصه ﷺ على تحذير الناس من الحرص على الدنيا بما يضر بدينهم.

وقد أمر الحق تبارك وتعالى رسوله بذلك فقال: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[4] ((فأتى النبي ﷺ الصَّفَا، فصَعِدَ عليها، ثُمَّ نادى: يا صَبَاحاهُ، فاجتمعَ النَّاسُ إليهِ، فبين رجلٍ يجيءُ وبينَ رجلٍ يبعث رسولَهُ، فقالَ: يا بَني عَبْدِ المُطَّلِبِ، يا بني فِهْرٍ، يا بني عبدِ مَنَافٍ، يا بني، يا بني، أرَأَيْتُمْ لو أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلا بسَفْحِ هذا الجَبَلِ تُرِيدُ أنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَصَدَّقْتُموني»؟ قالوا: نعمْ، قالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شديد))[5].

فقد أراد النبي ﷺ أن يتوجه قومه وعشيرته وغيرهم من الناس إلى العبادة الخالصة لله تعالى بدلاً من الإقبال على الدنيا والحرص على الجاه لأن الحرص على

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ٣٢١.

(٢) سورة يونس، آية: ١٠٣.

(٣) سورة الكهف، آية: ٦.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

(٥) أخرجه البخاري ٤٨٠١، ومسلم ٢٠٨.

جمع المال وعدم الاكتراث بالحلال والحرام يؤدي إلى فساد دين الإنسان، وكذلك الحرص على الجاه والتعصب للجنس والقبيلة وإحياء النعرات التي أماتها الإسلام وغير ذلك من الأمور التي تفسد دين المرء، لذا حذر النبي ﷺ من هذه الأمور ومن غيرها؛ فعلى الداعية أن يمتثل لأمر الله ورسوله في تحذير المدعوين مما قد يضر بدينهم.

الحديث رقم (٤٨٥)

٤٨٥ - وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: نَامَ رسول الله ﷺ عَلَى حَصِيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أثَّرَ فِي جَنْبِهِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً. فَقَالَ: ((مَا لِي وَ[١] لِلدُّنْيَا؟ مَا أنَا فِي الدُّنْيَا إلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا)) رواه الترمذيُّ[٢]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

حصير: هو البساط المنسوج من أوراق البردى أو الباريّ أو نحوهما[٣].

وطاءً: فراشًا لينًا وبساطًا حسنًا[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يروي جانباً من حياة الرسول ﷺ المشرقة، وكل لحظة من حياته عبرة لأمته تتعلم منها كيف تعيش، وهذا الحديث الذي يرويه ابن مسعود رضي الله عنه يعرض صوراً مجسدة من الزهد، والتواضع منها قول بن مسعود رضي الله عنه (فَقَامَ وَقَدْ أثَّرَ فِي جَنْبِهِ)، وقوله ﷺ (مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟) وهواستفهام تعجب، وإنكار، واستبعاد لعلاقته بالدنيا فهو ليس من أهلها إنما هو ابن الآخرة، شفيعها، وقوله (مَا أنَا فِي الدُّنْيَا إلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا) أسلوب قصر لحاله في الدنيا على كونه

---

(١) عند الترمذي زيادة: (ما).

(٢) برقم (٢٣٧٧). ورواه الحاكم (٣١٠/٤) شاهدا لحديث ابن عباس الذي قال فيه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الدارقطني في العلل (١٦٣/٥): حديث عمرو بن مرة: أصحّ. أورده المنذري في ترغيبه (٤٨٠٧).

(٣) المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (ح ص ر).

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٧٨/٢.

كالراكب الذي استراح قليلا تحت شجرة ثم مضى، وهو تشبيه يؤكد فكرة الاغتراب التي تحدثنا عنها في حديثه (كن في الدنيا كأنك غريب) والذي سبق شرحه، وهذه الفكرة تذكِّر المؤمن بأن موطنه الأصلي الجنة فيعيش في الدنيا وهدفه أن يعود إليه، ويتخذ كل السبل الموصلة إليه، ويتجنب العوائق التي تعترضه لأن الراكب له وجهة يقصد إليها وليس له، بقاء في الدنيا، والتعبير بالراكب يشير إلى انعدام نية الإقامة، والركون في الظل، كما يشير التعبير بالفعل (استظل) إلى أن وقت الإقامة محدود ببقاء الشمس كما أن بقاء الإنسان في الدنيا محدود، والربط بـ(ثم) يشير إلى فترة بقائه في الدنيا، والحديث فيه ترغيب في الزهد في الدنيا، والحذر من الركون إليها.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: الزهد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عزوف النبي ﷺ عن ملذات الدنيا.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التشبيه والتمثيل.

رابعًا: من واجبات المدعو: عدم الاغترار بالدنيا وأهمية قصر الامل.

أولاً - من صفات الداعية: الزهد:

(إن الزهد ليس تشعيث اللمة، ولا قشف الهيئة، ولكنه صرف النفس عن الشهوة، وهو حالة نفسية تنشأ في الضمير حين ينال المرء حظه من معرفة الله بالتفكر في الآيات، فإذا به سعيد بتلك المعرفة، مبتهج عزيز، غني، وتستفيض تلك الحالة حتى تعم ذهنه ووعيه كله، فلا يحس نحو الدنيا إلا إحساس الممتلئ الراغب فيما هو خير منها عند الله)[1].

وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قول الراوي: "نام رسول الله ﷺ على حصير ... إلخ". (وحري بالداعية أن يعلم أن الله قد أراد له أن يحيى في حياتين، وأن يثبت وجوده المادي في حياة المادة، ووجوده الروحي فيما وراء المادة، عاملاً في الأولى بقوة بدنه

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ١٧٤-١٧٥.

وملكاته، وعاملاً في الأخرى بقوة قلبه وملكاته، محاذرًا أن تتصرف عواطفه عما في يد الله، إلى متاع الدنيا، فيجب أن يأكل من الطيبات...، ويرتدي الجميل والنظيف من الثياب...، وأن يسعى في الأرض على أن يظل سعيه بقلبه في ملكوت ربه، أي مفكرًا في آيات الخلق...، وأن يعمل في دنياه، جامعًا للمال بما يكون عدة لتأييد دينه وحفظ نفسه. وبهذا يثبت الداعية وجوده في الحياتين، ويؤدي رسالته في الناحيتين، ويحقق معنى الزهد الذي تقاصرت عنه همم العاجزين من عباد الشهوات، فعابوه، وهو زينة الإنسانية، ونظامها الكامل)[(١)].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: عزوف النبي ﷺ عن ملذات الدنيا:

(لم تكن دعوة الرسل إلى الآخرة وإيثارها على الدنيا والاستهانة بقيمة الدنيا ومتاعها دعوة باللسان فقط ودعوة لأمتهم فقط بل كان ذلك مبدءًا ومنهاجًا لحياتهم، وكانوا من أول المؤمنين بها، السائرين عليها في حياتهم)[(٢)]، وهذا ما بينه النبي ﷺ في زهده بالدنيا وإيثاره للآخرة عليها كما في قوله ﷺ "مالي وللدنيا" عندما رآه أصحابه رضي الله عنهم نائمًا على حصير قد أثر في جنبه فقالوا له يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً، فأبى ﷺ على أصحابه إشفاقهم عليه من آثار الحصير في جسمه، وبيّن لهم أن الدنيا بالنسبة إليه مرحلة عبور إلى حياة حقيقية جديرة بالاستعدد لها، وليس يهم المسافر إلا الوصول إلى مقصده مهما عانى في أثناء السفر[(٣)]. وقد بين المباركفوري ذلك فقال: (قال القاري: ما نافية أي: ليس لي ألفة ومحبة مع الدنيا ولا للدنيا ألفة ومحبة معي حتى أرغب إليها وأنبسط عليها وأجمع ما فيها ولذاتها، أو استفهامية أي: أي ألفة ومحبة لي مع الدنيا أو أي شيء لي مع الميل إلى الدنيا أو ميلها إلي فإني طالب الآخرة وهي ضرتها المضادة لها)[(٤)]، وفي ذلك تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ((كَانَ ضِجَاعُ رَسُولِ اللَّهِ

---

(١) المرجع السابق، ١٧٥-١٧٨.

(٢) النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن الندوي، ٦٨-٦٩.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٣٢٢.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ، ١٨٧٨/٢.

أَدَمًا حَشْوُهُ لِيفٌ))[١]، وعن النعمان بن بشير، قال سمعت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: ((رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَلْتَوِي، فِي الْيَوْمِ، مِنَ الْجُوعِ. مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ))[٢]، وفي ذلك بيان على عزوفه ﷺ عن ملذات الدنيا. وحسبنا من تقلله منها وإعراضه عن زهرتها، وقد سبقت إليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها إلى أن توفي ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول: ((اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا))[٣])[٤].

ثالثًا – من أساليب الدعوة: التشبيه والتمثيل:

من الأساليب الدعوية المهمة التشبيه وضرب المثل، (ولم يكن ذلك مجرد عمل فني يقصد من ورائه الرونق البلاغي فحسب، بل إن له غايات نفسية تربوية ودعوية نتيجة لنبل المعنى، وسمو الغرض بالإضافة إلى الإعجاز البلاغي، وتأثير الأداء ومن أهم هذه الأهداف، تقريب المعنى إلى الأفهام؛ فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية، أو الغيبية)[٥]، وهذا ظهر في الحديث من قوله ﷺ: "ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها" (ووجه التشبيه والتمثيل في ذلك سرعة الرحيل وقلة المكث ومن ثم خص الراكب)[٦].

رابعًا – من واجبات المدعو: عدم الاغترار بالدنيا وأهمية قصر الأمل:

مما لا شك فيه أن همة المؤمن متعلقة بالآخرة، فهي همه ونظره، فلا يغتر بالدنيا ولا يطيل الأمل فيها، وهذا ما يستفاد من نص الحديث في قوله ﷺ "ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها".

وقد تعجب ابن الجوزي فيمن اغتر بالدنيا وأطال الأمل فيها فقال: (أعجب الأشياء

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٤١٥١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٤٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه ٤١٤٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٤٥).

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٦٠، ومسلم ١٠٥٥.

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، القاضي عياض، ص ١٩٨.

(٥) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ٣٣١.

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٧٨/٢.

إغترار الإنسان بالسلامة، وتأميله الإصلاح فيما بعد، وليس لهذا الأمل منتهى، ولا للإغترار حدٌّ، فكلما أصبح وأمسى زاد الإغترار، وطال الأمل وأي موعظة أبلغ من أن ترى ديار الأقران وأحوال الإخوان وقبور المحبوبين، فتعلم أنك بعد أيام مثلهم، ثم لا يقع انتباه حتى ينتبه الغير بك، هذا والله شأن الحمقى. حاشا من له عقل أن يسلك هذا المسلك بلى، والله إن العاقل ليبادر السلامة، فيدخر من زمنها للزمن، ويتزود عند القدرة على الزاد لوقت العسرة. خصوصًا لمن قد علم أن مراتب الآخرة إنما تعلو بمقدار علو العمل بها، وأن التدارك بعد الفوات لا يمكن)[١].

وهذا ما حذر الحق تبارك وتعالى منه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[٢] أي: (فلا تغرنكم العيشة الدنية بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم فلا تتلهو عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية)[٣].

وقد بين ابن القيم حقيقة الدنيا في قوله: (إن الدنيا كامرأة بغي لا تثبت مع زوج، إنما تخطب الأزواج ليستحسنوا عليها ... فلا ترضى بالدياثة...

ميزت بين جمالها وفعالها فإذا القباحة بالملاحة لا تفي
حلفت لنا أن لا تخون عهودنا فكأنها حلفت لنا أن لا تفي

... ولما عرف الموفقون قدر الحياة الدنيا وقلة المقام فيها، أماتوا فيها الهوى؛ طلبًا لحياة الأبد. ولما استيقظوا من نوم الغفلة، استرجعوا بالجد ما انتهبه العدو منهم في زمن البطالة، فلما طالت عليهم الطريق، تلمحوا المقصد، فقرب عليهم البعيد. وكلما أمرَّت لهم الحياة حلى لهم تذكر ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٤])[٥].

---

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٤٢٦-٤٢٧.

(٢) سورة فاطر، آية: ٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٣٤/٦.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ١٠٣.

(٥) الفوائد ٧١-٧٢، والدياثة هي اللين والهولة والديوث من الرجال الذي لا يغار على أهله، الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله بن محمد الحماد في (د ي ث).

فعلى المدعو ألا يغتر بالدنيا ويطيل الأمل (فما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل)[(١)]، (فالمؤمن في الدنيا غريب لا يجزع ذلها ولا ينافس أهلها في عزها، الناس منه في راحة، ونفسه منه في شغل فطوبى لعبد كسب طيبًا، وقدم الفضل ليوم فقره وفاقته، وجهوا هذا الفضل حيث وجهه الله، ولا تلقوها هاهنا فيما يضركم)[(٢)].

---

(١) الزهد، الحسن البصري، جمع د. محمد عبدالرحيم محمد، ٨٢.

(٢) الزهد، أحمد بن حنبل، ٢٣٩.

الحديث رقم (٤٨٦)

٤٨٦ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يدْخُلُ الفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِئَةِ عَامٍ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

المعنى في هذا الحديث يربِّت على قلوب الفقراء الذين حرموا من متع الدنيا، وقد جاء في صورة خبرية خالية من المؤكدات قابل بها خالي الذهن عن المعنى، والتعبير بالفعل المضارع يصور هؤلاء الفقراء الذين كان كثير من الأغنياء يزهو عليهم بماله، ويستهزيء بهم يسيرون في صفوف نحو باب الجنة، والأغنياء ينتظرون القرن بعد القرن حتى تنقضي خمسمائة عام، والطباق بين الأغنياء، والفقراء يستحضر في الذهن صورة النموذجين في الدنيا، وحالهما، وصورة النموذجين في الآخرة حيث بقي الأغنياء في الموقف الرهيب، وسار الفقراء إلى السلامة، والرضى في الجنة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: البلاغ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: منزلة الفقراء عند الله يوم القيامة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: يسر حساب الفقراء يوم القيامة، وشدته على الأغنياء.

رابعًا: من أصناف المدعوين: الأغنياء.

---

(١) برقم ٢٣٥٣ وزاد في آخره: (نصف يوم). وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٦٧٦. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦٦٠ وقال: رواته محتج بهم في الصحيح.

تنبيه: الحديث رواه الترمذي بإسنادين، الأول: بهذا اللفظ من طريق سفيان، عن محمد بن عمرو، وقال: هذا حديث حسنٌ صحيحٌ، والثاني: من طريق المحاربي، عن محمد بن عمرو، وقال: هذا حديث صحيحٌ.

أولاً - من أساليب الدعوة: البلاغ:

البلاغ والإخبار من الأساليب الدعوية المهمة التي تعين الداعية على تبليغ دعوته وإخبار المدعوين بالحقائق التي ينبغي عليهم معرفتها والإحاطة بها وهذا ما ورد في الحديث من إخباره ﷺ بفضل ومنزلة الفقراء يوم القيامة وذلك في قوله ﷺ "يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام"، وقد أمر الحق تبارك وتعالى نبيه بتبليغ الدعوة والإخبار بها فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾(١) وفي ذلك عظيم الفائدة في إيصال الدعوة إلى قلوب المدعوين لاسيما إن صادف ذلك صدقًا وإخلاصًا في قول الداعي.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: منزلة الفقراء عند الله يوم القيامة:

إن من آداب الإسلام الإحسان إلى الفقراء واحترامهم وإشعارهم بقيمتهم ومكانتهم عند الله تعالى يوم القيامة، وهذا ما بينه النبي ﷺ في قوله: "يدخلُ الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام" (فالفقراء في تلك المدة لهم حسن العيش في العقبى مجازاة لما فاتهم من التنعيم في الدنيا كما قال تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾(٢))(٣) (ولكن لا يلزم من سبق الفقراء للأغنياء في دخول الجنة ارتفاع منازلهم عليهم بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة وإن سبقه غيره في الدخول، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب - وهم السبعون ألفًا - وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغني إذا حوسب على غناه فوُجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول ولم يكن له تلك الأعمال ولا سيما إذا شاركه الغني في أعماله وزاد عليه فيها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، فالمزية مزيتان: مزية سبق ومزية رفعة

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة الحاقة، آية: ٢٤.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٦٦/٢.

وقد يجتمعان وينفردان فيحصل لواحد السبق والرفعة)[(١)].

وقد بيّن النبي ﷺ عظم منزلة الفقراء عند الله يوم القيامة فقال ((اطَّلَعْتُ في الجنة فرأيتُ أكثرَ أهلِها الفُقَرَاءَ، واطَّلعتُ في النار فرأيتُ أكثرَ أهلِها النساءَ))[(٢)] وقال ﷺ ((هَلْ تَدْرُونَ مَنْ أوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجنةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟ قالُوا: اللَّهُ ورسولُهُ أعلَمُ، قالَ: أوَّلُ مَنْ يدخُلُ الجنةُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الفُقراءُ المُهاجرونَ الذينَ يُسَدُّ بهم الثُغورُ، وتُتَّقَى بهمُ المَكارِهُ، ويَمُوتُ أحدُهُمْ وحاجَتُهُ في صَدْرِهِ لا يستطيعُ لها قضاءً، فيقولُ اللَّهُ لِمَنْ يشاءُ مِنْ ملائكتِهِ: ايتُوهُمْ فحَيُّوهُمْ، فيقولُ الملائكةُ: رَبَّنا نحنُ سكانُ سَماواتِكَ وخيرتُكَ مِنْ خلقِكَ، أفتأمرُنا أنْ نأتيَ هؤلاءِ، فنُسلِّمَ عليهم؟ قالَ إنَّهمْ كانُوا عباداً يعبدُونَي لا يُشْرِكُونَ بي شيئًا، وتُسَدُّ بهم الثُغورُ، وتُتَّقَى بهمُ المَكارِهُ، ويموتُ أحدُهُمْ وحاجتُهُ في صدرِهِ لا يَستطيعُ لها قضاءً، قالَ: فتأتيهمُ الملائكةُ عندَ ذلكَ، فيدخُلُونَ عليهمْ مِنْ كُلِّ بابٍ ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾[(٣)]))[(٤)]. فأي منزلة أفضل من هذه المنزلة؟ وأي فضل أفضل من هذا الفضل؟ إنها منزلة عظيمة وتكريم كبير للفقراء من المسلمين من العلي العظيم، وملائكته المقربين مما يدل على عظيم منزلتهم وفضلهم عند الله عز وجل.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: يسر حساب الفقراء يوم القيامة، وشدته على الأغنياء:

مما لا شك فيه أن كل امرئ محاسب على ما قدم وأخر من عمله، ولما كان لأصحاب الغنى من النعيم ما لم يكن لغيرهم كان حسابهم في ذلك أشد وسؤالهم على ذلك أعظم، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[(٥)] أي (لتسألن عن الذي تنعمتم

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم، ٩٢-٩٣.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٤٩، ومسلم ٢٧٣٧.

(٣) سورة الرعد، آية: ٢٤.

(٤) صحيح ابن حبان ٧٤٢١، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٥) سورة التكاثر، آية: ٨.

به في دار الدنيا، هل قمتم بشكره وأديتم حق الله فيه...، أم اغتررتم به، ولم تقوموا بشكره)[١].

ومن أجل ذلك كان يسر الحساب يوم القيامة على الفقراء وشدته على الأغنياء وذلك ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: "يدخل الفقراء قبل الأغنياء بخمسمائة عام" فالفقير المسلم حسابه يسير، إذ إنه لن يتجاوز التعرف على عباداته وهفواته ثم ينتهي إلى الجنة سريعًا. أما الغنى فحسابه عسير، إذ أن سيحاسب على ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وسيدور نقاش وادعاء ودفاع مما يستغرق وقتًا طويلاً يتمتع فيه الفقير بدخول الجنة والتنعم فيها، هذا الوقت بيّن الرسول ﷺ أنه خمسمائة عام[٢]. وقد بين النبي ﷺ أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء وأصحاب الوجاهة والولايات، فقال: ((قُمْتُ عَلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ. فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ. وَإِذَا أَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ. إِلاَّ أَصْحَابَ النَّارِ. فَقَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَىٰ النَّارِ))[٣] وفي ذلك قال النووي: (قوله ﷺ: "وإذا أصحاب الجد محبوسون" المراد به أصحاب البخت والحظ في الدنيا والغنى والوجاهة بها، وقيل: المراد أصحاب الولايات ومعناه: محبوسون للحساب ويسبقهم الفقراء بخمسائة عام)[٤].

وقال ﷺ: ((تَجْتَمعونَ يَوْمَ القِيامةِ فيُقالُ: أينَ فُقراءُ هذهِ الأمةِ ومساكينُها؟ قالَ: فيقومونَ، فيُقالُ لهمْ: ماذا عَمِلْتُمْ؟ فيقولونَ: رَبَّنا ابتليتَنا فصَبَرْنا، وآتيتَ الأموالَ والسُّلطانَ غيرَنا، فيقولُ اللَّهُ: صَدَقْتُمْ، قالَ: فيَدْخُلُونَ الجَنَّةِ قَبْلَ الناسِ، ويبقى شِدَّةُ الحسابِ على ذَوي الأموالِ والسُّلطانِ))[٥] وفي ذلك بيان يسر الحساب على الفقراء وشدته على الأغنياء.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٨٦٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٣٢٢.

(٣) أخرجه البخاري ٥١٩٦، ومسلم ٢٧٣٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٠٤.

(٥) صحيح ابن حبان ٧٤١٩، وقال محققو الصحيح: إسناده حسن.

رابعًا - من أصناف المدعوين: الأغنياء:

(إن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية لا تفرق بين جنس وجنس، ولا تتحيز لطبقة على حساب أخرى، بل تدعو الشعوب والأجناس وتخاطب جميع الطبقات، فتخاطب الفقراء كما تخاطب الأغنياء، وهذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: "... قبل الأغنياء..." والأغنياء هم البارزون في المجتمع وأصحاب النفوذ فيه الذين يعتبرهم الناس أشرافًا وسادة، أو يعتبرون حسب مفاهيم المجتمع وقيمه أشراف المجتمع وسادته، ومن ثم يستحقون -في عرف الناس - قيادة المجتمع والزعامة والرئاسة فيه،وقد يباشرون ذلك فعلاً)[1] وبناء على ذلك فهم من أهم أصناف المدعوين الذين يجب أن تشملهم الدعوة؛ لأن الأغنياء بحاجة ماسة إلى من يذكر بالله تعالى، ويرغبّهم، ويرهبهم، ويدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ويحثهم على الاستعداد ليوم القيامة، وذلك من خلال التقرب إلى الله تعالى بأنواع القربات.

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٣٨٠.

الحديث رقم (٤٨٧)

٤٨٧ - وعن ابن عباس وعِمْرَانَ بن الحُصَيْنِ رضي الله عنهم، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((**اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أكْثَرَ أهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أكْثَرَ أهْلِهَا النِّسَاءَ**)) متفقٌ عَلَيْهِ من رواية ابن عباس[1]، ورواه البخاريُّ أيضًا من رواية عِمْرَان بن الحُصَيْن[2].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

عمران بن الحُصْين: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٢).

الشرح الأدبي

الحديث قريب من معنى سابقه يرغّب في الفقر بدأه الرسول بالفعل الماضي (اطلعت) الذي يوحي بانكشاف أمر عظيم، والجار والمجرور (في الجنة) يحرك الشوق لما اطلع عليه والتعبير بأفعل التفضيل (أكثر) يزيد الشوق إلى المفضل، وإضافة الأهل لضمير الجنة تشريف، وفيه بشارة للفقراء، والطباق بين الجنة، وبين النار يبرز الفارق بين العاقبتين في المستقر، والتعبير ب(في) في الصورتين يشير إلى تمكن الرؤية حتى استطاع أن يرى الجنس الأغلب على كل دار، وهو ما يؤكده التعبير بفعل الرؤية الذي هو أقوى طرق العلم، والحديث ترغيب في الفقر، وتحذير للنساء من عادات السوء التي تغلب على طباعهن، وتتعلق بهن.

---

(١) أخرجه البخاري، عقب الحديث رقم ٦٤٤٩ معلقًا ولم يسق لفظه، ومسلم ٢٧٣٧/٩٤، وأورده الحميدي في جمعه ٦٢/٢، رقم ١٠٥٤ في المتفق عليه. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦٥٠.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٤١، و٥١٩٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: خصوصية النبي ﷺ واطلاعه على أهل الجنة والنار.

ثانيًا: موضوعات الدعوة: فضل المؤمنين الفقراء.

ثالثًا: من أصناف المدعوين: النساء.

من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: خصوصية النبي ﷺ واطلاعه على أهل الجنة والنار:

تضمن هذا الحديث ذكر خصوصية من خصوصيات النبي ﷺ من خلال ما ورد في قوله ﷺ "اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء".

(واطلاعه ﷺ إلى الجنة والنار معًا كان بجسمه ونظره العيان تفضلاً من الله جَلَّ وعلا وفرق به بينه وبين سائر الأنبياء، فأما الأوصاف التي وصفَ أنه رأى أهل الجنة بها، وأهل النار بها، فهي أوصاف صورت له ﷺ ليعلم بها مقاصد نهاية أسباب أمته في الدارين جميعًا، ليرغب أمته بأخبار تلك الأوصاف لأهل الجنة ليرغبوا، ويرهبهم بأوصاف أهل النار ليرتدعوا عن سلوك الخصال التي تؤديهم إليها)[(١)].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله ((عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَلَمْ أَرَ كَاليَوْمِ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُم كَثِيرًا. قال: فَما أتى على أصحابِ رسول الله ﷺ يومٌ أشدُّ منهُ، قال: غَطُّوا رؤوسَهم ولَهُم خَنِينٌ، فقامَ عُمَرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، رَضِينا بالله رَبًّا، وبالإسلامِ دِينًا، وبمحمَّدٍ نبيًّا...))[(٢)].

قال النووي: (ومعنى الحديث: لم أر خيرًا أكثر مما رأيته اليوم في الجنة ولا شرًا أكثر مما رأيته اليوم في النار ولو رأيتم ما رأيت وعلمتم ما علمت مما رأيته اليوم وقبل

---

(١) صحيح ابن حبان ٤٩٥/١٦.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٨٥، ومسلم ٢٣٥٩.

اليوم لأشفقتم إشفاقًا بليغًا ولقل ضحككم وكثر بكاؤكم)[١]. وفي ذلك بيان لحكمة اطلاع النبي ﷺ على أهل الجنة والنار وهي حصول الترغيب في الجنة والترهيب من النار.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل المؤمنين الفقراء:

إن من فضل الله وكرمه على عباده مجازاة المؤمنين الفقراء بما صبروا على ذلك، بالجنة وحسن العيش في الآخرة، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء" قال ابن حجر: (قال ابن بطال: ليس قوله أطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء يوجب فضل الفقير على الغني، وإنما معناه أن الفقراء في الدنيا أكثر من الأغنياء فأخبر عن ذلك، كما تقول: أكثر أهل الدنيا الفقراء إخبارًا عن الحال، وليس الفقر أدخلهم الجنة، وإنما بصلاحهم مع الفقر، فإن الفقير إذا لم يكن صالحًا لا يفضل، وتعقبه ابن حجر فقال: ظاهر الحديث التحريض على ترك التوسع من الدنيا، كما أن فيه تحريض النساء على المحافظة على أمر الدين لئلا يدخلن النار، وقد أطال ابن حجر قبل ذلك في تحقيق أفضلية الفقر على الغنى أو العكس، والحق أن المدار وإن كان على الأعمال الصالحة دون خصوص الفقر أو الغنى، ولكن الغنى، ربما بسبب المعصية والطغيان، والفقر يؤدي إلى الإنابة والعبادة والتواضع لله، فالأفضل أن لا يتوسع المرء في الغنى إلا بما لا بد منه لحاجته.

وقد جاء هذا الحديث ليدل على فضل المؤمنين الفقراء وأنهم أكثر أهل الجنة وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((حوضي من عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة، لم يظمأ بعدها أبدًا، أول الناس ورودًا عليه الفقراء المهاجرين الشعث رؤوسًا، الدنس ثيابًا، الذين لا ينكحون المتنعمات ولا يفتح لهم السدد))[٢])[٣].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٤٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٤٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٨٩).

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٧٨-٢٨١ وهذا الملخص منقول عن تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني ١١/٤٦٩-٤٧٠.

ثالثًا - من أصناف المدعوين: النساء:

(قد اهتم الإسلام بالنساء واعتبرهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[١] وتاريخ الإسلام حافل بدور المرأة وجهدها وجهادها، ويكفي أن نقول: إن أول من آمن بالله وصدق النبي ﷺ هو امرأة "خديجة رضي الله عنها"، وإن أول من قدم ماله هو امرأة "خديجة رضي الله عنها" وإن أول من استشهد هو امرأة "سمية رضي الله عنها" وإن أسماء رضي الله عنها، كانت صاحبة النطاقين، ... وإزاء هذا كله فإن المرأة تحظى بدور كبير واحترام عال في شريعة الإسلام...، فهي أم الرجال وأخت الرجال... وإنها مربية الأجيال)[٢]، وما دام الأمر كذلك فلابد أن يوجه الدعاة جهدًا كافيًا واهتمامًا خاصًا في دعوتهم وبيان ما قد يقعن فيه من أخطار.

وهذا ما بينه النبي ﷺ في نص الحديث من قوله ﷺ "واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء". فلما كان النساء أكثر انسياقًا مع الهوى واندفاعًا مع المغريات وأخف تحملاً لمسؤوليات الحياة، حذرهن النبي ﷺ من ذلك وحرضهن على المحافظة على أمر الدين ليسلمن من هذا المصير[٣].

وقد كان ﷺ يأتي النساء ويعظهن، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: ((شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ الصَّلاَةَ يَوْمَ الْعِيدِ. فَبَدَأَ بِالصَّلاَةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ. بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلاَ إِقَامَةٍ. ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَىٰ بِلاَلٍ. فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللّهِ. وَحَثَّ عَلَىٰ طَاعَتِهِ. وَوَعَظَ النَّاسَ. وَذَكَّرَهُمْ. ثُمَّ مَضَىٰ. حَتَّىٰ أَتَى النِّسَاءَ. فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ. فَقَالَ: تَصَدَّقْنَ. فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ فَقَامَتِ امْرَأَةٌ مِنْ سِطَةِ النِّسَاءِ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ. فَقَالَتْ: لِمَ؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: لأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ. وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ قَالَ: فَجَعَلْنَ يَتَصَدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ. يُلْقِينَ فِي ثَوْبِ بِلاَلٍ مِنْ أَقْرِطَتِهِنَّ وَخَوَاتِمِهِنَّ))[٤].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٧٣.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٣٢٢.

(٤) أخرجه مسلم ٨٨٥.

قال ابن حجر: (قال القرطبي إنما كان النساء أقل ساكني الجنة لما يغلب عليهن من الهوى، والميل إلى عاجل زينة الدنيا، والإعراض عن الآخرة لنقص عقلهن وسرعة انخداعهن)[١].

فحري بالدعاة أن يوجهوا جهدًا كافيًا واهتمامًا خاصًا بالنساء في دعوتهن، وبيان ما قد يقعن فيه من أخطار.

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

(الترهيب هو وعيد وتهديد بعقوبة إزاء ارتكاب المرء معصية أو اقترافه سيئة منهيًا عنها أو التهاون في أمر من أمور الدين الذي أمر الله به، ويكون هذا التهديد والوعيد بالتخويف بالنار ووصف عذابها وشدته)[٢]، وهذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ "...واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء". وقد أفاد التحذير في هذا الحديث أهمية إقبال النساء على الآخرة وطاعتهن لله ورسوله وبعدهن عن كل ما يغضب الله ورسوله، واستحضارهن لهول يوم القيامة.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢٧/١١.

(٢) انظر: دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام، فتحية الحلواني، ١٣٩، ودراسات في وسائل الاتصال، عبدالله محمد العوشن ص ١١٦.

الحديث رقم (٤٨٨)

٤٨٨ - وعن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحبُوسُونَ، غَيْرَ أنَّ أصْحَابِ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِم إِلَى النَّارِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وَ(الجَدُّ): الحَظُّ والغِنَى[2]. وقد سبق بيان هَذَا الحديث في باب فَضْلِ الضَّعفَة.

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٩).

غريب الألفاظ:

أصحاب الجدِّ: ذوو الحظِّ والغِنَى[3].

الفعل الماضي قمت يدل على أن الفعل سابق للحديث ثابت في الواقع، ودلالة القيام توحي بالوقف لمهم، والتعبير بعلى يفهم منه تمكن الرؤية، لأن الرؤية من أعلى تحيط بكل جوانب المرئي وإضافة الباب للجنة تعطيه خصوصية أجمل الأبواب، ووقوف الرسول ﷺ عليه يزيده جمالا، ولفظ (عامة)يشير إلى الغلبة أي: أكثر أهلها كما أشارت إليه الأحاديث السابقة، والتعبير بفعل الكينونة الماضي مع الفعل (دخل) العائد على الجنة يشير إلى تحقق الوقوع، وهذا النوع من التصرف في القول يوحي للمخاطب بأن ذلك قد وقع، والرسول ﷺ يخبرهم به، وهو كذلك لأنه ثابت في علم الله، وما هو ثابت في علم الله لا يفترق عن الواقع في الدنيا إلا في المعاينة عندما تقوم الساعة، والتعبير بالأصحاب في جانب الأغنياء فيه إشارة إلى أن هذا الجد سيفارقهم فالمال لا يدوم كما لا تدوم الصحبة بين الصاحبين، والتعبير بالحبس فيه تنفير من الحرص على سببه، وهو الجد وإضافة الأصحاب إلى النار فيها تخصيص، وبناء الفعل لما لم

---

(١) أخرجه البخاري ٥١٩٦، و٦٥٤٧، ومسلم ٢٧٣٦/٩٣، وتقدم تخريجه ٢٥٨. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦٦٣.

(٢) بنصه في الترغيب ٤٢/٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج د د).

يسم فاعله لتمام العلم به، وقوله (قَدْ أُمِرَ بِهِم إِلَى النَّارِ) كناية عن دخولهم فيها، والحديث يقسِّم الناس ثلاثة، مساكين هم أكثر أهل الجنة، ومن أمر بهم إلى النار من أهلها، ومحبوسون بينهما من أهل الجد، والحديث يرغب في الفقر، والمسكنة، ويحذر من الحرص على الغنى ويرهب من النار - والعياذ بالله - .

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٥٨).

الحديث رقم (٤٨٩)

٤٨٩ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: ((أصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبيدٍ: ألاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ما خَلا: من أدوات الاستثناء، أي: غير وعدا وإلا[٢].

الشرح الأدبي

البداية بأفعل التفضيل (أصدق) تحقق التشويق من حيث انشغال المستمع بالمفضل على، وإضافتها للفظ كلمة، يفيد التخصيص، وألا أداة استفتاح وتنبيه تحقق الإنصات لما بعدها ولفظ كل يلقي بمظلة الشمول الحكم وقوله (ما خلا الله باطل) استثناء من العموم أي كل شيء باطل إلا الله، وهو كلام صادق بليغ، وبين (أصدق) في أول الحديث، وبين (باطل) في آخره طباق يوضح المعنى، ويؤكده.

فقه الحديث

في هذا الحديث الشريف إشادة من النبي صلى الله عليه وسلم ببيت أو شطْر بيت من شِعْر لبيد؛ فكان من المستحسن بيان ما يلي من أحكام تتعلق بالشعر:

إنشاء الشعر وإنشاده واستماعه:

قال ابن قدامة: (ليس في إباحة الشعر خلاف، وقد قاله الصحابة رضي الله عنهم والعلماء، والحاجة تدعو إليه لمعرفة اللغة العربية، والاستشهاد به في التفسير، وتعرف معاني كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، ويستدل به أيضًا على النسب والتاريخ وأيام

---

(١) أخرجه البخاري ٣٨٤١، ومسلم ٣/٢٢٥٦.

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي ، الفيروز آبادي في (خ ل و).

العرب، ويقال: الشعر ديوان العرب)[١].

هذا هو الأصل في الشعر، وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه قد يكون واجبًا أو مندوبًا، أو مكروهًا أو حرامًا.

فقد يكون فرضًا كما نقل ابن عابدين عن الشهاب الخفاجي قال: معرفة شعر أهل الجاهلية والمخضرمين (وهم من أدرك الجاهلية والإسلام) والإسلاميين رواية ودراية فرض كفاية عند فقهاء الإسلام، لأن به تثبت قواعد العربية التي بها يعلم الكتاب والسنة المتوقف على معرفتهما الأحكام التي يتميز بها الحلال من الحرام، وكلامهم وإن جاز فيه الخطأ في المعاني فلا يجوز فيه الخطأ في الألفاظ وتركيب المباني[٢].

وقد يكون مندوبًا، وذلك إذا تضمن ذكر الله تعالى أو حمده أو الثناء عليه أو ذكر رسوله ﷺ أو الصلاة عليه أو مدحه أو الذبِّ عنه، أو ذكر أصحابه أو مدحهم أو ذكر المتقين وصفاتهم وأعمالهم أو كان في الوعظ أو الحكم والتحذير من المعاصي أو الحث على الطاعات ومكارم الأخلاق[٣].

وقد يكون حرامًا إذا كان في لفظه ما لا يحلّ كوصف الخمر المهيج لها أو هجاء مسلم أو ذميٍّ أو مجاوزة الحد والكذب في الشعر بحيث لا يمكن حمله على المبالغة، أو التشبيب بمعيّن من أمرد أو امرأة غير حليلة، أو كان مما يقال على الملاهي[٤].

---

(١) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٤/١٦٤.

(٢) رد المحتار على الدر المختار ابن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١/٣٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥/٢٧٩، ١٦/٨٧، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠ ٥٤٧، رد المحتار على الدر المختار، تحقيق: علي محمد معوض ١/٤٤٣، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٨/٢٨٣، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٤/٣٤٦، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦/١١٦.

(٤) رد المحتار على الدر المختار، تحقيق: علي محمد معوض ١/٣٢، ٣٣، ٤٤٣، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٦/٩٠، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢/٤٠٨، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٨/٢٨٣، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٤/٣٤٦، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٤/١٦٥.

وقد يكون الشعر مكروهًا وللمذاهب في ذلك تفصيل: فعند الحنفية أن المكروه من الشعر ما داوم عليه الشخص وجعله صناعة له حتى غلب عليه وشغله عن ذكر الله تعالى وعن العلوم الشرعية وما كان من الشعر في وصف الخدود والقدود والشعور وكذلك تكره قراءة ما كان فيه ذكر الفسق والخمر(١).

وقال المالكية: يكره الإكثار من الشعر غير المحتاج إليه لقلة سلامة فاعله من التجاوز في الكلام لأنه غالبه مشتمل على مبالغات(٢).

وقال ابن العربي: من المذموم في الشعر التكلم من الباطل بما لم يفعله المرء رغبةً في تسلية النفس وتحسين القول(٣).

وقال الشافعية: يكره أن يشبب من حليلته بما حقه الإخفاء، وذلك ما لم تتأذ بإظهاره وإلا حرم(٤).

وقال الحنابلة: يكره من الشعر الهجاء والشعر الرقيق الذي يشبب بالنساء(٥).

وقد يكون الشعر مباحًا وهو الأصل في الشعر(٦).

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، تحقيق: علي محمد معوض ٣٢/١، ٣٣، ٤٤٣.

(٢) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٥٨/٢، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٩٢/١٦.

(٣) أحكام القرآن ١٤٤١/٣.

(٤) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٢٨٣/٨، والجمل ٣٨٢/٥ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٦/٢٦).

(٥) الفروع، ابن مفلح ٥٧٥/٦ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية) ١١٦/٢٦.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٦/٢٦-١١٧ ومراجعها: رد المحتار على الدر المختار، تحقيق: علي محمد معوض ٣٢/١، ٤٤٣، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٥٨/٢، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٢٨٣/٨، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٤/١٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل لبيد بن ربيعة رضي الله عنه.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الاستشهاد بالشعر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان هوان الدنيا.

رابعًا: من مهام الداعية: الإفادة من الشعر بما يحقق توضيح الفكرة للمدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل لبيد بن ربيعة رضي الله عنه:

يظهر ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد..." إلخ الحديث.

قال النووي: (وفي هذه الحديث منقبة للبيد وهو صحابي وهو لبيد بن ربيعة رضي الله عنه)[1].

فهو لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلام بن ربيعة بن صعصعة الكلابي الجعفري أبو عقيل، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وأحسن إسلامه، وكان من فحول شعراء الجاهلية، قال ابن حجر في ترجمته له: قال المرزباني في معجمه: كان فارسًا شجاعًا شاعرًا سخيًا، قال الشعر في الجاهلية دهرًا، ثم أسلم، ولما كتب عمر رضي الله عنه إلى عامله بالكوفة: سل لبيدًا والأغلب العجلي ما أحدثا من الشعر في الإسلام فقال لبيد: أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران فزاد عمر في عطائه. قال ويقال إنه قال في الإسلام بيتًا واحدًا:

ما عاتب المرء اللبيب كنفسه   والمرء يصلحه الجليس الصالح

ويقال بل قوله:

الحمد لله إذا لم يأتني أجلي   حتى لبست من الإسلام سربالا[2]

وقال جمهور أصحاب السير والأخبار: لم يقل شعرًا منذ أسلم وكان شريفًا في

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٠٣.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٤٠.

الجاهلية والإسلام، وكان من المعمرين عاش مائة وأربعين سنة، وقيل إنه مات وهو ابن سبع وخمسين ومائة سنة في أول خلافة معاوية واختلفت الروايات في عمره ولكن اتفقت على إنه كان من المعمرين رضي الله عنه وعن سائر الصحابة أجمعين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين[1].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الاستشهاد بالشعر:

(لقد كان الشعر على مرّ العصور حاضرًا في مسرح الأحداث، قريبًا من روح الأمة، فكان مُعبرًا عن نبضها، وضميرها، وواكب مسيرتها الطويلة، مواكبة فاعلة ومؤثرة، والشعر من الأساليب الدعوية الفريدة والمؤثرة، والتي يستطيع من خلالها الداعية أن يؤثر في المدعوين، وأن يبين المضامين الدعوية التي يريد بيانها وايضاحها)[2]، وقد ورد الشعر كأسلوب دعوي في الحديث من قول لبيد "ألا كل شيء ما خلا الله باطلاً". وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الكلمة وقال فيها: "أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد".

(وقد خاض الشعر العربي معركة الإسلام ضد أعدائه على مر العصور. خاض معركة الإسلام ضد الجاهلية، واليهودية، والنصرانية في العهد النبوي الشريف، في بدر، وأحد، والخندق، وحنين، وخيبر، ومؤتة، وسواها، حيث لمعت أسماء شعراء مجاهدين كثر، وفي مقدمتهم: عبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت رضي الله عنهم...، وخاضها ضد المستعمرين في العصر الحديث، في مختلف أقطار العالم الإسلامي، وما يزال يخوضها ضد أعتى أشكال العداء بين الإسلام وأعدائه، في فلسطين، وكشمير، والبوسنة والهرسك، والشيشان، وأخيرًا العراق.

---

(١) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ص ٦٣٩-٦٤١، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٤٠-١١٤١، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٧٣٢.

(٢) انظر: مظاهر الوعي في شعر الجهاد ضد الصليبيين، د. محمود بن عبدالله أبو الخير، بحث منشور في مجلة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد التاسع عشر، ١٤١٨هـ، ٤٢٥.

وبهذا يثبت الشعر أنه ليس ترفًا في حياة الإنسان، بل صياغة جديدة للحياة، وتطلعًا مستمرًا نحو التغيير، وتفاعلاً مع الأحداث، وتجسيدًا لمعاناة الأمة، يرمي إلى تعميق إحساسها بواقعها، بقصد تجاوز ذلك الواقع)[١]، لذا يجدر بالداعية الحصيف أن يحسن الاستشهاد بالشعر المناسب في معالجته لبعض القضايا الدعوية، لأنه لا يخفى الأثر الطيب للشعر الجيد.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: بيان هوان الدنيا:

(مما لا شك فيه أن الدنيا وسيلة وليست غاية، إنها وسيلة للآخرة، وإن الله تبارك وتعالى، قد كتب على الدنيا الفناء، وعلى الآخرة البقاء، فلا فناء لما كتب عليه البقاء، ولا بقاء لمن كتب عليه الفناء)[٢] وهذا ما يستفاد من نص الحديث في قول لبيد: "ألا كل شيء ما خلا الله باطل"، قال ابن حجر: (... أو المراد في البيت بالبطلان الفناء لا الفساد، فكل شيء سوى الله جائز عليه الفناء لذاته حتى الجنة والنار، وإنما يبقيان بإبقاء الله لهما وخلق الدوام لأهلهما)[٣].

وكل شيء ما عدا ما يقرب إلى الله تعالى ويحقق مرضاته لا قيمة له، لأنه الحق الثابت الموجود، أما غيره فقابل للهلاك والفناء، وعلى الإنسان أن لا ينشغل به عنه وهو موافق لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[٤] أي قابل للهلاك، وعلى الإنسان أن يمعن في التعلق به والاستناد إليه[٥].

(فالمؤمن الفطن اللبيب في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها ولا يأنس بقربها، ولا يأسى لبعدها ولا يأمن غيرها، للناس حال وله حال، وقد تعجب الحسن البصري من رجل يؤثر الدنيا على الآخرة فقال: ما عجبت من شيء كعجبي من رجل لا يحسب حب الدنيا من الكبائر، وأيم الله إن حبها لمن أكبر الكبائر وهل تشعبت الكبائر إلا من

---

(١) المرجع السابق، ٤٢٤-٤٢٥.

(٢) انظر: الزهد، الحسن البصري، جمع د. محمد عبدالرحيم محمد، ص ٤٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨٨/٧.

(٤) سورة القصص، آية: ٨٨.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٣٢٣.

أجلها؟ وهل عبدت الأصنام، وعصي الرحمن إلا بحب الدنيا وإيثارها)[١]، فمن أجل ذلك هانت على الله، وهذا ما أكده النبي ﷺ، فعن جابر رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ مر بالسوق والناس كَنَفَتَيْهِ، فمر بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: (أيكم يحب أن هذا له بدرهم) فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به قال: (أتحبون أنه لكم)؟، قالوا: والله لو كان حيًا كان عيبًا أنه أَسَكُّ فكيف وهو ميت! فقال: (فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم)[٢]، أي: إن الدنيا أذل وأحقر عند الله تعالى من هوان هذا عندكم. وقال ﷺ: ((لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرًا منها شربة ماء))[٣]، وما ذلك إلا دليل على هوان الدنيا عند الله.

رابعًا - من مهام الداعية: الإفادة من الشعر بما يحقق توضيح الفكرة للمدعوين:

لقد ظهر ذلك في الحديث من الإفادة من الشعر بما يحقق توضيح الفكرة وتوصيلها للمدعوين، "وقد أدرك الرسول ﷺ أهمية هذه الوسيلة التي يستخدمها أعداؤه لمهاجمة دعوته ويوجهون له من خلالها الاتهامات والدعاوى الباطلة فما كان منه ﷺ إلا أن جعل القصيدة الشعرية واحدة من الوسائل الفعالة لحمل رسالة الإسلام، وبرز من شعراء الإسلام من أسهم بفاعلية في نشر دعوة الحق وهؤلاء الذين وصفهم القرآن الكريم في أواخر هذه الآية من سورة الشعراء، بقوله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٤]"[٥].

---

(١) الزهد، الحسن البصري، جمع د. محمد عبدالرحيم محمد، ٤٤-٤٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٥٧.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣٢٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٨٩).

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ٢٢٤-٢٢٧.

(٥) الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان، ٩٤.

فعلى الداعية بشكل عام أن يستفيد من العلوم بما يحقق توضيح الفكرة للمدعوين، وقد بيّن ﷺ ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إنَّ الناس قالوا: يا رسولَ اللهِ، هل نَرَى رَبَّنا يومَ القِيامةِ؟ قال: هل تُمارونَ في القمرِ ليلةَ البدرِ ليس دُونَهُ سحابٌ؟ قالوا: لا يا رسولَ اللهِ. قال: فهل تُمارونَ في الشمسِ ليس دَونَها سحابٌ؟ قالوا: لا. قال: فإنكم تَرَونَهُ كذلكَ... إلخ»[1]، وفي ذلك بيان على الإفادة من العلوم بما يحقق توضيح الفكرة للمدعوين.

(١) أخرجه البخاري ٨٠٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

للناس مع الدنيا اتجاهات ثلاثة: الأول الافتتان بها والعشق لها وتأليهها من دون الله، حتى ظنت هذه الطائفة أن الدنيا هي الوسيلة والغاية، وقد تحدث القرآن عن نظرتهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [سورة الجاثية:٢٤]، وهذه الفئة من الناس كانت ولا تزال ترى الحياة الدنيا هي الحياة، لا قبل ولا بعد ولهذا فتنوا بها وقعدوا لها ودعوا إليها إذا سمعوا الآذان لم يكرروه، وإذا سمعوا داعي الإقامة لم يجيبوه وإذا سمعوا عن مغنم هرولوا إليه، وما عملوا بهذه الآية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الذاريات:٥٦ - ٥٧].

الثاني: كاره لها معرض عنها لا يلتمس فيها أسباب البقاء ولا يسعى لكسب قوت يومه، يحيا في ضوء ما يساق إليه، مغال في الزهد مفرط في العبادة، مخالف لنص الآية: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة:٣٠].

الثالث: وسطي الاتجاه، لا هو طالب للدنيا بالكلية معرض عنها بالمرة، وإنما يعمل بقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [سورة الجمعة:١٠]، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تدعو إلى عدم تناسي الدنيا بالكلية أو الانقطاع للآخرة بالمرة، ولهذا وجب التربية على هدي الإسلام، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً - من سمات المربي التبسم في وجه المتربين:

من سمات المعلم والمربي تجاه من يعلمهم ويربيهم أن يبتسم أثناء تعليمه لهم، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل الزهد في الدنيا.

عندما «بعث الرسول ﷺ أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى البحرين يأتي بجزيتها، فقدم بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف، فتعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم...».

فهذا شاهد تربوي على أهمية التبسم أثناء عملية التربية وليس أدل على ذلك من فعل الرسول مع الصحابة عندما تبسم، وهذا مما يجدر فعله من ناحية المعلم تجاه من يربيهم ويعلمهم، وذلك لأن البشاشة والتبسم مما يوثق العرى ويقوي الروابط بين الناس ويحدد علاقتهم مع بعضهم، وذلك لأن التبسم والبشاشة ركيزة نفسية هامة بها تقوي العلاقات، لأنها تأخذ بمجامع القلوب إذا ارتاحت إلى المتحدث واطمأنت إليه ورضيت به، والوجه السمح البشوش يظل حسنه وبهاؤه حتى مع تقدم العمر بصاحبه، لأن الشمائل الحلوة لا تذهبها السنون[1].

ثانيًا - التربية بالسؤال والجواب:

ومن أساليب التربية الإسلامية أسلوب السؤال والجواب لما له من أهمية كبيرة في عملية التربية، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل الزهد في الدنيا.. قوله ﷺ: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟»، وقوله: «يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟...»، وقوله: وهل سمعته، قلت: نعم قال: «ذاك جبريل أتاني فقال:...»، وقوله: «فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله...»، وقوله:... فقال: «ما هذا؟، فقلنا: قد وهي...» وقوله: «وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت...».

فهذه شواهد تربوية تدل على استخدام النبي ﷺ، أسلوب السؤال مع الصحابة رضوان الله عليهم، وذلك لعلمه أن له عدة فوائد تربوية كجذب الانتباه وشحذ الذهن وإعماله، وإبعاد المتعلمين والمتربين عن الانقياد الأعمى وتحقيق الإقناع والاقتناع العقلي، ثم تحقيق المغزى التربوي المراد تحقيقه من الموقف، ولأهمية السؤال والجواب كان علماء المسلمين يشجعون طلبتهم على المناقشة والمناظرة، ويوجبون عليهم التمرن عليها، وكانوا ينقذون الركود الذهني في بلاد المغرب العربي في القرن الرابع عشر الميلادي، وذلك لأنها أهملت السؤال والجواب في التعليم، وهم يرون أن السؤال في المسائل العلمية يساعد على فهمها وعلى التعبير عنها، وكانوا يرون، أن قضاء ساعة واحدة في المناقشة

---

(١) انظر: آداب المتعلمين د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٧٥، موسوعة القيم ومكارم الأخلاق والإسلام، ٢٢/١١، ٢٤ مع تصرف بسيط.

والمناظرة أجدى على المتعلم من مكث شهر كامل في الحفظ والتكرار[١].

وعلى المربي أن يعود المتربين على السؤال والجواب ليشحذ أذهانهم، ويقوي الجهة لديهم، ويعودهم الارتجال والمواجهة والثقة بالنفس، كما أن عليه أن يكون واسع الصدر، فيرد على كل استفساراتهم وأسئلتهم بإجابات صحيحة حتى يكونوا على وعي واقتناع[٢].

ثالثًا - التربية بالتبشير:

من أساليب التربية الإسلامية التي استخدمها رسول الله ﷺ التبشير. والشاهد على ذلك في باب فضل الزهد: قوله ﷺ: "أبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى ..." وقوله ﷺ: "اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ..." وقوله ﷺ: "قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها من المساكين..." فهذه شواهد تربوية تعلمنا منها صراحة أن التبشير سلوك إنساني رائع ومطلب اجتماعي محبب ولذا حرص النبي ﷺ على التبشير وذلك لأن في التبشير تيسيراً للأمور وتبسيطاً لها وعرضها دون تشدد أو تكلف، وفي هذا إشعار للبهجة أن تعم، وبعد ثقل التكاليف والواجبات، لأن التشدد يؤدي إلى ردود أفعال عكسية ومنفرة من الإسلام وأهله، ويؤدي في النتيجة إلى حفر خنادق عميقة بين المجتمع المراد هدايته وبين المسلمين يصعب الالتقاء عليها بل تصبح المفاهيم الإسلامية مثار سخرية واستهزاء؛ ولذا كان من هدي النبي ﷺ ((بشروا ولا تنفروا)) [٣] وذلك لأن التبشير له تأثير على النفوس لأنه يكاد يخرج بأهله إلى عوالم أخرى من الفرحة والسرور، وتنقل المسلمين من جو الرتابة والسأم إلى جو السعادة عن طريق التبشير، من هنا نرى أن الرسول ﷺ كان يعرض الإسلام عرضًا سهلاً وبسيطًا دون تعقيد أو تكلف، مع الحرص الشديد على التبشير كوسيلة من وسائل التربية التي تدفع باتجاه الخير والسلوك الحسن[٤].

---

(١) التربية الإسلامية وفلاسفتها، محمد عطية الإبراشي، ص ٢٠٤.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ص١٨١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٦/١١.

(٤) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص ٢٢٣.

رابعًا - التربية بالتحذير:

من أساليب التربية الإسلامية التحذير: وهو أسلوب تربوي وقائي، كي لا يتم الوقوع في الخطأ: ومن الشواهد على ذلك في باب فضل الزهد قوله ﷺ... إن مما أخاف عليكم بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها...، وقوله ﷺ: «...واتقوا النساء ...» وقوله ﷺ: «تعس عبد الدينار والدرهم...»، وقوله ﷺ: «...لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا...»، وقوله ﷺ: «إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال ...»، وقوله ﷺ: «واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ...».

فهذه شواهد تربوية دلت بمنطوقها تارة وبمفهومها تارة أخرى على استخدام الرسول ﷺ أسلوب التحذير مع أصحابه من الوقوع في المنهيات التي نهى عنها الله ورسوله ﷺ، والنبي ﷺ كان دائم التحذير لأصحابه من اتيان فعل منهي عنه أو امتناع عن فعل مأمور به، وذلك خوفًا من غضب الله وعذابه، وخوفًا من إلحاق الضرر بالأمة والمجتمع المسلم مما يدفع هذا باتجاه الاستعداد والتأهب لتجنب حصول ذلك، وهذه التحذيرات تحمل في طياتها أسلوب تربوي توجيهي من خطر قادم يتضمن وعيدًا وزجرًا ينتج عنه خوف ورهبة، والتحذير هنا يمثل قوة صادة عن الانحراف إلى سبيل الشر التي ينهى عنها الإسلام، وذلك لأن التحذير فيه إثارة المخاوف من سلوك سبيل ما، أو القيام بعمل ما من شأنه أن يقلل من اندفاع الإنسان نحو ذلك السبيل أو ذلك العمل وأن يضعف من قوته وتجعله قلقًا حذرًا وعلى مقدار نمو الحذر من الجهات تخبو جذوة الأطماع والأهواء المتأججة نحوها[1].

خامسًا - التربية بالترغيب والترهيب:

من أساليب التربية الإسلامية أسلوب الترغيب والترهيب، ولقد استخدمه رسول الله ﷺ في تربية الصحابة لما له من أثر كبير في عملية التربية، ومن الشواهد التي تدل على ذلك في باب فضل الزهد، وقوله ﷺ: «يُؤْتَىٰ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ

---

(١) المرجع السابق ص٢٥٠.

النَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً: ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ. وَاللّهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ. فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ. وَاللّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ. وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ».

فهذا شاهد تربوي استخدم الرسول ﷺ، فيه أسلوب الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى.

والرسول استخدم أسلوب الترغيب في عملية تنشئة الصحابة، لأنه أسلوب فيه تحريك الدوافع على الخير، وتنشيطها فيما أعده الله تعالى لمن خاف مقام ربه، وهذا يكفل للفرد الاستقامة على طريق الجنة، وهذا ليس بغريب على التربية الترغيبية لأنها من الأسس التي يقوم عليها صلاح الفرد، كما استخدم الرسول ﷺ الترهيب من النار والأسباب التي تؤدي إليها، والرسول ذكر الترغيب والترهيب مقترنان لعلمه أن الإنسان لديه القدرة على التمييز بين ما يضره وما ينفعه كما أنه يستطيع أن يستجيب لأوامر الله فيمتنع عن ما نهى عنه ويعمل بما أمر به مما يجعل للترهيب أثراً في سلوكه ولولا هذه الخاصية الفطرية لما كان لهذا الأسلوب أثر تربوي ولقد بين الرسول ﷺ الكيفية التربوية التي ينبغي للمربين اتباعها في عملية التربية وهي الموازنة والاعتدال والموضوعية من الإفادة من الترغيب والترهيب فلا يغلب أحدهما على الآخر، وأن يستخدم كل واحد منهما بحسب الحاجة دون تشدد[١].

سادسًا - التربية بالتشبيه وضرب الأمثال:

من أساليب التربية الإسلامية أسلوب التشبيه وضرب الأمثال، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل الزهد: قوله ﷺ: «مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إلاَّ مِثْلَ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَه فِي الْيَمِّ ...»، وعن جابر رضي الله عنه «أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ مَرَّ بالسُّوق، وَالنَّاسُ كَنَفَتَيْهِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ...»، وقوله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»، وقوله ﷺ: «إِنْ كِنْتَ تُحِبُّنِي فَأَعِدَّ لِلفَقْرِ تِجْفَافًا، فَإِنَّ الفَقْرَ أَسْرَعُ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إِلَى مُنْتَهَاهُ»، قال رسول الله ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلاَ فِي غَنَمٍ

(١) انظر: التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٣٩٦، أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات، ص٨٤.

بأفْسَدَ لها مِنْ حِرْصِ الْمَرءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِه»، وقوله ﷺ: «ما أنَا في الدُّنْيَا إلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».

فهذه شواهد تربوية تدل على أن الرسول ﷺ استخدم التشبيه والتمثيل مع أصحابه أثناء عملية التربية، وذلك لأن التشبيه أوقع في النفس وأبلغ من الوعظ وأقوى من الزجر وأقوم في الإقناع والرسول ما أتى بالأمثال للتسلية بل أتى بها للتذكر والتدبر وأخذ العبرة، والمربي البارع الناجح يستطيع عن طريق ضرب المثل المساعدة في فهم الأشياء غير المحسوسة بتقريبها إلى فهمه بضرب الأمثال بالأشياء المحسوسة لديه - وليس أدل على ذلك من مثال الجدي الميت والذي ظهر منه حقارة الدنيا - وأسلوب التشبيه وضرب الأمثال من أحد أساليب التربية الناجحة والمؤثرة في تربية المسلم، فينبغي على المربين استعمال هذا الأسلوب التربوي المؤثر الذي يشد انتباه المتربي، ومن خلاله يوجه ضرب الأمثال إلى الأخلاق الفاضلة، والآداب الإسلامية الرفيعة لكن ينبغي على المربين استغلال الظروف المناسبة في استخدام هذا الأسلوب التربوي، وذلك لكي يحقق أسلوب التشبيه وضرب الأمثال الهدف المنشود من وراء استخدامه كأسلوب من أساليب التربية الإسلامية[1].

سابعًا - التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية أسلوب التوجيه المباشر، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل الزهد قوله ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل..».

فهذا شاهد تربوي دل على أن الرسول ﷺ استخدم أسلوب التوجيه المباشر في تربية الصحابة رضوان الله عليهم لأنه أراد أن ينبه على أهمية ما يقول من توجيه مباشر عن الزهد في الدنيا والاقتصاد على ما لابد منه، ومن أراد ذلك كان كعابر سبيل، والرسول ما استخدم أسلوب التوجيه المباشر إلا لعلمه بأنه مؤثر في سلوك الفرد أثناء عملية التعلم، ولعلمه أنه بامتثال هذه التوجيهات تحقق له الفائدة والسعادة، وبنجاحه فإنه يغير مجرى حياة الإنسان لأنه يعقبه أثار تربوية منها تزكية النفس وتطهيرها،

(١) أساليب التربية الإسلامية، عبدالرحمن عبدالوهاب البابطين، ص٦٠.

وبهذا يسمو المجتمع ويبتعد عن المنكرات، ويرى المربون أن في أسلوب التوجيه مجالاً كبيرًا للمعلمين في تنشئة طلابهم على ما فيه خيرهم وصلاحهم، وتوجيههم إلى ما فيه رقي مجتمعهم وأمتهم ومن المفيد أن يبتعد المعلمون عن التوجيه، وهذا الأسلوب له عدة عوامل لنجاحه ينبغي مراعاتها: وهي إشعار الأفراد محل التوجيه بالعطف والاهتمام، وتخير وقت التوجيه حيث تكون النفس هادئة للتقبيل[١].

ثامنًا - التربية بالتكرار والتأكيد:

من أساليب التربية الإسلامية التكرار والتأكيد، ومن الشواهد على ذلك قول عبدالله بن مغفل ﷺ، قال: قال رجل للنبي ﷺ «يا رسول الله، والله إني لأحبك، فقال: انظر ماذا تقول؟، قال: والله إني لأحبك، ثلاث مرات، فقال:.....».

فهذا شاهد تربوي ظهر منه التكرار كأسلوب تربوي استخدمه رسول الله ﷺ في أثناء عملية التربية مع الصحابة ﷺ والتكرار من أهم الوسائل في تثبيت المعنى في القلوب وبثه في النفوس، وحملها على التصديق والإيمان به، ولا يكون التكرار والتأكيد لهما أثر إلا إذا دام تكراره ما أمكن، والأمر إذا ما أكد انتهى بالتكرار إلى الرسوخ في النفس على أنه حقيقة ثابتة، ولاشك في أن التكرار له أثر كبير في النفوس لأن للفطرة دخلاً في قبول هذا التكرار لما له من أثر في تثبيت المعاني وتأكيد الأفكار لديه، والرسول ﷺ قد استخدم التكرار والتأكيد وسيلة تربوية تجعل من الأمر المكرر عند المرء عادة مستحكمة راسخة في أعماق قلبه ونفسه، وكان من عادته ﷺ التكرار للأمور المهمة ثلاث مرات أو أكثر تأكيداً لينبه السامع على إحضار قلبه وفهمه للخير الذي يذكره[٢].

تاسعًا - التربية على ذكر الله عز وجل:

من أهداف التربية الإسلامية التنشئة على ذكر الله عز وجل، وذلك لأن الذكر من

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص٢٨٤، أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٤.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص٣٠٢، ٣٠١.

أعظم أسباب حياة القلب ونماء الإيمان فيه، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل الزهد: قوله ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلاَّ ذِكْرُ اللهِ تَعالَى».

فهذا شاهد تربوي دل على أهمية ذكر الله وعلى أن كل ما في الدنيا فهو لعب ولهو إلا ذكر الله، وما كان سببًا في ذلك، والذكر للقلب كالماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا أخرج من الماء، والذكر هو المنزلة الكبرى التي منها يتزود العارفون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون، وهو منشود الولاية الذي من أعطيه اتكل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب العارفين التي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، والذكر دواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبيل الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

وقال ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ ربَّهُ والذي لا يَذْكُرُهُ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ»[(١)]، فهذا دليل على أن القلوب بور خراب، بدون ذكر الله عز وجل الذي هو جلاء للقلوب وصقالتها، وكلما ازداد الذاكر عند ذكره استغراقًا ازداد محبة إلى لقائه للمذكور واشتياقًا، وعليه فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء، قال الحسن البصري: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وفي قراءة القرآن[(٢)].

عاشرًا - التربية على التعلم:

من أساليب التربية الإسلامية: التعلم، لأن التعلم أنفع ما يخلص النفوس من الرذائل ويصلحها، فالعلم الشرعي يعرف المرء الحلال من الحرام، ويعرف الفضيلة ومكانتها فيتخلق بها، وبالعلم يعرف شر الرذيلة فيهجرها، فالعلم هو مطية طالبي الأخلاق الكريمة، ومن الشواهد التي تدل على التعلم في باب فضل الزهد. قول النبي ﷺ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ. مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلاَّ ذِكْرَ اللَّهِ وَمَا وَالاَهُ، وعَالِمًا ومُتَعَلِّمًا».

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٤٠٧، ٢٠٨/١١، مسلم، ٧٧٩، ٦٨/٦.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص١٥٨.

فهذا شاهد تربوي دل بمنطوقه على بيان فضل العلم وأهله وطلابه، وفي هذا الشاهد حث على طلب العلم لأن به الرشد والنجاة وذلك لأن العلم الشرعي مفتاح الخير كله، وعنوان سعادته، لأنه محتاج إليه في عبادته، وفي جميع شؤون حياته الشخصية والاجتماعية، وأولى العلوم وأفضلها علم الدين لأن الناس بمعرفته يرشدون، وبالجهل به يضلون فالإنسان الجاهل بدينه جاهل بخير الدنيا والآخرة، والعالم بدينه عارف بما ينفعه في دار الدنيا والآخرة، فيكون للخير راغبًا به عامل، وللشر كارهًا ومفارقًا، وقال بعض البلغاء: تعلم العلم فإنه يقومك ويسددك صغيرًا ويقدمك ويسودك كبيرًا ويصلح زيفك وفاسدك، ويرغم عدوك وحاسدك، ويقوم ميلك وعوجك، ويصحح همتك وأملك والعلم طريق الجنة، وحياة ونور، والجهل موت وظلمة، والشر كله سببه عدم الحياة والنور، والخير كله سببه النور، وجدير بكل مسلم أن يأخذ حظه من العلم الذي يقربه إلى الله تعالى[1].

حادي عشر - التربية بالقدوة:

من أساليب التربية الإسلامية أسلوب التربية بالقدوة لما له من دور كبير وهام في عملية سير التربية الإسلامية، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل الزهد، حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا فقال: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَتَلوىَ مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ».

فهذا شاهد تربوي ظهر منه أن القدوة أسلوب تربوي اتخذه الصحابة من القدوة الأول الرسول ﷺ - وكيف كان قدوة في الزهد وهجر الدنيا - ، لذلك قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2]، والتربية الإسلامية لا غنى لها عن وجود واقع تربوي يمثله إنسان مرب يحقق بسلوكه وأسلوبه التربوي كل الأسس والأساليب والأهداف التي يراد إقامة المنهج التربوي عليها، كذلك بعث الله

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٧٩، ٨٠، ٢٤٤.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

محمدًا ﷺ عبده ورسوله ليكون قدوة للناس يحقق المنهج التربوي الإسلامي، والرسول ﷺ بشخصه وشمائله وسلوكه وتعامله مع الناس، ترجمة عملية بشرية حية لحقائق القرآن وتعاليمه وآدابه وتشريعاته، ولقد فطر الله الناس على اتخاذ القدوة والبحث عنها لتكون نبراسًا يضيء سبيل الحق، ومثالاً حيًا يبين لهم كيف يطبقون شريعة الله، لذلك لم يكن لرسالات الله من وسيلة لتحقيقها على الأرض إلا إرسال الرسل يبينون للناس ما أنزل الله من شريعة، وعليه فالقدوة الصالحة مطلوبة.

وهكذا تظل القدوة في الإسلام، شاخصة ماثلة للعيان تتدفق حيويتها ولا تتحول إلى خيال مجرد تهيم في حبه الأرواح، دون تأثير واقعي ولعل الحكمة في ذلك ما أودعه الله في طبيعة النفس الإنسانية من استعداد للمحاكاة[1].

ثاني عشر: من مصادر التربية الإسلامية: القرآن الكريم:

القرآن الكريم أول مصدر من مصادر التربية الإسلامية، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل الزهد، قول عبدالله بن الشخير أنه قال: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي. مَالِي قَالَ وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ...».

فهذا شاهد تربوي ظهر منه أن النبي ﷺ استخدم القرآن كمصدر من مصادر التربية أثناء تعليمه للصحابة - رضوان الله عليهم - والرسول ما استخدم أسلوب التربية بالقرآن إلا لعمله أنه يوفر له الشمول في المحتوى والمنهجية ويحقق الموضوعية في التطبيق، وذلك لأن القرآن مشتمل على جميع العناصر الأساسية للأصول الدينية أصل الإنسان، ومن هنا يدخل القرآن الكريم - بوصفه دستور الحياة للمسلمين بالعديد من التصنيفات المنهجية لجوانب متعددة تتناول الحياة الدنيا وما بعدها، ومنها العقيدة الدينية الواضحة التي تعد منهج حياة للمسلمين والتي تتمثل هنا في حديث الباب بالإيمان بقدرك وحالك في هذه الحياة، وأن كل شيء مقسوم ومعد له، ولقد أثر القرآن في نفوس الصحابة والمسلمين تأثيرًا بالغًا، فقد اجتهدوا بتطبيق القرآن مع تعلمه كمنهج

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٠٥، ٢٠٧.

تربية لأن أسلوبه يستخدم الإقناع العقلي مقترنًا بإثارة العواطف والانفعالات الإنسانية مع التجارب السلوكية المشحونة بها والمصاحبة لموضوع معين، وكل هذا يمكن من القول بأن القرآن هو كتاب تربية قبل أن يكون أي شيء آخر(١).

ثالث عشر - التربية على البذل والإنفاق:

إن من أهداف التربية الإسلامية الحث على الإنفاق في سبيل الله، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل الزهد: ما روي عن أبي ذر ﷺ قال: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَّةٍ بِالمَدِينَةِ، فَاسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيْهِ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إلاَّ شَيْءٌ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ...»، وقال ﷺ: «لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا لَسَرَّنِي أَنْ لاَ يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاَثٌ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إلاَّ شَيْءٌ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ».

فهذه شواهد تربوية تبين أن النبي ﷺ ضرب أروع الأمثلة للصحابة رضوان الله عليهم على أهمية البذل والإنفاق في سبيل الله وفي وجوه الخير، وعدم كنز الأموال... وذلك لأن البذل والإنفاق يعد محمدة يجلب المودة وينفي العداوة ويكسب الذكر الجميل، وذلك لأن المنفق قريب من كل خير وبر، وإذا ما تربى المسلم على الإنفاق صفت نفسه ولانت شدته، وقاده ذلك إلى مكارم الأخلاق، والبذل والإنفاق من الصفات المحمودة التي تعد من مقومات الشخصية وأساسياتها. وقد كان العرب يعدون هذه الصفات من المفاخر التي يفاخرون بها غيرهم لكن جاء الإسلام لينمي هذه الصفة، ويوجهها التوجيه الصحيح، ويحث على اكتسابها، لكن دون مفاخرة، والبذل ينم عن طيب نفس وكرم، وإثبات عملي للمخاطب، والمراد تدريبه على أن هذه الدنيا فانية لا تستحق الكنز(٢).

---

(١) التربية الإسلامية، د. عماد محمد عطية، ص٢٥.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص٣٤٦، رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، د. محمد بن إبراهيم الحمد، ص٥٢٤.

رابع عشر - التربية على غرس قيمة الزهد:

من أهداف التربية الإسلامية الحث على غرس قيمة الزهد، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل الزهد. جملة شواهد، قوله ﷺ: «وَلكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كما بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...»، وقوله: «إنَّ مما أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِن زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا...»، وقوله: «إنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ. وَإنَّ اللّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ. فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ»، وقوله: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»، قال: «يَتْبَعُ المَيتَ ثَلاَثَةٌ: أَهْلُهُ، وَعَمَلُهُ، وَمَالُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقى وَاحِدٌ، يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقى عَمَلُهُ»، وقال رسول الله ﷺ: «مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إلاَّ مَثَلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ. فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ؟»، قال: «فَوَاللّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللّهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»، وقوله: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه»، وقوله: «لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهة أن ترى عورته»، وقوله ﷺ: «بمنكبي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وقوله: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»، وقوله ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله»، وقوله: «لقد رأيت رسول الله ﷺ ظَلَّ يَتلوىَ مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ »، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «توفي رسول الله ﷺ وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إلاَّ شَطْرُ شَعِيرٍ، فِي رَفٍّ لِي...»، وقوله: «ما ترك رسول الله ﷺ عند موته ديناراً، ولا درهما، ولا عبدًا...»، قوله: «قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه يوم أحد، وترك نمرة فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا بها رجليه، بدا رأسه...»، وقال: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء...»، وقوله: «ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال: بيت يسكنه، وثوب يواري عورته، وجلف الخبز، والماء...».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «نام رسول الله ﷺ على حصير... فقال ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها...»، وقوله:

«يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام...»، قال: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: إلا كل شيء ما خلا الله باطل».

فهذه شواهد تربوية دلت على أن الحياة الدنيا مصيرها الفناء والهلاك، كما دلت على زهد النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، كما دلت على أن ما عند الناس ينفد وما عند الله باق، وأن التعلق بالدنيا يفسد الدين، ويشغل عن الآخرة، فالزهد انصراف الرغبة في الشيء إلى ما هو خير منه شرط أن يكون المرغوب عنه مرغوبًا فيه، وذلك كاستصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب، والزهد ليس مطلوبًا لذاته، إنما لما يترتب على وجوده من أمور تعد الميزان الصحيح للشخصية الإسلامية السوية، ذاك أن التكليف في الإسلام مبني على الثواب والعقاب فمن أخل بالزهد بقدر ولو بسيط، فإن ذلك يخل بآخرته على مقدار ذلك الخلل، وإن الحرص على أمر من الأمور المطلوب الزهد فيها، يعد خللاً في المواصفات الشخصية الإسلامية السوية، ومن هنا تكمن أهمية الزهد، وضرورة اعتماده وسيلة هامة من وسائل التربية والتوجيه في المجتمع الإسلامي.

ومن الفوائد التربوية لقيمة الزهد:

١ - الزهد: يدفع باتجاه التضحية والجهاد.

٢ - الزهد: ينقي النفس مما يعتريها من أمراض القلوب.

٣ - الزهد: صفاء للروح والنفس، وارتقاء لها.

٤ - الزهد: تهذيب للأخلاق وصلاح لها.

٥ - الزهد: يساعد على استحواذ المشاعر عند الناس.

فهذه فوائد تربوية دلت على أن غرس قيمة الزهد في نفوس المتربين أمر هام.

وعلى هذا ليس إخلالاً بالزهد من ملك الثروات الهائلة وكسب الأموال الطائلة، إذا كان زاهدًا فيها، معرضًا عنها، لم تدخل قلبه ولم تتجاوز يده، فليس من هو أزهد من الصحابة، وقد كان منهم من يملك الآلاف المؤلفة كعثمان، وأبي بكر، وعبدالرحمن بن عوف[1].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص٣٤٣، ٣٣٤، ٣٣٦.

خامس عشر - من الأساليب التربوية:

ورد في أحاديث الباب كثير من الأساليب التربوية، ويمكن للمعلم أن يستفيد منها في العملية التعليمية، منها:

أ - الحوار والمناقشة: كحديث أبي ذر رضي الله عنه: كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرّة بالمدينة، فاستقبلنا أحدٌ فقال: يا أبا ذر" الحديث.

والحوار والمناقشة من الأساليب التي تفعل دور المتعلم في العملية التعليمية وتنقله من المتعلم السلبي إلى المشارك الإيجابي.

ب - الإلقاء كحديث يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يرجع أهله وماله ويبقى عمله" ويستخدم الإلقاء في بيان بعض الحقائق والمعلومات التي يريد المعلم أن يوضحها للمتعلمين. ويمكن من خلاله توجيه المتعلمين إلى بعض القيم النافعة لهم ولمجتمعهم.

ج - الإقناع العقلي: كما في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بالسوق والناس كَنَفَتَيْه فمرّ بجدي أسك ميت، فتناوله فأخذ بأُذُنه ثم قال: أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم؟ ..." الحديث.

فقد زهد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في الدنيا ونفرهم من التهافت عليها عن طريق الإقناع العقلي من خلال عرض القضية بالتدريج على المتعلمين ثم بيان بعض الأمور المرتبطة به. ويمكن للمتعلم استخدام هذا الأسلوب في الفصل ليبين للمتعلمين بعض الأمور المفضلة ويقنعهم بخطورة ما ترغب فيه نفوسهم.

د - العصف الذهني: كما في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه السابق، وهذا الأسلوب يعتمد على طرح قضية معينة على المتعلمين ومعرفة رأيهم فيها ثم بيان الرأي النهائي في هذه القضية.

هـ - استخدام الأسئلة: كما في حديث جابر رضي الله عنه السابق كذلك، والأسئلة تستخدم في تقريب المعنى وفي شدّ انتباه المتعلمين وفي قياس ما يعرفونه عن بعض القضايا المعينة وفي معالجة بعض أفكار المتعلمين.

و - التلقين: كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" فالنفس تتأثر بما يلقى عليها من كلام يحرك الوجدان، والتربية بالتلقين من الأمور المتكررة، مما يميزها بالتثبيت في ذهن المتعلمين، مما يجعلها أطول بقاء، وهذا ما وضح في تأثر ابن عمر رضي الله عنه بما نصحه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك.

ز - القصة: كما في حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه عن مصعب بن عمير رضي الله عنه واستشهاده يوم أحد، وبيان زهده وانصرافه عن الدنيا وابتغاء رضوان الله، مع أنه كان قبل أن يسلم أكثر الناس تنعمًا وأشدهم ترفهًا.

ح - التربية بالمواقف: كما في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: مرّ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصًا لنا. فقال: ما هذا؟ فقلنا: قد وَهَى فنحن نصلحه، فقال: ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك.

وغير ذلك من الأساليب التربوية التي يمكن للمعلم أن يفيد منها في حجرة الدراسة في عرض عناصر درسه، والاجتهاد في تنويع طرق شرحه، من أجل مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين.



٥٦ - باب فضل الجوع وخشونة العيش

والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٥٩ - ٦٠]، وقال تَعَالَى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [القصص: ٧٩ - ٨٠]، وقال تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]، وقال تَعَالَى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾ [الإسراء: ١٨] والآيات في الباب كثيرةٌ معلومةٌ.

الحديث رقم (٤٩٠)

٤٩٠ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّد ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية[2]: مَا شَبِعَ آلُ محمَّد ﷺ مُنْذُ قَدِمَ المَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ البُرِّ[3] ثَلاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا حَتَّى قُبِضَ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

---

(١) أخرجه البخاري ٥٤١٦، ومسلم ٢٢/٢٩٧٠ واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٧٧.

(٢) أخرجها البخاري ٦٤٥٤، ومسلم ٢٠/٢٩٧٠ ولفظهما سواء. أوردها المنذري في ترغيبه ٤٧٧٧.

(٣) عندهما: (بر) بدون أل التعريف.

غريب الألفاظ:

قبض: توفي رسول الله ﷺ[1].

الشرح الأدبي

الحديث يبين جانباً من زهد النبي ﷺ، وأهل بيته رضي الله عنهم وزهدهم في الدنيا، ورغبتهم في الآخرة، وقول: أم المؤمنين عائشة (مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّد ﷺ) أسلوب نفي ينفي الشبع لأنه ﷺ كان لا يأكل حتى يجوع، وإذا أكل لم يشبع وإضافة الآل لمحمد ﷺ تشريف ينبه لفضلهم، ويذكر بحقهم صلة لرسول الله ﷺ، وذكر الاسم الظاهر (محمد) من باب المحبة، لأنه الاسم المحبوب، وقولها (يومين متتابعين) توكيد للزمن، ودلالة على التواصل، وفي الرواية الثانية ذكرت (ثلاث ليال) وهي، وإن كانت تتضمن اليومين إلا أن ذكر الثلاث أدل على شدة الجوع لأن العدد المذكور أكبر، ثم إن الليل على الجائع أشد لضعف الأمل في وجود طعام، لأنه ليس وقت سعي على الرزق بالإضافة إلى أن الجوع يطرد نومه فيجتمع عليه مع الجوع قلة نوم، وغرض ذكر الخبر الذي جاء به الحديث الترغيب في الزهد.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان عيش النبي ﷺ وآل بيته، وزهدهم في الدنيا.

ثالثًا: من صفات الداعية: الزهد في الدنيا.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الأنصار رضي الله عنهم وحبهم للنبي ﷺ.

خامسًا: من واجبات المدعو: الإحسان والتواصل مع الجيران.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

والإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوة ربه وسنة نبيه،

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ب ض).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٤٩٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٤٩١).

وهذا ما أمر الله به عباده بقوله: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[(١)] وقد بين تعالى عظم فضل ذلك فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[(٢)]، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديثين من إخبار أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن حال آل محمد ﷺ في قولها رضي الله عنها: "ما شبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير... إلخ". وقولها لعروة بن الزبير رضي الله عنهما: "والله يا ابن أختي، إن كنا ننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار..." إلخ الحديث، فالإخبار أسلوب دعوي مهم جدًا للداعية ولا غنى له عنه بحال من الأحوال فعليه أن يستخدمه في ما ينفع المدعوين من إخبارهم بأحكام الدين وسنة خير المرسلين ﷺ.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان عيش النبي ﷺ وآل بيته:

(مما لا شك فيه أن دعوة الرسل إلى الإقبال على الآخرة وإيثارها على الدنيا والاستهانة بقيمة الدنيا ومتاعها لم تكن دعوة باللسان فقط أودعوة لأمتهم فقط، بل كانت منهج حياة حيث عاش النبي ﷺ هو وأزواجه رضي الله عنهن ذلك عمليًا. فقد قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[(٣)].

وكان من تأثير صحبته أن أزواجه رضي الله عنهن، كلهن آثرن الله ورسوله وآثرن الفقر والضيق مع الرسول على الرخاء وخفض العيش مع غيره)[(٤)]، وهذا ما أشار إليه الحديثان في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها "ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير... إلخ"

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٨-٢٩.

(٤) انظر: النبوية والأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن الندوي، ص ٦٨-٧٠.

وأيضًا في قولها: "... إن كنا ننظر إلى الهلال، ثم الهلال: ثلاثة أهله في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار... إلخ".

قال ابن عثيمين رحمه الله: (وذلك بيان في عيش النبي ﷺ، وأنه ما شبع من خبز الشعير ليلتين تباعًا؛ لقلة ذات يده ﷺ، وأنه كان يمضي عليه الشهران في ثلاثة أهله ما يوقد في بيته نار، وإنما هو الأسودان التمر والماء...)[1] ثم بين ابن علان: (أنه لم يضطره مولاه لذلك بل عرض عليه جبال مكة وبطحاءها تسير معه ذهبًا أينما سار فاختار إعراضه عن الدنيا وزهده فيها إعلامًا بحقارتها وأنها ليست بحيث ينظر إليها ﷺ تحريضًا لأمته على الزهد فيها والإعراض عما زاد على الحاجة منها)[2].

وفي بيان ذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ((دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ. قَالَ: فَجَلَسْتُ فَإِذَا عَلَيْهِ إِزَارٌ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ. وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ. وَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ، نَحْوِ الصَّاعِ، وَقَرَظٍ فِي نَاحِيَةٍ فِي الْغُرْفَةِ. وَإِذَا إِهَابٌ مُعَلَّقٌ. فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ. فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكَ يَا بْنَ الْخَطَّابِ» فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَمَا لِي لاَ أَبْكِي؟ وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لاَ أَرَى فِيهَا إِلاَّ مَا أَرَى وَذَلِكَ كِسْرَى وَقَيْصَرُ فِي الثِّمَارِ وَالأَنْهَارِ. وَأَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَصَفْوَتُهُ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ. قَالَ: «يَا بْنَ الْخَطَّابِ أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟» قُلْتُ: بَلَى))[3]، وفي ذلك بيان لعيشة النبي ﷺ وآله وما كانوا عليه من زهد في الدنيا.

ثالثًا - من صفات الداعية: الزهد في الدنيا:

(إن الزهد في الدنيا هو أن تعرف أن الله أراد لك أن تحيى في حياتين، وأن تثبت وجودك المادي في حياة المادة، ووجودك الروحي فيما وراء المادة عاملاً في الأولى بقوة بدنك وملكاته، وعاملاً في الأخرى بقوى قلبك وملكاته، محاذرًا أن تنصرف عواطفك عما في يد الله، إلى متاع الدنيا)[4]. (فها هو ذا رسول الله ﷺ تنصب بين يديه أموال

---

(١) شرح رياض الصالحين ١/٨٠٣.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٣٥-٧٣٦.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤١٥٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٠٥).

(٤) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ١٧٥.

الجزيرة العربية وتأتيه أخماس الغنائم، وتؤول إليه فدك وغيرها فيئًا خالصًا له من دون المسلمين، فما وقف قلبه على شيء من هذا، بل كان يصرفه لفوره إلى وجوه البر، والمصالح العامة، وربما ربط الحجر على بطنه يثبت به قلق معدته الجائعة، فما كان جوعه عليه السلام من إقلال، بل عن غنى زهدت فيه نفسه)[١]، وهذا ما أشار إليه الحديثان؛حيث أن النبي ﷺ وآل بيته لما يشبعوا من خبز الشعير يومين متتالين، وكانوا يكتفون بالماء والتمر شهرين كاملين، وقد أمره ﷺ الحق تبارك وتعالى بذلك ليكون القدوة والأسوة الحسنة لأمته من بعده، فقال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾[٢] وقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[٣].

(فعلى الداعية أن يتخفف من الدنيا التي قد تكبله عن الدعوة)[٤] (ولكن الزهد في الدنيا وتجريد القلب من أهواء الجاه والملك والمال، ليس معناه الامتناع عن تحصيله بكل وسيلة مشروعة...، فهذا نبي الله سليمان عليه السلام، سأل ربه ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فاستجاب له، ووهب له الملك...، فهل طلبه شهوة فيه، ولأن نفسه نزعت إليه؟ وهل تصرف فيه تصرف المترفين من أهل الشهوات؟ كلا ... لم يطلبه لحاجة نفسه، وإنما طلبه في حاجة ربه وتصرف فيه على ما يحب الله... وهذا مثال واقعي، ساقه الله عز شأنه، يشرح به معنى الزهد، وكيف يكون الإنسان الصالح، ملكًا محاطًا بالجاه وأسباب الترف والفتنة، ونفسه مع هذا ناظرة إلى ما هو أرفع... مسخرة كل ما تملك من جاه ومال وقوة في تأييد الحق، وإرضاء الله سبحانه...، فليس الدين دين تخلف عن حقائق الحياة فبعدًا لكل غافل أضله هواه، واستعبدته شهوته. اطلب المال، واطلب الملك، ولكن شتان من طلب وطلب... شتان من طلب يبعث عليه باعث الشهوة والرغبة

---

(١) المرجع السابق ١٩٤.

(٢) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٣) سورة طه، آية: ١٣١.

(٤) رياض الدعاة والمصلحين، بهاء الدين عقيل ود. عبدالعزيز مصطفى، ص ٥٢٢.

في التفاخر والتكاثر... وطلب يبعث عليه باعث الرغبة في تطهير الأرض من المنكر، وإقامة معالم الحق)[١].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل الأنصار وحبهم للنبي ﷺ:

(لقد كان الجيل الإسلامي الأول الذي أنشأته دعوة النبي ﷺ وأحكمت تربيته من أفضل الأجيال البشرية في تاريخ الإنسان كله وقد وصفه أحد أفراده، عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ببلاغة نادرة وكلمات موجزة عميقة دقيقة، زاخرة بالمعاني الكبيرة البعيدة المدى)[٢]، فقال: (أبر الناس قلوبًا، وأعمقهم علمًا، وأقلهم تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه وإعزاز دينه)[٣] وكان من ذلك الجيل الأول "الأنصار" وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قول عائشة رضي الله عنها "إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح وكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا".

(ولما كان الأنصار قد أسدوا إلى كل مسلم يدًا بيضاء،وفعلة زهراء، من حيث إنهم آووا رسول الله ﷺ، ونصروه، وصبروا على حرب الأحمر والأسود معه، فكانت الهجرة إليهم، ونزول الوحي عليه في دارهم،وود كل مؤمن أن يُقْدر له أن يحسن جزاءهم، فلما فاته ذلك عدل عنه إلى حبهم، فلا يحبهم إلا عن إيمان منه برسالة محمد ﷺ، كما أنه إذا أبغضهم دلّ ذلك على نفاقه، فكان حبهم ناشئًا عن محض الإيمان)[٤].

ولذلك قال ﷺ: ((حُبُّ الأَنْصَارِ آيَةُ الإِيمَانِ. وَبُغْضُهُمْ آيَةُ النِّفَاقِ))[٥].

وقد بين النبي ﷺ عظم فضل الأنصار ومكانتهم فقال: ((لو أنَّ الأنصارَ سَلكوا واديًا أو شِعبًا لَسَلكتُ في وادي الأنصار، ولولا الهجرةُ لكنتُ امرَءًا منَ الأنصار. فقال

---

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ١٩١- ١٩٣.

(٢) انظر: النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن الندوي، ١٦١.

(٣) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله، ١٨١٠. وقال محققو الجامع والأثر لا بأس به.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٨٩/٦.

(٥) أخرجه مسلم ٧٤.

أبو هريرةَ: ما ظَلَمَ - بأبي وأُمي - آوَوْهُ ونصروهُ. أو كلمةً أخرى))[١].

وفي بيان ذلك قال ابن حجر: (قال الخطابي: أراد ﷺ بذلك استطابة قلوب الأنصار حيث رضي أن يكون واحدا منهم لولا ما منعه من سمة الهجرة، وأطال بذلك بما لا طائل فيه أ.هـ وقوله: (فقال أبو هريرة ما ظلم) أي ما تعدى في القول المذكور ولا أعطاهم فوق حقهم، ثم بين ذلك بقوله: "آووه ونصروه"، وقوله: "أو كلمة أخرى" لعل المراد وواسوه وواسوا أصحابه بأموالهم، وقوله: "لسلكت في وادي الأنصار" أراد بذلك حسن موافقتهم له لما شاهده من حسن الجوار والوفاء بالعهد، وليس المراد أنه يصير تابعا لهم، بل هو المتبوع المطاع المفترض الطاعة على كل مؤمن)[٢] وفي ذلك بيان لفضل الأنصار وحبهم للنبي ﷺ.

خامسًا - من واجبات المدعو الإحسان والتواصل مع الجيران:

قد ورد ذلك في الحديث من قول عائشة رضي الله عنها "إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار... إلخ" وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ﴾[٣].

وفي بيان ذلك قال السعدي: (... ثم بعدما أمر الله تعالى بعبادته والقيام بحقه،أمر بالقيام بحقوق العباد، الأقرب، فالأقرب، ثم ذكر الله تعالى من هذه الحقوق حق "الجار ذي القربى" أي الجار القريب،الذي له حقان، حق الجوار، وحق القرابة، فله على جاره حق وإحسان، راجع إلى العرف وكذلك "الجار الجنب" أي الذي ليس له قرابة، وكلما كان الجار أقرب بابًا، كان آكد حقًا. فينبغي للجار، أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة، والدعوة، واللطافة بالأقوال والأفعال، وعدم أذيته، بقول أو فعل)[٤] وفي ذلك

---

(١) أخرجه البخاري، ٣٧٧٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/١٤٠.

(٣) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٤٣.

بيان لضرورة الإحسان والتواصل مع الجيران ومشاركتهم في مناسباتهم والتعاون معهم وتحقيق مبادئ التعاون والتكافل الاجتماعي وما أمر به النبي الكريم ﷺ من إحسان للجيران خاصة والناس عامة.

الحديث رقم (٤٩١)

٤٩١ - وعن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، أنها كانَتْ تقول: وَاللهِ، يَا ابْنَ أُخْتِي، إنْ كُنَّا نَنْظُرُ إِلَى الهِلاَلِ، ثُمَّ الهِلالِ[١]: ثَلاَثَةُ أهلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَ فِي أبْيَاتِ رسول الله ﷺ نَارٌ. قُلْتُ: يَا خَالَةُ، فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قالت: الأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالمَاءُ، إلاَّ أنَّهُ قَدْ كَانَ لرسول الله ﷺ جيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، وكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ وَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رسول الله ﷺ مِنْ ألْبَانِهَا فَيَسْقِينَاهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

المنائح: جمع منيحة وهي: عطية الناقة أو الشاة للانتفاع بلبنها ثم إعادتها وردها[٣].

الشرح الأدبي

بداية الكلام بالقسم لصرف الاهتمام، وتوفير العناية به، والقسم في بداية الكلام يحقق التشويق لما بعده، ونداؤها له بهذه الصيغة، وهذا التركيب يدل على التودد، والتلطف، والمحبة، وقولها (إنْ كُنَّا نَنْظُرُ إِلَى الهِلاَلِ، ثُمَّ الهِلالِ: ثَلاَثَةُ أهلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ) فيه تفصيل، وإجمال يؤكد المعنى زادته تأكيداً بذكر الشهرين، وقولها (وَمَا أُوقِدَ فِي أبْيَاتِ رسول الله ﷺ نَارٌ) عدم ذكر الفاعل لعدم تقييده بمعين حتى يعم الجميع، وذكر الأبيات مبالغة في نفي إيقاد النار عنهم جميعاً، وقولها (الأسودان التمر، والماء) إطلاق الأسودين على التمر، والماء من باب التغليب، وهو أسلوب توشيع يحقق التوكيد، والتشويق، وقولها، وكانت لهم منائح هي جمع منيحة، وهي ناقة أو شاة، ينتفع بلبنها، ثم تعاد إلى أصحابها.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) عند مسلم: ثلاث مرات، وعند البخاري برقم ٢٥٦٧ مرتين.

(٢) أخرجه البخاري ٢٥٦٧، ومسلم ٢٩٧٢/٢٨ واللفظ له.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/٥، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ن ح).

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٤٩٢)

٤٩٢ - وعن أَبي سعيد المقبُريِّ، عن أَبي هريرة رضي الله عنه : أَنَّهُ مَرَّ بقَومٍ بَيْنَ أيديهِمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فَدَعَوْهُ فَأبَى أنْ يأْكُلَ. وقال: خرج رسول الله ﷺ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعيرِ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مَصْلِيَّة: مشويةٌ[2].

الشرح الأدبي

تربَّى أبو هريرة في مدرسة الرسول ﷺ، وكان من أكثر الصحابة ملازمة له، ومن أكثرهم رواية عنه، وقول الراوي (أَنَّهُ مَرَّ بقَومٍ بَيْنَ أيديهِمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ) تنكير القوم يشير إلى أنه لم يكن قاصداً لهم بل كان مروره عرضاً، وقوله (فأبى) يشير إلى أنه رفض بشدة، وقوله (خرج رسول الله ﷺ مِنَ الدُّنْيَا) كناية موته، وقوله (وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعيرِ) عدم شبعه ﷺ زهد أكثر منه فقراً، وقد مرت به أوقات كان يملك فيه المال، ولكن كان يزهد فيه، وينفقه في المسلمين ويقدمهم على نفسه، وآل بيته، ولذلك أبى أبو هريرة ﷺ أن يأكل من الشاة المشوية، وزهد كما رأى رسول الله ﷺ يفعل.

---

(١) برقم ٥٤١٤. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٨٣.

(٢) رياض الصالحين ٢٣٢.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﭫ على متابعة حال النبي ﷺ والتأسي به.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إخبار الصحابة ﭫ بالحالة المعيشية للنبي ﷺ.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: النفي.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: التنعم في الدنيا ليس دليلاً على تكريم الله للإنسان.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﭫ على متابعة حال النبي ﷺ والتأسي به:

(إن القرآن يدعو المؤمنين إلى اتباع الأنبياء، والأخذ بسيرتهم، والسير على نهجهم العام في الحياة والتشبه بهم ما أمكن، فيقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٢] ويأمر المسلمين بأن يدعوا دائمًا بقولهم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[٣] وجعل هذا الدعاء في صلب الصلاة، ولا شك أن في مقدمة هؤلاء المنعم عليهم وعلى رأسهم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وكلما كان الإنسان أتبع لسننه، وأكثر تخلقًا بأخلاقه وأشبه به هديًا ودلاً وسمتًا كان أقرب إلى الله وأعلى منزلة عنده)[٤].

وهذا ما ورد في نص الحديث من فعل أبي هريرة ﷺ في أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية، فدعوه فأبى أن يأكل، وقال: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير (وقد رأى أبو هريرة ﷺ أن ذلك من الترفهات وشأن المحب أن يتبع آثار

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٤٩٢- مع مضامين الحديث رقم (٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥).

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) سورة الفاتحة، الآيتان: ٦، ٧.

(٤) النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن الندوي، ١٠١-١٠٢.

محبوبه ويأتم بها، فلذا امتنع)[١].

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص ما يكون على متابعة حاله صلى الله عليه وسلم والتأسي به. فها هو ذا أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: (لست تاركًا شيئًا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به، وإني لأخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ)[٢]، وعن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مكان صلى فيه حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة، فيصبُّ في أصلها الماء لكيلا تيبس، وكان رضي الله عنه يتبع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآثاره وحاله، ويهتم به، حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك)[٣]، وفي ذلك بيان على حرص الصحابة رضي الله عنهم على متابعه حاله صلى الله عليه وسلم والتأسي به، وكيف لا وهو القدوة والأسوة الحسنة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: إخبار الصحابة رضي الله عنهم بالحالة المعيشية للنبي صلى الله عليه وسلم:

(مما لاشك فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم هو القدوة الصالحة، والأسوة الحسنة لأمته، وللأجيال البشرية على اختلاف الزمان والمكان، وقد اتجهت عناية الله تعالى إلى حفظ أخباره وآثاره وصفاته، وأخلاقه وعاداته وتصرفاته، وكان من وسائل ذلك إخبار الصحابة رضي الله عنهم بما كان منه صلى الله عليه وسلم في كل دقيق وجليل)[٤].

وهذا ما أشارت إليه الأحاديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير"، ومن قول أنس رضي الله عنه "لم يأكل النبي صلى الله عليه وسلم على خوان حتى مات..."، وأخيرًا من قول سهل بن سعد رضي الله عنه ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى، وفي إخبارهم رضي الله عنهم عن حال معيشته صلى الله عليه وسلم قال

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان، ٧٣٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠٩٢.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١٣، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣/٢٤١.

(٤) انظر: النبوة والأنبياء، أبو الحسن الندوي، ١٨٠.

عمر رضي الله عنه: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَلْتَوِي، فِي الْيَوْمِ، مِنَ الْجُوعِ. مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ))[١] قال القرطبي: (هذه الأحاديث كلها، وإن اختلفت ألفاظها تدل على: أن النبي ﷺ لم يكن يديم الشبع،ولا الترفُّه في العيش، لا هو ولا من حوته بيوته، ولا آله. بل كانوا يأكلون ما خشن من المآكل العلق، ويقتصرون منه على ما يسدّ الرمق،معرضين عن متاع الدنيا مؤثرين ما يبقى على ما يفنى ثم لم يزل كذلك حالهم مع إقبال الدنيا عليهم واجتماعها بحذافيرها إلى أن وصلوا إلى ما طلبوا، وظفروا بما فيه رغبوا)[٢]. وفي أهمية الإخبار بذلك قال ابن علان: (وفي ذلك إعلام بحقارة الدنيا، وأنها ليست بحيث ينظر إليها ﷺ، وفي ذلك تحريضٌ لأمته على الزهد فيها والإعراض عما زاد على الحاجة)[٣].

وفي بيان خشونة عيشه ﷺ قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ((كَانَ ضِجَاعُ رَسُولِ اللَّهِ أَدَمًا حَشْوُهُ لِيفٌ))[٤] وقال أنس رضي الله عنه سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ مِرَارًا: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَصْبَحَ عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ صَاعُ حَبٍ وَلاَ صَاعُ تَمْرٍ. وَإِنَّ لَهُ، يَوْمَئِذٍ، تِسْعَ نِسْوَةٍ))[٥]، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال ((أخرجَت إلينا عائشةُ كِساءً وإزارًا غليظًا فقالت: قُبِضَ روحُ النبيِّ ﷺ في هذين))[٦]، وفي ذلك بيان على خشونة العيش التي كان عليها رسول الله ﷺ، وفي ذلك قال ابن عثيمين (لو شاء ﷺ لصارت الجبال معه ذهبًا، ولكنه اقتصر من الدنيا على الضروري منها فقط، وادخر حظه في الآخرة)[٧].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٤١٤٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٤٥).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٢٨/٧-١٢٩.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٧٣٦.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٤١٥١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٤٨).

(٥) أخرجه ابن ماجه ٤١٤٧، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٤٦).

(٦) أخرجه البخاري ٥٨١٨.

(٧) شرح رياض الصالحين ٨٠٣/١.

وقد كان زهده ﷺ عن غنى زهدت فيه نفسه، وما كان جوعه من إقلال ولقد رأى عليه السلام جبل أحد مرة فعبر عن منهجه بقوله: ((ما يسُرُّني أن عندي مِثلَ أحد هذا ذَهبًا تمضي عليَّ ثالثةٌ وعندي منه دينار، إلا شيئًا أرصُدُهُ لِدَين، إلا أن أقولَ به في عبادِ الله هكذا وهكذا وهكذا عن يَمينهِ، وعن شِماله، ومِن خلفهِ ثم مشى ثم قال: إن الأكثرينَ همُ المقلونَ يومَ القيامة، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شِمالهِ ومن خلفهِ وقليلٌ ما هم))[1].

(وفي ذلك بيان على أن الزهد وتجريد القلب من أهواء المتاع الأدنى، ليس معناه أبدًا الامتناع عن تحصيله، والسعي إليه بكل الوسائل والأسباب الشريفة... إن تجريد القلب ينشئ في نفس صاحبه حاجات ومطالب لله، فينبعث نداء هذه المطالب إلى السعي والتحصيل، بهمة لا تقل عن همة المنهمكين في أمور الدنيا ثم بعد تحصيل المرء لهذه المطالب الدنيوية لا يأخذ منها إلا كفاية بدنه ثم يرصد سائر ذلك من أعراض الدنيا وأموالها لأحد أمرين أو لكليهما: الأول: تفريج كروب الناس، وتخفيف ما ينزل بهم، وتيسير مصالحهم، والثاني: أنه لابد للحق من قوة مادية تكون من أسباب حراسته ونصرته... والقوة مال، وسلاح، وجنود مدربون فليرصد المرء من ماله، لينفق في هذه الأغراض، وليعمل على الاستكثار من هذا المال واستخلاصه من أيدي أعوان الشر وجنوده، بكل ما يسعه من علم وحيلة ووسيلة...، فإذا جاز له أن يفرح بما جمع، فليفرح لا لنفسه بل لأنه استكثر للحق من أسباب العون والنصر)[2]، وهذا عين الزهد وحقيقته وفي ذلك كمال الدين ورفعته.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: النفي:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من نفي الصحابة رضي الله عنهم تعلق النبي ﷺ بالدنيا، وإعراضه ﷺ عنها وتركه التنعم بها، وذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه "... ولم يشبع من خبز الشعير"، ومن قول أنس رضي الله عنه لم يأكل...، وما أكل "ومن قول

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٦٨.

(٢) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ١٩٥-١٩٦ بتصرف يسير.

سهيل رضي الله عنه: "ما رأى..." فالنفي من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على إظهار الحقائق وتوضيحها لدى المدعوين.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: التنعم في الدنيا ليس دليلاً على تكريم الله للإنسان:

إن الدنيا دار ابتلاء والآخرة دار جزاء وبقاء، والتنعيم في الدنيا ليس دليلاً على تكريم الله للإنسان. وخير شاهد على ذلك ما ورد في الأحاديث مما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من شدة العيش، فإن كان الإنسان قائمًا بمعصية الله تعالى، وهو مُنعَّمٌ في الدنيا فليس ذلك دليلاً على تكريم الله تعالى له، قال ﷺ: ((إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ، ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[1]))[2].

قال ابن كثير في قوله تعالى: ("فلما نسوا ما ذكروا به" أي: أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم "فتحنا عليهم أبواب كل شيء" أي فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالى وإملاء لهم؛ ولهذا قال "حتى إذا فرحوا بما أوتوا" أي من الأموال والأولاد والأرزاق "أخذناهم بغتة" أي: على غفلة "فإذا هم مبلسون" أي: آيسون من كل خير)[3]، فعلى المرء أن يعلم أن معصيته لله تعالى مع تنعمه في الدنيا ليس دليلاً على تكريم الله تعالى له بل هو استدراج لعذاب أليم.

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٤٤.

(٢) أخرجه أحمد ١٤٥/٤ رقم ١٧٣١١، وقال محققو الإسناد، حديث حسن ٥٤٧/٢٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٥٦/٣.

الحديث رقم (٤٩٣)

٤٩٣ - وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: لَمْ يَأكُلِ النَّبيُّ ﷺ عَلَى خِوَانٍ حَتَّى مَاتَ، وَمَا أكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا حَتَّى مَاتَ. رواه البخاري[1].

وفي رواية لَهُ[2]: وَلاَ رَأى شَاةً سَمِيطًا بعَيْنِهِ قَطُّ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الخِوانِ: المائدة المعدة[3].

خبزًا مرقَّقًا: قال القاضي عياض: أيْ مليئًا محسنًا[4].

شاةً سميطًا: السميط هو ما أزيل شعره بالماء المسخن وشُوي بجلده أو طبخ، وهو من فعل المترفين، وفي النهاية: شاةً سميطًا: مشويّة[5].

الشرح الأدبي

الحديث من جملة الأحاديث الوصفية التي تتبع أحوال النبي في مختلف شؤون حياته وقد جاء في أسلوب خبري لا يتوقع شكاً، أو معارضة، مع إقبال من المخاطبين، ولذلك لم يؤكد، وقد بدأ بأسلوب النفي الجازم المباشر لأكل الرسول ﷺ على خوان، وهي ما يوضع عليه الطعام، لأنه لم يكن يحفل بتلك المظاهر الدنيوية التي لا تقدم، ولا تؤخر، وعطف عليه نفياً آخر يؤكد النفي الأول، ويقرر نفي شيء آخر، وهو أكله

---

(١) برقم ٦٤٥٠. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٨٩.

(٢) أخرجها البخاري ٥٤٢١. أوردها المنذري في ترغيبه ٤٧٨٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤١/٩، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٧٠/٢.

(٤) المرجع السابق ٤٤١/٩.

(٥) المرجع السابق ٤٤١/٩، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س م ط).

الخبز المرقق، وهذا النفي يثبت ضمناً أنه كان يأكل الخبز الغليظ لأن همه أعظم من النظر في نوع الطعام، وإنما كان يتناول منه ما يقيم صلبه مما لابد منه.

المضامين الدعوية[١]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٤٩٤)

٤٩٤ - وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ نَبيَّكُمْ ﷺ، وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٠).

غريب الألفاظ:

الدَّقَل: رديءُ التَّمْر[٢].

الشرح الأدبي

المعنى في الحديث مبني على الرؤية البصرية، وأسلوبه وصفي كسابقه، وقد أكد الفعل باللام الموطئة للقسم، وقد التي تفيد تحقيق الفعل الماضي؛ لأنها أحداث وقعت أراد أن ترسخ في قلوبهم، وتصير بين أعينهم لتكون مرجعاً لهم في الصبر على ما سيلاقون من شدائد الحياة، وتنسحب على كل مسلم في أي زمان، ومكان حتى لا ييئس من رحمة الله لعلمه أنها سنته فيمن يحب، وأضاف النبي لهم استمالة لقلوبهم مع ما فيه من تشريف لهم، والتعبير بالدقل، وهو رديء التمر يشير إلى ما مر بهم من الشدائد، وشظف العيش، ولو شأ الرسول ﷺ لجعل له الله أحداً ذهباً، ولكنه يرجو الآخرة، ويدخر ثوابه عند ربه.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) برقم ٢٩٧٧/٣٤. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٩٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (د ق ل).

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا -٤٩٤- مع مضامين الحديث رقم (٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٥).

الحديث رقم (٤٩٥)

٤٩٥ - وعن سهلِ بن سعد رضي الله عنه، قَالَ: مَا رَأى رسول الله ﷺ النَّقِيَّ مِنْ حِين ابْتَعَثَهُ الله تَعَالَى حَتَّى قَبضَهُ الله تَعَالَى. فقِيلَ لَهُ: هَلْ كَانَ لَكُمْ فِي عَهدِ رسول الله ﷺ مَنَاخِلُ؟ قَالَ: مَا رَأى رسول الله ﷺ مُنْخُلاً مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ تَعَالَى، فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَأكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مَنْخُولٍ؟ قَالَ: كُنَّا نَطحَنُهُ وَنَنْفُخُهُ، فيَطِيرُ مَا طَارَ، وَمَا بَقِيَ ثَرَّيْنَاهُ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

النّقيّ: الخبز الحواري، وهو: الدَّرمكُ، أي: المنخول دقيقُه[2].

مناخل: جمع منخل، وهو الغربال[3].

ثرّيناهُ: بلَّلناهُ وعجنَّاهُ[4].

الشرح الأدبي

الحديث من نوعية سابقيه يعتمد الأسلوب الوصفي، ويقوم في بعض مراحله على الحوار خلال السؤال، والجواب، وقد بدأ بأسلوب النفي، وهو أسلوب خبري يقرر الحقائق في ثقة دون مؤكدات (مَا رَأى رسول الله ﷺ النَّقِيَّ)، وهو الخبز الحواري، ونفي الرؤية أكثر مبالغة في نفي الأكل من تسليط النفي على فعل الأكل المباشر، وقولهم) هَلْ كَانَ لَكُمْ فِي عَهدِ رسول الله ﷺ مَنَاخِلُ ؟) وهي الأداة التي كان ينقى

---

(١) برقم ٥٤١٣ وزاد في آخره: (فأكلناه). أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٩١.

(٢) رياض الصالحين ٢٢٣ ، والدرْمك: الدقيق الأبيض. والخبز الحوّاري الخبز المتخذ من الدقيق الأبيض. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (د ر م ك)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٦٦.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨٧٠.

(٤) رياض الصالحين ٢٢٣.

بها المطحون، وقوله (مَا رَأَى رسول الله ﷺ مُنْخُلاً) سلط النفي على فعل الرؤية، لأنه أبلغ في نفي الأكل مما استخدم فيه، وتنكير (منخلاً) للتعميم وهذا يشير إلى أنها كانت حالة عامة تشمل المجتمع كله، أو أكثر ؛لأنه لو كان شائعاً مستخدماً لرآه في مكان ما، وتكرار جملة (مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى) يشير إلى أن الدعوة استغرقت أقطار نفسه، فلم يكن له هم سواها، ولم ينشغل إلا بما يتعلق بها، والطعام آخر ما يفكر فيه، ولإتمام ما هو فيه .

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٤٩٥- مع مضامين الحديث (٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤).

الحديث رقم (٤٩٦)

٤٩٦ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: خرجَ رسولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإذَا هُوَ بأَبي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما ، فَقَالَ: ((**مَا أخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُما هذهِ السَّاعَةَ؟**)) قَالا: الجُوعُ يَا رسول الله. قَالَ: ((**وَأنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لأخْرَجَنِي الَّذِي أخْرَجَكُما، قُومَا**)) فقَامَا مَعَهُ، فَأتَى رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، فَإذَا هُوَ لَيْسَ في بيْتِهِ، فَلَمَّا رَأتْهُ المَرْأَةُ، قالت: مَرْحَبًا وَأهلاً. فقال لَهَا رسول الله ﷺ: ((**أيْنَ فُلانٌ؟**)) قالت: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لنَا[1] المَاءَ. إذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إلَى رَسُول الله ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الحَمْدُ للهِ، مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أكْرَمَ أضْيَافًا مِنِّي، فَانْطَلَقَ فَجَاءهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا[2]، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: ((**إيَّاكَ وَالْحَلُوبَ**)) فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ العِذْقِ وَشَرِبُوا. فَلَمَّا أنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رسول الله ﷺ لأَبي بَكْر وَعُمَرَ رضي الله عنهما: ((**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ القِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ**)) رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يستعذب: أي يطلب الماء العذب[4].

العِذق: بكسر العين وإسكان الذال المعجمة وهو الكِباسة، وهي الغُصْنُ[5].

البسر: التمر قبل إرطابه[6].

---

(١) عند مسلم زيادة: (من).

(٢) عند مسلم زيادة: (من هذه).

(٣) برقم (١٤٠/٢٠٣٨). أورده المنذري في ترغيبه (٤٨٢٢).

(٤) رياض الصالحين ٢٣٤.

(٥) رياض الصالحين ٢٣٤.

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٧٤/٢.

المُديَةَ: السكين[١].

الحلُوب: ذات اللبن[٢].

رووا: شربوا وشبعوا[٣].

والسؤال عن هذا النعيم: سؤال تعديد لا سؤال توبيخ وتعذيب[٤].

وهذا الأنصاري الذي أتوه هو أبو الهيثم بن التيِّهان، كذا جاء مبينًا في رواية الترمذي وغيره[٥].

الحديث يحكي موقفا من المواقف المعلمة للبشرية لنبي مرسل، حكم دولة مترامية الأطراف في موقف الجوع، والشدة التي دعتهم للخروج وقول الرسول ﷺ (مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُما هذِهِ السَّاعَةَ ؟) استفهام على حقيقته، وقوله في هذه الساعة يشير، إلى أنه ليس وقت خروج معتاد لهما، وقوله (وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) قسم الرسول بهذه الصيغة مع تقديم الضمير (أنا) الدال على الاختصاص فيه إيناس لهما، وشد من أزرهما؛ لأنه إن كان النبي ﷺ في نفس الحال، وهو صاحب المكانة التي لا مطمع فيها لغيره، فالأمر بالنسبة لهما أهون، وبين قوله (أخرجني، وأخرجكما) جناس يؤكد المعنى الدافع للخروج المتفق في حالهم جميعا، وربط الأحداث بالفاء المؤذنة بالسرعة في قوله (قُوما) فقَامَا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بيْتِهِ) يدل على شدة الجوع التي تدفعهم إلى سرعة الاستجابة في البحث عما يطفيء نار الجوع، ولا يحرك أمثال هؤلاء العظماء إلا جوع بلغ المدى واستمر أياماً، وقوله (فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بيْتِهِ) يوحي بالمفاجأة التي تهدد باستمرار ثورة الجوع، وقول الرجل بعد مجيئه (الحَمْدُ

---

(١) رياض الصالحين ٢٣٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر و ى).

(٤) رياض الصالحين ٢٣٤.

(٥) المرجع السابق ٢٣٤

للهِ، مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافاً مِنِّي) يدل على فرحه وسروره بضيوفه، وحقٌّ له يدل على ذلك تقديمه الحمد بين يدي الكلام علامة على النعمة، ثم النفي الداخل على النكرة الدالة على العموم (ما أحد) وأفعل التفضيل الدالة على اعتزازه بهم، والتعبير بالانطلاق، واستخدام الفاء في الربط بين الجمل في قوله (فَانْطَلَقَ فَجَاءهُمْ) يوحي بحفاوة الرجل برسول ﷺ وصاحبيه، وقوله (وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ) يشير إلى نية الذبح إكراماً لهم، وقول الرسول ﷺ للرجل (إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ) أسلوب تحذير يحافظ على المصلحة العامة في أشد الظروف؛ لأن ذبح الحلوب قطع لمصدر من مصادر الطعام، وإن كانت الصورة تبدو بسيطة لكنها تعكس نظرة اقتصادية عظيمة، وقول الرسول: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ القِيَامَةِ) قسم يعظّم الخبر، ويؤكد المعنى، ويرفع درجة الترقب في نفس شخصيتين مؤثرتين في تاريخ البشرية ينمي في نفوسهما الإحساس بنعمة الله أكثر، وأكثر؛ لأنهما في القدر يُهيئان لمهمة عظمى، وقد صعَّد الإحساس بتوكيد الفعل باللام، ونون التوكيد (لتسألن) والإشارة لاستحضار النعمة، حتى ينظر كل مسلم ما بين يديه من نعم الله التي لا تعد، ولا تحصى، وذكر الظرف يوم، وإضافته للقيامة يعطي فعل السؤال أبعادا أخرى في الشدة، والصعوبة تنبع من طبيعة اليوم، وبين قوله أخرجكم، ورجعتم طباق يقرر النعمة ببيان المفارقة بين حالة الخروج في الجوع، وحالة الرجوع في الشبع، فتأمل حالهم في مرة شبعوا فكيف بمن يتقلب في نعم الله ليل نهار، وقد غفل عن شكره؟

فقه الحديث

ذكر النووي لهذا الحديث من الفوائد ما يجدر أن نذكره هنا:

١ - جواز ذكر الإنسان ما يناله من ألم ونحوه، لا على سبيل التشكي وعدم الرضا، بل للتسلية والتصبر، كفعله ﷺ هنا، ولالتماس دعاء أو مساعدة على التسبب في إزالة ذلك العارض، فهذا كله ليس بمذموم، إنما يذم ما كان تشكيًا وتسخطًا وتجزعًا.

٢ - جواز الحلف من غير استحلاف.

٣ - جواز الإدلال على الصاحب الذي يوثق به، واستتباع جماعة إلى بيته.

٤ - استحباب إكرام الضيف بقول (مَرْحَبًا وأهلاً) وشبهه، وإظهار السرور بقدومه، وجعله أهلاً لذلك، كل هذا وشبهه إكرام للضيف، وقد قال ﷺ: ((من كان يُؤمن بالله واليوم الآخِرِ فليُكرِم ضَيفَه))[١].

٥ - جواز سماع كلام الأجنبية ومراجعتها الكلام للحاجة[٢].

٦ - جواز إذن المرأة في دخول منزل زوجها لمن علمت علمًا محققًا أنه لا يكرهه بحيث لا يخلو بها الخلوة المحرمة.

٧ - استحباب حمد الله تعالى عند حصول نعمة ظاهرة، وكذا يستحب عند اندفاع نقمة كانت متوقعة، وفي غير ذلك من الأحوال.

وقد قال النووي في الأذكار: (يستحب لمن تجددت له نعمة ظاهرة، أو اندفعت عنه نقمة ظاهرة، أن يسجد شكرًا لله تعالى، وأن يحمد الله تعالى أو يثني عليه بما هو أهله، والأحاديث والآثار في هذا كثيرة مشهورة، روينا في صحيح البخاري عن عمرو بن ميمون الأودي في مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الشورى الطويل: (أن عمر أرسل ابنه عبدالله إلى عائشة رضي الله عنها يستأذنها أن يدفن مع صاحبيه فلما أقبل عبدالله بن عمر، قال عمر: ما لديك؟ قال الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت، قال: الحمد لله، ما كان شيء أهمّ إلي من ذلك)[٣].

وروينا في كتاب الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ رَأى مُبْتَلًى فَقَالَ الْحَمدُ لله الّذي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاَكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ البَلاَءُ))[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٧٥، ومسلم ٤٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢/١٩٥.

(٣) أخرجه البخاري ٣٧٠٠.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٤٣٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٢٩).

قال النووي: (قال العلماء من أصحابنا وغيرهم: ينبغي أن يقول هذا الذكر سرًا بحيث يسمع نفسه ولا يسمعه المبتلى لئلا يتألم قلبه بذلك، إلا أن تكون بليته معصية فلا بأس أن يسمعه ذلك إن لم يخف من ذلك مفسدة)[١].

٨ - استحباب إظهار البشر والفرح بالضيف في وجهه وحمد الله تعالى، وهو يسمع، على حصول هذه النعمة، والثناء على ضيفه إن لم يخف عليه فتنة، فإن خاف لم يثن عليه في وجهه؛ وهذا طريق الجمع بين الأحاديث بجواز ذلك ومنعه[٢].

٩ - استحباب تقديم الفاكهة على الخبز واللحم وغيرهما.

١٠ - استحباب المبادرة إلى الضيف بما تيسر، وإكرامه بعده بطعام يصنعه له لا سيما إن غلب على ظنه حاجته في الحال إلى الطعام، وقد يكون شديد الحاجة إلى التعجيل وقد يشق عليه انتظار ما يصنع له: لاستعجاله للانصراف.

حكم التكلف:

كره جماعة من السلف التكلف للضيف، وهو محمول على ما يشق على صاحب البيت مشقة ظاهرة؛ لأن ذلك يمنعه من الإخلاص وكمال السرور بالضيف، وربما ظهر عليه شيء من ذلك فيتأذى به الضيف، وقد يحضر شيئًا يعرف الضيف من حاله أنه يشق عليه، وأنه يتكلفه له فيتأذى لشفقته عليه، وكل هذا مخالف لقوله ﷺ: ((من كان يُؤمن بالله واليوم الآخِرِ فلْيُكرِم ضَيفَه)) لأن أكمل إكرامه، إراحة خاطره، وإظهار السرور به.

١١ - جواز الشبع، وما جاء في كراهة الشبع فمحمول على المداومة عليه، لأنه يقسي القلب وينسي أمر المحتاجين[٣].

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٢٢، ٢٢٨.

(٢) انظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٠٨-٢١١.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٧/١٣/٧-١٨٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: معاناة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ألم الجوع.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: القسم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الأنصار رضي الله عنهم وإكرامهم للنبي ﷺ.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: السؤال عن النعيم.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

إن الإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوة ربه وسنة نبيه ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[(٢)]، فبالإخبار تكون الدعوة إلى الله تعالى وهي أكرم الأعمال، وأشرف الغايات، وأنبل المقاصد.

وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قول الراوي: (خرج رسول الله ﷺ ذات يوم... إلخ)، حيث أفاد الإخبار في هذا الحديث خروج النبي ﷺ وهو يعاني ألم الجوع؛ وصادف ذلك خروج أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقد خرجا لنفس السبب الذي خرج النبي ﷺ لأجله، وقد أفاد ذلك تلك الحالة المعيشية التي كان النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم يعيشونها.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: معاناة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ألم الجوع:

لقد كان نبي الإسلام ﷺ أعظم نبي وأفضل رسول، وكان الصحابة رضي الله عنهم أعظم جيل شهدته البشرية، فلم تشغلهم شهوة أو رغبة دنيوية عن نشر دينهم وتطبيق سنة نبيهم، وكأن لسان حالهم يقول:

دعوني أجدُّ السعي في طلب العلا ... فأدرك سؤلي أو أموت فأعذرا

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٧.

وقد عانوا من الجوع وشدته، لأنه لم يكن لهم غاية أو مقصد، وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من قوله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: (ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟، قالا: الجوع يا رسول الله، قال: وأنا، والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما... إلخ)، قال القرطبي: (قوله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: "ما أخرجكما من بيوتكما؟" قالا: الجوع. قال: "وأنا أخرجني الذي أخرجكما" هذا يدل على شدة حالهم في أول أمرهم وسبب ذلك: أن أهل المدينة كانوا في شظف من العيش عندما قدم عليهم النبي ﷺ مع المهاجرين وكان المهاجرون فرُّوا بأنفسهم، وتركوا أموالهم، وديارهم، فقدموا فقراء على أهل شدة، وحاجة، مع أن الأنصار رضي الله عنهم واسوهم فيما كان عندهم، وشركوهم فيما كان لهم، ومنحوهم، وهادوهم، غير أن ذلك ما كان يسد خلاتهم، ولا يرفع فاقاتهم، مع إيثارهم الضراء على السراء، والفقر على الغنى. ولم يزل ذلك دأبهم إلى أن فتح الله عليهم وادي القرى، وخيبر، وغير ذلك؛ فردوا لهم منائحهم، واستغنوا بما فتح الله عليهم. ومع ذلك فلم يزل عيشهم شديدًا، وجهدهم جهيدًا حتى لقوا الله تعالى مؤثرين بما عندهم، صابرين على شدة عيشهم، معرضين عن الدنيا وزهرتها ولذاتها. مقبلين على الآخرة، ونعيمها، وكراماتها، فحماهم الله ما رغبوا عنه، وأوصلهم إلى ما رغبوا فيه. حشرنا الله في زمرتهم واستعملنا بسنتهم)[1].

وفي بيان معاناته ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم لألم الجوع، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (رَأَى أَبُو طَلْحَةَ رَسُولَ اللهِ مُضْطَجِعًا فِي الْمَسْجِدِ. يَتَقَلَّبُ ظَهْرًا لِبطْنٍ. فَأَتَى أُمَّ سُلَيْمٍ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ مُضْطَجِعًا فِي الْمَسْجِدِ. يَتَقَلَّبُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ وَأَظُنُّهُ جَائِعًا، وفي رواية: وَقَدْ عَصَّبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ فهَلْ عندك مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ.. إلخ)[2]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يظل اليوم يلتوي ما يجد دقلاً يملأ به بطنه)[3]، أما في معاناة أصحابه رضي الله عنهم فقال أبو هريرة رضي الله عنه: (لقد رأيتني وإني لأخِرُّ

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٠٥/٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٤٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٩٧٨.

فيما بينَ مِنبر رَسول اللّه ﷺ إلى حُجرةِ عائشَةَ مَغشيًّا عليّ، فيجيء الجائي فيضَعُ رجلهُ عَلَى عنقي ويُرَى أني مجنون وما بي من جُنون، ما بي إلاّ الجوع)[1]، فقد كانت همة الجيل الأول همة عالية، لا ترمق إلا مجد الآخرة، فزهدوا في الدنيا تحقيرًا للذائذها فلم يشغلهم عن غايتهم جوع أو ضعف، فبلغوا غايتهم في إقامة دين ربهم وسنة نبيهم ﷺ فسادوا وملكوا.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: القسم:

إن القسم بإيجازه وقصره يلائم الطبع العربي الفصيح الذي تكفيه الإشارة وتقنعه اللمحة ويستنتج بالهمسة، وقد عرفه الناس قديمًا واستعملوه تأكيدًا لخبر، أو تعظيمًا لشيء. أو جمع لانتباه حول غاية[2]، وهذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: (والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما)، مؤكدًا ﷺ على خروجه من أجل دفع ألم الجوع.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل الأنصار وإكرامهم للنبي ﷺ:

إن من المعجزات التي أكرم الله تعالى بها نبيه ﷺ أصحابه ﷺ فقد كانوا أشد الناس حبًا وإيثارًا للنبي ﷺ على أنفسهم وأموالهم، وهذا ما أشار إليه الحديث من فعل الأنصار في قول الراوي: (فأتى رجلاً من الأنصار.. إلخ).

قال القرطبي: (اسم هذا الرجل الأنصاري مالك بن التيهان، ويكنى أبا الهيثم، وفي هذه القصة يقول عبدالله بن رواحة يمدح بها أبا الهيثم بن التيهان:

فَلَمْ أرَ كالإسلامِ عِزًا لأِمّةٍ ... ولا مِثلَ أضيافِ الإراشيّ مَعْشَرَا
نبيّ وصِدِّيقٌ وفاروق أمّة ... وخير بني حوّاء فرعًا وعُنْصُرا
فوافَوْا لِميقاتٍ وقَدْرِ قَضيةٍ ... وكان قضاء الله قَدْرا مُقَدَّرَا
إلى رجلٍ نَجْدٍ يُباري بجودهِ ... شُموسَ الضُّحَى جودًا ومجدًا ومَفخرا
وفارِسِ خلقِ الله في كل غارةٍ ... إذا لبس القومُ الحديدَ المُسَمَّرَا

---

(١) أخرجه البّخاري ٧٣٢٤.

(٢) الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد غلوش، ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

فَفَــدًى وحَيّــا ثــم أدْنَــى قِــراهُمُ   فلَــمْ يَقْــرِهِمْ إلاَّ سَــمِينًا مُتَمَّــرَا [١]

وفي بيان فضل الأنصار وإكرامهم للنبي ﷺ، قال تعالى - مادحًا لهم، ومبينًا شرفهم وكرمهم وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة - : ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

قال ابن كثير: (أي: سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم.. ثم قال تعالى: يحبون من هاجر إليهم، أي: من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم)[٣]، وفي ذلك قال ﷺ: ((لو أنَّ الأنصارَ سلكوا واديًا أو شِعبًا لَسلكتُ في وادِي الأنصار، ولولا الهجرةُ لكنتُ امرءًا منَ الأنصار. فقال أبو هريرةَ: ما ظَلَمَ - بأبي وأُمي - آوَوهُ ونصروهُ. أو كلمةً أخرى))[٤]، قال ابن حجر: (فقال أبو هريرة رضي الله عنه: ما ظلم أي ما تعدى في القول المذكور ولا أعطاهم فوق حقهم، ثم بين ذلك بقوله: "آووه ونصروه"، وقوله: "أو كلمة أخرى" لعل المراد وواسوه وواسوا أصحابه بأموالهم)[٥]، وفي ذلك بيان لفضل الأنصار وإكرامهم للنبي ﷺ.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: السؤال عن النعيم:

مما لا شك فيه أن كل امرئ موقوف بين يدي ربه ومسؤول عما قدم وآخر، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم"، وقد أكد الحق تبارك وتعالى على ذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[٦]، وقال: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٧]، وقال:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٢/٤٥٨.

(٢) سورة الحشر، آية: ٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٦٨.

(٤) أخرجه البخاري ٣٧٧٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/١٤٠.

(٦) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

(٧) سورة يونس، آية: ٢٣.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[٢]، قال ابن كثير: (أي: ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته)[٣]، وقال القرطبي نقلاً عن الماوردي: (إن هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن، إلا أن سؤال المؤمن تبشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، وسؤال الكافر تقريع أن قابل نعيم الدنيا بالكفر والمعصية...، وقال القشيري: إن الكل يسألون، ولكن سؤال الكافر توبيخ؛ لأنه قد ترك الشكر. وسؤال المؤمن سؤال تشريف؛ لأنه شكر. وهذا النعيم في كل نعمة)[٤]، فعلى المرء أن يلتزم الجادة ويقدم لنفسه ما ينفعه بين يدي ربه يوم سؤاله وذلك بشكره تعالى على نعمه وآلائه، والشكر يكون بالقلب خضوعًا واستكانة، وباللسان ثناء واعترافًا، وبالجوارح طاعة وانقيادًا[٥].

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ ، ٨.

(٢) سورة التكاثر، آية: ٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٧٤/٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٦٠/٢٢.

(٥) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٥٧٩/٢ - ٥٨٠.

الحديث رقم (٤٩٧)

٤٩٧ - وعن خالد بن عُمَيْر العَدَوِيِّ، قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ (وَكَانَ أمِيرًا عَلَى البَصْرَةِ) [١]، فَحَمِدَ اللهَ وَأثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أمَّا بَعْدُ، فَإنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإنَاءِ يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لاَ زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أنَّ الحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفِيرِ [٢] جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا، لاَ يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَاللهِ لَتُمْلأَنَّ أفَعَجِبْتُمْ؟! وَلَقدْ ذُكِرَ لَنَا أنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسيرَةُ أرْبَعِينَ عَامًا، وَلَيَأتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ، وَلَقَدْ رَأيْتُنِي سَابعَ سَبْعَةٍ مَعَ رسول الله ﷺ، مَا لَنَا طَعَامٌ إلاَّ وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرِحَتْ أشْدَاقُنَا، فَالتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا، وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا، فَمَا أصْبَحَ اليَوْمَ مِنَّا أحَدٌ إلاَّ أَصْبَحَ أمِيرًا عَلَى مِصرٍ مِنَ الأَمْصَارِ، وَإنِّي أعُوذُ باللهِ أنْ أكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا، وَعِنْدَ اللهِ صَغِيرًا. رواه مسلم [٣].

ترجمة الراوي:

عتبة بن غَزْوان: وهو عتبة بن غَزْوان - بفتح المعجمة وسكون الزاي - بن جابر بن وهب المازني، حليف بني نوفل، وقيل بني عبد شمس، يكنى أبا عبدالله، وقيل أبو غزوان.

له صحبة ورواية، روى عن النبي ﷺ (٤) أحاديث، وروى له مسلم وأصحاب السنن.

وكان رضي الله عنه من السابقين الأولين إلى الإسلام، حدث عن نفسه قائلاً ((ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا - أي صار فيها قروح وجراح من خشونة الورق الذي نأكله وحرارته - فالتقطت بردة

---

(١) هذا من زيادة إسحاق بن عمر كما في الرواية التي بعدها.

(٢) لفظ مسلم: شفة.

(٣) برقم ٢٩٦٧/١٤ وزاد في آخره: (وإنها لم تكن نبوّة قط إلا تناسخت، حتى يكون آخر عاقبتها ملكا، فستخبرون وتجربون الأمراء بعدنا). أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٤٦.

فشققتها بيني وبين سعد بن مالك، فاتّزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميرًا على مِصرٍ من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيمًا عند الله...)) الحديث الذي نحن بصدده.

وكان ممن هاجر الهجرتين، فهاجر إلى الحبشة، ثم قدم على النبي ﷺ وهو بمكة، وأقام معه حتى هاجر إلى المدينة رفيقًا للمقداد، وكان عتبة وقتها ابن (٤٠) سنة، وآخى الرسول ﷺ بينه وبين أبي دجانة، وكان رضي الله عنه من الرماة المذكورين المعدودين من أصحاب رسول الله ﷺ، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وشهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص، وولاه عمر بن الخطاب في الفتوح، ومن بين هذه الفتوحات، البصرة، سيره عمر إلى أرضها وكانت تسمى الأُبلة أو أرض الهند، وكانت من فارس، واختط البصرة من جديد وكان هو أول من قصَّرها وعمّرها وأمر محجن بن الأدرع فاختط مسجد البصرة الأعظم، وبناه بالقصب، ولم يبن عتبة لنفسه فيها دارًا، أما عن صفاته الخَلْقِيّة فكان رجلاً طوالاً جميلاً وعن وفاته، قالوا إنه لما اختط البصرة وولاه عمرُ عليها، خرج حاجًا، وخَلَّف مجاشع بن مسعود، وأمره أن يسير إلى الفرات، وأَمَرَ المغيرة بن شعبة أن يُصلي بالناس، فلم ينصرف عتبة من سفره ذلك في حجته حتى مات، فأقر عمرُ المغيرة بن شعبة على البصرة، وكان عتبة قد استعفى عمرَ عن ولايتها فأبى أن يعفيه فقال: (اللهم لا تردني إليها)، فسقط عن راحلته، وقيل أصابه بطن، فمات، بموضع يُقال له مَعْدِنُ بني سليم، وقيل بمكان يسمى "الرَّبَذة" وقيل بالمدينة المنورة، سنة (١٤) أو (١٥) أو (١٧) وقيل سنة (٢٠)، مات وهو ابن سبع وخمسين سنة، وقدم غلامه "سُويد" بمتاعه وتركته إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما جميعًا[1].

---

(١) طبقات ابن سعد ٩٨/٣، ٩٩، ٥/٧-٨، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٥٦٥، ٥٦٦، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٥٥٨/٣-٥٦٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٨٨٢، ٨٨٣، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٠٤/١-٣٠٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٩٧/٥، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٣/٣، والأعلام، خير الدين الزركلي ٢٠١/٤، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٣٠٩/٢، ١٣١٠.

غريب الألفاظ:

آذنت: آذنت أعلَمَتْ. بصرم: بانقطاعها وفنائها[١].

حذّاء: سريعة[٢].

الصُبابةُ: البقية اليسيرة[٣].

يتصابُها: يجمعها[٤].

شفير جهنم: أي حرفها[٥].

قعرًا: القعر من كل شيء أجوف: منتهى عمقه[٦].

مصراعين: مصراع الباب: أحد جزايه، وهما مصراعان أحدهما إلى اليمين والآخر إلى اليسار[٧].

الكظيظ: الكثير الممتلئ[٨].

قرحت: هو بفتح القاف وكسر الراء، أي صارت فيها قروح[٩].

الأشداقُ: جوانب الفم[١٠].

بردة: كساء مخطط يلتحف به أو كساء مربع أسود صغير[١١].

---

(١) رياض الصالحين ٢٣٥.

(٢) المرجع السابق ٢٣٥.

(٣) المرجع السابق ٢٣٥.

(٤) المرجع السابق ٢٣٥.

(٥) المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ف ر).

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ع ر).

(٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ص ر ع).

(٨) رياض الصالحين ٢٣٥

(٩) المرجع السابق ٢٣٥.

(١٠) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش د ق).

(١١) معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ٨٦.

فاتَّزرتُ: أي وضعته على النصف الأسفل من البدن من السرة إلى ما تحتها وهو يسمى إزار ومئزر[١].

المِصرُ: أي: البلد[٢].

الشرح الأدبي

قوله (فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ وَوَلَّتْ حَذَّاءَ) كناية عن قرب نهاية الدنيا، واقتراب القيامة، وهو خبر أريد به لازم فائدته، وهو التحذير من الغرور بها، والتعبير بالإيذان توكيد للإعلام، والإخبار، والتعبير بالتولي يوحي بالإعراض لأن من لم يتركها تركته، والتعبير بالحذاء يشير إلى السرعة التي توجب الحذر من الغرور بها، والتشبيه في قوله (وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإنَاءِ يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا) يشير إلى مقدار الدنيا الذي يصوره الفراغ الكبير مقابل الجزء القليل الممتلىء في قعر الإناء الذي عبر عنه بالصبابة، وأكدها الجناس بين الصبابة، وبين يتصابها، والتي تؤكد القلة؛ لأنها آخر ما يستخدمه الشخص مما في الإناء الصبابة، وإضافة الصبابة إلى الإناء يشير إلى أنه محدود بحدود تنبيء بمدى الغرور الذي يجعل جهلاء البشر يتنافسون فيها مع ترك الآخرة، وقوله: (وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لاَ زَوَالَ لَهَا) وتوكيد الجملة بكل هذه المؤكدات تنزيل للمخاطبين منزلة المنكرين بسبب غفلتهم عن العمل بمضمون المعنى، والتمسك بضده وهو حب الدنيا، والغرور بها، وقوله (فَانْتَقِلُوا بِخَيرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ) أمر نصح، وإرشاد وتحذير منها وقوله (فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أنَّ الحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَاماً، لاَ يُدْرِكُ لَهَا قَعْراً، وَاللهِ لَتُمْلأَنَّ أفَعَجِبْتُمْ ؟!) البداية بالتوكيد وتكثيفه في العبارة يحافظ على نبرة الكلام العالية في المعاني المقتحمة لجدار القلب الغافل، وعدم ذكر الفاعل في قوله (يلقى) يذهب بالنفس كل مذهب في تصور الفاعل، ولفظ (شفير) الذي يقف بالنفس على حافة الهول مع الإطلاع،

---

(١) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٥، ٣٦٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ص ر).

والمكاشفة لجهنم، والتعبير بـ(يهوي) الماضي الذي يصور السقوط دون أن يحدد له مدى، أو يصل به إلى إحدى الجهتين، وذكر العدد يؤكد طول الفترة التي تدل على بعد القعر، وقوله (لا يدرك لها قعراً) يزيد المسافة بعداً، ويوحي بالضياع الأبدي لمن ألقي فيها لأنه هول يفوق حجم المعقول البشري، ولا يصل إليه وهم العبقري، وقوله (وَاللهِ لَتُمْلأَنَّ أَفَعَجِبْتُمْ ؟!) القسم يقذف الهيبة في القلوب، والاستفهام بمعنى النهي أي لا تتعجبوا، ثم قابل الترهيب بالترغيب جرياً مع أسلوب القرآن في شفع الترهيب بالترغيب حتى يأخذ النفس من قطبيها بين الرغبة، والرهبة، (وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ عَاماً) يقرب للأذهان مدى سعة الجنة، وقوله: (وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ) يقرر أن الله خلق للجنة أهلها، وللنار أهلها، والتعبير بكظيظ يصور بجرس الكلمة ووزنها بعض معناها، وهو الممتلىء، ومن الجدير بالذكر أن الزحام في الأبواب دليل على كثرة الداخلين، أما في داخل الجنة فلكل واحد منهم ملكه الخاص، وأقلهم من له مثل ملك عشرة من ملوك الدنيا، وقوله (وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رسول الله ﷺ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلاَّ وَرَقُ الشَّجَرِ) وما بعده يشير إلى تبدل الأحوال، وعدم ثباتها، ويشير إلى صبر الرسول، وصحابته على الشدة، وكذلك صبرهم في النعيم، لأن كلاهما يحتاج إلى ضبط النفس على حدود الشرع، والنظر فيه إلى ما يرضي الله تعالى.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النصح.

ثالثًا: من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من الاغترار بالدنيا وبيان حقيقتها.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاستعداد للآخرة بالأعمال الصالحة.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترهيب والترغيب.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: بيان حال الصبر على خشونة العيش التي عاشها الصحابة رضي الله عنهم.

أولاً - من وسائل الدعوة: الخطبة:

إن الخطبة هي وسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية لاستنهاض الهمم، والحث على الفضائل[١]، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قول الراوي: (خطبنا عتبة بن غزوان ... إلخ)، ومما لا شك فيه أن الخطابة من مستلزمات تبليغ الدعوة الإسلامية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فالدعوة يلزمها صوت قوي وفكر ذكي، وبيان ناصع وصوت داوٍ، والخطابة رسول ذلك وبلاغه وحامل هذا وسلطانه[٢]، وللخطابة ثمرات كثيرة فهي التي تهدئ النفوس الثائرة، وهي التي تثير حماسة ذوي النفوس الفاترة، وهي التي ترفع الحق، وتخفض الباطل، وتقيم العدل، وترد المظالم، وهي صوت المظلومين، وهي لسان الهداية. ولأمر ما قال موسى عليه السلام عندما بعثه ربه تعالت حكمته إلى فرعون: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[٣]، والخطابة هي الدعامة التي قامت عليها الثورات الكبيرة التي نقضت بنيان الظلم؛ وهدمت قصور الباطل..، والخطابة قوة تثير حمية الجيوش، وتدفعهم إلى لقاء الموت وتزيد قواهم المعنوية[٤]، وقد استعمل النبي ﷺ هذا النوع من الوسائل في نشر دعوته لكثرة فائدته وعظيم جدواه.. ولعل أكبر ما يدلنا على اهتمام النبي ﷺ بالخطابة أنها أول وسيلة أبرزها بعد الجهر بالدعوة مباشرة حين صعد على الصفا[٥]، وتتنوع الخطبة حسب موضوعاتها، وحسب مناسبتها، وحسب المدعوين واختلاف ثقافتهم.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: النصح:

إن النصح من الأساليب الدعوية التي يبنى عليها لب الدين وجوهر الإيمان، فبالنصح يكون الدعاء إلى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد[٦]، وهذا ما ورد في

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية "الوسائل والأساليب" محمد خير رمضان يوسف، ص ١٠٦.

(٢) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي، ص ٣٠.

(٣) سورة طه، الآيات: ٢٥ - ٢٨.

(٤) الخطابة "أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند الغرب"، محمد أبو زهرة، ص ٢١ - ٢٢.

(٥) الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد غلوش، ص ٤١٩ - ٤٢٠.

(٦) التعريفات، الجرجاني، ص ٢٩٦.

نص الحديث من نصح عتبة بن غزوان رضي الله عنه، وتحذيره من الدنيا وعدم الاغترار بها والاستعداد للآخرة بخير الأعمال وأفضل الأفعال.

وقد بيّن الحق تبارك وتعالى منزلة النصح وأهميته، وذلك في قسمه تعالى أن الإنسان في خسر وهلاك: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[1]، وذلك في سورة العصر، وقد بيّن ابن كثير أن الله تعالى استثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم، (وتواصوا بالحق) وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، (وتواصوا بالصبر)، على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذي مما يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر[2]، وهذا ما أكد عليه النبي صلى الله عليه وسلم في بيان عظم منزلة النصح كأسلوب من أساليب الدعوة في قوله: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ))[3]، "أي أن عماد الدين وقوامه النصيحة كقوله: (الحج عرفة) أي عماده ومعظمه عرفة"[4]، وفي ذلك بيان على أهمية وعظم أسلوب النصيحة في الدعوة إلى الله لما فيه من صلاح المجتمع والفرد معًا.

ثالثًا - من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من الاغترار بالدنيا وبيان حقيقتها:

مما لا شك فيه أن الدنيا فانية، وفانٍ كل ما فيها، وأن الآخرة باقية وباقٍ كل ما فيها، فمن آثر دنياه على آخرته فلا دنيا له ولا آخرة، فالتحذير من الاغترار بالدنيا وذمها من أنفع الأمور وأجلّها، لما في ذلك من الاستعداد للآخرة بالأعمال الصالحة، وقد ورد التحذير من الاغترار بالدنيا في الحديث من قول عتبة رضي الله عنه: (فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها)، وقد شدد الحق تبارك وتعالى في التحذير من الاغترار بالدنيا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ

---

(١) سورة العصر، آية: ٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٤٨٠.

(٣) أخرجه مسلم ٥٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٠.

فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[٢].

قال ابن كثير: (يقول تعالى مُوهنًا أمر الحياة الدنيا ومحقرًا لها: "إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد" أي: إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا، كما قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[٣]، ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائفة فقال: "كمثل غيب" وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس...، وقوله: "أعجب الكفار نباته"، أي: يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث؛ وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار، فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها، "ثم يهيج فتراه مصفرًا ثم يكون حطامًا" أي: يهيج ذلك الزرع فتراه مصفرًا بعد ما كان خضرًا نضرًا ثم يكون بعد ذلك كله حطامًا، أي: يصير يبسًا متحطمًا، هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة، ثم تكتهل ثم تكون عجوزًا شوهًا، والإنسان كذلك يكون في أول عمره وعنفوان شبابه غضًا طريًا لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه وينفد بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخًا كبيرًا ضعيف القوى، قليل الحركة، يعجزه الشيء اليسير...، ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذر من أمرها ورغب فيما

---

(١) سورة فاطر، آية: ٥.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٤.

فيها من الخير، فقال: وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور")[١].

فمن تفكر في عواقب الدنيا أخذ الحذر ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر[٢]، وفي ذلك قال الشاعر:

يسر الفتى ما كان قدم من تقى ... إذا عرف الداء الذي هو قاتله

وما الدنيا بباقية لحي ولا ... حي على الدنيا بباق

فالمؤمن الفطن اللبيب في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها ولا يأنس بقربها، ولا يأسى لبعدها ولا يأمن من غيرها، للناس حال وله حال[٣]، وهذا ما يجب على الداعية أن يبينه ويوضحه للمدعوين لما في ذلك من الفلاح والصلاح في الدنيا والآخرة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاستعداد للآخرة بالأعمال الصالحة

إن من أهم ما يجب أن يتيقظ له المؤمن هو الاستعداد للآخرة، بجميل الأفعال وحسن الأقوال وهذا ما أشار إليه الحديث من قول عتبة رضي الله عنه: (... وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما بحضرتكم)، وفي ذلك قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٤]، وقال تعالى آمرًا عباده بالتزود من الأعمال الصالحة: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[٥]، "أي: وتزودوا من التقوى للمعاد، فإن الإنسان لا بدّ له من سفر في الدنيا، ولا بد فيه من زاد، ويحتاج فيه إلى الطعام والشراب والمركب؛ وسفر من الدنيا إلى الآخرة، ولا بد فيه من زاد أيضًا

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٢٤.

(٢) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا، ص ٥٧.

(٣) انظر: الزهد، للحسن البصري، ص ٤٥ - ٤٩.

(٤) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

وهو تقوى الله، والعمل بطاعته، واتقاء المحظورات..! وهذا الزاد أفضل من الزاد الأول، فإن زاد الدنيا يوصل إلى مراد النفس وشهواتها، وزاد الآخرة يوصل إلى النعيم المقيم في الآخرة... وفي هذا المعنى قال الأعشى:

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله ... وأنك لم تُرصد كما كان أرصدا..!

وثمَّتْ وجه آخر: وهو أن قوله تعالى: (وتزودوا) أمر باتخاذ الزاد هو طعام السفر، وقوله: (فإن خير الزاد التقوى) إرشاد إلى زاد الآخرة وهو استصحاب التقوى إليها بعد الأمر بالزاد للسفر في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[(١)]، لما ذكر اللباس الحسي نبه مرشدًا إلى اللباس المعنوي وهو الخشوع والطاعة، وذكر أنه خير من هذا وأنفع"[(٢)].

وقال السعدي: (وأما الزاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه في دنياه وأخراه، فهو زاد التقوى الذي هو زاد إلى دار القرار)[(٣)]، وقد حثّ النبي ﷺ على ذلك، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسولُ الله ﷺ بمنكبي فقال: ((كن في الدُّنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سَبيل))، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: (إذا أمسيتَ فلا تنتَظِر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء. وخُذْ من صحتِكَ لمرضِك، ومن حَياتِك لموتك)[(٤)].

خامسًا - من أساليب الدعوة: الترهيب والترغيب:

وهما أسلوبان ناجحان للنفس الإنسانية التي يتنازعها الخير والشر، والتي جبلت على حب السعادة، والنفور من الضيق والعذاب، فهما يحركان النفس وينشطانها

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٦.

(٢) محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٥٤/٣/٢ - ١٥٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٧٤.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤١٦.

للعمل، ويحذرونها من التفريط في حق الله [١]، وقد ورد أسلوب الترهيب في الحديث من قول عتبة ﷺ: (فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عامًا، لا يدرك لها قعرًا...)، أما أسلوب الترغيب فقد ورد في الحديث من قول عتبة ﷺ: (ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصارع الجنة مسيرة أربعين عامًا، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام).

سادسًا - من موضوعات الدعوة: بيان حال الصبر على خشونة العيش التي عاشها الصحابة ﷺ:

لقد كانت الدعوة إلى الله تعالى والجهاد في سبيله، غاية جيل الإسلام الأول من الصحابة ﷺ، فلم يشغلهم عن ذلك طيب عيش أو ترف دنيا، وهذا ما ورد في الحديث من قول عتبة بن غزوان ﷺ: (ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا.. إلخ)، حيث أخبر عتبة ﷺ أنه قد بلغ به الجوع وشدة العيش هو وستة من الصحابة ﷺ مع رسول الله ﷺ في إحدى الغزوات إلى أكل أوراق الشجر حتى تقرحت أشداقهم[٢]. وفي بيان صبرهم ﷺ على ذلك قال جابر بن عبدالله ﷺ: (بَعَثَنَا رَسُولُ الله وَنَحْنُ ثَلاَثُمَائَةَ نَحْمِلُ زَادَنَا عَلَى رِقَابِنَا فَفَنِيَ زَادُنَا حَتَّى كَانَ يَكونُ لِلرَّجُلِ مِنَّا كلَّ يَوْمٍ تَمْرَةٌ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الله وَأَيْنَ كَانَتْ تَقَعُ التَّمْرَةُ مِنَ الرجُلِ؟ فقالَ: لَقَدْ وَجَدْنَا فَقْدَهَا حِينَ فَقَدْنَاهَا.... إلخ)[٣]، وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: (..وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَغْزُو فِي العِصَابَةِ مِنْ أَصْحَابِ مُحمَّدٍ مَا نَأْكُلُ إلاَّ وَرَقَ الشَّجَرِ وَالْحُبْلَةَ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ وَالبَعِيرُ..)[٤]، وغير ذلك الكثير من الأحاديث والآثار التي تدل على صبر الصحابة ﷺ على الجوع، وتحملهم لخشونة العيش وألم الحاجة.

---

(١) الدعوة الإسلامية "الوسائل والأساليب"، محمد خير رمضان يوسف ٩٧.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٣٢٨.

(٣) أخرجه ابن ماجة ٤١٥٩، وصححه الألباني، صحيح سنن ابن ماجة ٣٣٥٥.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣٦٥، وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي ١٩٢٨.

الحديث رقم (٤٩٨)

٤٩٨ - وعن أَبي [بردة عامر بن أبي][1] موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أخْرَجَتْ لَنَا[2] عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كِسَاءً وَإزارًا غَلِيظًا، قالَتْ: قُبِضَ[3] رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هَذَيْنِ. متفقٌ عَلَيْهِ[4].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

الكساء: اللباس، وجمعه: أكسية[5].

إزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن من السرة إلى ما تحتها، ويسمى كذلك المئزر[6].

قبض: تُوُفي[7].

الشرح الأدبي

الحديث الذي يرويه أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكشف جانبا من زهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقشفه، ورغبته فيما عند الله تعالى وقد روى الحديث في أسلوب خبري هادىء يناسب الجو النفسي للمعنى وقوله (أخرجت لنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) يشير إلى القصد منها لكي تعطيهم القدوة في الزهد من فعل رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعلمهم درسا ممن كانت الدنيا في يده

---

(١) الزيادة من الصحيحين.

(٢) عندهما بلفظ: (إلينا).

(٣) عند البخاري زيادة: (روح).

(٤) أخرجه البخاري ٥٨١٨ واللفظ له، ومسلم ٣٥/٢٠٨٠.

(٥) المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك س و).

(٦) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٥، ٣٦٦.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ب ض).

لم ينظر إليها، والآخرة في قلبه لم ينصرف عنها، وتقديم الجار،والمجرور (لنا) يقرر خصوصيتهم بالحدث دون غيرهم، وقولها (كساءً وَإزاراً غَلِيظاً، قالَتْ: قُبِضَ رسول الله ﷺ في هَذَيْنِ) يشير إلى حال ملبسه في نهاية حياة حافلة بالجهاد غيرت، وليوم القيامة وجهه الأرض وحالة الثياب، ونوع القماش يدلان على حال لابسهما في الزهد، وإغفال الدنيا بالتعلق الكلي بالآخرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الزهد في الدنيا

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

الإخبار من الأساليب الدعوية الهامة التي تعين الداعية على تبليغ دعوة ربه وبيان سنة نبيه، وقد حث تبارك وتعالى على ذلك فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[(١)]، وقد أفاد الإخبار في هذا الحديث بيان زهد النبي ﷺ في الدنيا وإعراضه عنها؛ حيث أخبر أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن ذلك بأن عائشة رضي الله عنها أخرجت لهم كساءً وإزارًا غليظًا وقالت: "قبض رسول الله ﷺ في هذين".

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الزهد في الدنيا:

(إن من مظاهر خلق علو الهمة الترفع عن محقرات الأمور وصغائرها، ونشدان معالي الأمور وكمالاتها فالتعلق بمحقرات الأمور من دناءة النفس وانحطاط همتها، ولا يفعله كبار القلوب والنفوس، لأن هؤلاء تكون نظراتهم آخذة في طريق صاعدة، ومتطلعة إلى آفاق المعالي)[(٢)]، وليس هناك أعظم همة ولا أكبر غاية من همة وغاية رسول الله ﷺ فما وقف قلبه على شيء من الدنيا، وما كان زهده فيها عن إقلال،

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حبنكة، ٤٧٧.

بل كان عن غنى زهدت فيه نفسه، وقد أشار نص الحديث إلى كمال زهده ﷺ في الدنيا، وذلك من قول الراوي "أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساءً وإزارًا غليظًا، قالت: "قبض رسول الله ﷺ في هذين".

فلم يكن ﷺ رغم كبر مكانته وكبر سنه مترفهًا يعيش عيش الناعمين، ويحفل بمظاهر الحياة، بل لقد أدركه الموت وهو يلبس ثيابًا غليظة ثخينة، لتبين إعراضه ﷺ عن الدنيا طول بقائه فيها حتى انتقل إلى الآخرة[(١)].

وقد بين ابن القيم (أن الزهد في الدنيا لا يستقيم إلا بعد نظرين صحيحين:

النظر الأول: النظر إلى الدنيا، وسرعة زوالها، وفنائها، واضمحلالها، ونقصها، وخستها، وألم المزاحمة عليها والحرص عليها. وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد، وآخرُ ذلك الزوال والانقطاع، مع ما يعقب من الحسرة والأسف. فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها، وهم في حال الظفر بها، وغم وحزن بعد فواتها... فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني: النظر في الآخرة، وإقبالها، ومجيئها ولابُدّ، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرَّات، والتفاوت الذي بينه وبين ما هنا. فهي كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[(٢)] فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة.

فإذا تم له هذان النظران آثر ما يقتضي العقل إيثاره، وزهد فيما يقتضي الزهد فيه. فكل أحدٍ مطبوع على أن لا يترك النفع العاجل واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة، إلا إذا تبين له فضل الآجل على العاجل وقويت رغبته في الأعلى الأفضل...، وهذا تقسيم حاضر ضروري، لا ينفك العبد من أحد القسمين منه. فإيثار الدنيا على الآخرة إما من فسادٍ في الإيمان، وإما من فساد في العقل. وما أكثر ما يكون منهما. ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره هو وأصحابه وصرفوا عنها قلوبهم،

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٣٢٩.

(٢) سورة الأعلى، آية: ١٧.

وطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعدُّوها سجنًا لا جنة. فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب، ولوصلوا منها إلى كل مرغوب.

فقد عرضت عليه مفاتيح كنوزها فردّها، وفاضت على أصحابه فآثروا بها ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها، وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تتقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى أذن بالرحيل)[١].

(ولكن ليس معنى الزهد المطلوب ترك السعي في عمران الدنيا، وإعلاء بنيانها الحضاري، وترقية وسائلها، والانتفاع من خيراتها، بل الزهد الذي يتطلبه الإيمان باليوم الآخر إنما هو عدم تعليق همة القلوب والنفوس بمتع الحياة الدنيا وزخارفها وزينتها، وهذا الزهد المطلوب يستلزم تسخير ما يصل إليه يد الإنسان منها في طاعة الله التي تحقق له يوم القيامة الثواب العظيم)[٢].

وليس أدل على ذلك من نبي الله يوسف عليه السلام. (فقد أخذ حظه من الملك، فدفع الله به شدة عن الناس، وكشف غممًا وكروبًا كثيرة، فكانت مصر في أشد أيام قحطها وجدبها، بمنجاة من خطر المجاعة المهلكة... أما هو فلم يفتنه المنصب ولم يعلق الترف بذرة من قلبه، وظلت بصيرته تهفو إلى ما عنده من مقامات الإحسان، فيناجي ربه قائلاً: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[٣])[٤].

(فهذا هو الزهد الحقيقي الذي يتفق والدين، أما ترك الدنيا وقطع الأسباب كلها فهذا جهل بالعلم، فإن النبي ﷺ دخل الغار وشاور الطبيب، ولبس الدرع، وحفر

---

(١) الفوائد ١٤٠-١٤١.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حبنكة، ٤٧٨.

(٣) سورة يوسف، آية: ١٠١.

(٤) تذكر الدعاة، البهي الخولي، ١٩٤.

الخندق، ودخل مكة في جوار المطعم بن عدي وكان كافرًا، وقال لسعد: ((الأَنَ تَدَعَ وَرَثَتكَ أَغْنِيَاءَ خيرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عالةً يتكَفَّفُونَ النَّاسَ))[1] وقال: ((نِعْمَّا المالُ الصَّالحُ للرَّجُلِ الصالحِ))[2])[3].

(١) أخرجه البخاري ٥٦٦٨، مسلم ١٦٢٨.

(٢) أخرجه أحمد ١٩٧/٤ رقم ١٧٧٦٣، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٩٩/٢٩.

(٣) انظر: صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا، ١٣٠.

الحديث رقم (٤٩٩)

٤٩٩ - وعن سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه، قَالَ: إنِّي لأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ في سَبيلِ اللهِ، وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رسول الله ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إلاَّ وَرَقُ الْحُبْلَة[1]، وَهذَا السَّمُرُ، حَتَّى إنْ كَانَ أحَدُنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ، مَا لَهُ خَلْطٌ. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

غريب الألفاظ:

الحُبلة والسَّمُرُ: نوعان معروفان من شجر البادية[3].

ليضعُ: كناية عن الذي يخرج منه في حال التغوط[4].

ما له خلط: لا يختلط بعضه ببعض من شدة جفافه وتفتته[5].

الشرح الأدبي

هذا الحديث بيان لما كان عليه الصحابة من الزهد فى الدنيا، والتقلل منها والصبر فى طاعة الله تعالى على المشاق الشديدة، وقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (إنِّي لأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ في سَبيلِ الله) البداية بتوكيد الخبر استشعار من المتكلم بعظمة الخبر - وهو كذلك - وأسلوب التفضيل يشير إلى الاعتزاز بفضل الله عليه، و(ال) في العرب للجنس المحمول على العهد الذهني، والفعل الماضي يدل على التحقق الذي يثبت نقطة التفوق، ويبين مدار الفضل، وقوله (وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رسول الله ﷺ) يشير

---

(١) لفظ البخاري في هذه الرواية: (الشجر)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ١/١٩٣، رقم ١٩٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧٢٨ واللفظ له، ومسلم ١٢/٢٩٦٦. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٤٥.

(٣) رياض الصالحين ٢٣٥، ٢٣٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٩٥.

(٥) المرجع السابق ٧/١٠٦.

إلى أنهم كانوا على هذه الحال في كل غزوة، أو في أكثر الغزوات، وضمير الجمع يشير إلى وحدتهم على الضراء والسراء، وقوله (مع رسول الله ﷺ) يعطي الحدث صفة الشرعية، لأنه فعل نبي، أو إقراره، وقوله (مَا لَنَا طَعَامٌ إلاَّ وَرَقُ الْحُبْلَةِ، وَهذَا السَّمُرُ) أسلوب قصر يقصر طعامهم على هذين النوعين من الشجر دون غيره، وأسلوب القصر ينفي المبالغة، ويؤكد المعنى وقوله: (حَتَّى إنْ كَانَ أحَدُنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ مَا لَهُ خَلْطٌ) كناية عن ما يلاقيه أحدهم بسبب نوع الطعام غير الصالح بسبب الاضطرار.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الجهاد في سبيل الله.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الغزو في سبيل الله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من ضيق العيش وشدته.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

هذا ما يظهر جليًا في نص الحديث من قول سعد رضي الله عنه "إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله" قال النووي: (فيه منقبة ظاهرة له)[1] وقال ابن حجر: (قوله: "إني لأول العرب رمى" كان ذلك في سرية عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، وكان القتال فيها أول حرب وقعت بين المشركين والمسلمين، وهي أول سرية بعثها رسول الله ﷺ في السنة الأولى من الهجرة، بعث ناسًا من المسلمين إلى رابغ ليلقوا عيرًا لقريش فترامو بالسهام ولم يكن بينهم مسايقة فكان سعد أول من رمى، ذكر ذلك الزبير بن بكار بسند له وقال فيه عند سعد إنه أنشد يومئذ:

ألا هل أتى رسول الله: أني حميت صحابتي بصدور نبلي)[2].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧١١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٦/٧.

(فهو صحابي جليل القدر كان من السابقين الأولين المهاجرين، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى)[١] قال فيه علي بن أبي طالب ﷺ: (ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد من غير سعد بن أبي وقاص)[٢] وهو من دعا له النبي ﷺ فقال: ((اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ))[٣] وهو القائل ﷺ: (ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت، ولقد مكثت سبعة ليالٍ وإني لثلث الإسلام)[٤]. فهو صحابي جليل وكان فارسًا مغوارًا جاهد في سبيل الله ونصرة دينه حق جهاد فرضي الله عنه وأرضاه.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على الجهاد في سبيل الله:

إن الجهاد في سبيل الله من كمال الإيمان وذروة سنام الإسلام، به تمحص القلوب وتختبر النفوس، وقد علم الصحابة ﷺ شرفه وعلو منزلته، فبذلوا أرواحهم وأنفسهم قبل أموالهم، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قول سعد ﷺ: (ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ... إلخ)، وقد ضرب الصحابة ﷺ أروع الأمثلة في حرصهم على الجهاد في سبيل الله لنشر دعوته وإقامة دينه، فها هو ذا عمرو بن الجموح ﷺ يقول يوم أحد: يا رسول الله، من قتل اليوم دخل الجنة؟ قال: (نعم) قال: فوالذي نفسي بيده، لا أرجع إلى أهلي حتى أدخل الجنة

فقال له عمر بن الخطاب: يا عمرو، لا تألَّ على الله، فقال رسول الله ﷺ: ((مَهْلا يا عُمَرُ، فإنَّ مِنهُم مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ: مِنهمْ عَمْرُو بنُ الجَمُوحِ، يَخُوضُ فِي الجَنَّةِ بعَرْجَتِهِ))[٥] (وقد كانت رجله ﷺ عرجاء حينئذ)[٦]، وها هو ذا حنظلة بن

(١) موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك، ٢/ ٨٨٠.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٨٢٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٦٧).

(٣) أخرجه الترمذي ٣٧٥١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٥٠).

(٤) أخرجه البخاري ٣٧٢٦، ٣٧٢٧، ٣٨٥٨.

(٥) أخرجه ابن حبان ٧٠٢٤، وقال محققه: إسناده جيد.

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٦٤.

أبي عامر رضي الله عنه يجاهد في أحد حتى قتل فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله عنهم ((صاحِبَكُمْ حَنْظَلَةَ تُغَسِّلُهُ المَلائِكةُ، فَسَلُوا صاحِبَتَهُ، فقالتْ: خرجَ وهُو جنبٌ لَمّا سَمِعَ الهائعةَ، فقالَ رسولُ الله: فَذاكَ قَدْ غسَّلَتْهُ المَلائِكةُ))(١). وغير ذلك الكثير ما يدل على حرص الصحابة رضوان الله عليهم على الغزو والجهاد في سبيل الله لعظيم شرفه وعلو منزلته.

ثالثًا - من وسائل الدعوة: الغزو في سبيل الله:

هذا ما ظهر جليًا في الحديث من قول سعد رضي الله عنه "ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم" (وعلاقة الغزوة أو الجهاد في سبيل الله بالدعوة إلى الله جيدة وقوية جدًا، ذلك أن الجهاد إنما فرض لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى والدعوة هي كذلك، لأن هدفها نشر الإسلام وإبلاغ هذا الدين للناس أجمعين بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، بعدها يشرع القتال ضد المعاندين...، فالكثير من البشر لا ينقادون لأوامر الله سبحانه وتعالى إلا بالقوة، والقوة مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى كما هو معلوم لدى دعاة الإسلام)(٢).

(ولكن ينبغي التأكيد على أن دعوة الإسلام في الأساس تقوم على السلم والمسالمة، وتعتمد على المنطق والحجة: فلا يكره الإسلام أحدًا الدخول فيه، ولا يرضى إلا أن يوفر الأمن والسلام لمتبعيه ومخالفيه، وهو يطلب العدل حكمًا في أحوال الناس دون تأثر بحب أو بعض أو عداوة أو صلح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٣).

وأن مشروعية القتال في الإسلام لرد الاعتداء ودفع الظلم لتتوافر للناس حرياتهم

---

(١) أخرجه ابن حبان ٧٠٢٥، وقال محققه: حديث صحيح.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري، ٢٤٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٨.

وتسلم لهم مقدساتهم، فهو دفع لتأمين البيع والصلوات والمساجد، وتلك ليست أماكن للعبادة للمسلمين وحدهم.

وتأمين الناس ورفع الفتنة التي يمتد لهيبها إلى الإنسانية دون تفرقة قوة أمن ذاتية تقوم مع الإسلام بشكل طبيعي عادلة معتدلة، لتنحسر الفتنة وينكمش الفساد ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (١) (٢).

رابعًا - من موضوعات الدعوة: بيان ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من ضيق العيش وشدته:

إن المبادئ العظيمة والأهداف النبيلة لها رجالها الذين لا يشغلهم شيء آخر عن تحقيقها، مهما قابلوا في سبيل ذلك من متاعب ومشاق وعوائق وقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم المثل الأعلى في هذا المضمار، فانشغلوا بنصر دين الله وإقامة سنة نبيه، ففتح الله على أيديهم قلوب العباد وأبواب البلاد.

وهذا ما ورد في نص الحديث من قول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه "ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام إلا ورق الحبلة، وهذا السمر حتى إن كان أحدُنا ليضع كما تضع الشاة ماله خلط".

وهذا ما أكد عليه أبو هريرة في بيان ما كان بهم من ضيق العيش وشدته فقال: ((كنت ألزَمُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لِشِبَع بطني، حينَ لا آكلُ الخَميرَ، ولا ألبَسُ الحرير، ولا يَخدُمُني فلانٌ ولا فلانة، وألْصقُ بطني بالحصباء، وأستقرىء الرَّجلَ الآية - وهي معي - كي يَنقلِبَ بي فيطعِمَني. وخيرُ الناسِ للمساكين جعفرُ بن أبي طالب: يَنقلِبُ بنَا فيطعِمُنا ما كان في بيتهِ، حتَّى إنْ كان ليُخرِجُ إلينا العُكةَ ليس فيها شيء، فَنَشتقُّها، فنَلعقُ ما فيها)) (٣) قال ابن حجر: في قوله "فنشتقها" أي: (أنهم لعقوا ما في العكة بعد

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٧٣.

(٢) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد الراوي، ص ٥١٩.

(٣) أخرجه البخاري ٥٤٣٢.

أن قطعوها ليتمكنوا من ذلك)[1].

وقد ترفع الصحابة رضي الله عنهم عن محقرات الأمور وصغائرها فلم يشغلهم طيب العيش ولذته، وهم أقدر الناس على ذلك، بل آثروا ما عند الله من أجر عظيم في جنات النعيم.

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦٩/٩.

الحديث رقم (٥٠٠)

٥٠٠ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

قَالَ أهْلُ اللُّغَةِ وَالغَرِيبِ: مَعْنَى (قُوتًا) أيْ: مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

آل: أهل[2].

الشرح الأدبي

الأحاديث السابقة أشارت بطرق مختلفة فعلية، وقولية إلى زهد النبي ﷺ ورغبته التامة في الآخرة، وهذا الدعاء النبوي يعكس رغبة قوية في دفع العوائق الدنيوية يدل على ذلك تصدير الدعاء بهذه الصيغة ذات الخصوصية في التذلل، والخضوع لله تعالى - ثم التعبير بالجعل، وهو التصيير، والتحويل إلى تلك الحالة التي فيها سلامة القلب، وهو تعليم لأمته؛ لأن قلبه ﷺ ليس فيه سوى محبة الله تعالى - كثر ماله، أو قل، وقوله (قوتاً) أي يوماً بيوم حتى لا يشغلهم شيء عن الله، وهم أسوة الأمة، وقدوتها، وإنما خص الدعاء بآل محمد، ولم يقل أمة محمد حتى لا يضيق عليهم، ولا يحملهم ما لا يطيقون بل أراد أن يكون هذا الزهد نابعا من قلب أحدهم حبا، واختيارا، وهذا من رحمته، وذوقه العالي ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٦٠، ومسلم ١٠٥٥/١٢٦ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٢٥.

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، الفيروز آبادي ٩٦٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان حال القناعة التي كان عليها رسول الله ﷺ.

ثانيًا: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في القناعة والرضا.

ثالثًا: من واجبات المدعو: سؤال الله تعالى واللجوء إليه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان حال القناعة التي كان عليها رسول الله ﷺ:

(إن القناعة من كمال الإيمان وحسن الإسلام بما تعزف نفس القانع عن حطام الدنيا رغبة فيما عند الله، وقد كانت معيشة النبي ﷺ وحياته وحياة أهل بيته معروفة بالقناعة في التاريخ، معروفة في السيرة النبوية تثير العجب وتسحر النفوس وتملأ القلوب عظمة ومهابة، وتنصب للدعاة والسائرين على منهاج النبوة منارًا عاليًا من نور، وكان شعارهم الدائم ((اللَّهمَّ لا عيشَ إلاّ عيشُ الآخِرة))[(١)])[(٢)].

وهذا ما أكده نص الحديث في قوله ﷺ "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا" قال القرطبي: (وقوله: "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا" أي: ما يقوتهم، ويكفيهم، بحيث لا يشوشهم الجهد، ولا ترهقهم الفاقة، ولا تذلهم المسألة والحاجة، ولا يكون أيضًا في ذلك فضول يُخرج إلى الترف والتبسط في الدنيا، والركون إليها، وهذا يدل على زهد النبي ﷺ في الدنيا وعلى تقلله منها)[(٣)]. وقد بين ابن حجر نقلاً عن ابن بطال أن في الحديث: (دليل على فضل الكفاف وأخذ البلغة من الدنيا والزهد فيما فوق ذلك رغبة في توفر نعيم الآخرة وإيثارًا لما يبقى على ما يفنى)[(٤)]، وقد كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: ((اللَّهُمَّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي وَبَارِكْ لِي فِيهِ وَاخْلُفْ عَلَى كُلِّ غَائِبَةٍ لِي بِخَيْرٍ))[(٥)]

---

(١) أخرجه البخاري ٤٠٩٨، ومسلم ١٨٠٤.

(٢) انظر: النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن الندوي، ٧٠.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٠٠/٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩٩/١١.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٥٥/٢ رقم ٣٤١١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال ﷺ ((لو كانَ لي مِثلُ أُحُدٍ ذَهَبًا ما يَسُرّني أن لا يَمُرّ عليّ ثلاثٌ وعندي منهُ شيءٌ، إلاّ شيءٌ أرصُدُهُ لِدَينٍ))[١].

وقد قنع النبي ﷺ واقتصر على ما سَنَحَ من العيش، ورضي بما تسهّل من المعاش، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان فِراشُ رسولُ الله ﷺ من أدَم وحَشْوُهُ لِيف))[٢] وقالت: ((لقد تُوفّيَ النبيُّ ﷺ وما في رفّي من شيءٍ يأكله ذو كبد، إلاّ شَطرُ شعيرٍ في رَفٍّ لي، فأكلت منه حتى طال عليَّ، فكِلْتُهُ فَفني))[٣] وعن قتادة رضي الله عنه قال: ((كنّا نأْتي أنسَ بن مالكٍ رضي الله عنه وخبّازُهُ قائمٌ، وقال: كلوا، فما أعلمُ النبيَّ ﷺ رأى رغيفًا مُرققًا حتى لحقَ بالله، ولا رأى شاةً سَميطًا بعينِهِ قط))[٤]. وفي ذلك بيان لحال القناعة التي كان عليها رسول الله ﷺ.

ثانيًا - من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في القناعة والرضا:

إن مما يستفاد من نص الحديث هو التأسي بالنبي ﷺ في القناعة والرضا فقد كان يقول ﷺ: "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا" قال ابن بطال: (فيه دليل على فضل الكفاف وأخذ البلغة من الدنيا والزهد فيما فوق ذلك رغبة في توفر نعيم الحياة وإيثارًا لما يبقى على ما يفنى فينبغي أن تقتدي به أمته في ذلك)[٥]، (والتأسي بالنبي ﷺ يعني: تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في كل دقيق وجليل من أمور الدين، ومبعث التأسي والاقتداء بالنبي ﷺ هو حبه حبًا يستحوذ على القلوب، ويلامس شغافها ويأخذ بمجامعها، وذلك لأنه رسول الله، اصطفاه الله للهداية وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا الحب الصادق يستوجب اتباعه، والتأسي به، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ

---

(١) أخرجه البخاري ٢٣٨٩، ومسلم ٩٩١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٥٦.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٥١، ومسلم ٢٩٧٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٥٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩٩/١١.

تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1])[2] فعلى المدعو أن يقتدي بالنبي ﷺ ويتأسى به في كفافه وقناعته.

وقد بين النبي ﷺ أن ذلك طريق الفلاح فقال: ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ))[3] قال النووي: (الكفاف الكفاية بلا زيادة ولا نقص وفيه فضيلة هذه الأوصاف)[4]، (ولا تنال القناعة إلا بمجاهدة النفس وبتوفيق من الله)[5] فعنه ﷺ أنه قال: ((مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّه اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ))[6] وقد كان حكيم بن حزام رضي الله عنه يمتنع عن أخذ الفيء رغم إلحاح عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليه، وقد فسر ابن حجر ذلك فقال: (وإنما امتنع حكيم من أخذ العطاء مع أنه حقه لأنه خشي أن يقبل من أحد شيئًا فيعتاد الأخذ فتتجاوز به نفسه إلى ما لا يريده ففطمها عن ذلك وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه...)[7] فعلى المدعو أن يتأسى بالنبي ﷺ في القناعة والرضا وأن يجاهد نفسه ممتثلاً في ذلك قول الشافعي:

رَأَيْتُ القَنَاعَةَ رَأْسَ الغِنَى ... فَصِرْتُ بِأَذيالِهَا مُمتَسِكْ
فَلا ذَا يَرانِي عَلَى بَابِهِ ... وَلاَ ذَا يَرَانِي بِهِ مُنْهَمِكْ
فَصِرْتُ غَنِيًا بِلا درهم ... أَمُرُّ عَلى النَّاسِ شِبْهَ المَلِكْ)[8]

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٢) صفات الداعية، عبدالرب نواب الدين، ٥٨-٦٠.

(٣) أخرجه مسلم ١٠٥٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٦٣.

(٥) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًا، محمود محمد الخزندار، ص ٢٦٠.

(٦) أخرجه البخاري ١٤٦٩.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٩٤.

(٨) ديوان الشافعي ٥١.

ثالثًا - من واجبات المدعو: سؤال الله تعالى واللجوء إليه:

(إن سؤال الله تعالى واللجوء إليه من أجل أنواع العبادة، إذ يلقي المرء فيه الهم على الرب لحسن الظن بالقرب)[١]، وهذا ما أشار إليه نص الحديث من سؤال النبي ﷺ ربه تعالى بقوله: "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا" وقد أمر الحق تبارك وتعالى بسؤاله ودعائه فقال: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٢]، وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٣] وقال: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٤].

وقد بين النبي ﷺ فضل سؤال الله تعالى واللجوء إليه فقال ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلاَّ أَعْطَاهُ الله بِهَا إِحْدَى ثَلاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا فِي الآخِرَةِ، وإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا))[٥] فينبغي على المسلم أن يحرص على اللجوء إلى المولى عز وجل وسؤاله.

---

(١) انظر: نضرة النعيم ١٩٤٤/٥.

(٢) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٥٥، ٥٦.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٧١٠، (وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ٥٤٧).

الحديث رقم (٥٠١)

٥٠١ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: وَاللهِ الَّذِي لاَ إِلهَ إلاَّ هُوَ، إنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإنْ كُنْتُ لأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطنِي مِنَ الْجُوعِ. وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَومًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ[1]، فَمَرَّ بِي النبي صلى الله عليه وسلم، فَتَبَسَّمَ حِيْنَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي وَجْهِي وَمَا فِي نَفْسِي، ثُمَّ قَالَ: ((**أَبَا هِرٍّ**)) قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول الله، قَالَ: ((**الْحَقْ**)) وَمَضَى فَاتَّبَعْتُهُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي فَدَخَلْتُ، فَوَجَدَ لَبَنًا في قَدَحٍ، فَقَالَ: ((**مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟**)) قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلانٌ - أَو فُلاَنَةٌ - قَالَ: ((**أَبَا هِرٍّ**)) قلتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول اللهِ، قَالَ: ((**الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي**)).

قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّة أَضْيَافُ الإِسْلاَمِ، لاَ يَأْوُونَ عَلَى أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ وَلاَ عَلَى أَحَدٍ، وَكَانَ[2] إذَا أتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بهَا إلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَأَصَابَ مِنْهَا، وأشْرَكَهُمْ فِيهَا. فَسَاءنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ في أَهْلِ الصُّفَّةِ! كُنْتُ أحَقُّ[3] أنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللبَنِ شَرْبَةً أتَقَوَّى بِهَا، فَإذَا جَاءُوا وَأمَرَنِي فَكُنْتُ أنَا أُعْطِيهِمْ؛ وَمَا عَسَى أنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ. وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بُدٌّ.

فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا وَاسْتَأذَنُوا، فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ. قَالَ: ((**يَا أَبَا هِرٍّ**)) قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول الله، قَالَ: ((**خُذْ فَأعْطِهِمْ**)) قَالَ: فَأَخَذْتُ القَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُل فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ،

---

(١) عند البخاري زيادة: (فمرَّ أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمرَّ ولم يفعل. ثمَّ مرَّ بي عمرُ، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمرَّ ولم يفعل)، وأظن أنها ساقطة من النسخ.

(٢) (كان) لا توجد عند البخاري.

(٣) عند البخاري زيادة: (أنا).

فَنَظَرَ إليَّ فتَبَسَّمَ، فَقَالَ: ((أَبَا هِرٍّ)) قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول الله، قَالَ: ((بَقيتُ أنَا وَأنْتَ)) قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رسول الله، قَالَ: ((اقْعُدْ فَاشْرَبْ)) فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ ((اشْرَبْ)) فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: ((اشْرَبْ)) حَتَّى قُلْتُ: لا، وَالَّذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أجِدُ لَهُ مَسْلكاً! قَالَ: ((فَأَرِنِي)) فَأعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ الله تَعَالَى، وَسَمَّى وَشَرِبَ الفَضْلَةَ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لأعتمد بكبدي على الأرض: ألصق بطني بالأرض[2].

لبيك: أي إجابة بعد إجابة[3].

القدح: إناء يشرب فيه الماء ونحوه[4].

أهل الصفة: الصفة مكان مظلل في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة إبان العصر النبوي بعد الهجرة يأوي إليه فقراء المهاجرين ينامون فيه[5].

يروى: يشبع[6].

لا أجد له مسلكًا: أي مكانًا يسلك فيه مني[7].

الفضلة: البقية[8].

---

(١) برقم ٦٤٥٢. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٣٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٨٩.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٥٤.

(٤) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٧٣٣، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٢٦.

(٥) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٣٧.

(٦) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، الفيروز آبادي في (ر و ى).

(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٥٧.

(٨) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٩٤.

الشرح الأدبي

قول أبي هريرة رضي الله عنه (إنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ) يشير إلى المدى الذي بلغه الجوع منهم حتى صار لهيبا يحرق أمعائهم ويشوي أكبادهم، وقوله (، فَمَرَّ بِي النبي ﷺ، فَتَبَسَّمَ حِيْنَ رَآنِي) تبسم الرسول ﷺ كناية عن رضاه، وهو من عادته عند لقاء أصحابه ﷺ وقول أبي هريرة (وَعَرَفَ مَا فِي وَجْهِي وَمَا فِي نَفْسِي) فيه إيجاز أي: عرف ما في وجهي من آثار الجوع، وما في نفسي من رغبة في الطعام (ثُمَّ قَالَ: (أَبَا هِرٍّ) وهذا النداء نداء رحمة، وتلطف، وإيناس وتأمل حركة أبي هريرة محمولا على أجنحة الجوع بعد أمر الرسول له (قَالَ: ((الْحَقْ)) وَمَضَى فَاتَّبَعْتُهُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي فَدَخَلْتُ، فَوَجَدَ لَبَنَاً فِي قَدَحٍ) والفاء تحكي سرعة الأحداث التي تعكس الرغبة في إطفاء نار الجوع، وقول أبي هريرة (: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ ؟!) استفهام تقليل يبين المفارقة التي أوقعته في حيرة لكثرة أهل الصفة المدعوين، وقلة اللبن مما يحرمه من رشفة يروي بها لهيب الجوع وقوله: (فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُل فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ) يحكي تفاصيل المعجزة النبوية في شرب العدد الكبير من اللبن القليل، وقوله فيشرب يصور حال الشارب، وعين أبي هريرة معلقة بالإناء، ونفسه معلقة بما فيه يمني نفسه برشفة، والتعبير ب(حتى) يشير إلى غاية الشارب، وهي الري، والتعبير ب(ثم) يشير إلى طول المدة حقيقة في فعل الشارب، أو في إحساس أبي هريرة الذي يمر عليه الوقت طويلا، وقول الرسول ﷺ له (اقْعُدْ فَاشْرَبْ) أمر تكريم طالما انتظره أبو هريرة، وتكرار الأمر توكيد لإعجازه ﷺ، وطي الحديث عبر، ودروس تستلزم الوقوف في محرابها طويلا.

فقه الحديث

ذكر ابن حجر لحديث أبي هريرة رضي الله عنه فوائد نذكر منها ما يلي:

١ - استحباب الشرب من قعود.

٢ - إذا دار خادم القوم عليهم بما يشربون يتناول الإناء من كل واحد فيدفعه هو إلى الذي يليه ولا يدع الرجل يناول رفيقه لما في ذلك من نوع امتهان الضيف.

٣ - جواز الشبع عند الجوع، ولو بلغ أقصى غايته.

وذلك لمن وقع له ذلك نادرًا، ولا سيما بعد شدة جوع واستبعاد حصول شيء بعده عن قرب، أما ما ورد من أحاديث تزجر عن الشبع كقوله ﷺ ((إِنَّ أَكْثَرَهُمْ شِبعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ القِيَامَةِ))(١)، فيحمل على من يتخذ الشبع عادة، لما يترتب على ذلك من الكسل عن العبادة وغيرها.

٤ - سد الرجل خلة أخيه المؤمن إذا علم منه حاجة من غير أن يسأله ذلك.

٥ - كتمان الحاجة والتلويح بها أولى من إظهارها والتصريح بها.

٦ - أن المدعو إذا وصل إلى دار الداعي لا يدخل بغير استئذان.

٧ - جلوس كل أحد في المكان اللائق به.

٨ - دعاء الكبير خادمه بالكنية وترخيم الاسم.

٩ - استئذان الخادم على مخدومه إذا دخل منزله.

١٠ - سؤال الرجل عما يجده في منزله مما لا عهد له به ليرتب على ذلك مقتضاه.

١١ - قبول النبي ﷺ الهدية وتناوله منها وإيثاره ببعضها الفقراء، وامتناعه من تناول الصدقة ووضعه لها فيمن يستحقها.

١٢ - شرب الساقي آخرًا وشرب صاحب المنزل بعده.

١٣ - الحمد على النعم والتسمية عند الشرب.

١٤ - العمل بالفراسة(٢).

ولا بأس أن نذكر هنا بإيجاز ما يتعلق باعتبار الفراسة وسيلة من وسائل الإثبات في القضاء أو عدم اعتبارها.

الفراسة في الاصطلاح: هي الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية، وأيضًا هي ما يقع في القلب بغير نظر وحجة(٣) وقد قسمها ابن الأثير إلى قسمين:

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٤٧٨، وابن ماجه ٣٣٥٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٧٠٥).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٨٨-٢٨٩، والفِراسة: المهارة في تعرف بواطن الأمور من ظواهرها، الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله بن محمد الحماد في (ف ر س).

(٣) قواعد الفقه للبركتي عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٢/٧٧.

الأول: ما دلّ عليه ظاهر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ، فإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله عزَّ وجلَّ))[١] وهو ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس.

الثاني: نوع يتعلم بالدلائل والتجارب والخلق والأخلاق فتعرف به أحوال الناس[٢].

وللمتفرس المؤمن الأخذ بفراسته في خاصة نفسه ما لم يؤدِ ذلك إلى محظور شرعي.

أما عما يتصل بحقوق العباد فقد اختلف الفقهاء في اعتبار الفراسة من وسائل الإثبات في القضاء أو عدم اعتبارها:

فذهب الطرابلسي من الحنفية وابن العربي وابن فرحون من المالكية إلى عدم جوازم الحكم بالفراسة، لأنه حكم بالظن والحزر والتخمين، ووصف الحاكم الذي يعتمد ذلك في أحكامه بالفسق والجُور. لأن الظن يخطئ ويصيب ولأن مدارك الأحكام معلومة شرعًا مدركة قطعًا، وليست الفراسة منها.

وذهب قاضي القضاة الشامي المالكي ببغداد إلى الأخذ بالفراسة والحكم بها، جريًا على طريقة إياس بن معاوية في قضائه، وذهب إلى هذا ابن القيم وقال: (ولم يزل حذاق الحكام والولاة يستخرجون الحقوق بالفراسة والأمارات، فإذا ظهرت لم يقدموا عليها شهادة تخالفها ولا إقرارًا)[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣١٢٧، وقال حديث غريب. كما ضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٦٠٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في "ف ر س".

(٣) الطرق الحكمية ٢٤، تحقيق محمد حامد الفقي، وانظر: معين الحكام ص ٢٠٦، وتبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، برهان الدين المالكي ١٠٣/٢، وأحكام القرآن، ابن العربي ١١٣١/٣، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٣٦/١٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٢/٧٧-٧٩.

المضامين الدعوية[1]

أولاً : من أساليب الدعوة: القسم.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: بيان شدة عيش الصحابة رضي الله عنهم.

ثالثًا: من صفات الداعية: الفطنة والفراسة.

رابعًا: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: مواساة النبي ﷺ لأهل الصفة.

سادسًا: من واجبات المدعو: الاستجابة والطاعة لله ولرسوله.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الاستئذان قبل الدخول.

ثامنًا: من أساليب الدعوة : الأمر.

تاسعًا: من موضوعات الدعوة: من معجزات النبي ﷺ تكثير اللبن.

عاشرًا: من صفات الداعية: التواضع.

أولاً - من أساليب الدعوة: القسم:

القسم من الأساليب الدعوية التي يراد بها تأكيد وتحقيق المقسم عليه، وهذا ما ورد في الحديث من قسم أبي هريرة رضي الله عنه وتأكيده على ما كان به من شدة الجوع وذلك في قوله: "والله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع" (والقسم كأسلوب دعوي قد عرفه الناس قديمًا واستعملوه تأكيدًا لخبر أو تعظيمًا لشيء أو جمع الانتباه حول غاية. وقد أحس العرب الجاهليون بأهدافه ومراميه فاستعملوه في كلامهم وجعلوه دليلاً على إثبات الحق)[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان شدة عيش الصحابة رضي الله عنهم:

(إن التجافي عن الترف والنعيم من أعظم أسباب بلوغ المجد وعلو الهمة كما قيل:

فمن هجر اللذات نال المنى ومن أكبَّ على اللذات عضَّ على اليد

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٠١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٥٠٢).

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد غلوش، ٣٢٩.

ولهذا جرت العادة على أن من ينغمس في النعيم، ويغرق في الترف، تخور عزائمه وتقل همته، فيكون أشد كراهية للحروب، وأقلهم نبوغًا في العلم، وأبعدهم عن معاناة المشاق، وتحمل الصعاب)[١]، ولقد كان لنا في سلفنا الصالح أفضل القدوة وأمثل الأسوة، فلم يصرفوا هممهم إلى طيب العيش ولذته وقد كانوا أقدر الناس على ذلك، بل ترفعوا عن محقرات الأمور وصغائرها، وآثروا غايات قد ارتبطت بالسماء، فأقاموا الدعوة إلى الله حق إقامة، ولم يشغلهم عن ذلك ضيق العيش وشدته.

وهذا ما أشار إليه نص الحديث في بيان ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من ضيق العيش وذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه: "... إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع..." وأيضًا في قوله رضي الله عنه: "لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ، ... وما بي إلا الجوع" وفي بيان شدة معيشة أصحاب النبي ﷺ، قال عتبه بن غزوان رضي الله عنه: "لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام نأكله إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا"[٢].

وقال جابر بن عبدالله: "بعثنا رسول الله ﷺ ونحن ثلاث مئة نحمل أزوادنا على رقابنا ففنى أزوادنا حتى يكون للرجل منا تمرة، فقيل: "يا أبا عبدالله وأين تقع التمرة من الرجل؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حين فقدناها... الخ"[٣]، وفي ذلك بيان على شدة عيش الصحابة رضي الله عنهم وعدم اهتمامهم بمحقرات الأمور وسفسافها من أجل السعي في نشر الدعوة إلى الله.

ثالثًا - من صفات الداعية: الفطنة والفراسة:

يظهر ذلك في الحديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه: "... فمر بي النبي ﷺ فتبسم حين رآني، وعرف ما في وجهي وما في نفسي..." ومما لا شك فيه أن من أهم صفات الداعية التي يجب أن يتصف بها "أن يكون له من الفطنة والفراسة ما يتوسم بهما حال

---

(١) انظر: الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد، ١٥٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٤١٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٣٥٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤١٥٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ٢٣٥٥).

السامعين ليعرف مبلغ طاقتهم وقدر استحقاقهم وإقبالهم على الانتفاع ليعطيهم ما يتحملون، ويمسك عما لا يطيقون ويوجز إذا خشى الانصراف أو رأى عليهم مللاً وسآمة. ومن الحكم المأثورة، من لم ينشط لكلامك فارفع عنه مئونة الاستماع منك": وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه. "إذا أنا لم أعلم ما لم أرى فلا علمت ما رأيت"[1].

رابعًا - من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين:

(إن من مهام الداعية الناجح أن يتعرف على أحوال الناس وأوضاعهم، ولا تغيب عنه كثيرًا من أمورهم الفكرية والاجتماعية والنفسية...، ومن جوانب المعرفة الضرورية والمفيدة معرفة أوضاع المدعو الاقتصادية، فإن كان فقيرًا معوزًا كانت مساعدته من أهم القضايا التي تهم الداعية)[2]، وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه "فمر بي النبي ﷺ فتبسم حين رآني، وعرف ما في وجهي وما في نفسي، ثم قال: "أبا هرّ" قلت: لبيك يا رسول الله... إلخ".

وقد كان النبي ﷺ أحرص الناس على تفقد أحوال أصحابه رضي الله عنهم رحمة وشفقة بهم، وليس أدل على ذلك من قول أنس رضي الله عنه ((إنَّ النبيَّ ﷺ افْتَقَدَ ثابتَ بن قَيْس، فقال رجُلٌ يا رَسولَ الله أنا أعلمُ لكَ علمَهُ، فأتاهُ فوَجَده جالسًا في بيتِهِ مُنكِّسًا رأسَه، فقال له: ما شأنُكَ؟ فقال شرٌّ. كانَ يَرْفع صَوْته فوقَ صوتِ النَّبيِّ ﷺ فقد حَبطَ عَمَله وهو من أهل النار، فأتى الرَّجل النبيَّ ﷺ فأخبرَه أنَّه قال كذا وكذا، فقال موسى، فرجع إليْه المرَّةَ الآخِرَة ببشارَةٍ عظيمة، فقال اذهبْ إليه فقلْ له: إنَّك لَسْتَ من أهل النَّار، ولكنَّك من أهلِ الجنَّة))[3].

قال النووي: (وفيه أنه ينبغي للعالم وكبير القوم أن يتفقد أصحابه ويسأل عمن غاب منهم)[4].

---

(١) هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة، على محفوظ، ١٢١.

(٢) قواعد الدعوة إلى الله، د. همام عبدالرحيم سعيد ص ١٦٤-١٦٥.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦١٣، ومسلم ١١٩.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٩.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: مواساة النبي ﷺ لأهل الصفة:

(قد كان أهل الصفة من أكابر الصحابة رضي الله عنهم ورعًا وتوكلاً على الله عز وجل وملازمة لخدمة الله ورسوله ﷺ اختار الله تعالى لهم ما اختاره لنبيه ﷺ من المسكنة والفقر والتضرع لعبادة الله عز وجل وترك الدنيا لأهلها)[1]، وقد كان النبي ﷺ يواسيهم بالقليل والكثير، وهذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ "الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي" قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد، وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها، وأشركهم فيها"، وفي تأكيد مواساة النبي ﷺ لأهل الصفة قال حرب بن أبي الأسود: ((حدّثني طلحة البصري قال: كان الرجل منا إذا قدم المدينة فكان له بها عريف نزل على عريفه وإن لم يكن له بها عريف نزل الصفة، فقدمت فنزلت الصفة، فكان يجري علينا من رسول الله ﷺ كل يوم مدٌّ من تمر بين اثنين ويكسونا "الخنف"[2]، فصلّى بنا رسول الله ﷺ بعض صلاة النهار، فلما سلَّم ناداه أهل الصفة يمينًا وشمالاً: يا رسول الله أحرق بطوننا التمر وتخرقت عنا الخنف فمال رسول الله ﷺ إلى منبره فصعده فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر الشدة ما لقي من قومه حتى قال: وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ وَعلَى صاحِبي بِضْعَ عَشْرَةَ وَما لي وَلَهُ طَعامٌ إلا الْبرير، قال: قلت لأبي حرب: وأيّ شيء البرير؟ قال: طعام رسول الله ﷺ ثمر الأراك، فَقَدِمْنا عَلى إِخْوانِنا هؤُلاءِ مِنَ الأَنْصارِ وَعظمُ طعامِهِم التَّمْرُ فَواسونا فِيهِ وَاللهِ لَوْ أَجِدُ لَكُمْ الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ لأَشْبَعْتُكُمْ مِنْهُ وَلكِنْ عَسى أَنْ تُدْرِكوا زَمانًا حَتّى يُغْدى عَلى أَحَدِكُمْ بجَفْنَةٍ وَيُراحُ عَلَيْهِ بِأُخْرَى))[3]. وفي ذلك بيان عظيم على مواساة النبي ﷺ لأهل الصفة.

---

(١) قاله الحاكم في المستدرك، ٥٥٣/٣.

(٢) وهو نوع غليظ من أردأ الكتّان، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ص ٢٨٨.

(٣) أخرجه أحمد ٤٨٧/٣ رقم ١٥٩٨٨، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٣٦٤/٢٥، كما أخرجه الحاكم، المستدرك ٤٣٤٧، وقال حديث صحيح الإسناد.

سادسًا - من واجبات المدعو: الاستجابة والطاعة لله ولرسوله:

إن طاعة الله ورسوله من صفات المؤمنين اللازمة لهم والواجبة عليهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[(١)] وقد أشار الحديث إلى أهمية ووجوب طاعة الله ورسوله من قول أبي هريرة رضي الله عنه: "ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُدٌّ"، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[(٢)].

ثم بين عز وجل عظم فضل الاستجابة والطاعة في ذلك فقال: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[(٣)]، أي انقادت قلوبهم للعلم والإيمان، وجوارحهم للأمر والنهى وصاروا موافقين لربهم فيما يريده منهم، فلهم "الحسنى" أي: الحالة الحسنة، والثواب الحسن، فلهم من الصفات أجلها ومن المناقب أفضلها ومن الثواب العاجل والآجل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"[(٤)].

سابعًا - من موضوعات الدعوة: أهمية الاستئذان قبل الدخول:

(والاستئذان هو طلب الإذن في الدخول لمحل لا يملكه المستأذن)[(٥)]، وهذا ما أشار إليه الحديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه "فأقبلوا واستأذنوا، فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت" وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٥١-٥٢.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) سورة الرعد، آية: ١٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٧٣٠

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/١١.

بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾[١] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ﴾[٢] وقال: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾[٣].

قال ابن كثير: (هذه آداب شرعية، أدَّب الله بها عباده المؤمنين، وذلك في الاستئذان، أمر الله المؤمنين ألا يدخلوا بيوتًا غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي: يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده. وينبغي أن يستأذن ثلاثًا، فإن أُذن وإلا انصرف)[٤]، وقد ثبت في الصحيح عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الإِسْتِئْذَانُ ثَلاَثٌ. فَإِنْ أُذِنَ لَكَ. وَإِلاَّ فَارْجِعْ))[٥] وقد بين الشنقيطي ذلك فقال: (اعلم أن المستأذن إن تحقق أن أهل البيت سمعوه لزمه الانصراف بعد الثالثة؛ لأنهم لما سمعوه، ولم يأذنوا له دل ذلك على عدم الإذن، وقد بينت السنة الصحيحة عدم الزيادة على الثلاث خلافًا لمن قال من أهل العلم: إن له أن يزيد على الثلاث مطلقًا، وكذلك إذا لم يدر هل سمعوه أو لا؛ فإنه يلزمه الانصراف بعد الثالثة ثم قال: والذي يظهر لنا رجحانه من الأدلة، أنه إن علم أن أهل البيت لم يسمعوا استئذانه لا يزيد على الثالثة بل ينصرف بعدها لعموم الأدلة، وعدم تقييد شيء منها بكونهم لم يسمعوا خلافًا لمن قال: له الزيادة، ومن فصّل في ذلك،قال: والصواب - إن شاء الله تعالى - هو ما قدمنا من عدم الزيادة على الثلاث؛ لأنه ظاهر النصوص ولا يجوز العدول عن ظاهر النص إلا بدليل يجب الرجوع إليه)[٦].

وللاستئذان آداب منها: (أن يقف المستأذن عن يمين أو شمال الباب حتى لا يقع بصره على موضع لا يحل له النظر إليه، أو على شيء يكره رب الدار لأحد رؤيته)[٧]،

---

(١) سورة النور، آية: ٢٧.

(٢) سورة النور، آية: ٥٨.

(٣) سورة النور، آية: ٥٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٦/٦.

(٥) أخرجه البخاري ٦٢٤٥، ومسلم ٢١٥٣.

(٦) أضواء البيان ١٧٥/٦-١٧٥.

(٧) كتاب الآداب، فؤاد الشلهوب، ٦٣.

وقد أكد النبي ﷺ على ذلك فعن عبدالله بن بُسر رضي الله عنه صاحب النبي ﷺ ((أن النبي ﷺ كان إذا أتى بابًا يريد أن يستأذن لم يستقبله جاء يمينًا وشمالاً فإن أُذن له وإلا انصرف))[١]، ومن آداب الاستئذان عدم نظر الرجل في بيت غيره إلا بإذنه، فالاستئذان لم يشرع إلا من أجل البصر، فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، أن النبي ﷺ قال: ((لا يحل لامرئ مسلم أن ينظر إلى جوف بيت حتى يستأذن فإن فعل فقد دخل))[٢].

ومن آداب الاستئذان أن يوضح ويبين المستأذن اسمه أو كنيته ولا يقل أنا، فعن جابر رضي الله عنه قال: ((أتيتُ النبيَّ ﷺ في دَين كان على أبي، فدقَقْت الباب، فقال: من ذا؟ فقلت: أنا. فقال: أنا أنا. كأنه كرِهَها))[٣]، وفي ذلك بيان على أهمية الاستئذان قبل الدخول ومراعاة آدابه.

ثامنًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من أمره ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه بإعطاء قدح اللبن لأهل الصفة وذلك في قوله ﷺ "خذ فأعطهم" قال: فأخذت القدح، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى"، والأمر من الأساليب الدعوية التي يكون بها حمل المدعو وإرشاده إلى فعل الأمر والمدعو إليه.

تاسعًا - من موضوعات الدعوة: من معجزات النبي ﷺ تكثير اللبن:

(قد أجرى الله تبارك وتعالى على يدي أنبيائه ورسله من المعجزات الباهرات والدلائل القاطعات والحجج الواضحات ما يدل على صدق دعواهم أنهم رسل الله، وكي تقوم الحجة البالغة على الناس فلا يبقى لأحد عذر في عدم تصديقهم وطاعتهم. فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾[٤])[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٧٨)، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٩٣)، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨٣١).

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٥٠، ٢١٥٥.

(٤) سورة الحديد، آية: ٢٥.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ١/٥٢٠.

وهذا ما أكد عليه الحديث من تكثير اللبن ببركته ﷺ حتى أن أهل الصفة شربوا منه جميعًا وذلك من قوله ﷺ: "خذ فأعطهم" قال أبو هريرة رضي الله عنه: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد على القدح، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ حتى انتهيت إلى النبي ﷺ، وقد روى القوم كلهم..."، قال ابن حجر: (وفيه معجزة عظيمة، ... من تكثير الطعام والشراب ببركته ﷺ)[(١)]، وفي ذلك بيان على نبوته ﷺ.

عاشرًا: من صفات الداعية: التواضع:

حيث لم يُؤثر النبي ﷺ نفسه على أهل الصفة بل كان ﷺ آخر من شرب، "والتواضع بالدعاة والمرشدين أليق، ولهم ألزم؛ لأن التواضع عطوف والعجب منفر وهو بكل أحد قبيح وبالمرشدين أقبح؛ لأن الناس بهم يقتدون وكثيرًا ما يداخلهم الإعجاب لتوحدهم بفضيلة العلم، ولو أنهم نظروا حق النظر وعملوا بموجب العلم لكان التواضع بهم أولى، ومجانبة العجب بهم أحرى، لأن العجب نقص ينافي الفضل"[(٢)]، وفي ذلك قال ﷺ: ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ . وَمَا زَادَ اللّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا. وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللّهُ))[(٣)].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٩٤.

(٢) مستلزمات الدعوة، على بن صالح المرشد ، ٢١٥-٢١٦

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

الحديث رقم (٥٠٢)

٥٠٢ - وعن محمد بن سيرين، عن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لأَخِرُّ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إِلَى حُجْرَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها مَغْشِيًّا عَلَيَّ، فَيَجِيءُ الجَائِي، فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي، وَيُرَى أنِّي مَجْنُونٌ وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ، مَا بِي إِلاَّ الْجُوعُ. رواه البخاري[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لأخرُّ: لأسقط[٢].

الشرح الأدبي

يروي الحديث أبو هريرة رضي الله عنه عن أحداث، وأحوال شخصية وقعت معه تعكس شدة الحال، وضيق المعيشة، وقلة الرزق، وقد بدأ بأسلوب خبري مؤكد، والتعبير بالرؤية ونسبة الفعل لنفسه (رأيتني) بضميري المتكلم، وهو من خصائص أفعال القلوب أي لقد رأيت نفسي ليعطي المخاطبين تصورا عن الحدث يقرب لهم الصورة، والتعبير بالفعل (أخرّ) يوحي بسقوط مع سرعة مؤذنة بفقدان السيطرة على النفس، وذكر ظرف الحدث المكاني (بَيْنَ مِنْبَرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إِلَى حُجْرَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها) يشير إلى أنه لم يبرح مكانه في المسجد ملازما للرسول صلى الله عليه وسلم رغم شدة جوعه، وذكر المنبر يشير إلى سبب لزوم المسجد، وهو الانشغال بنقل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن الثابت أن أبا هريرة رضي الله عنه من أكثر الصحابة رواية عن رسول صلى الله عليه وسلم، والتعبير بالغشي يشير إلى شدة وطأة الجوع التي أفقدته الحس مما يدل على أنه استمر أياما حتى بلغ به ما بلغ،

(١) برقم ٧٣٢٤. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٩٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ر ر).

وقوله (فَيَجِيءُ الجَائِي) جناس يؤكد المعنى، ويقرره، وقوله (فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي) كناية عن شدة الضعف التي أعجزته عن الدفع عن رقبته العضو الأقرب إليه، وقوله: (مجنون، وجنون) جناس يقرر شدة الالتباس على الناظر من شدة تأثير الجوع فيه، وحالة الضعف التي أحاطت به، وهو ما يعكس شدة ما لاقى الجيل الطاهر في سبيل أداء الأمانة، وتبليغ الأمة شرع الله، وسنة نبيه التي ضيعها كثير من الناس في هذا الزمان - ولا حول، ولا قوة إلا بالله - .

المضامين الدعوية(١)

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٥٠٣)

٥٠٣ - وعن عائشة ﵂ ، قالت: تُوُفِّي رسول الله ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِي فِي ثَلاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ. متفق عَلَيْهِ(١).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الدرع: هو ما يلبسه المحارب من قميص. والجمع: دروع وأدراع(٢).

صاعًا: وحدة من وحدات المكاييل(٣).

الشرح الأدبي

الحديث يحمل أعظم الدلائل على أعلى أمثلة الزهد في الدنيا، والانشغال بالآخرة، وهو موت أعظم خلق الله، وأكرمهم عليه، وأحبهم عنده، ودرعه - أخص خصوصياته مرهونة عند يهودي - ولا ننسى أن الدرع عدة جهاد، وليس لمتاع الدنيا، ومرهونة في طعام، وأي طعام؟! طعام من شعير أي أنه لم يملك من الطعام ما يكفيه، وأهله، ولعله أطعم به الفقراء، والمساكين فقد كان يصبر، وأهله الأيام دون طعام، ولكن المحتاجين من المساكين، وأبناء السبيل لا يردهم بل يستدين، ويطعمهم فهو بابهم المقصود، وأملهم المنشود، والظرف عند، وإضافته لليهودي يشير إلى شدة الحال عند جميع من حوله من المسلمين؛ لأنهم جميعاً على قلب رجل واحد في البذل، والإنفاق، والانشغال بالآخرة، كما أن كون اليهودي هو المقرض للطعام يشير إلى النزعة المادية عند اليهود، والتركيز على السيطرة على ضروريات الناس للتحكم بهم إذا دعت الحاجة، كما تشير تلك

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩١٦ واللفظ له، ومسلم ١٦٠٣/١٢٥. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٢١.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ١٨٥.

(٣) انظر: معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ٢٤١، ٤١٩.

الواقعة إلى سوء طبع اليهود الذين يحيون بالغدر حيث أن اليهودي لم يقرض الرسول ﷺ، وهو يعلم أمانته - وإن أنكر نبوته - إلا بعد أن أخذ رهنا، وهذه الواقعة تهيب بالأمة اليقظة لهم، والعمل على إبطال كيدهم، وقد عاش الرسول ﷺ ولم يمكنهم من تنفيذ مخطط مكر من مخططاتهم التي لا يكفون عنها.

فقه الحديث

في هذين الحديثين[١] من الأحكام الفقهية ما يلي:

١ - معاملة أهل الذمة وغيرهم من الكفار: قال النووي: (فيه [أي في حديث عائشة رضي الله عنها] جواز معاملة أهل الذمة ... وقد أجمع المسلمون على جواز معاملة أهل الذمة وغيرهم من الكفار إذا لم يتحقق تحريم ما معه لكن لا يجوز للمسلم أن يبيع أهل الحرب سلاحًا وآلة حرب ولا يستعينون به في إقامة دينهم ولا بيع مصحف ولا العبد المسلم لكافر مطلقًا)[٢]. وقال ابن حجر: (وفيه [أي في حديث أنس رضي الله عنه] جواز بيع السلاح ورهنه وإجارته وغير ذلك من الكافر ما لم يكن حربيًا)[٣].

٢ - ثبوت أملاك أهل الذمة في أيديهم: قال النووي: (فيه الحكم بثبوت إملاكهم على ما في أيديهم)[٤].

٣ - معاملة من أكثر ماله حرام: قال ابن حجر: (واستنبط منه جواز معاملة من أكثر ماله حرام)[٥] وقد ذكر السيوطي أن معاملة من أكثر ماله حرام إذا لم يعرف عينه لم يحرم ولكن تكره[٦].

---

(١) أي في الحديثين رقمي ٥٠٢، ٥٠٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦/١١/٢٣-٣٤، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/١٤١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/١٤١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦/١١/٢٣، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/١٤١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/١٤١.

(٦) الأشباه والنظائر ١٠٥.

وقال ابن قدامة: (وإذا اشترى ممن في ماله حرام وحلال كالسلطان الظالم والمرابي، فإن علم أن المبيع من حلال ماله فهو حلال، وإن علم أنه حرام فهو حرام، ولا يقبل قول المشترى عليه في الحكم، لأن الظاهر أن ما في يد الإنسان ملكه، فإن لم يعلم من أيهما هو كَرِهْناه؛ لاحتمال التحريم فيه ولم يبطل البيع لإمكان الحلال، قلّ الحرام أو كثر)[1].

٤ - قول المرتهن في قيمة المرهون: قال ابن حجر: (فيه أن القول قول المرتهن في قيمة المرهون مع يمينه حكاه ابن التين)[2].

٥ - حكم الرهن ورهن آلة الحرب والرهن في السفر:

قال النووي: (فيه جواز الرهن، وجواز رهن آلة الحرب عند أهل الذمة، وجواز الرهن في الحضر وبه قال الشافعي ومالك وأبو حنيفة وأحمد والعلماء كافة إلا مجاهدًا وداود [الظاهري] فقالا: لا يجوز إلا في السفر؛ تعلقًا بقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾[3] واحتج الجمهور بهذا الحديث، وهو مقدم على دليل خطاب الآية)[4]. وقال ابن حجر: (إن التقييد بالسفر في الآية خرج للغالب فلا مفهوم له لدلالة الحديث على مشروعيته في الحضر وهو قول الجمهور، واحتجوا له من حيث المعنى بأن الرهن شرع توثقة على الدين لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ فإنه يشير إلى أن المراد بالرهن الاستيثاق، وإنما قيده بالسفر لأنه مظنة فقد الكاتب فأخرجه مخرج الغالب)[5].

---

(١) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٧٢/٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤١/٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٤/١١/٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤٠/٥، و انظر: الجوهرة النيرة ٣٦٦/٢، وبداية المجتهد ٢٢٢/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٧٧/١٣، والمغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٤٤/٦، والمحلى، ابن حزم ٧٨/٨.

٦ - الشراء بالثمن المؤجل: قال ابن حجر: (فيه جواز الشراء بالثمن المؤجل)[١] قال القرطبي: (لا خلاف بين العلماء أن من باع معلومًا من السلع بثمن معلوم إلى أجل معلوم من شهور العرب أو إلى أيام معروفة العدد، أن البيع جائز، وكذلك قالوا في السلم إلى الأجل المعلوم)[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: أهمية الزهد في الدنيا والتعلق بالآخرة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان شدة وخشونة العيش التي كان عليها النبي ﷺ وآله.

رابعًا: من واجبات الدعاة: الاقتداء بالنبي ﷺ في زهده في الدنيا وإقباله على الآخرة.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد الإخبار كأسلوب دعوي في الحديث من قول عائشة رضي الله عنها "توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة..."، ومن قول أنس رضي الله عنه "رهن النبي ﷺ درعه بشعير..."، ومن قول عائشة رضي الله عنها "كان فراش رسول الله ﷺ من أُدم..."، حيث أفاد الإخبار في هذه الأحاديث زهده ﷺ في الدنيا وإعراضه عنها، وقول أبي هريرة رضي الله عنه: "لقد رأيت سبعين من أهل الصفة، ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء..." والإخبار من الأساليب الدعوية التي يكون بها تبليغ الدعوة إلى الله، وقد حث الحق تبارك وتعالى على ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٤].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤١/٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٣٢/٣.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٠٣- مع مضامين الأحاديث رقم (٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦).

(٤) سورة فصلت، آية: ٣٣.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية الزهد في الدنيا والتعلق بالآخرة:

(إن من تدبّر حقائق الأمور وجد الحياة الدنيا وما فيها من زينة ومتاع أمورًا صغيرة قليلة القيمة، لا تستحق الحرص عليها، وإيثارها على ما عند الله من أجر عظيم في جنات النعيم. فإذا دعاه الواجب الرباني إلى بذلها أو الزهد فيها بذلها في سبيل الله وزهد بها...، فإن أعظم ما في الحياة الدنيا من نعيم لا يعادل قطراتٍ من بحر نعيم الدار الآخرة، وأن أعظم ما في الدنيا من مصائب وشدائد يهون أمام نعيم دار الآخرة، ولا يُعادل مقدار شرارة صغيرة من عذاب جهنم...، فمن عرف هذه الحقائق وآمن بها فلابدّ أن يزهد بعرض الحياة الدنيا ويقطع علائق قلبه منه، ترفعًا إلى ما هو أجل وأعظم، وأكرم وأبقى)[1].

وهذا ما أشارت إليه نصوص الأحاديث في بيان زهد النبي ﷺ في الدنيا وإعراضه عنها، وقد أكد الحق تبارك وتعالى على ذلك فقال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾[2]، (وقد توعَّد سبحانه أعظم الوعيد لمن رضي بالحياة الدنيا، واطمأن بها وغفل عن آياته، ولم يَرْجُ لقاءه؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[3] وَعَيَّر سبحانه من رضي بالدنيا من المؤمنين؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأَخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[4] وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها، يكون تثاقله عن طاعة الله وطلب الآخرة ويكفي للزهد في الدنيا قوله

---

(١) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة، ٤٧٧-٤٧٨.

(٢) سورة الرعد، آية: ٢٦.

(٣) سورة يونس، آية: ٧-٨.

(٤) سورة التوبة، آية: ٣٨.

تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾[1])[2].

ولكن ليس معنى الزهد المطلوب ترك السعي في عمران الدنيا (فقد فهم بعض الناس الزهد فهمًا خاطئًا، إذ يرون أن الإسلام يحب الفقر للمسلمين ويدعوهم إلى تفضيله وإيثاره، فيجعلهم هذا التصور الخاطئ يبطّئون همتهم عن العمل والإنتاج وعمران الدنيا، ويرغبون في اللجوء إلى الزّوايا والتكايا والصوامع بزعم التفرغ للعبادة وإيثار عمل الآخرة ويصابون بعد ذلك بداء الكسل والإخلاد إلى الراحة...، وسبب خطئهم أنهم لم ينظروا إلى جملة النصوص الإسلامية التي يكمّل بعضها بعضًا، لقد تعلقوا بنصوص التزهيد في الدنيا وأساؤوا فهمها، ولم ينظروا إلى نصوص الحث على العمل والكسب وعمران الدنيا والأخذ بأسباب القوة، ونصوص الحث - بعد ذلك - على البذل في سبيل الله بعد الكسب الحلال زهدًا في الدنيا وابتغاءً لرضوان الله... فدعوة الإسلام إلى الزهد في الدنيا ليست دعوة إلى ترك العمل والإنتاج والاستثمار، وليست ترغيبًا في الفقر والضعف والمسكنة، بل هي تربية أخلاقية تدفع المسلم إلى فضائل البذل والعطاء، والبعد عن رذائل البخل والشح، ومسببات قسوة القلب...، فهي دعوة إلى أن يصرف المؤمن قلبه عن التعلق بالأشياء الدنيوية... كي يتوجه شطر الآخرة ومحبة الله وابتغاء مرضاته)[3].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: بيان شدة وخشونة العيش التي كان عليها النبي ﷺ وآله:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ: "ما أصبح لآل محمد صاع ولا أمْسَى" وأيضًا في قول عائشة رضي الله عنها: "كان فراش رسول الله ﷺ من آدم حشوه ليف. وفي بيان شدة وخشونة العيش التي كان عليها النبي ﷺ وآله، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كَانَ رَسُولُ

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢٠٥-٢٠٧.

(٢) الفوائد، ابن القيم، ١٤٣.

(٣) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حبنكة، ٤٨٢-٤٨٥.

اللهِ ﷺ، يَبِيتُ اللَّيَالِيَ المُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا وَأَهْلُهُ لاَ يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ»[(١)].

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها، أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: وَاللّهِ يَا ابْنَ أُخْتِي. إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَىٰ الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ. ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ. وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ. قَالَ: قُلْتُ: يَا خَالَةُ فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ؟ قَالَتِ: الأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ. إِلاَّ أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ. وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ. فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا، فَيَسْقِينَاهُ»[(٢)].

قال المباركفوري نقلاً عن الطبري: (إنه استشكل بعض الناس كون النبي ﷺ وأصحابه كانوا يطوون الأيام جوعًا مع ما ثبت أنه كان يرفع لأهله قوت سنة، وأنه قسم بين أربعة أنفس ألف بعير مما أفاء الله عليه، وأنه ساق في عمرته مائة بدنة فنحرها وأطعمها المساكين، وأنه أمر للأعرابي بقطيع من الغنم، وغير ذلك مع من كان معه من أصحاب الأموال كأبي بكر وعمر وعثمان وطلحة وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم وغيرهم، مع بذلهم أنفسهم وأموالهم بين يديه. وقد أمر بالصدقة فجاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بنصف ماله، وحث على تجهيز جيش العسرة فجهزهم عثمان بألف بعير إلى غير ذلك.

والجواب: أن ذلك كان منهم في حالة دون حالة، لا لعوز وضيق، بل تارة الإيثار وتارة لكراهة الشبع ولكثرة الأكل)[(٣)].

رابعًا - من واجبات الدعاة: الاقتداء بالنبي ﷺ في زهده في الدنيا وإقباله على الآخرة:

هذا ما يستفاد من سياق الأحاديث الواردة، وفي بيان زهده ﷺ قال ابن عمر رضي الله عنهما: ((أخذ رسولُ الله ﷺ بمنكبي فقال: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ))[(٤)]، وكان ﷺ يقول: ((لَوْ كَانَ عِنْدِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، لَسَرَّنِي أَنْ لاَ تَمُر

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣٦٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٢٣).

(٢) أخرجه البخاري ٢٥٦٧، ومسلم ٢٩٧٢.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨٧٠.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤١٦.

عَلَي ثَلاَثُ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلاَّ شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ))[١]. فعلى الدعاة أن يقتدوا بالنبي ﷺ في زهده في الدنيا وإعراضه عنها (فلا يطيلوا فيها الأمل ولا يتخذوها وطنًا ومسكنًا، فيطمئنوا فيها، ولكن ينبغي أن يكونوا فيها كأنهم على جناح سفر: يهيئُ المؤمن فيها جهازه للرحيل ...، ومن كان في الدنيا كذلك فلا همَّ له إلا في التزود بما ينفعه عند عودته إلى وطنه، فلا ينافس أهل البلد الذي هو غريب بينهم في عزِّهم...، قال الحسن: المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في عزها، له شأن وللناس شأن)[٢].

(وهذا ما دعا إليه الإسلام، فقد دعا إلى العمل في الدنيا مع عدم التعلق بها، لأنها متاع قليل، ولأن الهدف الأسمى للإنسان أن يحيا الحياة الحقيقية في الآخرة، وأن يزهد في الدنيا، وأن يعيش فيها كأنه غريب عنها، أو عابر سبيل ليترفع عن أدرانه المادية، ويسمو إلى المثل العليا، والصلة الروحية مع رب العالمين)[٣].

وفي ذلك قال ابن عثيمين: (إن الإنسان لا ينبغي أن تتعلق نفسه بالدنيا، وأن تكون بيده لا بقلبه، حتى يُقبل بقلبه على الله ﷻ؛ فإن هذا هو كمال الزهد، وليس المعنى أنك لا تأخذ شيئًا من الدنيا، بل خذ من الدنيا ما يحل لك، ولا تنس نصيبك فيها، ولكن اجعلها في يدك ولا تجعلها في قلبك)[٤]. فحري بالدعاة أن يقتدوا بالنبي ﷺ في زهده في الدنيا وإقباله على الآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٤٥، ومسلم ٩٩١.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٢٧٧-٢٧٨.

(٣) العز بن عبدالسلام، د. محمد الزحيلي ص ٣١٢.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين ١/٧٩٦

الحديث رقم (٥٠٤)

٥٠٤ - وعن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: رَهَنَ النَّبيُّ ﷺ دِرْعَهُ بِشَعِيرٍ، وَمَشَيْتُ إِلَى النَّبيِّ ﷺ بخُبْزِ شَعِيرٍ وإهَالَة سَنِخَةٍ، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: ((**مَا أصْبَحَ لآلِ مُحَمّدٍ [إلا]**[1] **صَاعٌ وَلاَ أمْسَى**)) وَإنَّهُمْ لَتِسْعَةُ أبيَات. رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الإهالَةُ: بكسر الهمزة: الشحم الذائب[3].

السَّنِخَةُ: المتغيرة الريح[4].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يشير إلى معنى سابقه، وهو زهد النبي ﷺ، وآله، والذي يدل عليه هذا الخبر الذي يرويه أنس رضي الله عنه دون مؤكدات مما يشير إلى أنه مشهور لا يتوقع له إنكارا، وقول أنس رضي الله عنه (رَهَنَ النَّبيُّ ﷺ دِرْعَهُ بشَعِيرٍ) الرهن يدل على مفارقة مؤقتة للمرهون مما يشير إلى عدم التفريط في وسيلة الجهاد؛ لأنه لم يبعه في أشد الظروف التي تضطر الإنسان إلى التصرف بأي وجه لينقذ من حوله من جوع قاتل، ولكن رهنه على نية استعادته في أقرب فرصة، وذكر الدرع، وإضافته للنبي ﷺ يشير إلى مدى الشدة التي اضطرتهم لذلك لأن الدرع آخر ما يمكن أن يفرط فيه العربي مما يشير إلى عدم وجود غيره والجار، والمجرور (بشعير) بيان لنوع الطعام الذي

---

(١) الزيادة من البخاري.

(٢) برقم ٢٥٠٨.

(٣) رياض الصالحين ٢٣٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ن خ).

رهن فيه الدرع يشي بجانب من التقشف الذي عاشوا فيه حيث لم يرهنه بقمح، أو لحم، أو غيره من الأطعمة الشهية، وإنما رهنه في أقل ما يدفع الجوع، وأردئ الأطعمة التي تمنع الموت جوعا، وقوله (وَمَشَيْتُ إِلَى النَّبيِّ ﷺ بخُبْزِ شَعِيرٍ وَإهَالَة سَنِخَةٍ) كناية عن تقديمهما له ليأكل منهما، وخبز الشعير، أقل أنواع الطعام عندهم، ووصف الإهالة وهي الشحم المذاب بالسنخة تتميم بلاغي أفاد أنها متغيرة الرائحة مع ذلك، وقول الرسول ﷺ (مَا أصْبَحَ لآلِ مُحَمّدٍ صَاعٌ وَلاَ أمْسَى) كناية عن كثرة الإنفاق، وعدم بقاء أي طعام مدة ليلة، أو مدة نهار إلا انفق على الفقراء، والمساكين، ورغم كثرة أبيات آل محمد فإنه لم يبق عندهم هذا القدر القليل من الطعام - رضوان الله عليهم جميعا - .

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٥٠٥)

٥٠٥ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، إمَّا إزَارٌ وَإمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا في أعْنَاقِهِم، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْن، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أنْ تُرَى عَوْرَتُهُ. رواه البخاري[(١)].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أهل الصفة: فقراء المهاجرين، كانوا يأوون إلى مكانٍ مظلل في المسجد يُسَمَّى الصُّفَّة[(٢)].

الشرح الأدبي

قول أبي هريرة رضي الله عنه: (لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ) يؤكد الخبر من عدة وجوه منها التعبير بالفعل في الماضي المحقق، ودخول اللام الموطئة للقسم، وقد التي تفيد التحقق بدخولها على الماضي، ثم إنه عبر بفعل الرؤية وهي أقوى طرق العلم، ثم ذكر العدد سبعين الذي يؤكد التدقيق في العدد وذكر الأهل، وإضافتهم للصفة تحديد لهولاء المعروفين بشدة الفقر، وضيق الحال يدل على ذلك وصفه لهم (مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، إمَّا إزَارٌ وَإمَّا كِسَاءٌ) وهو أسلوب نفي، مستغرق للسبعين عن طريق تسليط النفي على النكرة (رجل) وقبلها حرف الجر مع الضمير المجرور به، الذي ينفي أن يكون لأحد منهم رداء، وقوله (إمَّا إزَارٌ وَإمَّا كِسَاءٌ) إما تفصيلية، والرداء هو ما يستر النصف الأعلى من البدن، والإزار ما يكسو النصف الأسفل، قوله (قد ربطوا) أي الأكسية فحذف المفعول للعلم به قوله (فمنها) أي فمن الأكسية باعتبار أن الكساء جنس، وهذه الصورة تشير إلى انشغالهم بالآخرة، وترك المظاهر، والجري خلف المتاع الزائل رضي الله عنه.

المضامين الدعوية[(٣)]

---

(١) برقم ٤٤٢، أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٩١، وتقدم برقم ٤٦٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ف ف).

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٠٥- مع مضامين الأحاديث رقم (٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٦).

الحديث رقم (٥٠٦)

٥٠٦ - وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ فِرَاشُ رسول الله ﷺ مِنْ أُدْمٍ حَشْوُهُ لِيفٌ. رواه البخاري[١].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الأَدمِ: الجلد المصبوغ[٢].

حشوه: محشوَة[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يعرض مشهدا من بيت الرسول ﷺ لفراشه يدل على الزهد، وترك التلذذ بالمنام كما تركه في الشراب، وفي الطعام، وفي اللباس، وفي كل شيء، وقول عائشة رضي الله عنها (كَانَ فِرَاشُ رسول الله ﷺ مِنْ أُدْمٍ حَشْوُهُ لِيفٌ) التعبير بكان يشير إلى أنه كان فراشه الدائم لدلالة كان في الماضي على العادة في الشيء - غالبا - وهو عبارة عن نوع من القماش حشوه من ليف النخل، وهو حشو خشن ليس فيه ليونة، ولا يستغرق النائم عليه فيه، لأنه يريد من النوم ما يعينه على استكمال المهمة، وتبليغ الرسالة، واستئناف العبادة بأقل ما يمكن، وهذا الصورة، وغيرها من صور الزهد المشرقة من الرسول ﷺ تدعونا إلى ترك التكلف الفراش، وفي اللباس، وفي الطعام وغيره من صور التكلف البعيدة عن روح الإسلام الذي تعاني منه الأسر المسلمة،

---

(١) برقم ٦٤٥٦، وكذا مسلم ٢٠٨٢/٣٧ بلفظ: (وسادة) بدل: (الفراش)، وأورده الحميدي في جمعه ١٢٩/٤، رقم ٣٢٣٨ في المتفق عليه. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٨٠.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣١، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩٨/١١، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٦٢.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٦٢

وتستدين بسببه، تقليداً لغيرها من أهل الترف، والغرور بالدنيا لاسيما من غير المسلمين.

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه: جواز اتخاذ الفرش والوسائد، والنوم عليها، والارتفاق بها، وجواز المحشو، وجواز اتخاذ ذلك من الجلود وهي الأدم[(١)].

المضامين الدعوية[(٢)]

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧/١٤/٥٠.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٠٦- مع مضامين الأحاديث رقم (٥٠٢، ٥٠٤، ٥٠٥).

الحديث رقم (٥٠٧)

٥٠٧ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رسول الله ﷺ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْبَرَ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((**يَا أَخَا الأَنْصَارِ، كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟**)) فَقَالَ: صَالِحٌ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((**مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟**)) فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ، مَا عَلَيْنَا نِعَالٌ، وَلاَ خِفَافٌ، وَلاَ قَلاَنِسُ، وَلاَ قُمُصٌ، نَمْشِي فِي تِلك السِّبَاخِ، حَتَّى جِئْنَاهُ، فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حَوْله حَتَّى دَنَا رسول الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ. رواه مسلم[(١)].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

خفاف: جمع خُفٍّ: الحذاء الساتر للكعبين[(٢)].

قلانس: جمع قَلَنْسُوَة: نوع من ملابس الرأس ويكون على هيئات وأشكال متعددة[(٣)].

قُمُصٌ: جمع قميصٍ[(٤)].

السباخ من الأرض: الذي ما لم يحرث ولم يعمر لملوحته[(٥)].

---

(١) برقم ٩٢٥/١٣.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٧٥.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ل س).

(٤) القاموس المحيط، الفيروز آبادي ، الفيروز آبادي ٦٢٩.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ب خ).

الشرح الأدبي

قول ابن عمر رضي الله عنهما، (كُنَّا جُلُوساً مَعَ رسول الله ﷺ) يشير الفعل كان إلى حدث ثابت قبل زمن الحديث، ونسبته لناء الفاعلين يشير إلى الاجتماع، وهو يؤكد الحدث، وقوله (إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ) يوحي بالمفاجأة وعدم توقع حضور أحد، أو عدم توقعه هو تحديداً، وقوله (يَا أَخَا الأَنْصَارِ، كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟) النداء تودد، وتكريم مع ما فيه من التنبيه لما يتلوه، والاستفهام على حقيقته مع ما يعكسه من شفقة، ومحبة يوحي بها التعبير بالأخ الذي يدل على تلك الرابطة الأبدية، وهي الأخوة، ثم إضافته لنفسه، وهو تشريف لسعد رضي الله عنه ثم استفهام العرض، والترغيب في الزيارة (مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟) وقول الراوي (فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بضْعَةَ عَشَرَ) يشير إلى خفتهم إلى عمل الخير يدل على ذلك تكرار فعل القيام وإضافته لناء الفاعلين ثم ذكر العدد الموجود تحديداً وقوله (مَا عَلَيْنَا نِعَالٌ، وَلاَ خِفَافٌ، وَلاَ قَلاَنِسُ، وَلاَ قُمُصٌ) يشير إلى الحالة العامة، وشدة الفقر التي قصرت لباسهم على ما يستر العور فقط دون ما يكون للزينة زهدا في الدنيا، ورغبة فيما عند الله، وانشغالا به .

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه: جواز المشي حافيًا[1]، وقال القرافي: (الحفاة الغالب مصادفتهم النجاسة، ولو في الطرقات ومواضع قضاء الحاجات، والنادر سلامتهم، ومع ذلك جوز الشرع صلاة الحافي كما جوز له الصلاة بنعله من غير غسل رجليه، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمشي حافيًا، ولا يعيب ذلك في صلاته لأنه رأى النبي ﷺ يصلي بنعله[2]، ومعلوم أن الحفاء أخف في تحمل النجاسة من النعال فقدم الشارع حكم النادر على الغالب، توسعة على العباد)[3].

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي، ٢٠١/٦/٣.

(٢) أخرج البخاري ٣٨٦، ومسلم ٥٥٥ عن أبي سلمة سعيد بن يزيد الأزدي، قال: سألت أنس بن مالك: "أكان النبي ﷺ يصلي في نعليه؟ قال: نعم".

(٣) الفروق ٢٠٦/٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: من صفات الداعية: التواضع.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عيادة المريض.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان خشونة العيش ورقة الحال التي كان عليها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم:

حرص الصحابة الكرام رضي الله عنهم على مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم للاستفادة من علمه والتأدب بآدابه، والاقتداء به من خلال رصدهم الدقيق لما يقوم به صلى الله عليه وسلم من أفعال، ومن شواهد في الحديث: "كنا جلوسًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وهذا يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لأنه القدوة الطيبة لهم في كل أمور حياتهم بهذا أخبرهم الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]، وفي مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يتعلمون منه العلم، وأمور الحلال والحرام ويسألونه عما يعرض لهم من أمور، ويجعلونه حكمًا بينهم فيما ينشأ بينهم من منازعات، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[2]، وأيضًا في مجالسته كانوا يتبعون هديه فيما يأتي ويذر، ويفعل ويترك ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس خاتمًا من ذهب فنبذه وقال: ((لا ألبسُهُ أبدًا فنبذَ الناسُ خواتيمَهم))[3]، ومن ثم فقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٣) أخرجه البخاري ٦٦٥١، ومسلم ٢٩٠١.

ثانيًا - من صفات الداعية: التواضع:

إن من عوامل التأثير في المدعوين واستمالة قلوبهم التواضع معهم، والسؤال عنهم وتفقد أحوالهم، ولذا كان من أهم الصفات التي ينبغي للداعية أن يتصف بها: التواضع وتفقد أحوال المدعوين، حيث جاء في الحديث: "كيف حال أخي"، "نمشي في تلك السباخ حتى جئناه"، قال ابن علان: "وفي قوله: كيف حال أخي فيه كمال تواضعه ومزيد فضله ﷺ إذا أطلق هذا اللفظ في حقه تشريفًا له، وفيه إيماء إلى صدق إيمانه فيكون فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، وظاهر عبارة نمشي في تلك السباخ، أنه ﷺ كان كذلك ليتأسوا به ويقتدوا بهديه"[2]، والتواضع من أهم صفات الداعية، قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، (ولا شك أن الداعية إلى الله إذا تزود بالعلم، وتحلى بالحلم وتخلق بالتواضع يستطيع أن يقوم بدوره في الإصلاح والتغيير، ويستطيع أن يهدي أمة بأسرها، وأن يصلح مجتمعًا بأكمله)[4]، إن الله سبحانه علَم نبيه ﷺ كل ما يجعل منه الداعية الأول في العالم، ومن جملة ما أرشده إليه التواضع، (فإن التواضع فوق أنه تعبير دقيق عن العظمة الحقيقية - قليل التكلفة على المستوى الشعوري والعملي، فالمتواضع يبدو دائمًا أقل من حقيقته، وبذا فإنه يظل يكبر في أعين الناس دون جهد يبذل كلما كشفت لهم الأيام عن جواهره المخبوءة)[5].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: عيادة المريض:

إن المسلم يشارك إخوانه في أفراحهم وأتراحهم وهذا من شأنه أن يوطد العلاقات الاجتماعية، ومن صور هذه المشاركة عيادة المريض، حيث جاء في الحديث: "من يعوده منكم"، وعيادة المريض دلت النصوص الشرعية على فضلها وعظيم ثوابها فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، لَمْ

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٧٦٢.

(٣) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٤) أخلاقيات الداعية، عبدالله ناصح علوان، ص ٢٣.

(٥) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبد الكريم البكار، ص ١٣١.

يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ))، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ ((جَنَاهَا))[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَن عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً))[٢].

وجاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ. أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ. أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي))[٣].

وفي ضوء هذه النصوص تتبين أهمية وفضل عيادة المريض وثوابها عند الله تعالى، (إن عيادة المريض مندوبة في الأصل وقد تصل إلى الوجوب في حق بعض الناس دون بعض، وعيادة المريض تذكرة ومحبة ومنفعة، فهي تذكر الإنسان بنعم الله عليه، وتعرفه قيمة الصحة التي يتمتع بها، فينطق بشكر مسديها، وهي تزرع المحبة بين المريض وعواده، بل بينهم وبين قرابته، وهي نافعة المريض تروّح عنه وتسليه، وربما وصف العائد دواء يذهب بالداء، أو أرشد إلى طبيب ماهر، وينبغي أن تكون العيادة في الأوقات المعتادة، وألا يطيل الجلوس حتى يضجر المريض، أو يشق على أهله، ما لم تدع ضرورة إلى ذلك)[٤]. وعلى الدعاة الهداة تذكير المدعوين بفضل عيادة المريض والحث عليها لأن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن لنا فضل عيادة المريض.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٦٨.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٠٠٨ وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٢).

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٦٩.

(٤) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ١٠٧.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: بيان خشونة العيش ورقة الحال التي كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ:

لقد ضرب صحابة النبي ﷺ المثل الرفيع في الزهد في الدنيا وعدم التطلع لها وهم مع خشونة عيشهم ورقة حالهم صابرين راضين غير ساخطين، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في الحديث: (ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص نمشي في تلك السباخ)، وما من شك أن الصحابة رضي الله عنهم تحملوا شدة الحال، وقلة الزاد من أجل الدعوة إلى الإسلام، ولقد كان الداعية الأول ﷺ في نفس الحال التي يعيشونها من الزهد وخشونة العيش ورقة الحال، ففي الصحيح ذكر عمر رضي الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا فقال: (لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي، مَا يَجِدُ دَقَلاً يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ)[1]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ وَمَا شَبِعَ مِنَ الأَسْوَدَيْنِ: التَّمْرِ وَالمَاءِ)[2]، ومن شدة ما كان يصيب الصحابة من شظف العيش كانوا يأكلون الجراد، فعن أبي أوفى رضي الله عنه قال: (غَزَوْنا مع النبيِّ ﷺ سبعَ غَزَوَات - أو سِتًّا - كنا نأكُلُ فيهن الجَرادَ)[3]، وحتى في الكساء، واللباس لم يجدوا ما يلبسونه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (رأيتُ سَبعينَ من أهلِ الصُفَّةِ ما منهم رجُلٌ عليه رداء، إما إزارٌ وإما كِساءٌ قد رَبطوا في أعناقِهم، فمنها ما يَبلغُ نِصفَ الساقَينِ، ومنها ما يَبلُغُ الكَعْبَينِ، فيَجْمعهُ بيَدِه كراهِيةَ أن تُرَى عَورَتُه)[4]، إن هذه النصوص تدل على مدى شدة العيش التي كان فيها صحابة رسول الله ﷺ، وكيف أنهم لم يكونوا يتطلعون إلى الدنيا وزينتها وبهرجها وإنما جعلوها وراء ظهورهم، وأسكنوها خلف قلوبهم، وطرحوها بعيدًا عن عقولهم.

قال ابن القيم: (إن إيثار الدنيا على الآخرة إما من فساد في الإيمان، وإما من فساد في العقل، وما أكثر ما يكون منهما، ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره هو

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩٧٧.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٧٥.

(٣) أخرجه البخاري ٥٤٩٥، ومسلم ١٩٥٢.

(٤) أخرجه البخاري ٤٤٢.

وأصحابه رضي الله عنهم وصرفوا عنها قلوبهم، وطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها وعدُّها سجنًا لا جنة، فزهدوا فيها حقيقة الزهد. ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب، ولوصلوا منها إلى كل مرغوب فقد عُرضتْ عليه مفاتيح كنوزها فردّها، وفاضت على أصحابه فآثروا بها ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها، وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتمّ الزيارة حتى أذّن بالرحيل)[١].

وقال د. الحسيني عبدالمجيد هاشم: "إن الصحابة رضي الله عنهم ورائدهم في ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا متخففين في العيش واللباس صابرين على البأساء والضراء حيث ساروا حفاة في ثياب عادية لا قمص تحتها ولا لباس خاص للرأس، ومع ذلك احترمهم الأنصار أصحاب البلد وقاموا تكريمًا لهم وإعزازًا لشأنهم، وليأتنس بهم المريض ويذهب عنه بعض الكلام فالعبرة بالمخبر لا بالمظهر وبالإيمان لا بالحطام"[٢].

(١) الفوائد، القاضي عياض ١٤١.

(٢) شرح رياض الصالحين ٣٣٢.

الحديث رقم (٥٠٨)

٥٠٨ - وعن عِمْرَان بنِ الحُصَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، عن النبي ﷺ ، أنه قَالَ: ((**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**)) قَالَ عِمْرَانُ: فَمَا أدْرِي قَالَ النبي ﷺ مَرَّتَيْنِ أو ثَلاثًا ((**ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عمران بن الحُصْين: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٢).

غريب الألفاظ:

القرون: جمع قرن: أهل كل زمان، وهو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان[2].

يشهدون ولا يُستشهدون: أي: يؤدون الشهادة بدون طلب لها[3].

السِّمنُ: أي يحبون التوسع في المأكل والمشارب[4].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول معنى الأفضلية، وعلاقتها بالقرب أو البعد من زمن النبوة وقوله (خيركم قرني) البداية بأفعل التفضيل من براعة الاستهلال التي تحقق السيطرة على انتباه المخاطب، وتوجهه للمتكلم، وإضافته إلى كاف الخطاب، وميم الجمع تعطي التفضيل عموماً يرتقي بأفضيلة قرن الرسول ﷺ كل القرون إلى يوم القيامة، وإضافة القرن إليه ﷺ فيها تشريف له؛ لأنه القرن المعلم لكل القرون، واستخدام ثم

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٢٨ واللفظ له، ومسلم ٢٥٣٥/٢١٤. أورده المنذري في ترغيبه ٤٤١٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ر ن).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (ش هـ د)، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٢٣، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٧/٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٨/٥.

يشير إلى مساحة كبيرة بين الفضلين تشير إلى فضل منزلة الصحابي على التابعي، وفضل منزلة التابعي على تابع التابعي، وهذه المسافة صورها حرف العطف ثم الدال على التراخي في الترتيب بين القرون، وقوله (ثم يكون بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ) يعرض بعض صور الانحراف عن المنهج الأول ممن وليهم من القرون عن طريق الجناس في قوله (يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ) والذي يصور الاندفاع في الباطل، والجرأة على الكذب، وارتكاب الموبقات، والخيانة، وانعدام الأمانة، وهو من علامات الساعة، وقوله (وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ) هو كناية عن رغبتهم فى الدنيا، وإيثارهم شهواتها على الآخرة، وما أعد الله فيها لأوليائه من الشهوات التى تنفد، والنعيم الذى لا يبيد، فهم يأكلون فى الدنيا كما تأكل الأنعام، ولا يقتدون بمن كان قبلهم من السلف الذين كانت همتهم من الدنيا فى أخذ القوت والبلغة، وتوفير الشهوات إلى الآخرة.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١ - حكم تحمل الشهادة وأدائها: اتفق الفقهاء على أن تحمل الشهادة وأداءها فرض كفاية[١] لكن هناك خلافًا في أداء الشهادة قبل أن تطلب، وذلك بسبب وجود تعارض في الظاهر بين حديث عمران رضي الله عنه المذكور في الباب وفيه "قومٌ يشهدون ولا يُستشهدون" وبين حديث زيد بن خالد الجهني مرفوعًا: ((ألا أخبركم بخير الشهداء، الذي يأتي بشهادته قَبْلَ أن يُسألها))[٢] فذهب فريق من العلماء إلى الجمع بين هذين الحديثين بناءً على أن الأصل في أداء الشهادة عند الحاكم أن لا يكون إلا بعد الطلب من صاحب الحق، فأجابوا بعدة أجوبة: أحسنها أن المراد بحديث زيد من عنده شهادة

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٠٨/٤، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ١١٤/٦، ١١٥، ومغني المحتاج ٤٥٠/٤، ٤٥١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢١٥/١٠، ٢١٦.

(٢) أخرجه مسلم ١٧١٩.

لإنسان بحق لا يعلم بها صاحبها فيأتي إليه فيخبره بها، أو يموت صاحبها العالم بها ويخلف ورثة فيأتي الشاهد إليهم أو إلى من يتحدث عنهم فيعلمهم بذلك، قال ابن حجر: (وهذا أحسن الأجوبة وبهذا أجاب يحيى بن سعيد شيخ مالك ومالكٍ وغيرهما)[١].

(وذهب بعضهم إلى جواز أداء الشهادة قبل السؤال، على ظاهر عموم حديث زيد بن خالد، وتأولا حديث عمران بتأويلات: أحدها: أنه محمول على شهادة الزور، أي يؤدون شهادة لم يسبق لهم تحملها، وهذا حكاه الترمذي عن بعض أهل العلم)[٢].

٢ - حكم النذر: أجمع الفقهاء على صحة النذر في الجملة ولزوم الوفاء به إن كان طاعة، كما أجمعوا على أنه لا يحل الوفاء بالنذر إن كان معصية كالقتل وشرب الخمر[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بخيرية القرون الثلاثة الأولى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إخباره ﷺ بحدوث النقص في القرون التالية للقرون الثلاثة التي ذكرها النبي ﷺ.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التحذير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لبعض الآفات والأمراض الاجتماعية من بعده.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٢٦٠.

(٢) السابق الموضع ذاته، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢/٦/١٩، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٧٢٥-١٧٢٦، وانظر كذلك: المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٤/٢١٠-٢١١، ورد المحتار على الدر المختار ابن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤/٢٧٠، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٦/١٦٥، مغني المحتاج ٤/٤٣٦، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، السيوطي ٦/٤٩٤، ٤٩٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٨٠٤، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٨/٥٧٢، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٠/٩٢-٩٣، والاختيار ٣/٢٥٧، وبداية المجتهد ١/٥٥٨، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٧/٢٦١.

أولاً - من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بخيرية القرون الثلاثة الأولى:

إن ملاقاة رسول الله ﷺ وصحبته لا يعدلها شيء وكذلك صحبة أصحابه. وقد أخبر النبي ﷺ بخيرية القرون الثلاثة الأولى؛ حيث جاء في الحديث "خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" قال النووي: (اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ والمراد أصحابه وتطلق على كل مسلم رأى النبي ﷺ ولو ساعة فهو من أصحابه، والقرن الثاني هم التابعون والثالث هم تابعوهم)[(١)].

وقال ابن حجر: (وقوله "خير أمتي قرني" أي أهل قرني والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة والمراد بقرنه: الصحابة رضي الله عنهم والذين بعدهم التابعون، ثم الذين يلونهم هم أتباع التابعين واقتضى هذا الحديث أن يكون الصحابة رضي الله عنهم أفضل من التابعين، والتابعون أفضل من أتباع التابعين، وفضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله ﷺ وأما من اتفق له الذبّ عنه والسبق إليه بالهجرة أو النصرة وضبط الشرع المتلقي عنه وتبليغه لمن بعده، فإنه لا يعدله أحد ممن يأتي بعده، لأنه ما من خصلة من الخصال المذكورة إلا وللذي سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده، فظهر فضلهم)[(٢)]. ولا أدل على فضل الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من التابعين مما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يأتي على الناس زمانٌ فَيغزو فِئَامٌ من الناس، فيقولون: فيكم مَن صاحبَ رسولَ اللَّهِ ﷺ؟ فيقولون لهم: نعم، فيُفتَحُ لهم. ثمَّ يأتي على الناسِ زمانٌ فَيغزو فِئَام منَ الناس فيقال: هل فيكم مَن صاحبَ أصحابَ رسولِ اللّه ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتَحُ لهم ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون: نعم، فيفتح لهم))[(٣)].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٢٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٧.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٤٩، ومسلم ٢٥٣٢.

إن الصحابة الكرام رضي الله عنهم بذلوا الغالي والنفيس في سبيل الدعوة، والجهاد مع رسول الله ﷺ ولذا استحقوا هذه الخيرية، واستحقها أيضًا من تشرف بصحبتهم.

قال أبو الحسن الندوي: (إن الصحابة رضي الله عنهم لما جاءتهم دعوة الإسلام فآمنوا بها، وصدقتها قلوبهم، ووضعوا أيديهم في يد الرسول ﷺ وهانت عليهم نفوسهم وأموالهم وعشيرتهم واستطابوا المرارات والمكاره في سبيل الدعوة إلى الله، وأفضى يقينها إلى قلوبهم وسيطر على نفوسهم وعقولهم، وصدرت عنهم عجائب الإيمان بالغيب، والحب لله والرسول والرحمة على المؤمنين، والشدة على الكافرين، وإيثار الآخرة على الدنيا، وإيثار الآجل على العاجل، والغيب على الشهود، والهداية على الجباية، والحرص على دعوة الناس، وإخراج خلق الله من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعتها والاستهانة بزخارف الدنيا وحطامها، والشوق إلى لقاء الله والحنين إلى الجنة وعلو الهمة وبعد النظر في نشر رفد الإسلام وخيراته في العالم وانتشارهم لأجل ذلك في مشارق الأرض ومغاربها وسهولها وحزونها وأغوارها وأنجادها حتى أقبلت القلوب إلى الله، ودخل الناس في دين الله أفواجًا)[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: إخباره ﷺ بحدوث النقص في القرون التالية للقرون الثلاثة التي ذكرها ﷺ:

لقد أيد الله تعالى نبيه بالكثير من الدلائل والمعجزات التي تبرهن على صدقه في نبوته، وصحة رسالته ومن دلائل نبوته التي أعطاه الله إياها إخباره عن الغيوب المستقبلة. جاء في الحديث "ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن" قال النووي: (وفي هذا الحديث دلائل للنبوة، ومعجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ فإن كل الأمور التي أخبر بها وقعت كما أخبر)[2].

ومما لا شك فيه أن هذا من دلائل نبوته فإن الله عز وجل هو الذي يخبره قال تعالى:

---

(١) من مقدمة أبو الحسن الندوي لكتاب: حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوي، ص ٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٢٤.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[١] والنصوص الشرعية في هذا المعنى كثيرة فمن نصوص القرآن في الإخبار عن الأمور التي ستقع ووقعت بالفعل قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾[٢] ومما جاء في السنة قوله ﷺ ((لاَ يَزَالُ هذَا الدينُ قَائِمًا حَتَّى يَكُونَ عَلَيْكُمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً مِنْ قُرَيْشٍ ثُمَّ يَخْرُجُ كَذَّابُونَ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ))[٣].

ومن الأحاديث أيضًا التي فيها من دلائل النبوة بإخبار النبي ﷺ بحدوث النقص في القرون التالية للقرون الثلاثة الأولى ما جاء في مسند أبي داود الطيالسي عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنكم في النُّبُوَّةُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلاَفَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلاَفَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ))[٤].

ولا يُعد إخبار النبي ﷺ بحدوث النقص في القرون التالية للقرون الثلاثة الأولى من قبل علمه بالغيب من تلقاء نفسه فلقد علم الله نبيه أن ينفي عن نفسه علم الغيب قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[٥] وإنما يخبر الرسول ﷺ عن ذلك بإخبار الله تعالى له، واطلاعه على بعض الغيوب وقد نص الله على ذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن

---

(١) سورة النجم، آية: ٣، ٤.

(٢) سورة الروم، آية: ٢-٤.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٢٢.

(٤) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده رقم ٤٣٩، وقال محققو المسند: إسناده حسن. انظر: مسند أبي داود الطيالسي ١/٣٥٠.

(٥) سورة الأنعام، آية: ٥٠.

رَّسُولٍ﴾[١] ويأتي إعلام الله لنبيه ببعض الغيوب للدلالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: التحذير:

يظهر هذا من سياق الحديث ومما هو معلوم أن أسلوب التحذير يبين للمدعو خطورة المحذر منه ومن ناحية أخرى يبين مدى حرص الداعي على المدعوين ولذا يحذرهم مما فيه شر ولقد قال الله تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لبعض الآفات والأمراض الاجتماعية من بعده:

إن المجتمع قد تصيبه بعض الآفات والأمراض الاجتماعية، وهنا يبرز دور الداعية في كشف هذه العلل، وإبراز هذه الأمراض ليحذر منها المسلم ويتوقاها وفي الحديث بعد أن بيّن النبي ﷺ خيرية القرون الثلاثة أبان عن صفات من يأتي بعدهم فقال: ثم يكون بعدهم قوم "يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن") قال ابن حجر: (والمعنى أنهم لا يثق الناس بهم ولا يعتقدونهم أمناء، بأن تكون خيانتهم ظاهرة، بحيث لا يبقى للناس اعتماد عليهم، وكونهم يشهدون ولا يستشهدون يحتمل أن يكون المراد التحمل بدون التحميل، أو الأداء بدون طلب، والثاني أقرب، وقيل هذا محمول على شهادة الزور أي: يؤدون شهادة لم يسبق لهم تحملها، وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن أي يحبون التوسع في المأكل والمشرب، وهي من أسباب السمن، وقيل المراد يظهر فيهم كثرة المال، وإنما كان السمن مذمومًا لأن السمين غالبًا بليد الفهم ثقيل عن العبادة كما هو مشهور)[٣].

هذا ويجب على المدعو أن يتجنب هذه الآفات والأمراض الاجتماعية لأنها مذمومة وغير محمودة في الشرع، وواجب الدعاة تذكير الناس وتحذيرهم من تلك الآفات

---

(١) سورة الجن، آية: ٢٦.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٢٠٨.

والأمراض الاجتماعية التي قد تصيبهم، لأن الداعية أشبه بالطبيب الذي ينصح المرضى، ويحذرهم من العلل. ولقد كان النبي ﷺ - وهو إمام الدعاة - قدوة في هذا الأمر فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا. وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا. وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي))[١].

(١) أخرجه مسلم ٢٢٨٥.

الحديث رقم (٥٠٩)

٥٠٩ - وعن أَبي أُمَامَة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((يَا ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ أنْ تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيرٌ لَكَ، وَأنْ تُمسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، ولاَ تُلامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدأ بِمَنْ تَعُولُ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

الفضلَ: ما زاد على قدر الحاجة[2].

الكفاف: قدر الحاجة[3].

من تعول: من يلزمك نفقته[4].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بالنداء العام لكل بني آدم قال الطيبي (والخطاب العام: وهو ما يخاطب به غير معين للإيذان بأن الأمر لعظمه، وفخامته، حقيق بألا يختص بأحد دون أحد)[5] وبين يبذل، وتمسك طباق يقرر معنى أفضلية الإنفاق، وضرر الإمساك، والجار، والمجرور (لك) يقرر تعلق نتيجة الفعل بصاحبها في الحالتين، وقوله (ولاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَافٍ)، ومعناه: إن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه وان أمسكته فهو شر لك؛ لأنه إن

---

(١) برقم ٢٣٤٣. أورده المنذري في ترغيبه ١٣٤٣.

تنبيه: الحديث أخرجه مسلم ١٠٣٦/٩٧ ولفظهما سواء. وزاد في آخره: (واليد العليا خير من اليد السفلى). وكذا عزاه المنذري في الترغيب إلى مسلم والترمذي.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٦٢/٢.

(٣) المرجع السابق ١٨٦٢/٢.

(٤) المرجع السابق ١٨٦٢/٢.

(٥) التباين في علم المعاني والبديع والبيان للطيبي ص ٢٩٢.

أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه وإن أمسك عن المندوب فقد نقص ثوابه، وفوت مصلحة نفسه في آخرته وهذا كله شر، ومعنى لا تلام على كفاف أن قدر الحاجة لا لوم على صاحبه، وقوله (ابدأ بمن تعول) أمر بمعنى التوجيه، والإرشاد ومعناه أن العيال، والقرابة أحق من الأجانب في البداية بالإنفاق.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء، والترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على البذل وعدم الإمساك.

ثالثًا: من خصائص الدعوة: رفع الحرج.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: مراعاة الأولويات في الإنفاق.

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء، والترغيب:

١ - **النداء:** حيث جاء في الحديث: "يا ابن آدم" وهذا نداء للإنسان وتذكيره بأنه ابن آدم حيث ينتسب الناس جميعًا إلى هذا الأصل، ولا شك أن أسلوب النداء من الأساليب الدعوية النافعة، وهو يُشعر المنادَى عليه بالقرب من المنادِي واهتمامه به، وأسلوب النداء يلفت انتباه المدعو، ويشده إلى الموعظة، ومن صور استخدام القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾[٢]، وقوله جلّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾[٣].

٢ - **الترغيب:** حيث جاء في الحديث: "إنك إن تبذل الفضل خير لك"، وهذا ترغيب في إنفاق الفضل من المال، وبأن هذا الإنفاق خير للإنسان في الدنيا والآخرة، ويعتبر أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة الناجحة حيث يحبب الخير إلى النفوس، ويشد

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٢) سورة الحج، آية: ١.

(٣) سورة الانفطار، آية: ٦.

القلوب إلى الطاعة والرغبة والترغيب والترهيب يفيض بهما بحر الكتاب والسنة، ولا ريب أن غريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير، وأن يحميها من كل شر سواء ما كان فيهما من عاجل، وما كان من آجل، ومن هنا تحرص النفوس الموفقة على وعي هداية القرآن وهدي الرسول ﷺ، وتعمل جاهدة على أن تحفظ منهما ما وسعها الإمكان[1]، ومن صور استخدام القرآن الكريم لأسلوب الترغيب، قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[2]، وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على البذل وعدم الإمساك:

إن من الأخلاق الإسلامية الطيبة البذل والعطاء وعدم الإمساك، ولقد فاضت نصوص الكتاب والسنة في الحث على التزام هذا الخلق، ولقد جاء الحديث الذي معنا: "(إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك"، قال النووي: (ومعناه إن بذلت الفضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه، وإن أمسكته فهو شر لك لأنه إن أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه، وإن أمسك عن المندوب فقد نقص ثوابه وفوت مصلحة نفسه في آخرته وهذا كله شر)[4]، وقال المباركفوري: (أي: إنفاق الزيادة على قدر الحاجة والكفاف خير لك أي في الدنيا والآخرة وإن تمسك ذلك الفضل وتمنعه فهو شر)[5].

وقد دلت النصوص الشرعية على فضل الإنفاق والبذل في سبيل الله للفقراء والمساكين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[6]، وقال سبحانه وتعالى:

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ص ٥٠٩.

(٢) سورة فاطر، آية: ٣٣.

(٣) سورة القمر، الآيتان: ٥٤ - ٥٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٥.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٦٢/٢.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٦٢.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[1]، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾[3]، وبينت الآيات أن الشح مرض خطير والمفلح من يتوقاه قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[4]، واستنكرت الآيات على من يمسك ماله قال جلّ شأنه: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾[5].

إن هذا الحديث الذي معنا يبين للمسلم أن عاقبة البذل والعطاء تعود على صاحبها بالنفع، وعاقبة الإمساك والشح الشر البوار، "إن الإنسان له الحق فيما يكف عن الحاجات ويدفع الضرورات والفاقات، ولا يلحق بأهل الترفيهات، وهذا أحسن الأحوال لسلامته من وصمة كل من الفقر والغنى. وما فضل عن ذلك فالإنسان إما أن يمسكه ويحرص عليه بأي ادعاء، وإما أن ينفقه في سبيل الله، إن أنفقه انتفع بثوابه، وإن أمسكه تحمل مسؤوليته، ويتدرج الإنفاق الواجب على الإنسان ابتداء ممن يعولهم ويقوم بتوفير متطلبات عيشتهم، ثم بالقريب الذي لا يعول، ثم بفقير الحي ثم البلدة، ثم أي فقير، وبهذا يتخلص المجتمع من التكالب على الماديات والتفاني في تحصيلها"[6].

ثالثًا - من خصائص الدعوة: رفع الحرج:

إن الشريعة الإسلامية جاءت بالتيسير ورفع الحرج والمشقة والإصر، وهذا من أعظم

---

(١) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٢) سورة الحديد، آية: ١٨.

(٣) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٤) سورة التغابن، آية: ١٦.

(٥) سورة النساء، آية: ٣٩.

(٦) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم، ص ٢٢٣.

خصائصها، ومما يدل على ذلك من الحديث في قوله ﷺ: "ولا تلام على كفاف"، قال النووي: (والمراد أن قدر الحاجة لا لوم على صاحبه وهذا إذا لم يتوجه في الكفاف حق شرعي كمن كان له نصاب زكوي ووجبت الزكاة بشروطها وهو محتاج إلى ذلك النصاب لكفافه وجب عليه إخراج الزكاة ويحصل كفايته من جهة مباحة)[١].

ولا شك أن هذا من يسر الشريعة وسماحتها حيث لا يطالب المسلم بالبذل والإنفاق ما دام الذي عنده من مال على قدر حاجته، وقد دلت نصوص القرآن أن رفع الحرج من خصائص الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾[٣]، أي: ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشيء شقّ عليكم إلا جعل الله لكم فرجًا ومخرجًا[٤].

لذا كان الضيق والمشقة مما يتنافى مع روح الشريعة الإسلامية التي بنيت على التيسير والتخفيف عن الناس[٥]، ويظهر رفع الحرج في الفرائض والتكاليف التي أمر الله بها العباد، (فإن من مظاهر عدم الحرج في الشريعة الإسلامية: قلة التكاليف التي كلف الله بها عباده، إذ في كثرة التكاليف من الحرج ما يضعف النفس ويورثها الملل، والانقطاع عن الأعمال النافعة، وقد تكرم الله برفع ذلك)[٦]، إن الإسلام دين الفطرة، ولذا فهو يتواءم معها، (لأن فطرة الإنسان الطبيعية تأنف الإكراه، وتتأذى من المشقة وتضيق بالحرج، وربما دفعها هذا إلى خلع ربقة الطاعة، والسير في طريق المعصية وترك التكاليف الشرعية جملة، ولأن الإسلام يراعي الفطرة فقد راعى التيسير ورفع الحرج

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٥.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/ ٨.

(٥) انظر: اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري ص ٢٥.

(٦) مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز عزام، ص ٢٣.

عن الناس، ليسلموا لله قلوبهم وترضى بحكمه نفوسهم، ويزداد لله حبهم. وعلى العكس من ذلك فإن التعسير وطلب المشقة والتشدد والفهم الخاطئ لحقيقة هذا الدين يضع حواجز كبيرة بين الناس وبين الاستجابة لأمر الله)[1]، ويظهر من هذا أن من خصائص الدعوة رفع الحرج، وعلى الدعاة الهداة إبراز هذه المعاني للمدعوين، وبيان روح الشريعة وروح الدين الإسلامي.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: مراعاة الأولويات في الإنفاق:

إن الإسلام يعلم المسلم مراعاة فقه الأولويات في حياته فيبدأ بالأهم ثم بالمهم، ويظهر هذا التوجيه من الحديث في قوله ﷺ: "وابدأ بمن تعول"، قال المباركفوري: (أي ابتدئ في إعطاء الزائد على قدر الكفاف بمن تعول أي بمن تمونه وتلزمك نفقته، وفي هذا تقديم نفقة النفس والعيال لأنها منحصرة فيه بخلاف نفقة غيرهم وفي الحديث الابتداء بالأهم فالأهم في الأمور الشرعية)[2]، وقد بيّن الله هذا التدرج في الإنفاق فقال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾[3]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ﴾[4]، وقد علمَّ رسول الله ﷺ أصحابه رضي الله عنهم مراعاة الأولويات في النفقة والبدء بمن تلزمه النفقة، فعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً))[5]، وعن ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أنها أعتقت وليدة في زمان رسول الله ﷺ فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: ((لو أعطَيْتِها أخوالَكِ كانَ أعظمَ لأجرِكِ))[6].

---

(١) التيسير ورفع الحرج، د. جمال عبدالستار محمد ص ٥٣ - ٥٤.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٦٢/٢.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٢٦.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

(٥) أخرجه البخاري ٥٥، ومسلم ١٠٠٢ واللفظ له.

(٦) أخرجه البخاري ٢٥٩٢، ومسلم ٩٩٩ واللفظ له.

ويتحصل من هذه النصوص أنه ينبغي مراعاة ترتيب الأولويات في النفقة، قال العز بن عبدالسلام: (ومن رفقه سبحانه وتعالى بنا أمرنا إذا اجتمع مصلحتان: قاصرتان أو متعديتان أن نحصلهما، فإن عجزنا عن تحصيلهما حصَّلنا أعلاهما، وإن اجتمعت مفسدتان: قاصرتان أو متعديتان، أن ندفعهما فإن تعذر دفعهما دفعنا أقبحهما وأكثرهما، فتُقدِّم الفرض على النفل، والمضيق على الموسع، والأوجب على الواجب، والأفضل على الفاضل، ونقدم الأرواح على الأعضاء والأبضاع، ونقدم النفقات على الديون، والديون على الهبات والصدقات وسائر التبرعات. وإن بذلنا الأموال أو شيئًا من أنواع قدَّمنا بالرحم والجوار والضعف والعجز وشدة الضرورة ومسيس الحاجة. ونقدم المستور الخامل على المستور السائل فإن اجتمع مضطرون لا تجب نفقتهم ومعنا كفاية أحدهم قدمنا الأفضل فالأفضل)[1].

(١) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال ٢٥١ - ٢٥٢.

الحديث رقم (٥١٠)

٥١٠ - وعن عُبيْدِ الله بنِ محْصن الأنصَارِيِّ الخطميِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ أصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سربِهِ، مُعَافَىً فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا)) رواه الترمذيُّ[(١)]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبيد الله بن مِحصَن الأنصاري: هو عبيدالله - ويقال: عبدالله - بن مِحصَن الأنصاريّ الخَطْمي، كنيته أبو سلمة.

مختلف في صحبته، روى عنه ابنه سلمة، وليس له في السنن إلا هذا الحديث الواحد المذكور. قال ابن عبدالبر: منهم من جعل هذا الحديث مرسلاً وأكثرهم يصحح صحبة عبيدالله بن مِحصَن هذا. فيجعل حديثه مسندًا[(٢)].

غريب الألفاظ:

سربِهِ: نفسه، وقيل: قومِه[(٣)].

حِيزَتْ: جُمعت وضُمَّت[(٤)].

---

(١) برقم (٢٣٤٦) وقال: حديث حسنٌ غريبٌ. وأخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير (١٤٦/٢) وقال: وقد روي مثل هذا الكلام عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ بإسناد يشبه هذا في اللين، ولا أبعد أن يكون عبد الرحمن بن أبي شميلة هذا هو محمد بن سعيد المصلوب، لأن مروان بن معاوية يغيّر اسمه على أنواع كثيرة، فلعل سعيد هذا هو أبو شميلة، وجعله عبد الرحمن وهو كذلك، لأن الألفاظ في هذا الحديث تشبه ألفاظه. أورده المنذري في ترغيبه (١٢٢٤).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٤٦٢ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٥٢٥/٣) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٨٧٤، والتاريخ الكبير للبخاري (٣٧٢/٥) وثقات ابن حبان (٢٤٨/٣) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢٦٤/٤)، والتهذيب (٤١٩/٢).

(٣) رياض الصالحين ٢٣٩.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ذ ف ر).

بحذافيرها: جمع حُذفور وحِذْفار: جانب الشيء، أي: بأسرها[١].

الشرح الأدبي

من اسم موصول بمعنى الذي يؤذن بتنبيه أهل العقل إلى الفضل، ومعنى أصبح أي أدرك الصباح، والجار، والمجرور (منكم) يفيد الشمول، والاستغراق، والتعبير بالأمن يوحي بالطمأنينة التي تؤذن بتمتع النفس ببقية النعم، وبدونها لا يتم للإنسان متاع بأي نعمة، وقوله :(في سربه) السرب الطريق، وبالكسر الطريق، والبال والقلب، والنفس، والجماعة، وبالتحريك جحر الوحشي، والحفير تحت الأرض، فيكون المراد من الحديث المبالغة في حصول الأمن ولو في بيت تحت الأرض ضيق كجحر الوحش، أو التشبيه به في خفائه، وعدم ضيائه، والمعافاة في الجسد تشير إلى سلامته من الأمراض، والتعبير بالظرف (عنده) يشير إلى الملك، والتعبير بالقوت إشارة إلى الضروري مما يقتات به الإنسان، وذكر الظرف يوم، وإضافته للضمير يشير إلى اليوم الذي هو فيه، وقوله (فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا) الفاء للترتيب، والتعقيب وكأن أداة تشبيه تدل على قوة الشبه بين الطرفين، وتشبيه من كانت هذه حاله بحال من جمع الدنيا من كل أطرافها، يشير إلى أنه نال كل ما يلزمه من نعم الله، ولزمه الشكر ووجه الشبه تمام تحقق المراد الذي يهيب بكل من تجمعت عنده هذه النعم الرضا، وحمد الله تعالى.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية استشعار نعمة الأمن والعافية وتوفر القوت.

ثالثًا: من واجبات المدعو: شكر الله تعالى والصبر على صعوبة العيش.

أولاً - من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن الداعية من شأنه أنه مبلغ لوحي الله كاشف لحقائق الدين مذكر للناس إذا غفلوا، معلم إذا جهلوا، ولذا كان من واجبات الداعية بيان الحقائق للمدعوين. وقد

---

(١) لسان العرب، ابن منظور في (ح ي ز).

جاء في الحديث "من أصبح منكم آمنًا في سربه معافى في جسده..." وهذا بيان للحقائق في حياة الناس التي يمكن أن يكونوا في غفلة عنها، ومن ثم تبرز واجبات الداعية لتتأكد الضرورة الشرعية ببيان الحقائق للمدعوين حتى يستيقظ من كان منهم في غفلة، ويفيق من كان منهم في سبات عميق وبين الله عز وجل أن مهمة الرسل هي البلاغ والبيان للناس قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[2] وقال جل شأنه ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ﴾[3] وفي بلاغ الرسل، وبيان حقائق الدين الذي يدعون إليه تقوم الحجة على الناس، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾[4] وأرشد الله نبيه محمدًا ﷺ أنه أنزل عليه الذكر ليبينه للناس، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5].

قال الدكتور عبدالكريم البكار: (إن الوظيفة الأساسية للرسل عليهم الصلاة والسلام ليست إعمار الأرض ولا توفير الرفاهية للناس أو إطعام الفقراء، وإنما تبليغهم الرسالة التي حملهم الله تعالى إياها، والقيام بعملية التبليغ هو أكبر ضمان لتحجيم الثورات الاجتماعية التي تعصف بالصالح والطالح فمن خلال التذكير بالواجبات، والحث على ترك المنكرات، وبيان المبادئ الأساسية التي تنبغي مراعاتها ينشط التبادل الاجتماعي الذي يعلم الناس تحمل مسؤولياتهم تجاه أنفسهم ودينهم ومجتمعهم)[6].

---

(١) سورة النور، آية: ٥٤.

(٢) سورة النحل، آية: ٣٥.

(٣) سورة الشورى، آية: ٤٨.

(٤) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٥) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٦) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ١٤٨، ١٤٩.

والدعاة الهداة أحوج الناس إلى معرفة الطرق التي تعينهم على بيان الحقائق للمدعوين (إن الدعاة وعلماء الشريعة بحاجة إلى أن يكتسبوا ويتعلموا قواعد وأصول وأساليب الإقناع والبلاغ حتى يكونوا دعاة مؤثرين، يجتذبون الناس ويستقطبون الشباب، ويرشدون العامة والخاصة، وبدون معرفة فن الإبلاغ وكيفية إيصال العلم إلى المحتاجين إليه يظل العلم حبيسًا في أعماقهم)[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية استشعار نعمة الأمن والعافية وتوفر القوت:

إن من أعظم النعم التي امتن الله بها على خلقه وعباده نعمة الأمن والعافية ولا يعرف قيمتها إلا من ابتلي بفقدها، ولذا ذكّر بها النبي ﷺ في الحديث فقال: "من أصبح منكم آمنًا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا" قال المباركفوري: (من أصبح منكم أيها المؤمنون آمنًا غير خائف من عدو في سربه أي في نفسه، وقيل: في أهله وعياله وقيل: في مسلكه وطريقه، وقيل: في بيته، فيكون المراد من الحديث المبالغة في حصول الأمن، ولو في بيت تحت الأرض ضيق، ومعافى أي صحيحًا سالمًا من العلل والأسقام في جسده ظاهرًا وباطنًا، عنده كفاية قوته من وجه الحلال، فكأنما جمعت وضمت له الدنيا، والمعنى فكأنما أعطي الدنيا بأسرها)[٢].

ويتضح من هذا أهمية استشعار نعمة الله تعالى في الأمن والعافية والرزق، وواجب المسلم ألا يجعل نفسه تتطلع إلى زهرة الحياة الدنيا، فإن هذا يجعله يجحد نعمة الله عليه إذا ما فقد شيئًا من زينة الدنيا وزخرفها (والزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها إلى ما هو خير منها علمًا بأن المتروك حقير بالإضافة إلى المأخوذ، وعلى الإنسان أن يمرن نفسه أن لا تفرح بموجود ولا تحزن على مفقود، وأن يكون الإنسان أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة)[٣]. وقد امتن الله على قريش بنعمة

---

(١) رؤى على طريق الدعوة، د. عبدالقادر طاش ص ٢٠٠.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٦٤/٢.

(٣) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، محمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر، بدون ذكر التاريخ ورقم الطبعة ٣٦٤/٢.

الإطعام والأمن فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾[(١)].

قال ابن كثير: (أرشدهم الله إلى شكر هذه النعمة العظيمة فرب البيت هو الذي أطعمهم من جوع وتفضل عليهم بالأمن فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه)[(٢)].

ثالثًا - من واجبات المدعو: شكر الله تعالى والصبر على صعوبة العيش:

من الخصال الطيبة التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمن شكر الله في السراء والضراء لأنه سبحانه مستحق للحمد والشكر على كل حال، ويتضح الإرشاد إلى ذلك من سياق الحديث وما من شك في أن نعم الله كثيرة ووفيرة، وواجب المسلم الشكر عليها لينال الزيادة منها، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[(٣)] (إن شكر الله تعالى يتجلى في شهوده في نعمه ومعرفته في آلائه، كما يتجلى في حبه والثناء عليه، ولا يتحقق الشكر إلا إذا صرف المرء النعمة التي وهبها الله له فيما يرضاه وينفع الإنسان وينفع غيره، وفي المقابل الجحود ونكران الجميل شر ما يبتلى به الإنسان لأنه يحول النعمة إلى نقمة والمنحة إلى محنة، وتذهب الصحة والثروة وتضيع آلاء الله عبثًا)[(٤)].

وبين الله لنا نموذجًا لمن يجحد نعمته، ويكفر بآلائه فقال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[(٥)].

قال صاحب التفسير الواضح: (جعل الله القرية التي هذه حالها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم بالنعم فأبطرتهم النعمة، وكفروا وتولوا فأنزل الله عليهم نقمته، وبدل

---

(١) سورة قريش، آية: ٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٤٩٢.

(٣) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٤) إسلامنا، السيد سابق، ٧٣-٧٤.

(٥) سورة النحل، آية: ١١٢.

نعمتهم سوءًا وسرورهم ألمًا وحزنًا، وقد ضربها الله مثلاً لكل قرية خصوصًا مكة، وانظر إلى وصف الله أهل القرية بالأمن والطمأنينة فلا يزعجهم خوف، ولا قلق ثم بالرزق الرغد الواسع الكثير، ومع هذا قدم نعمة الأمن على نعمة الرزق لعل الناس يعتبرون بهذا، ولكنها لما قابلت النعمة بالكفر لا بالشكر أذاقها الله عاقبة عملها ذوقانًا عميقًا، يشبه تذوقهم طعم المر أو أشد)[1].

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، ٢/١٤/٧٠.

الحديث رقم (٥١١)

٥١١ - وعن عبد الله بن عَمْرو بنِ العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((قَدْ أفْلَحَ مَنْ أسْلَمَ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

كَفافًا: بقدر الحاجة[٢].

قَنَّعَه: رضَّاه[٣].

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (قَدْ أفْلَحَ مَنْ أسْلَمَ) افتتاح بديع لأنه من جوامع الكلم فإن الفلاح غاية كل ساع إلى عمله، فالإخبار بفلاح من أسلم دون ذكر متعلّق بفعل الفلاح يقتضي في المقام الخطابي تعميم ما به الفلاح المطلوب، فكأنه قيل: قد أفلح من أسلم في كل ما رغب فيه، ولما كانت همة المسلم منصرفة إلى تمكن الإسلام والعمَلِ الصالح من نفسه كان ذلك إعلاماً بأنه نجح فيما تعلقت به همته من خير الآخرة ومن خيْر الدنيا، ويتضمن بشارة برضى الله عنه، ووعداً بأن الله مكمل له ما يتطلبه من خير، وأكد هذا الخبر بحرف (قد) الذي إذا دخل على الفعل الماضي أفاد التحقيق أي التوكيد، فحرف (قد) في الجملة الفعلية يفيد مفاد (إنّ واللام) في الجملة الاسميَّة، أي يفيد توكيداً قويّاً، لأن من يدخل في الإسلام يترقب بدخوله الفلاح والظفر، ويترقب البشارة بذلك، والإتيان بحرف التحقيق لتنزيل ترقبهم إياه لفرط الرغبة والانتظار منزلة الشك في حصوله،

---

(١) برقم ١٢٥/١٠٥٤. أورده المنذري في ترغيبه ١٢١٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ف ف).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ن ع).

وحُذِف المتعلق بفعل الفلاح يشير إلى أنهم أفلحوا فلاحاً كاملاً في كل شيء، والفلاح: الظفَر بالمطلوب من عمل العامل، وربط الفلاح بالإسلام للإشارة إلى أنه السبب الأعظم في الفلاح لتعلق قبول جميع الأعمال على دخوله (﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران٨٥)، وقوله (وكان رزقه كفافا) أي بقدر الكفاية لا يزيد عليها فيطغيه ولا ينقص عنها فيؤذيه فإن الغنى مبطرة مأشرة والفقر مذلة مأسرة، وقوله (وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ) كناية عن رضاه بما قسم الله له، ونسبة الفعل لله تشير إلى أن القناعة نعمة من الله مما يستلزم على العبد شكرها.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الفلاح في الدنيا في كمال الدين والقناعة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الهداية إلى الإسلام.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الفلاح في الدنيا في كمال الدين والقناعة:

إن الفلاح الحقيقي ليس في جمع المال، والاستكثار من الدنيا، ولكن الفلاح في كمال الدين والقناعة برزق الله تعالى، وهذا المعنى يستنبط مما ورد في الحديث في قوله ﷺ: (قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافًا وقنعه الله بما آتاه) وفي التأكيد على ذلك جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ. وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ))[2].

قال النووي: (والعرض هنا هو متاع الدنيا، ومعنى الحديث الغنى المحمود غنى النفس وشبعها وقلة الحرص عليها، لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة، لأن من كان طالبًا للزيادة لم يستغن بما معه فليس له غنى)[3]، وقد وجهت نصوص الشرع الحنيف إلى ضرورة التطلع إلى ما عند الله في الآخرة وعدم الانبهار بزينة الحياة الدنيا،

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥١١- مع مضامين الحديث رقم (٥١٢).

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٤٦، ومسلم ١٠٥١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٦١.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[(٢)]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾[(٣)]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[(٤)].

قال ابن القيم: (والقرآن مملوء من التزهيد في الدنيا، والترغيب في الآخرة والإخبار بشرفها ودوامها، فإذا أراد الله بعبد خيرًا أقام في قلبه شاهدًا يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة، ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار، وقال الجنيد: الزاهد لا يفرح من الدنيا بموجود ولا يأسف منها على مفقود، وهو خلو القلب عما خلت منه اليد)[(٥)].

والمسلم يقنع بما آتاه الله مع حسن إسلامه لله قال ابن قدامة: (وينبغي للفقير أن يكون قانعًا منقطع الطمع عن الخلق، غير ملتفت إلى ما في أيديهم، ولا حريص على اكتساب المال كيف كان، ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس، وقال أبو حازم: ثلاث من كن فيه كمل عقله: من عرف نفسه، وحفظ لسانه، وقنع بما رزقه الله عز وجل، وقرأ بعض الحكماء أنت أخو العز ما التحفت بالقناعة)[(٦)].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الهداية إلى الإسلام:

إن من أجل أنواع الهداية، هداية الله الإنسان للإسلام إذ به تكون السعادة في الدنيا والآخرة، وبه تكون النجاة من النار والفوز بالجنة، وبه تكون السعادة

---

(١) سورة النساء، آية: ٧٧.

(٢) سورة الأعلى، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٣) سورة الضحى، آية: ٤.

(٤) سورة طه، آية: ١٣١.

(٥) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١٧٨/٢.

(٦) مختصر منهاج القاصدين ٢١٦ - ٢١٧.

والسكينة والطمأنينة، وقد جاء بيان فضل الهداية إلى الإسلام في الحديث في قوله ﷺ: "طوبى لمن هدي إلى الإسلام".

ونعمة الإسلام من نعم الله العظيمة على الإنسان، وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يلهج لسانه بذكر هذه النعمة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾(١)، والإسلام هو دين الفطرة قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

"وبناء على هذا فإن من هُدي إلى الإسلام فقد هُدي إلى صراط مستقيم، "ذلك لأن الإسلام وحده هو الذي وضحت معالمه، وكرمت مبادئه وثبتت مصادره وحفظت من التغيير والتبديل والتصحيف، والإسلام وحده كفيل بأن يحقق للإنسان ما ينشده من ارتقاء، وما يرجوه من كمال ورفعة.

والإسلام هو الذي استهدف قيام حياة إنسانية رفيعة، يتحرر فيها العقل والضمير، وتستقل فيها الإرادة والتفكير، ويشعر فيها كل فرد أنه سيد نفسه ومالك أمره، وأنه لا سلطان لأحد عليه سوى سلطان الحق الذي يعلو ولا يُعلى عليه(٣)، والذي يهتدي للإسلام فقد اهتدى إلى الدين الذي ارتضاه الله لعباده: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾(٤)، وقوله سبحانه: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(٥)، ومن اهتدى للإسلام فقد استمسك بالعروة الوثقى، قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ

(١) سورة الأنعام، آية: ١٦١.

(٢) سورة الروم، آية: ٣٠.

(٣) إسلامنا، السيد سابق، ص ٨ - ٩.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٩.

(٥) سورة المائدة، آية: ٣.

بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾[١]، والذي يهتدي للإسلام فقد اهتدى إلى أسباب سعادته وسكينته"، إن أول أسباب السكينة لدى المؤمن أنه قد هدي بفطرته إلى الإسلام فإن في فطرة الإنسان فراغًا لا يملؤه علم ولا ثقافة ولا فلسفة، إنما يملؤه الإيمان بالله جلّ وعلا وستظل الفطرة الإنسانية تحس بالتوتر والجوع والظمأ حتى تجد الله وتؤمن به هناك تستريح من تعب وترتوي من ظمأ وتأمن من خوف وتحس بالهداية بعد الحيرة والاستقرار بعد التخبط والاطمئنان بعد القلق[٢].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث قوله ﷺ: "قد أفلح"، وقوله: "طوبى لمن هدي"، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة، حيث إن النفس تميل بطبعها إلى الأجر والثواب والمنفعة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[٣]، والمقصود بالترغيب هو: كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل فيه أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة[٤].

والداعية الحصيف هو الذي يجعل من أسلوب الترغيب طريقًا إلى قلوب المدعوين لجذبهم إلى تعاليم الإسلام، واستمساكهم به.

وفي الحديث جاءت البشارة والترغيب بالفلاح والخير للفقراء إذا حسن إسلامهم ورزقهم الله القناعة، وهذا من قبيل التخفيف عليهم بأن يفتح الله لهم طرقًا موصلة إلى الخير كما جاءوا إلى الرسول الله ﷺ وقالوا: ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويتصدقون بفضول أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: ((أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ، إِنَّ بِكُلِ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَبِكُلِ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَبِكُلِ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً...))[٥].

---

(١) سورة لقمان، آية: ٢٢.

(٢) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص ٧٧.

(٣) سورة العاديات، آية: ٨.

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٢٧.

(٥) أخرجه مسلم ١٠٠٦.

الحديث رقم (٥١٢)

٥١٢ - وعن أَبي محمدٍ فضَالَة بن عبيدٍ الأنصاريِّ رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: ((**طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ لِلإسْلاَمِ**[1]، **وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنِعَ**)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

فَضَالة بن عُبيد الأنصاري: هو فَضَالة بن عُبيد بن نافذ بن قيس الأنصاري الأوسى، كنتيه: أبو محمد.

أسلم قديمًا لكنه لم يشهد بدرًا، وشهد أحدًا وما بعدها من غزوات، وكان ممن بايع النبي ﷺ تحت الشجرة، وقيل: إنه كان أصغر من شهدها. كان مشهورًا بسرعة العدو فكان يسبق الخيل، وظلّ على جهاده فشهد فتح مصر والشام. واستعمله معاوية نظرًا لكفاءته وتقواه، فكان يَسْتخلفه على دمشق إذا غاب عنها. وولاه القضاء بتزكية من أبي الدرداء وقال له: إني لم أحبُكَ بها، ولكني استترت بك من النار. فاستتْر منها ما استطعت.

ثم ولاه أمر الغزو، فعبر البحر وغزا الروم وانتصر عليهم.

كان من كبار القراء وله أقوال تدل على عقل راجح وفكر سديد ورأي صائب فضلاً عن تقوى الله وخشيته، من ذلك قوله: لأن أعلم أن الله يقبل مني مثقال حبّة أحبّ إلي من الدنيا وما فيها، لأنه تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[3].

ومن قوله كذلك: اخلطوا حديثكم بالاستغفار.

مات في خلافة معاوية ٥٣هـ وحمل معاوية جنازته وقال لابنه عبدالله بن

---

(١) لفظ الترمذي: (إلى الإسلام).

(٢) برقم ٢٣٤٩. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٧٠٥، وقال الحاكم ٣٤/١: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. أورده المنذري في ترغيبه ١٢١٩.

(٣) سورة المائدة، آية: ٢٧.

معاوية: تعال اعقبني، فإنك لن تحمل مثله أبدًا[(١)].

غريب الألفاظ:

طوبي: قيل من الطيب. والمعنى: العيش الطيب. وقيل: الحسن. وقيل: الخير. وأصلُها طيبى، فقلبت الياء واوًا لمجانسة الضمة[(٢)].

كفافًا: قدر حاجته[(٣)].

وَقنِعَ: رضي بالقسم ولم تطمح نفسه لزيادة عليه[(٤)].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه عن القناعة مع الإسلام في قلب المسلم، وأسلوب الحديث فيه بعض الاختلاف في الأسلوب عن سابقه من وجوه منها أنه بدأ بلفظ (طوبى) وهو علم على البشارة في الخير، وقد تعددت فيه الأقوال فقال ابن عباس معناه: فرح وقرة عين لهم، وقيل: الحسنى لهم، وقيل: خير، وكرامة لهم، وقيل: اسم شجر في الجنة، وقيل معناه: أصيب خيرا على الكناية، لأن إصابة الخير مستلزمة لطيب العيش، ولأنه يقال: في حق المصيب طوبى لك فأطلق اللازم على الملزوم، وقيل طوبى تأنيث أطيب أي الراحة، وطيب العيش حاصل لمن كانت هذه صفته، ولذلك فهي تشويق لما بعدها ينتج عنه ترقب، ومتابعة للخبر، وبناء فعل الهداية لما لم يسم فاعله للعلم به، والتعبير بكان

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٠١/٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٥٩٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٤٦/٤ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٠٥٤، والسير ١١٣/٣ وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٢٨/٦، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٨٦/٣ والأعلام، خير الدين الزركلي ١٤٦/٥، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٥٣١/٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٥٦٩، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٦٦.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٦٢/٢.

(٤) المرجع السابق ١٨٦٥/٢.

يشير إلى صيرورته عادة في حياته كفاف يمنعه الشر في قناعة تمنعه الضر، فيسلم في الدنيا، ويسعد في الآخرة، ولذلك بدأ الإخبار عنه بطوبى.

المضامين الدعوية[(١)]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٥١٣)

٥١٣ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يَبِيتُ اللَّيَالِيَ الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا ، وَأَهْلُهُ لاَ يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبزَ الشَّعِيرِ. رواه الترمذيُّ[1] ، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

طاويًا : خالي البطن جائعًا[2].

الشرح الأدبي

تعبير ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بكان يدل على أنه نسق حياته وعادته، وقوله يبيت يصور اجتماع ظلام الليل مع شدة الجوع مع تعذر الرزق لأن لليل الذي يدل عليه فعل المبيت وقت سكن، وليس وقت سعي، وقوله الليالي يؤكد هذا المعنى وقوله المتابعة تتميم بلاغي أفاد تواصل الجوع دون أن يتخلله قاطع وهو ما يجعل وطأة الجوع تستحكم، وهو ما صوره اسم الفاعل الذي جاء في صورة الحال (طاويا) ليصور الدوام في الطي، والأمعاء يطوي بعضها بعضاً ، وما أقساه من إحساس! وقوله (وأهله) عطف على الضمير أكد ذلك بقوله (لا يجدون) أي الرسول وأهله (عشاءا) بالفتح عند العشاء بالكسر بمعنى آخر النهار يعني لا يجدون ما يتعشون به في الليل، وقد أفاد ذلك ما كان دأبه، وديدنه من التقلل من الدنيا ، والصبر على الجوع، وتجنب السؤال رأسا كيف؟!، وهو أشرف الناس نفساً ، وفيه فضل الفقر ، والتجنب عن السؤال مع الجوع.

---

(١) برقم ٢٣٦٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير في (ط و ي).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان خشونة العيش التي كان عليها النبي ﷺ وأهله.

ثالثًا: من صفات الداعية: الصبر على شدائد الحياة.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث: "كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي"، فقد أخبر عبدالله بن عباس رضي الله عنهما بأن النبي ﷺ كان يبيت الليالي طاويًا، وهذا إخبار عن حاله ﷺ، ومما لا شك فيه أن أسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المفيدة في تعريف المدعو بحقائق الدين وبسيرة سيد المرسلين ﷺ، وبالإخبار تقوم الحجة على المدعو في تبليغه وتعريفه، وبيّن الله في القرآن أن مهمة الرسول ﷺ هي الإخبار والبيان قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان خشونة العيش التي كان عليها النبي ﷺ وأهله:

ما كان رسول الله ﷺ إلى الدنيا متطلعًا، ولا فيها راغبًا، وإنما كان بما قسم الله راضيًا وعلى لأواء الحياة وشدتها صابرًا، ويتضح هذا المعنى من قول عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في الحديث: (كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاويًا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير)، قال المباركفوري: "ومعنى طاويًا، أي: جائعًا والطاوي هو خالي البطن الجائع الذي لم يأكل، وكان أكثر خبز النبي ﷺ وأهله خبز الشعير فكانوا يأكلونه من غير نخيل"[٢]، هذا ولقد كان من دعاء النبي ﷺ وأهله: ((اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا))[٣]، وعن أبي حازم قال: رأيت أبا هريرة رضي الله عنه يشير بإصبعه مرارًا: (وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ مَا شَبِعَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَهْلُهُ

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٦٩/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٦٠، ومسلم ١٠٥٥.

ثَلاثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعًا، مِنْ خُبْزِ حِنْطَةٍ، حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا)[(١)]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان ضجاع النبيّ ﷺ ينام عليه بالليل من أدم محشوًّا ليفًا))[(٢)].

وعن قتادة قال: كنا نأتي أنسًا وخبَّازه قائم قال: فقال يومًا: (كُلُوا فَمَا أَعْلَمُ رَسُولَ اللَّهِ رَأَى رَغِيفًا مُرَقَّقًا، بِعَيْنِهِ، حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ. وَلاَ شَاةً سَمِيطًا قَطُّ)[(٣)]، لقد كان رسول الله ﷺ زاهدًا في الدنيا، راغبًا عنها.

قال ابن القيم: (ولا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين: النظر الأول: النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها ونقصها وألم المزاحمة عليها، والنظر الثاني: النظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها ولا بد، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات، وهذا تقسيم حاضر ضروري، فإيثار الدنيا على الآخرة إما من فساد في الإيمان، وإما من فساد في العقل، وما أكثر ما يكون منهما، ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره هو وأصحابه رضي الله عنهم وصرفوا عنها قلوبهم، وطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب، ولوصلوا منها إلى كل مرغوب، فقد عرضت عليه مفاتيح كنوزها فردَّها، وفاضت على أصحابه فآثروا بها ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها...)[(٤)].

إن في زهد النبي ﷺ وخشونة العيش التي كان عليها دليل على أنه كان يملك الدنيا ولا تملكه، حتى وإن كان الطعام والشراب مما تدعو إليه ضرورة الحياة فإن الفضل في قلته، (ولم تزل العرب والحكماء قديمًا تتمادح بقلة الغذاء والنوم وتذم بكثرتهما، لأن كثرة الأكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة، وهو سبب لمضار الدنيا والآخرة، جالب لأدواء الجسد وخسارة النفس، وقلة الأكل دليل

---

(١) أخرجه البخاري٥٣٧٤، ومسلم ٢٩٧٦.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٥٦، ومسلم ٢٠٨٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٥٧.

(٤) الفوائد ص ١٤٠ - ١٤١.

على القناعة وملك النفس، وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحجة الذهن، كما أن كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف، وعدم الذكاء والفطنة وسبب للكسل وعادة العجز وقساوة القلب وغفلته وموته، وكان ﷺ قد أخذ من الأكل والنوم بالأقل وحض عليه)(١).

ثالثًا - من صفات الداعية: الصبر على شدائد الحياة:

إن الداعية لا بد له من الابتلاء والتمحيص لأنه يحمل رسالة الأنبياء عليهم السلام، فحياته تسير بين عسر ويسر، وشدة وفرج ومنشط ومكره، ومن ثم فلا بد للداعي من أن يتحلى بالصبر، وله في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، يتضح هذا من سياق الحديث الذي يبين حال النبي ﷺ وخشونة العيش الذي كان فيه، وإذا كان رسول الله ﷺ هو الداعية الأول، والقدوة الأكمل لجميع الدعاة من بعده فمن صفات الداعي أن يصبر على شدائد الحياة ولأوائها وبؤسها وشقائها، كما صبر وتحمل الرسول الكريم ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾(٢).

والداعية الفطن الحصيف هو الذي يستطيع الموازنة بين صعوبة الحياة وخشونة العيش والدعوة إلى الله على بصيرة، ولا يتحقق هذا إلا لمن استطاع أن ينظر إلى الدنيا على أنها دار بلاغ لا دار متاع، قال البهي الخولي: (إن الدنيا في منطق الفطرة دار بلاغ، ولكن تعليق الهمة بها جعلها في نظر أكثر الناس دار متاع، والفرق شاسع بين البلاغ والمتاع، فمن اتخذها بلاغًا فقد جعلها وسيلة يبلغ عليها ما يريد من ربه لحياة قلبه، ومن اتخذها متاعًا فقد جعلها غاية يدور حولها برغبات قلبه، وهمة نفسه وأهواء غرائزه،أي أنه يحشد قواه كلها لدنياه، ويجرد حياته الأخرى من كل قوة تسعى في عمارتها، فيذرها قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا، والخط الفاصل بين البلاغ والمتاع هو

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري ص ١٧١.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

الحد الفاصل بين الرشد والهدى، هو الحد الذي يجب أن تقام عنده الحواجز بين حياة المادة وحياة الروح"[١].

ولقد أخبر الله عز وجل أنه يبتلى عباده المؤمنين بنقص الأموال والأنفس والثمرات ليظهر مدى صبرهم وتحملهم قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[٢].

قال القاسمي: (هذا خطاب لمن آمن مع النبي ﷺ خُصّوا به، وإن شمل من ماثلهم؛ لأنهم المباشرون للدعوة والجهاد ومكافحة الفجار، وكل قائم بحق وداع إليه، معرض للابتلاء بما ذكر كله أو بعضه، والتنوين للتقليل أي: بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه، وإنما قلل ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان، وإن جلّ، ففوقه ما يقل إليه. وليخفف عليهم ويريهم أن رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم، وإنما أخبر به قبل الوقوع ليوطنوا عليهم نفوسهم، ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما أخبر به، وليعلموا أنه شيء يسير له عاقبة حميدة، وبشر الصابرين الذين يقولون عند وقوع البلاء "إنا لله" أي ملكًا وخلقًا فلا ينبغي أن نخاف غيره، لأنه غالب على الكل، أو نبالي بالجوع لأن رزق العبد على سيده، فإن منع وقتًا فلا بد أن يعود إليه، وأموالنا وأنفسنا وثمراتنا ملك له فله أن يتصرف فيها بما يشاء، وقولهم "إنا إليه راجعون" أي في الآخرة فيحصل لنا عنده ما فوّته علينا لأنه لا يضيع أجر المحسنين)[٣].

---

(١) تذكرة الدعاة ١٧٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٥.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢/٢٢٥ - ٣٢٦.

الحديث رقم (٥١٤)

٥١٤ - وعن فُضَالَةَ بن عبيدٍ رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ إذَا صَلَّى بالنَّاسِ، يَخِرُّ رِجَالٌ مِنْ قَامَتِهِمْ في الصَّلاةِ مِنَ الخَصَاصَةِ - وَهُمْ أصْحَابُ الصُّفَّةِ - حَتَّى يَقُولَ الأعْرَابُ: هؤُلاء مَجَانِينٌ[1]. فإذَا صلَّى رسول الله ﷺ انْصَرَفَ إلَيْهِمْ، فَقَالَ: ((**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، لأَحْبَبْتُمْ أنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً**)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث صحيح).

ترجمة الراوي:

فَضَالة بن عُبيد الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥١٢).

غريب الألفاظ:

يخرُّ: يسقط[3].

الخصاصةُ: الفاقةُ والجوع الشديد[4].

أصحاب الصفة: الصُّفة مكان مظلل في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة إبَّان العصر النبوي بعد الهجرة يأوي إليه فقراء المهاجرين ينامون فيه[5].

الفاقة: الفقر[6].

الشرح الأدبي

مر في أحاديث سابقة وصف لحال الناس، وما هم فيه من الشدة بصفة عامة في صدر الإسلام، ووصف أهل الصفة في لباسهم، وهذا الحديث يعرض لحالهم مع الجوع، وقوله: (يَخِرُّ رِجَالٌ مِنْ قَامَتِهِمْ في الصَّلاةِ مِنَ الخَصَاصَةِ) الخصاصة شدة الفقر،

---

(١) زاد الترمذي: (أو مجانون) بالشكّ.

(٢) برقم ٢٣٦٨. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٧٢٤. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٣٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ر ر).

(٤) رياض الصالحين ٢٣٩.

(٥) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٣٧.

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف و ق).

والحاجة، والعبارة صورة بالكناية عن أثر الجوع فيهم، والفعل (يخر) يصور سرعة السقوط مع غياب الوعي لسيطرة الضعف على الأركان، وعدم قدرتها على حمل صاحبها، وقوله (في الصلاة) يزيد صورة الجوع ضراوة؛ لأن المؤمن في الصلاة يكون أقوى على التحمل منه في غيرها كما يصور حالة التخبط التي أصابتهم بسبب سيطرته والتي صورها الراوي بقوله (حَتَّى يَقُولَ الأَعْرَابُ: هؤُلاء مَجَانِينٌ) والتعبير بحتى يشير إلى الغاية التي بلغها بهم الجوع، وتخصيص الأعراب لأنهم لا يعرفونهم فيحكمون عليهم بالظاهر الذي يوحي بالجنون، وقول الرسول ﷺ لهم (لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللّهِ تَعَالَى، لأَحْبَبْتُمْ أنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً) وهذا خبر أريد به لازم فائدته وهو المواساة، وتطييب النفوس، وشد الأزر، والتعالي على الغرائز باليقين بما عند الله .

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على المحافظة على الصلاة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل أصحاب الصفة.

ثالثًا: من واجبات الداعية: مواساة المدعوين وتسليتهم.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً – من موضوعات الدعوة: الحث على المحافظة على الصلاة:

من الشواهد على ذلك في هذا الحديث "كان إذا صلى بالناس" إن أساس الصلة بين العبد وربه تكون بالصلاة ففيها المناجاة والدعاء والتضرع إليه في السراء والضراء، ومن ثمّ عظمت مكانة الصلاة في الإسلام، فالصلاة لها شرف عظيم وفضل كبير، وقد جاء الأمر بإقامتها، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[2]، وجاء الأمر بالمحافظة عليها، قال سبحانه: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) سورة المزمل، آية: ٢٠.

وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[١]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[٢]، ومدح الخاشعين فيها فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[٣]، وتوعد الله من يضيع الصلاة ولا يؤديها قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[٤]، وقال جلّ شأنه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[٥]، وقال سبحانه عن أصحاب النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾[٦].

والصلاة لها أثر كبير في حياة المؤمن، قال أبو الحسن الندوي: (إن الصلاة سر لسلامة الإيمان، وسلامة الدين، والاتصال بالله تعالى، والصلاة استجابة لغريزة البشر النوعية، غريزة الافتقار والضعف والطلب، وغريزة الالتجاء والاعتصام، والدعاء والمناجاة، والصلاة معقل المسلم وملجؤه، الذي يأوي إليه والعروة الوثقى التي يعتصم بها، والحبل الممدود بينه وبين ربه الذي يتعلق به، ولقد كان شأن الصحابة رضي الله عنهم أن يفزعوا إلى الصلاة عند الملمات، وكان حنينهم إلى الصلاة وإيثارهم لها على كل ما حبب إلى النفس البشرية ومخاطرتهم بأنفسهم وحياتهم في سبيلها معروفة عند المشركين)[٧]، ولا شك أن الصلاة تشعر المرء بوجود الله وجودًا حقيقيًا يسمع دعاءه ويلبي نداءه ويستجيب له، (إن الصلاة انتزاع للنفس من ماديات الحياة وآلامها، وتوجيه

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٢) سورة المعارج، آية: ٣٤.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٢.

(٤) سورة مريم، آية: ٥٩.

(٥) سورة الماعون، الآيتان: ٤ - ٥.

(٦) سورة المدثر، الآيتان: ٤٢ - ٤٣.

(٧) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٢٩ - ٣٠.

لها إلى الله بالذكر والدعاء والضراعة والخضوع لكبريائه وعظمته، وهذا من شأنه أن يضفي على النفس السكينة والرضا، ويجعلها تشعر بفيض من السعادة فتتجدد قواها، ويحفزها ذلك إلى العمل الجاد، والأمل في وجه الله الكريم، والصلاة هي وسيلة الإنسان للتطهر من الرذائل وسائر الصفات السيئة؛ لأن المواظبة عليها تربي في المصلي الضمير الحي الذي يبعث على الخير، ويحض عليه ويمنع الشر ويحذر منه)[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل أصحاب الصفة:

حيث جاء في الحديث: "يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة - وهم أصحاب الصفة - "، قال المباركفوري: (وأصحاب الصفة هم زهاد من الصحابة فقراء غرباء وكانوا سبعين، ويقلون حينًا، ويكثرون حينًا، ويسكنون صفة المسجد لا مسكن لهم ولا مال ولا ولد، وكانوا متوكلين ينتظرون من يتصدق عليهم بشيء يأكلونه ويلبسونه)[2].

وقال ابن سيد الناس: (وأصحاب الصفة قوم فقراء لا منزل لهم غير المسجد، وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "رأيت ثلاثين رجلاً من أهل الصفة يصلون خلف رسول الله ﷺ ليس عليهم أردية"، وقد عُدّ منهم أبو هريرة وأبو ذر وواثلة بن الأسقع، وقيس بن طخفة الغفاري رضي الله عنهم، وقد ذكر في عددهم أكثر من ذلك بكثير)[3]، هذا وقد ثبت في صحيح البخاري ما يدل على حالهم ومبلغ فقرهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ، مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، إِمَّا إِزَارٌ وَإِمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الْكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ، كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ))[4].

---

(١) إسلامنا، السيد سابق، ص ١١٦.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨٧٣.

(٣) عيون الأثر، ابن سيد الناس ٢/٣٨٥.

(٤) أخرجه البخاري ٤٤٢.

ثالثًا - من واجبات الداعية: مواساة المدعوين وتسليتهم:

إن الداعية الناجح قريب من المدعوين يشاركهم ويخالطهم فيما يعرض لهم من أمور حتى يؤثر فيهم بدعوته، ولقد كان ﷺ يحرص على مواساة أصحابه ﭫ ومشاركتهم، ومن ذلك ما جاء في الحديث: (فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم)، وتعتبر المواساة للمدعوين من أهم واجبات الداعية حيث تؤلف قلوبهم، وكان من هدي النبي ﷺ أن يواسي أصحابه بالقليل والكثير، فعن عثمان بن عفان ﭬ أنه قال وهو يخطب: (إِنَّا وَاللَّهِ، قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَإِنَّ نَاسًا يُعْلِمُونِي بِهِ، عَسَى أَلاَّ يَكُونَ أَحَدُهُمْ رَآهُ قَطُّ)[١]، ومدح ﷺ مواساة المسلمين بعضهم لبعض، فعن أبي موسى ﭬ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ، إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ، بِالسَّوِيَّةِ. فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ))[٢]، وعن أبي هريرة ﭬ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((طَعَامُ الاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلاَثَةِ. وَطَعَامُ الثَّلاَثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ))[٣].

قال ابن حجر: (وفي الحديث الإشارة إلى أن المواساة إذا حصلت، حصلت معها البركة فتعم الحاضرين)[٤].

قال ابن القيم: (المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم. وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة

---

(١) أخرجه أحمد ٧٠/١ رقم ٥٠٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٥٣٢/١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٨٦، ومسلم ٢٥٠٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٣٩٢، ومسلم ٢٠٥٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤٦/٩.

لأصحابه ﷺ بذلك كله، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له، ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تجرد وهو ينتفض فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟ فقال: ذكرت الفقراء وبردهم وليس لي ما أواسيهم فأحببت أن أواسيهم في بردهم)[١].

جاء في موسوعة نضرة النعيم: (ومن فوائد المواساة أنها تورث حب الله عز وجل ثم حب الخلق، وهي دليل حب الخير للآخرين، وتشيع روح الأخوة بين المسلمين، وتدخل السرور على المسلم وترفع من معنوياته، فيقبل على الحياة مسرورًا، والمواساة تجعل صاحبها من المسرورين يوم القيامة، وبالمواساة تدفع الغيظ وتذهب الغل وتميت الأحقاد، وتدعو إلى الألفة وتؤكد معنى الإخاء وتنشر المحبة)[٢].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (لو تعلمون ما لكم عند الله تعالى لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة)، ومما لا شك فيه أن أسلوب الترغيب يعمل على إمالة النفس البشرية إلى حب الخير، وإلى الوعد بالأجر والثواب، والترغيب يحمل النفس على الطاعة لنيل المرغوب.

وفي الحديث الذي معنا رغبّ النبي ﷺ أهل الصفة ومن يأتي من بعدهم من أصحاب الحاجات ومن بهم فاقة فيما عند الله في الدار الآخرة لتتطلع نفوسهم إلى الأحسن والأكمل، وليجدوا عوضًا في الآخرة عما فقدوا في الدنيا، (إن طبيعة النفس البشرية أنها تتطلع لإشباع أعظم وأوسع مما عليه، وعلى أساس هذا يرتكز الدافع الأخروي، حيث يتم إغراء الإنسان، ووعده بأنواع العطاء والنعيم المطلقين كمًا وكيفًا، ويتم استثمار هذا التطلع المادي الأصيل لشده وإقناعه بالمتعة الأعظم والسعادة الأشمل، والملك الأكبر الذي لا يضاهيه ما في الدنيا، وذلك ما في الحياة الآخرة حيث النعيم العظيم المقيم)[٣].

---

(١) الفوائد، القاضي عياض ص ٢٤٦.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٣٤٦٩/٨.

(٣) علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي، ص ١٥٠.

الحديث رقم (٥١٥)

٥١٥ - وعن أبي كريمة المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإنْ كانَ لا مَحالةَ فثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسه)) رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

المقدام بن معدي كرب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٨٣).

غريب الألفاظ:

بحسب ابن آدم: أي يكفيه[٢].

أُكلاتُ: لُقم[٣].

صُلبهُ: ظهره[٤].

إن كان لا محالة: إن كان لا بد من التجاوز عما ذكر[٥].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب النفي الذي يقرر أن شر وعاء يملؤه الإنسان هو البطن، وتنكير الوعاء يفيد التعميم لأنه في سياق النفي، وعدم إضافة البطن مع تنكيرها يفيد العموم أيضا ليشمل بطن الإنسان، وبطن من يعوله حتى ينصح لهم بما يعلم في التعامل

---

(١) برقم ٢٣٨٠، وابن ماجه ٣٣٤٩، وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٦٧٤، وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٨/٩. أورده المنذري في ترغيبه ٣١٥٧.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٧٩/٢.

(٣) رياض الصالحين ٢٤٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ل ب)، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٧٩/٢.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٧٩/٢.

مع هذا الوعاء؛ وقوله (بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ) أي كافٍ في ابن آدم مبتدأ، والباء زائدة، وقوله (أكلات) خبره، والأكلة بالضم اللقمة وفي رواية لقيمات بالتصغير للإشارة إلى التحقير مع الدلالة على التقليل بالتنكير (يقمن صلبه) أي ظهره، والعبارة كناية عن القيام للطاعة، والقيام للمعيشة، وإسناد الإقامة إلى الأكلات مجازية سببية، وقوله (فإن كان لا محالة) أي لا بد وإن شرطية تشير إلى استبعاد الوقوع وهو الأكل الكثير الذي يتعدى إقامة الصلب، وهو حسن ظن بالتزام المؤمن للتوجيه النبوي، وقوله (فثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسه) فيه حسن تقسيم بديعي حيث تتبع أقسام المعنى، وأتى عليها، وحسن تقسيم طبي يضمن السلامة للبدن، والصحة لصاحبه، لأن فيها مكانا لكل شيء دون تخمة.

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه: صفة الأكل بالنسبة للآكل:

إن الأكل قد يكون فرضًا، يثاب الإنسان على فعله ويعاقب على تركه، وذلك إذا كان للغذاء بقدر ما يدفع عنه الهلاك، لأن الإنسان مأمور بإحياء نفسه وعدم إلقائها إلى التهلكة.

وقد يكون واجبًا، وذلك بقدر ما يستطيع معه أداء الصلاة المفروضة عليه قائمًا، وأداء الصوم الواجب، لأنه من قبيل ما لا يتم الواجب إلا به.

ومنه مندوب، وهو ما يعينه على تحصيل رزقه وتحصيل العلم وتعلمه وتحصيل النوافل.

وقد يكون الأكل مباحًا يجوز للإنسان أن يتناوله، وذلك إلى حد الشبع الذي لا يضر معه الامتلاء.

وقد يكون حرامًا، وهو ما فوق الشبع، وكل طعام غلب على ظنه أنه يفسد معدته، لأنه إسراف منهي عنه، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ (١) إلا إذا كانت الزيادة على الشبع لا تضره، وقصد بالأكل القوة على صوم الغد، أو الزيادة في الطاعات، أو لئلا

(١) سورة الأعراف، آية: ٣١.

يستحيي الحاضر معه بعد إتمام طعامه. وقد قال النبي ﷺ: ((مَا مَلأَ آدمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ))[1].

ومن الأكل ما هو مكروه، وهو ما زاد على الشبع قليلاً، فإنه يتضرر به[2]، وقد قال البعض: إن الآكل لا ينبغي له أن يقصد به التلذذ والتنعم، فإن الله تعالى ذم الكافرين بأكلهم للتمتع والتنعم وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ﴾[3]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((المؤمِنُ يَأكُلُ فِي مِعيٍ وَاحِدٍ، والكَافِرُ يَأكُلُ فِي سَبْعَةِ أمْعَاءٍ))[4].

هذا، والتحقيق أنه يجوز للإنسان الأكل بقصد التمتع والتلذذ بما أنعم الله علينا به، لقصد التقوي على أعمال الخير لقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ وأما الآية التي احتج بها هذا القائل فإن الله تعالى ينعي عليهم أنهم يتمتعون بالأطعمة التي رزقهم الله من غير أن يفكروا في المنعم، وأن يشكروه على نعمه.

وأما الحديث فليس فيه دلالة على ما احتجوا عليه، وإنما فيه النعي على من أكثر من الطعام[5].

---

(١) هو حديث الباب.

(٢) رد المحتار على الدر المختار ابن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢١٥/٥.

(٣) سورة محمد، آية: ١٢.

(٤) أخرجه البخاري ٥٣٩٣، ومسلم ٢٠٦٠.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٤/٦، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٨/٥، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٨٣/٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الشبع والبطر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل القصد في الأكل والشرب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الإعجاز العلمي في تقليل الطعام والشراب.

رابعًا: من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الترهيب من الشبع والبطر:

إن المعدة بيت الداء، ولا شيء أخطر على المرء من بطنه وفي هذا الحديث يرهب النبي ﷺ من الشبع والبطر حيث جاء في الحديث: "ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطن"، قال المباركفوري: (جعل البطن أولاً وعاء كالأوعية التي تتخذ ظروفًا لحوائج البيت توهينًا لشأنه، ثم جعله شر الأوعية لأنها استعملت فيما هي له، والبطن خلق لأن يتقوم به الصلب بالطعام، وامتلاؤه يفضي إلى الفساد في الدين والدنيا فيكون شرًا منها)[(١)]، هذا وقد نهى الله تعالى عن السرف في الطعام والشراب فقال سبحانه: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[(٢)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((المُسْلِمُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرِ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ))[(٣)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تجشأ رجل عند النبي ﷺ فقال: ((كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شِبعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ القِيَامَةِ))[(٤)].

وقال أبو الحسن الماوردي: "وأما حال الإنسان في مأكله ومشربه فإن الشهوة فيه نوعان: شهوة في الإكثار والزيادة، وشهوة في تناول الألوان اللذيذة، فأما شهوة الزيادة على قدر الحاجة والإكثار على قدر الكفاية فهو ممنوع منه في العقل والشرع لأن تناول

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٧٩/٢.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٣) أخرجه البخاري ٥٣٩٦، ومسلم ٢٠٦٢.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٤٧٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠١٥).

ما زاد على الكفاية، نهم معر، وشره مضر وقد قال علي رضي الله عنه: (إن كنت بطنًا فعُد نفسك زمنًا)، وقال بعض البلغاء: أقلل طعامًا تحمد منامًا، وقال بعض الأدباء: الرغب لؤم والنهم شؤم، وقال بعض الشعراء:

فكم من لقمة منعت أخاها ... بلذة ساعة أكلات دهر

وكم من طالب يسعى لأمر ... وفيه هلاكه لو كان يدري

ورب أكلة هاضت الأكل، وحرمته مآكل، وأما شهوة الأشياء اللذيذة فالناس في تمكين النفس منها مذاهب)[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل القصد في الأكل والشرب:

إن خير علاج للترهل والشبع القصد في الأكل والشرب وهو ما أرشد إليه الحديث حيث جاء فيه: "بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه"، قال الطيبي: (قال أبو حامد: ومن فوائد الجوع: صفاء القلب وإيقاد القريحة ونفاذ البصيرة، فإن الشبع يورث البلادة ويعمي القلب، ومن فوائد الجوع رقة القلب وصفاؤه والانكسار والذل وزوال البطر والأشر والفرح الذي هو مبدأ الطغيان ولا تنكسر النفس لشيء ولا تذل كما تذل بالجوع فعنده تستكين لربها وتقف على عجزها، ومن فوائده تيسير المواظبة على العبادة فإن الأكل يمنع من كثرة العبادات ومن فوائده صحة البدن ودفع الأمراض فإن سببها كثرة الأكل وحصول فضلة الأخلاط في المعدة والعروق)[2].

وقال ابن القيم: (ويستفاد من قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾[3]، أن الله أرشد عباده إلى إدخال ما يقيم البدن من الطعام والشراب عوض ما تحلل منه، وأن يكون بقدر ما ينتفع به البدن: في الكمية والكيفية فمتى تجاوز ذلك كان إسرافًا، وكلاهما مانع من الصحة جالب للمرض، أعني: عدم الأكل والشرب، أو الإسراف

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٢٣٥ - ٢٣٦.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٩/٣١٠.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٣١.

فيه فحفظ الصحة كله في هاتين الكلمتين الإلهيتين ومن تأمل هدي النبي ﷺ وجده أفضل هدي يمكن حفظ الصحة به فإن حفظها موقوف على حسن تدبير المطعم والمشرب والملبس والمسكن والهواء)[١].

وقال ابن الجوزي: (إن العاقل يعطي بدنه من الغذاء ما يوافقه، ولا تظنن أني آمر بأكل الشهوات ولا بالإكثار من الملذوذ، إنما آمر بتناول ما يحفظ النفس، وأنهى عما يؤذي البدن فأما التوسع في المطاعم فإنه سبب النوم، والشبع يعمي القلب ويهزل البدن ويضعفه)[٢].

ولعل فيما ذكره ابن رجب من بيان سبب ورود الحديث، ما يوضح الصورة بشكل واضح وجلي، حيث قال: (فروى أبو القاسم البغوي في معجمه من حديث عبدالرحمن بن المرقع قال: فتح رسول الله ﷺ خيبر وهي مخضرة من الفواكه، فوقع الناس في الفاكهة فغشيتهم الحمى... فقال رسول الله ﷺ: "لم يخلق الله وعاء إذا ملئ شرًا من بطن، فإذا كان لا بد فاجعلوا ثلثًا للطعام، وثلثًا للشراب، وثلثًا للريح". قال ابن رجب: (وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلِّها... فهذا بعض منافع قليل الغذاء وترك التملؤ من الطعام بالنسبة إلى صلاح البدن وصحته، وأما منافعه بالنسبة إلى القلب وصلاحه فإن قلة الغذاء توجب رقة القلب، وقوة الفهم، وانكسار النفس، وضعف الهوى والغضب، وكثرة الغذاء يوجب ضد ذلك)[٣].

وفي الحديث ما يشير إلى وجوب أن يتحلى الإنسان بالقناعة بما رزقه الله تعالى، لأن حرص الإنسان على أن يشبع من كل شيء، أمر لا يمكن تحققه إلا بهلاك الإنسان نفسه، فهذا السلوك يجعل صاحبه يتصف بالنهم، مما يؤدي به إلى الانصراف عن الاهتمام عن الغاية التي خلق لأجلها الإنسان، فالتوجيه للإنسان أن يجعل ثلثًا لطعامه

---

(١) الطب النبوي، ابن القيم ص ١٧٥.

(٢) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٥٦٧.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٤٦٧-٤٦٨.

وثلثًا لشرابه... كل هذا دعوة للاكتفاء بالقليل الذي يصلحه، ومن أجل ذلك سمي هذا البطن وعاء.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الإعجاز العلمي في تقليل الطعام والشراب:

حيث جاء في الحديث: "فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه"، وهذا يعتبر من الإعجاز الطبي في السنة النبوية، "وهذا الحديث قمة من قمم الإعجاز الصحي والوقائي والغذائي فهو من معجزات الرسول ﷺ وجوامع كلمه ومن القوانين التي سنها الرسول ﷺ في الأكل لكي يعيش الإنسان معافى من الأمراض، ولم يذكر الرسول الكريم ﷺ شيئًا عما يجري في المعدة، إلا أنه اكتفى بذكر الثلث الثالث للنفس حيث إن الطعام بحاجة إلى هضم، والهضم لا يتم بدون مفرزات المعدة، فإذا امتلأت المعدة بالطعام فأين تجد العصارات الهاضمة مكانًا لها؟ فمن ملأ معدته بالطعام والشراب، ولم يدع فيها متنفسًا شعر بعد ذلك بالتخمة وعسر الهضم، وقد ابتكر العلماء في الولايات المتحدة الأمريكية طريقة جديدة لإنقاص الوزن وذلك بإدخال بالون إلى المعدة وينفخ بشكل يملأ ثلث المعدة ويبقى ثلثا المعدة الآخران فارغين للطعام والشراب، وقد وجد الباحثون أنها طريقة فعالة لإنقاص الوزن فهذا حديث رسول الله ﷺ تثبته تجارب الطب الحديث وأبحاثه العلمية التجريبية"[1].

إن في الحديث ما يدل على حقيقة علمية أخرى، فقوله ﷺ: "بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه"، والصلب - الناحية القطنية في أسفل الظهر - لا يستقيم استقامة كاملة إلا إذا كانت المعدة مستريحة، ولا يتم لها ذلك إذا هي أتخمت بالطعام، فالحديث أشار إلى أن ما يقيم الصلب أكلات أو لقيمات فقط[2]، فامتلاء البطن بحيث يتخم بالطعام والشراب، أمر يتنافى مع حصول استقامة الصلب، الذي أشار إليه قوله ﷺ: "يقمن صلبه".

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا ٢٧٢/١.

(٢) الحقائق الطبية في الإسلام، عبدالرزاق أشرف الكيلاني ص ٢٣٣.

إن الأصل في أكل الإنسان الاكتفاء باللقم المعدودة فلو اكتفى بذلك فلن يصيبه ضرر في جسده أو صحته، ولا يتغير عن هذا الأصل إلا استثناء لقوله ﷺ: (فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه).

قال بعضهم: (إن ما ورد في الحديث ليس للتحديد ولكنه للتنبيه والتأديب، ولو أكل الإنسان حتى شبع ما كان عليه بأس... فإن قلل إنسان في طعامه حتى ضعف عن القيام بالمطلوب منه من أمور الدنيا والآخرة، فإن ذلك يعتبر خطأ وعدم فهم للدين، وبعيدًا عن المسلك الإسلامي الصحيح)[1].

رابعًا - من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ:

إن من آداب المدعو المنوطة به الاستجابة لما يسمع من توجيهات النبي ﷺ لأنه لا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر، والذي يهتدي بهداه هو السعيد، والمعرض عن هديه هو الشقي التعيس، وقد أرشد النبي ﷺ في الحديث إلى ضرورة الإقلال من الطعام والشراب وعدم امتلاء المعدة، حيث يؤدي ذلك إلى أضرار وخيمة بالصحة والبدن، وخير الناس من يلتزم بهدي النبي ﷺ وإرشاده لأنه حريص على نفع أمته وإسداء النصح لها.

وفي هذا الحديث توجيه وترغيب من النبي ﷺ لأمته في الاكتفاء بالقليل من الطعام، وذلك لما في البطنة من الأذى، والضرر والأمراض والآلام، فلذلك كانت الوصية بأن يكون طعام ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، وقد وردت أحاديث شريفة كثيرة، كلها تحث على عدم الإسراف في الطعام أو الشراب، والاكتفاء بما يقيم الأود منه. فكل شيء في الدين الإسلامي له هدف يسعى إليه، ووظيفة يعمل من أجلها، فالإنسان ليس غايته من تناول الطعام الشعور باللذة فقط، وإنما من أجل حفظ صحته وقوته، لكي يستطيع أن يحيا، ويعمل، ويعبد الله سبحانه وتعالى.

إن صلاح بدن الإنسان وجسده إنما يكون في تناول ما يكفيه من الطعام، فلا يزيد على قدر حاجته، بمعنى أن يتوسط في غذائه، قال ابن القيم: (فإذا توسط في

---

(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب ص ٢٤١.

الغذاء، وتناول منه قدر الحاجة، وكان معتدلاً في كميته وكيفيته، كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير)[١].

إن التوجيه النبوي الوارد في الحديث له غاية أكثر أهمية، يتم الوصول إليها من خلال ما ذكر في الحديث، وذلك أن المسلم ينبغي عليه أن يعمر وقته بالطاعات، ولا يتيسر له ذلك إن هو ترك نفسه تبعًا لشهواته، بحيث يملأ بطنه بما لذ وطاب من المأكولات والمشروبات، لأن من هذا حاله سيكون مآله أن يكسل عن الطاعات، بل قد يؤدي به هذا الأمر إلى أن تجمح به شهواته، وهذا ما أشار إليه ابن القيم بعدما ذكر هذا الحديث حيث قال: وهذا أنفع للبدن والقلب، فإن البطن إذا امتلأ من الطعام، وضاق عن الشراب، فإذا أورد عليه الشراب، ضاق عن النفس وعرض له الكرب والتعب، وصار محمله بمنزلة حامل الحمل الثقيل، هذا إلى ما يلزم ذلك من فساد القلب، كسل الجوارح عن الطاعات، وتحركها في الشهوات التي يستلزمها الشبع)[٢].

وفي الحديث تفصيل لما أجملته الآية القرآنية: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[٣]، فالإنسان مطالب بأن يكون معتدلاً في مآكله ومشربه، فلا يسرف فيهما، وقد بيّن الحديث حد الاعتدال في الطعام والشراب.

وعلى الإنسان أن يعمل بجانب الوقاية، فهي خير من العلاج، لأن اتباع التوجيه النبوي الوارد في الحديث يقيه شرور امتلاء البطن.

إن في التقلل من الطعام ما يعين الإنسان على الطاعات والبعد عن المعاصي، قال ذو النون: ما شبعت قط إلا عصيت أو هممت بمعصية. ولعل أكبر المفاسد من وراء الشبع

---

(١) الطب النبوي، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم (٧٥١ هـ)، إشراف عبدالمنعم العاني، دار مكتبة الحياة، بيروت: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ٢٢.

(٢) الطب النبوي ابن القيم ٢٢.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٣١.

وامتلاء البطن ما ورد في كلام عائشة رضي الله عنها: أول بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ الشبع، إن القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى الدنيا[1].

(١) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٤/٢٥٤ - ٢٥٦.

الحديث رقم (٥١٦)

٥١٦ - وعن أَبي أُمَامَة إياسِ بن ثعلبةَ الأَنْصَارِيِّ الحارثي ﷺ، قَالَ: ذَكَرَ أصْحَابُ رسول الله ﷺ يومًا عِنْدَهُ الدُّنْيَا، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((أَلاَ تَسْمَعُونَ؟ أَلاَ تَسْمَعُونَ؟ إنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الإيمَانِ، إنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الإيمَانِ)) يَعْنِي: التَّقَحُّلَ. رواهُ أَبو داود[1].

ترجمة الراوي:

أبو أمامة بن ثعلبة الحارثي الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٤).

غريب الألفاظ:

البذاذة: رثاثةُ الهيئة وترك فاخر اللباس[2].

المُتَقَحِّلُ: الرجل اليابسُ الجلد من خشونة العيش وترك الترفه[3].

الشرح الأدبي

قول الراوي (ذَكَرَ أصْحَابُ رسول الله ﷺ يوماً عِنْدَهُ الدُّنْيَا) يشير إلى أن الذكر كان بمجمع من الصحابة، والموعظة في المجمع لها وضع خاص من حيث تقليب الذكر من جميع الوجوه؛ لأن كل واحد يستطيع أن يستفسر عن أي إشكال يعرض في نفسه مما يوسع أفق الحوار كما يعرض لمختلف الآراء التي تكشف خلفيات العقول فيصلح ما حاد عن الفهم الصحيح منها، ويقر الصواب، وأن الحكم الذي يُقَر في المجلس يأخذ حكم الخبر الموثوق بخلاف خبر الواحد الذي يكون أقل توكيداً منه، وذكر الظرف (عنده) المتصل بالضمير العائد على الرسول ﷺ يعطي الخبر صفة التشريع؛ لأنه في حضور الرسول ﷺ كما يشير إلى شرف المجلس، وقول الرسول ﷺ (ألاَ تَسْمَعُونَ؟ ألاَ تَسْمَعُونَ ؟) استفهام خرج عن معناه الحقيقي، وهو طلب الفهم إلى معنى الأمر أي

(١) برقم ٤١٦١ وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٣٦٨/١٠: هو حديث صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٦٨.

(٢) رياض الصالحين ٢٤٠.

(٣) رياض الصالحين ٢٤٠.

اسمعوا ! وتكراره للتوكيد، وهو تنبيه بديع يحقق الترقب لما بعده، وقوله (إنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ، إنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ) أي الرثاثة يقال رجل بذ الهيئة وباذ الهيئة أي رث اللبسة، والمراد من الحديث أن التواضع في اللباس، والتوقي عن الفائق في الزينة من أخلاق أهل الإيمان، والإيمان هو الباعث عليه والتكرار للتأكيد ففيه اختيار الفقر، وترك الفخر والزينة، والاهتمام الزائد بالأمور الفانية التي تستنفذ الوقت، والجهد، وتشغل قلبه عن الله تعالى فلبس الخلق من الثياب من خلق أهل الإيمان.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التكرار.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الاقتصاد في حظوظ النفس.

رابعًا: من واجبات الداعية: تسلية المحتاجين والمعوزين ومواساتهم.

أولاً - من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن الداعية تقوم مهمته على البلاغ، ولا يتحقق البلاغ إلا ببيان الحقائق، ويظهر هذا من الحديث: "ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يومًا عنده الدنيا فقال رسول الله ﷺ: ألا تسمعون إن البذاذة من الإيمان"، ومما لا شك فيه أن أولى واجبات الداعية بيان الحقائق فعلى البيان تقوم الدعوة، وبالبيان أمر الله نبيه في القرآن قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[2].

قال محمد الغزالي: (إن العالم محتاج إلى أن يدرك جملة الحقائق التي جاء بها الإسلام من عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات، فإن هذه الحقائق هداية نافعة له،

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٧.

وبالعمل بها - مجتمعة - يحصل خيرًا جزيلاً وينفي شرًا كثيرًا)[(١)].

وبالبيان تبلغ الدعوة إلى جميع الآفاق، وتقوم الحجة على العالمين قال الله تعالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[(٢)].

ومن خلال ما سبق يتضح أن من المهام الأساسية للداعية بيان حقائق الإسلام للمدعوين وتعريفهم.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: التكرار:

لقد تكرر في الحديث قوله: "ألا تسمعون ... ألا تسمعون"، وأسلوب التكرار يعمل على لفت انتباه المدعو إلى ما يقوله الداعية، والتكرار يفيد التوكيد ويدل على أهمية الشيء المكرر، وقد تعدد في السنة النبوية استخدام هذا الأسلوب، وفائدة التكرار في الحديث أن فيه إثارة لانتباههم، فينبغي لمن يريد أن يتحدث إلى قوم وهم منشغلون عنه، أن يصرف أسماعهم إليه قبل الشروع في الحديث، لأن ذلك مما يعين على فهم مقصد الكلام.

وفي القرآن الكريم أيضًا جاء استخدام هذا الأسلوب في غير ما موضع ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾[(٣)]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾[(٤)].

وعن السر في استخدام أسلوب التكرار في القرآن قال القاسمي: (وتكرير صفات الله دالّ على الاعتناء بمعرفتها والعمل بموجبها، وتكرير القصص دال على الاهتمام بالوعظ للإيقاظ والاعتبار، وفائدة تكرير القصص تطرئة المواعظ وتشديدها، لأن منها: ما يحث على الطاعة والإيمان، ومنها ما يزجر عن الكفر والعصيان، وكذلك

---

(١) مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة ٢٧.

(٢) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٣) سورة الفجر، آية: ٢١.

(٤) سورة المؤمنون، آية: ٣٦.

تكرير الوعد والوعيد، وكذلك تكرير ذكر الأحكام، وكذلك تكرير المدح والذم، وما يترتب على المأمورات والمنهيات من المؤكدات المذكورات، وتكرير الأمثال يدل على الاعتناء بالإيضاح والبيان، وتكرير تذكر النعم يدل على الاعتناء بشكرها)[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الاقتصاد في حظوظ النفس:

إن مغريات الحياة كثيرة وتتبع ملذاتها هلكة، والمسلم يقتصد في حظوظ نفسه في هذه الحياة، ويقتصر على ما يعينه على أمور معاشه وطاعته لله تعالى، وينأى بنفسه عن الركون إلى ملذات الحياة وزخارفها، ومما يدل على هذا ما جاء في الحديث: "إن البذاذة من الإيمان" قال العظيم آبادي: (قال الخطابي: البذاذة سوء الهيئة والتجوز في الثياب ونحوها، يقال: رجل باذ الهيئة إذا كان رث الهيئة واللباس، والتقحل تكلف اليبس والبلى والمتقحل الرجل اليابس الجلد السيئ الحال)[٢]، ودلت النصوص الشرعية على أن المسلم الحق يأخذ نفسه بالشدة، ولا يغريه متاع الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[٣].

وجاء عن ابن المبارك عن مصعب بن سعد أن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها قالت لعمر رضي الله عنه: (ألا تلبس ثوبا لينًا من ثوبك، وتأكل طعاما أطيب من طعامك هذا؟ فقد فتح الله عليك الأرض، وأوسع عليك من الرزق، قال سأخصمك إلى نفسك فذكر أمر رسول الله ﷺ وما كان يلقى من شدة العيش، ولم يزل يذكر حتى بكت، ثم قال عمر لأشركنهما في مثل عيشهما الشديد، لعلى أدرك معهما مثل عيشهما الرخي)[٤].

وجاء عن الحسن البصري أنه قال: (والله أدركت أقوامًا لو شاء أحدهم أن يأخذ هذا المال من حله أخذه فيقال لهم: ألا تأتون نصيبكم من هذا المال فتأخذونه حلالاً؟

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٥٧/١.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٨١.

(٣) سورة طه، آية: ١٣١.

(٤) كتاب الزهد، عبدالله بن المبارك المروزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ص ١٩٢.

فيقولون: لا إنا لنخشى أن يكون أخذه فسادًا لقلوبنا، وأدركت أقوامًا لا يفرحون بشيء من الدنيا أتوه، ولا يأسون على شيء منها فاتهم)[١].

وينبغي على المؤمن أن لا تكون الدنيا أكبر همه، بحيث يبقى منشغلاً بها، بل الواجب عليه أن يجعل من دنياه مزرعة لآخرته؛ لأن هذه الدنيا زائلة، وكذلك نعيمها، ويدل على ذلك أن الرسول ﷺ لما رأى من أصحابه هؤلاء اهتمامًا بأمر من أمور الدنيا بحيث انشغلوا بالحديث عنها من خلال حديثهم الذي سمعه منهم، أنكر عليهم ما سمعه منهم بقوله: (ألا تسمعون؟ ألا تسمعون؟).

إن الإنسان إذا رأى من الناس إقبالاً على الدنيا وزينتها، فعليه أن يذكرهم بأن الدنيا شأنها أحقر من ذلك؛ لأن الإنسان لم يخلق للدنيا، وأنه يكفيه منها ما يعينه على أن يؤدي ما هو مطلوب منه، لا أن يكون منشغلاً بها بحيث تصير أكبر همه؛ لأن المؤمن ينبغي أن يكون متميزًا عن غير المؤمن، فإذا كان الكافر ليس له من أمره في دنياه، إلا بأن يتمتع ويأكل كما تأكل الأنعام، فإن المؤمن غير ذلك.

إنه ينبغي للمؤمن أن يتعاهد أصحابه وإخوانه بتذكيرهم بأمر الآخرة، والتنبيه عليهم بالحسنى، فإن ذلك مما ينفعهم؛ لأن الإنسان قد يغفل عن الحق، وليس هناك أفضل من إخراج الإنسان من غفلته إلا بتذكيره، ووعظه بالحسنى.

لقد بيّن الحديث أن البذاذة من الإيمان، بمعنى أن على الإنسان أن يكتفي بلباسه بما يؤدي المقصود إليه من اللباس ألا وهو ستر الجسد، لا أن يبالغ أو يحرص على اقتناء أغلى أصناف اللباس وأثمنها دائمًا، وفي كل حال؛ لأن هذه صفة من يكون حريصًا على دنياه، ومن يكون حريصًا على حب سماع مدح الناس له، والثناء عليه بهذا الأمر، وهذا قد يدفع المرء غالبًا إلى الشعور بالعجب والفخر، بل والتعالي على غيره بلباسه، أي أن الأمر يكون مدخلاً لما ينافي الإيمان، فلذلك أوصى النبي ﷺ هؤلاء لما سمع منهم ما سمع، وأرشدهم إلى نقيضه، وإلا فإن الإنسان المؤمن لو اعتنى بمظهره وحسن مظهره

---

(١) الزهد، الحسن البصري، تحقيق: د. محمد عبد الرحيم محمد، دار الحديث، القاهرة، دون ذكر التاريخ ورقم الطبعة، ص ٢٩.

فلا بأس عليه، وعليه أن لا ينسى سريرته، فيكون حسن المظهر والمخبر.

ولا شك أن الإنسان الذي يأخذ نفسه بالشدة ولا يتطلع إلى زهرة الحياة الدنيا إنما يحقق معنى الزهد المشروع، قال ابن تيمية: (والزهد المشروع هو ترك كل شيء لا ينفع في الدار الآخرة، وثقة القلب بما عند الله وأما في الظاهر فترك الفضول التي لا يستعان بها على طاعة الله من مطعم وملبس ومال وغير ذلك كما قال أحمد: إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وصبر أيام قلائل)[1].

والواجب على المسلم أن يفهم البذاذة على حقيقتها، وأن يعلم أن الزهد في الدنيا، وترك متاعها ليس على إطلاقه.

قال ابن قدامة: (قد سمع خلق كثير ذم الدنيا مطلقًا، فاعتقدوا أن الإشارة إلى هذه الموجودات التي خلقت للمنافع، فأعرضوا عما يصلحهم من المطاعم والمشارب.

وقد وضع الله في الطباع توقان النفس إلى ما يصلحها، فكلما تاقت منعوها، ظنًا منهم أن هذا هو الزهد المراد، وجهلاً بحقوق النفس وعلى هذا أكثر المهتدين، وإنما فعلوا ذلك لقلة العلم، ونحن نصدع بالحق من غير محاباة فنقول:

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للإنسان، فيها حظ، وهي الأرض وما عليها، فإن الأرض مسكن الآدمي، وما عليها ملبس ومطعم ومشرب ومنكح، وكل ذلك علف لراحلة بدنه السائر إلى الله عز وجل، فإنه لا يبقى إلا بهذه المصالح، فمن تناول منها ما يصلحه على الوجه المأمور يمدح، ومن أخذ منها فوق الحاجة يكتنفها الشره وقع في الذم، فالطريق السليم هي الوسطى، وهي أن يؤخذ من الدنيا قدر ما يحتاج إليه من الزاد للسلوك، وإن كان مشتهى، فإن إعطاء النفس ما تشتهيه عون لها وقضاء لحقها.

وقد كان سفيان الثوري يأكل في أوقات من طيب الطعام، ويحمل معه في السفر الفالوذج.

---

(١) الزهد والورع والعبادة، ابن تيمية، تحقيق: حماد سلامة ص ٧٣ - ٧٤.

وكان إبراهيم بن أدهم يأكل من الطيبات في بعض الأوقات، ويقول: إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال، وإذا فقدنا صبرنا صبر الرجال.

ولينظر في سيرة رسول الله ﷺ وصحابته، فإنهم ما كان لهم إفراط في تناول الدنيا، ولا تفريط في حقوق النفس.

وينبغي أن يتلمح حظ النفس في المشتهى، فإن كان في حظها حفظها وما يقيمها ويصلحها وينشطها للخير، فلا يمنعها منه، وإن كان حظها مجرد شهوة ليست متعلقة بمصالحها المذكورة، فذلك حظ مذموم، والزهد فيه يكون)(١).

وقال أبو حامد الغزالي: (وإنما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية، ولا يقمع الشهوات بالكلية، أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد، وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل، ولا يتبع كل شهوة، ولا يترك كل شهوة، بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا، ولا يطلب كل شيء من الدنيا، بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا، وبحفظه على حد مقصوده، فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة، ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد، ومن الكسوة كذلك)(٢).

رابعًا - من واجبات الداعية: تسلية المحتاجين والمعوزين ومواساتهم:

إن الفقير بحاجة إلى الإحسان، لأنه مهيض الجناح، والمفترض في الداعية أن الفقير والغني لديه سواء، ولذا كان من أهم واجباته أن يراعي الفقراء ويواسي المحتاجين، ويظهر هذا من سياق الحديث، حيث جعل النبي ﷺ هذه الصورة من هيئة الفقر لمن لا يجد غيرها من الإيمان، وفي هذا تخفيف من معاناة الفقراء، وبيان لفضلهم ومنزلتهم، والرسول ﷺ رحيم بالناس مشفق عليهم، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾، وقال عنه سبحانه وتعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

---

(١) انظر: منهاج القاصدين ٢١١ - ٢١٢.

(٢) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ٢/ ١٦٠.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

هذا وقد حثّ الإسلام على تسلية المحتاجين ومواساة المحرومين، فعن أنس رضي الله عنه قال: لَمَّا قَدِمَ النبيُّ المَدِينَةَ أَتَاهُ المُهَاجِرُونَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ مِنْ كَثِيرٍ وَلاَ أَحْسَنَ مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ لَقَدْ كَفَوْنَا المُؤْنَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي المَهْنَاءِ، حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالأَجْرِ كُلِّهِ، فَقَالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: ((أَلاَ مَا دَعَوْتُمُ الله لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ))[(١)].

وجاء في موسوعة نضرة النعيم: "عن بكر بن عبدالله رضي الله عنه قال: (إني لأرجو أن أعيش عيش الأغنياء، وأموت موت الفقراء)، قال الذهبي: فكان كذلك يلبس كسوته ثم يجيء إلى المساكين، فيجلس معهم يحدثهم ويقول: لعلهم يفرحون بذلك، وقال ابن عيينة: كان سعيد بن العاص إذا قصده سائل وليس عنده شيء قال: اكتب عليَّ سجلاً بمسألتك إلى الميسرة"[(٢)]، فعلى الداعي إلى الله مراعاة الفقراء وتسليتهم ومواساتهم.

قال د. الحسيني هاشم: الدنيا بمظاهرها ومفاتنها وتصارع الأحياء في اقتنائها والتنعم بها لا قيمة لها في نظر الإسلام، وعلامة الإسلام بالنسبة للمسلم الرضا بما قسم الله له، وعدم الاعتناء الزائد بالمظهر، أو احترام مظاهر الناس دون النظر إلى شخصيتهم الدينية ومبادئهم في الحياة، وكلما ابتعد الإنسان عن الدنيا زاهدًا فيها عاملاً بما كُلِّف عمله كلما قرب من الله)[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٤٨٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٢٠).

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٣٤٦٨/٨.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢٣٦.

الحديث رقم (٥١٧)

٥١٧ - وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قَالَ: بَعَثَنَا رسول الله ﷺ ، وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ رضي الله عنه ، نَتَلَقَّى عِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبو عُبيدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً، فَقيلَ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبي، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ، فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ، وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الخَبَطَ، ثُمَّ نَبُلُّهُ بالماءِ فَنَأكُلُهُ. قَالَ: وَانْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَرُفِعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الكَثِيبِ الضَّخْمِ، فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرَ، فَقَالَ أَبو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ، ثُمَّ قَالَ: لا ، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ الله ﷺ ، وفي سبيل الله وَقَدِ اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا، فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْرًا ، وَنَحْنُ ثَلاثُمِئَةٍ حَتَّى سَمِنَّا ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا نَغْتَرِفُ مِن وَقْبِ عَيْنِهِ بِالقِلَالِ الدُّهْنَ وَنَقْطَعُ مِنْهُ الفِدَرَ كَالثَّوْرِ (أَوْ: كَقَدْرِ الثَّوْرِ)، وَلَقَدْ أَخَذَ مِنَّا أَبو عُبَيْدَةَ ثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً ، فَأَقْعَدَهُمْ فِي وَقْبِ عَيْنِهِ، وَأَخَذَ ضِلْعًا مِنْ أَضْلاعِهِ فَأَقَامَهَا، ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا وَتَزَوَّدْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَشَائِقَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ أَتَيْنَا رسول الله ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: ((**هُوَ رِزْقٌ أخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟**)) فَأَرْسَلْنَا إِلَى رسول الله ﷺ مِنْهُ فَأَكَلَهُ. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

العيرُ: الإبلُ[٢].

جرابًا: وعاء من جلد[٣].

الخبط: ورق شجر معروف تأكله الإبل، وقيل: ما سقط من ورق الشجر بالخبط والنَّفض[٤].

---

(١) برقم ١٩٣٥/١٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٦٥٣.

(٣) رياض الصالحين ٢٤١.

(٤) رياض الصالحين ٢٤١ ، والمعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢١٦.

الكثيب: التلُّ من الرمال[١].

العنبر: حيوان ثدييّ بحري من رتبة الحيتان[٢].

وَقْبُ عِينهِ: نُقرةُ العين[٣].

القلالُ: الجرار[٤].

الفِدرَ: القطع، مفردها: فِدْرَة[٥].

رَحَل البعير: جعل عليه الرحل[٦].

الوشائقُ: اللحمُ الذي اقتطعُ ليقدَّد منه، ومفردها: وشيقة[٧].

الشرح الأدبي

الحديث قصصي طويل يعتمد الحوار في بعض مراحله والأسلوب القصصي يجذب السامع لميل النفس الفطري لسماعه كما أنه يعلم بطريقة غير مباشرة، ويقرر الحقائق، ويصحح الأخطاء دون مواجهة للمخاطب قد لا تجد عنده قبولا إذا وجهت إليه مباشرة وقوله (قَالَ: بَعَثَنَا رسول الله ﷺ، وَأمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ رضي الله عنه) ضمير الجماعة المتصل بالفعل يشير إلى أنهم كانوا عددا كبيرا، وهو المناسب للغرض وهو اعتراض عير قريش، ونسبة البعث للرسول ﷺ تقرر أنهم في مهمة شرعية خرجوا لله، والفعل (أمَّر) يضبط حركة البعث بالتنظيم الشرعي الذي ينظم حياة المسلم في جميع سلوكياته بما يحقق الغاية، ويمنع الشقاق وقوله (وَزَوَّدَنَا جِرَاباً مِنْ تَمْرٍ) هو من باب الأخذ بالأسباب بالقدر، وإفراد الجراب، وتنكيره يشير إلى قلته، ونقصه عن قدر

---

(١) رياض الصالحين ٢٤١.

(٢) المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٦٣٠.

(٣) رياض الصالحين ٢٤١.

(٤) المرجع السابق ٢٤١.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف د ر).

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ش ق).

(٧) المرجع السابق ٢٤١.

الحاجة، وقوله (لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ) يشير إلى الاضطرار الذي يستلزم التصرف على قدر الموقف، وهو ما فعله أَبو عُبيدَةَ وصوره المضارع (يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً) مع المفعول الدال على حسن التصرف على قدر الحاجة، وقد أثار الخبر بعض المخاطبين فسأل(كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟) وهو استفهام يحمل تعجبا أزالته إجابته (نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِي، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ) ثم النتيجة التي حققتها (فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ) وقوله (نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) فيه جناس يشير إلى المنطلق الذي يتحركون منه، ويتصرفون على أساسه، وقوله(وَقَدِ اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا) يشير إلى اجتهاد أبي عبيدة رضي الله عنه في المسألة، وقوله (فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رسول الله ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ) التعبير بالإتيان للإشارة إلى المجيء بشيء، وقوله فذكرنا إشارة إلى مراجعة العمال للفصل بين الصواب، والخطأ عن طريق التقويم البناء، والفاء تدل على السرعة في عرض نتائج الرحلة على الرسول ﷺ، وقوله (هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لَكُمْ) إقرار قولي من الرسول ﷺ لفعلهم) أكده بالاستفهام المؤذن بالإقرار الفعلي بالأكل معهم (فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟).

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه ما يلي:

١ - تأمير الرفقة بعضهم عليهم: قال النووي: (فيه [أي هذا الحديث] أن الجيوش لا بدّ لها من أمير يضبطها وينقادون لأمره ونهيه وأنه ينبغي أن يكون الأمير أفضلهم أو من أفضلهم. قالوا: ويستحب للرفقة من الناس - وإنْ قلُّوا - أن يؤمروا بعضهم عليهم وينقادوا له)[1].

٢ - صد أهل الحرب: قال النووي: (في هذا الحديث جواز صد أهل الحرب واغتيالهم والخروج لأخذ مالهم واغتنامه)[2].

٣ - خلط أزواد الرفقة: قال النووي: (قال العلماء: يستحب للرفقة من المسافرين

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧/١٣/٧٢.

(٢) السابق، الموضع نفسه.

خلط أزوادهم، ليكون أبرك وأحسن في العشرة وأن لا يختص بعضهم بأكل دون بعض)[١].

٤ - سؤال الإنسان من مال صاحبه: قال النووي: (طلب النبي ﷺ من لحمه وأكله ذلك، في هذا دليل على أنه لا بأس بسؤال الإنسان من مال صاحبه ومتاعه إدلالاً عليه، وليس هو من السؤال المنهي عنه، إنما ذاك في حق الأجانب للتمول ونحوه. وأما هذه فللمؤانسة والملاطفة والإدلال)[٢].

٥ - الاجتهاد في الأحكام في زمن النبي ﷺ: قال النووي: (فيه جواز الاجتهاد في الأحكام في زمن النبي ﷺ، كما يجوز بعده)[٣].

٦ - تعاطي المفتي بعض المباحات التي يشك فيها المستفتي: قال النووي: (يستحبّ للمفتي أن يتعاطى بعض المباحات التي يشكّ فيها المستفتي إذا لم يكن فيه مشقة على المفتي وكان فيه طمأنينة للمستفتي)[٤].

٧ - حكم أكل ميتة السمك: ذهب جمهور الفقهاء إلى إباحة أكل ميتة السمك سواء أمات حتف أنفه أو بالاصطياد، بينما ذهب الحنفية إلى أنه لا يحل أكل ما مات حتف أنفه "وهو الطافي"[٥].

٨ - المباح من ميتات البحر غير السمك: ذهب الحنابلة والصحيح عند الشافعية أنه يباح جميع ميتات البحر إلا الضفدع والحية والتمساح، وقال المالكية: يحل الجميع

---

(١) السابق، ٧/١٣/٧٣.

(٢) السابق، الموضع نفسه.

(٣) السابق، الموضع نفسه.

(٤) السابق، ٧/ج١٣/٧٣-٧٤.

(٥) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٨/٤٧٠، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧/١٣/٧٤، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٦/١٧٣، وبداية المجتهد ١/٦١٢، ٦١٣، ومغني المحتاج ٤/٢٩٧، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٤/٢٤٥.

سواء الضفدع وغيره، وذهب الحنفية والشافعية في وجه ثانٍ إلى أنه لا يحل غير السمك.

وذهب الشافعية في وجه ثالث إلى أن ما حرم نظيره في البر فهو حرام في البحر كذلك، ككلب الماء وخنزيره[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: البعوث.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل أبي عبيدة رضي الله عنه.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان شدة الحالة التي كان عليها الصحابة رضي الله عنهم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: رزق الله تعالى لعبادة المتوكلين الصادقين.

سادسًا: من آداب المدعو: استفتاء الداعية فيما يشغله من أمور.

سابعًا: من واجبات الداعية: البيان والتوضيح وإقرار المدعوين على الفعل الصواب.

أولاً - من وسائل الدعوة: البعوث:

حيث جاء في الحديث "بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم" قال الإمام النووي: (وفي الحديث جواز صدّ أهل الحرب واغتيالهم، والخروج لأخذ مالهم واغتنامه)[٢] ومما هو معلوم أن البعوث والجهاد في سبيل الله من وسائل الدعوة قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[٤] ولما كان الجهاد من فرائض الإسلام عظمت به الوصية واشتدت الحاجة إليه (إن الجهاد من لوازم

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٤٧١/٨، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٤/١٣/٧، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٧٣/٦ وما بعدها، وبداية المجتهد ٦١٣/١، ومغني المحتاج ٢٨٧/٤، ٢٩٨، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٤٥/١٤-٢٤٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٣٣.

(٣) سورة التوبة، آية: ٢١.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

الحياة الكريمة، حيث يبذل المسلم ماله ونفسه وجميع ما يملك لإعلاء كلمة الله، ونشر الدعوة إلى الله، وإبلاغ هذا الدين بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن)[١].

(إن المسلمين لمَّا أصبحت لهم دولة بالمدينة، ورضي أهلها جميعًا بالنبي ﷺ نبيًا رسولاً، ورئيسًا مسؤولاً عن أمنها وسلامتها، كان لابد من حماية هذا الوضع من العدوان ومن ثم حض القرآن على القتال لمقاومة الظلم وتحرير المستضعفين، ونصرة المظلوم، ومنع الفتنة في الدين، وكفالة حرية العبادة، ولذا فبعد الإذن بالقتال، بدأ الرسول ﷺ في بعث سرايا من أصحابه كمناورات على الحدود وذلك لتأمين المدينة، ومعرفة حركات أعدائه حتى لا يؤخذ على غرة وقد خرج بنفسه في عدد منها)[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل أبي عبيدة رضي الله عنه:

إن الصحابة الكرام رضي الله عنهم لهم فضل عظيم، ومكانة كبيرة فقد جاهدوا وصبروا وأوذوا وتحملوا، ومن كوكبة الصحابة رضي الله عنهم أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، حيث جاء في الحديث "وأمَّر علينا أبا عبيدة رضي الله عنه" وهو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال مشهور بكنيته: أبو عبيدة بن الجراح، أحد العشرة السابقين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وما بعدها، وهو الذي انتزع حلقتي المغفر[٣] من وجه رسول الله ﷺ يوم أحد، فسقطت ثنيتاه رضي الله عنه[٤]، له من الفضائل والمناقب ما لم تحوز لغيره، فهو أمين الأمة، لقوله ﷺ: ((إن لكلِّ أمةٍ أمينًا، وإن أميننَا أيَّتُها الأمَّةُ أبو عُبيدةَ بنُ الجَّراح))[٥] وعن حذيفة رضي الله عنه قال: ((قال النبيُّ ﷺ لأهلِ نَجْرانَ: لأبعَثنَّ

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ٢٤٢.

(٢) الجهاد في الإسلام، أ. محمد شديد، ٩٢-٩٣.

(٣) المغفر: هو ما يلبسه الدارع على رأسه من الزَّرَد ونحوه. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ف ر).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ٦٤٤، ٦٤٥.

(٥) أخرجه البخاري ٣٧٤٤، ومسلم ٢٤١٩.

يعني عليكم ـ أمينًا حقَّ أمين. فأشرفَ أصحابُهُ رضي الله عنهم، فبعثَ أبا عُبيدةَ رضي الله عنه))[١].

وفي بيان عظم مناقبه رضي الله عنه وفضله قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأصحابه: تمنوا فقال رجل: أتمنى لو أن لي هذه الدار مملوءة ذهبًا أنفقه في سبيل الله عز وجل. ثم قال: تمنوا فقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤًا وزبرجدًا أو جوهرًا أنفقه في سبيل الله عز وجل وأتصدق به ثم قال: تمنوا فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح[٢].

وكيف لا وهو القائل: ما من الناس من أحمر ولا أسود حر ولا عبد عجمي ولا فصيح، اعلم أنه أفضل مني بتقوى إلا أحببت أن أكون في مسلاخه[٣]، وقد أورد ابن حجر عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ما من أحد من أصحابي إلا لو شئت لأخذت عليه في خلقه ليس أبا عبيدة بن الجراح))[٤]، ومات رضي الله عنه في طاعون عمواس بالشام سنة ثمان عشرة.

ثالثًا – من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث "كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصها كما يمص الصبي" و أسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة المهمة وهو يفتح باب المحاورة بين الداعية والمدعو، وفيه زيادة إفهام للسائل حيث يسوق الداعية إليه الجواب مباشرة، ومن صور استخدام القرآن الكريم لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾[٥] وقوله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧٤٥، ومسلم ٢٤٢٠.

(٢) صفة الصفوة ١/١٦٣-١٦٤.

(٣) المسلاخ: الجلد يقال في المدح: ملك في مسلاخ إنسان وهو كناية عن ملازمته له. انظر: المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٤٤٢.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٦٦٤، ٦٦٥، وقال ابن حجر: حديث مرسل، ورجاله ثقات.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٦) سورة الأنفال، آية: ١.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: بيان شدة الحالة التي كان عليها الصحابة ﭬ:

إن الصحابة ﭬ لم تفتنهم زينة الحياة الدنيا، ومرّت بهم الأيام الشداد التي لا يجدوا فيها ما يأكلون وهم صابرون محتسبون، ويتضح هذا من الحديث "كان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة" "كنا نمصها كما يمص الصبي" "كنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله" ولاشك أن كل هذا يبين مدى شدة الحالة التي كان عليها الصحابة ﭬ.

قال النووي: (وفي هذا بيان ما كان عليه الصحابة ﭬ من الزهد في الدنيا والتقلل منها، والصبر على الجوع وخشونة العيش وإقدامهم على الغزو مع هذه الحال)[١].

وعن خالد بن عمير قال: خطبنا عتبة بن غزوان على المنبر فقال: ((وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ. مَا لَنَا طَعَامٌ نأكله إِلاَّ وَرَقُ الشَّجَرِ. حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا))[٢].

ومن صور ذلك أيضًا ما جاء عن أبي هريرة ﭫ قال: ((خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ. فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. فَقَالَ مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَـٰذِهِ السَّاعَةَ؟ قَالاَ: الْجُوعُ. يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: وَأَنَا. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا))[٣].

وعن سعد ﭫ قال: ((رأيتُني سابعَ سَبعةٍ معَ النبيِّ ﷺ ما لنا طعامٌ إلاَّ وَرَقُ الحُبْلة[٤] أوِ الحَبَلة حتَّى يَضَعَ أحدُنا ما تَضَعُ الشاة، ثم أصبَحَتْ بنو أَسَدٍ تُعزِّرُني على الإسلام، خَسِرتُ إذَن وضلَّ سَعيي))[٥]. وعن أبي هريرة ﭫ: ((أنه مرَّ بقومٍ بينَ أيديهم شاةٌ مَصْلِيَّة، فدَعوهُ، فأبى أن يأكل قال: خرجَ رسولُ اللّه ﷺ من الدنيا ولم يَشبَعْ من خبزِ الشعير))[٦].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٦٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٣٨.

(٤) الحبلة: ثمرة فصيلة القطانيات كالفول والعدس والفاصوليا وغيرها وتكون ذات فلقتين وبضع بزرات، وهي تتفتح عندما تنضج. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٤٨، المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١٥٣.

(٥) أخرجه البخاري ٥٤١٢، ومسلم ٢٩٦٦.

(٦) أخرجه البخاري ٥٤١٤.

وعن أبي حازم قال: ((سَألتُ سهلَ بن سعدٍ فقلتُ: هل أكلَ رسولُ الله ﷺ النَّقِيَّ؟ فقال سهلٌ: ما رَأَى رسول الله ﷺ النَّقيَّ مِن حِينِ ابتعَثهُ اللهُ حتى قَبضَه الله. قال: فقلت: هل كانت لكم في عهدِ رسولِ الله ﷺ مَناخِلُ؟ قال: ما رَأَى رسولُ الله ﷺ مُنخُلاً من حينِ ابتَعَثَهُ الله حتى قبضَه الله. قال: قلت: كيف كنتم تأكلونَ الشعيرَ غيرَ منخولٍ؟ قال: كنَّا نَطحَنه ونَنفُخُه، فيطيرُ ما طار، وما بقي ثَرَّيْناه فأكلناه))(1). وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (أنتم اليوم أطول اجتهادًا وأطول صلاة وأكثر صلاة من أصحاب محمد ﷺ وكانوا خيرًا منكم فقيل لم؟ قال: كانوا أزهد منكم في الدنيا وأرغب في الآخرة)(2).

خامسًا - من موضوعات الدعوة: رزق الله تعالى لعباده المتوكلين الصادقين:

إن فضل الله واسع ورزقه كبير لمن صدق في توكله عليه ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ أصدق الناس توكلاً وأشدهم يقينًا في الله ولذا رزقهم الله من حيث لم يحتسبوا؛ حيث جاء في الحديث "فانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم فإذا هي دابة تدعى العنبر" وما من شك في أن هذا يدل على رزق الله لمن يتوكل عليه قال الله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾(3) وقال سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾(4) وقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ﴾(5).

وقد جاء في الحديث أن حسن التوكل على الله من ثماره الرزق الكثير فعن عمر

---

(1) أخرجه البخاري ٥٤١٣.

(2) كتاب الزهد، عبدالله بن مبارك المروزي، تحقيق وتعليق الشيخ: حبيب الرحمن الأعظمي ص ١٧٢.

(3) سورة الطلاق، آية: ٢، ٣.

(4) سورة هود، آية: ٦.

(5) سورة العنكبوت، آية: ٦٠.

بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((لَوْ أَنَّكُمْ كنتم تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا))[1].

قال ابن القيم: (التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها، ولا تزال معمورة بالنازلين لسعة متعلق التوكل، وكثرة حوائج العالمين وعموم التوكل. ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله فإن كان محبوبًا له مرضيًا كانت له فيه العاقبة المحمودة ولذا فإن التوكل أن ترد عليك موارد الفاقات، فلا تسمو إلا إلى من إليه الكفايات)[2].

والإنسان عندما يقنع ويرضى بما قسمه الله له من الرزق يبارك له ويزاد له في رزقه قال ابن رجب الحنبلي: (والمتوكل حقيقة من يعلم أن الله قد ضمن لعبده رزقه وكفايته فيصدق الله فيما ضمنه، ويثق بقلبه، ويحقق الاعتماد عليه فيما ضمنه من الرزق من غير أن يخرج التوكل مخرج الأسباب في استجلاب الرزق به، والرزق مقسوم لكل أحد من بر وفاجر ومؤمن وكافر فما دام العبد حيًا فرزقه على الله وقال عمر ﷺ بين العبد وبين رزقه حجاب فإن قنع ورضيت نفسه أتاه رزقه وإن اقتحم وهتك الحجاب لم يزد فوق رزقه وقال بعض السلف: توكل تسق إليك الأرزاق بلا تعب ولا تكلف[3].

سادسًا - من آداب المدعو: استفتاء الداعية فيما يشغله من أمور:

حيث جاء في الحديث: "فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له" وهذا من أهم آداب المدعو أن يستفتي الداعية في كل ما لا يعلم، وفيما يشغله من الأمور، وقد أمر الله بهذا في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[4].

قال السعدي: (وهذه الآية وإن كان سببها خاصًا بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين من أهل الذكر وهم أهل العلم فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩١١).

(٢) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٣٥١-٣٥٣.

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٥٠٨.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٧.

أصوله وفروعه إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا أنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهي عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، نهي له أن يتصدى لذلك)(١).

وقال سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾(٢) وحث النبي ﷺ على الاستفتاء والسؤال عند عدم العلم فقال لما أخبر عن المجروح الذي اغتسل فمات ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّه ألاَ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))(٣).

سابعًا - من واجبات الداعية: البيان والتوضيح وإقرار المدعوين على الفعل الصواب:

حيث جاء في الحديث "هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا" والبيان والتوضيح من أهم واجبات الداعية لأنه هو الذي يُرجع إليه في المسائل الشرعية فكان لابد من البيان والجواب وقد قال الله لنبيه ﷺ ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٤) قال الإمام النووي: (وأما طلب النبي ﷺ من لحمه وأكله ذلك فإنما أراد به المبالغة في تطييب نفوسهم في حله، وأنه لاشك في إباحته وأنه يرتضيه لنفسه ويستفاد من هذا أنه يستحب للمفتي أن يتعاطى بعض المباحات التي يشك فيها المستفتي إذا لم يكن فيه مشقة على المفتي وكان فيه طمأنينة للمستفتي)(٥).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٤٦٨.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٥٩.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٤) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٣٤.

الحديث رقم (٥١٨)

٥١٨ - وعن أسماء بنتِ يزيد رضي الله عنها، قالت: كَانَ كُمُّ قَمِيصِ رسول الله ﷺ إِلَى الرُّصْغِ. رواه أبو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أسماءُ بنتُ يزيد بن السكن: هي أمُّ عامر الأنصاري الأشهلية، بنت عمّة معاذ بن جبل رضي الله عنه.

وفدت على رسول الله ﷺ في السنة الأولى للهجرة فبايعته وسمعت حديثه وكانت من أخطب نساء العرب وكان يُقال لها خطيبة النساء، حضرت بيعة الرضوان وبايعت يومئذ، وكانت من ذوات الشجاعة والإقدام، وقد شهدت اليرموك (سنة ١٣هـ) وكانت تسقي الظماء وتضمد جراح الجرحى فلما اشتدت الحرب أخذت عمود خيمتها وانغمرت في الصفوف فصرعت به تسعة من الروم، وقد روت عن النبي ﷺ أحاديث صالحة.

وقد قالت: رأيتُ رسول الله ﷺ في مسجدِنا المغربَ فجئتُ منزلي فجئته بلحمٍ وأرغفةٍ، فقلت: تعَشَّ!! فقال لأصحابه: (كلُوا)!! فأكل هو وأصحاب الذين جاؤوا ومن كان حاضرًا من أهل الدار، وإنَّ القومَ لأربعونَ رجلاً، والذي نفسي بيده لرأيتُ بعضَ العِرقِ لم يتعرّقْهُ وعامَّة الخُبْز قالت: وشربَ عندي في شَجْبٍ -أي قربة مقطوعة الفم، شبه الدلو - فأخَذْتُهُ فدهنتُهُ وطرّيتُهُ، فكنا نسقي فيه المرضى ونشربُ منه في الحين رَجَاءَ البركة[2].

وقالت مرَّ بي رسول الله ﷺ وأنا في نسوة فسلَّم علينا فردَدْنا عليه السَّلامَ[3].

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٠٢٧ واللفظ له، والترمذي ١٧٦٥ وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. فيه شهر بن حوشب وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام، وقد تفرد به، ورواه النسائي في الكبرى ٩٦٦٧ عن بديل بن ميسرة فذكره مرسلًا. وسيكرره المؤلف برقم ٧٩٠.

(٢) ذكره ابن سعد في الطبقات، ٨/٣١٩.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٨/٣٢٠.

وتوفيت بعد اليرموك بزمن طويل[١].

غريب الألفاظ:

الرُّصغُ: المِفْصَلُ بين الكفِّ والساعِدِ[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث الذي ترويه أسماء بنت يزيد رضي الله عنها يشير إلى جانب من لباس رسول الله ﷺ في القميص، وتقرر عن طريق الفعل الماضي (كان) تحققه لتشير إلى أنه الثابت عنه في هذا الصدد، والتعبير بفعل الكينونة الماضي يشير إلى أنه المعتاد في لبسه للقميص أن يكون كمه إلى الرصغ أو الرسغ، وكلاهما بمعنى واحد، وهُوَ المَفْصِلُ بَيْنَ الكفِّ، والسَّاعِدِ، وهذا الخبر منها بقصد بيان لازمه، وهو بيان الحد المسنون في كم القميص، وهذا يشير إلى قمة العناية من الصحابة رجالا، ونساء بكل ما يخص الرسول ﷺ في عبادته، أو في عادته؛ لأنهم يعلمون أنهم ينقلون دينهم لمن بعدهم فاهتموا بكل حدث في حياته مهما صغر، ونقلوه عنه بكل دقة، وأمانة رضي الله عنهم.

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه:

الحدّ الذي يكون عنده كمّ القميص: قال المباركفوري: (قال الجزري: فيه دليل على أن السنة أن لا يتجاوز كم القميص الرسغ. وأما غير القميص فقالوا: السنة فيه أن لا يتجاوز رؤوس الأصابع من جبة وغيرها)[٣].

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/٢١٩-٢٢٠، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٨٧٣، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٧/١٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٦٣٥، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/٢٩٦-٢٩٧، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٨/٥١٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤/٦٦٤، والأعلام، خير الدين الزركلي ١/٣٠٦، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٣/٢١٤٥.

(٢) رياض الصالحين ٢٤١.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٥٣٩.

ولكن جاءت أحاديث فيها أن الكمّ أسفل الرسغ أو أنه يساوي أطراف الأصابع، فقد أخرج أبو الشيخ في "أخلاق النبي" بإسناده عن أسماء بنت يزيد: (كان قميص النبي ﷺ أسفل الرسغ)[١]. وأخرج أبو الشيخ أيضًا والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ يلبس قميصًا فوق الكعبين مستوى الكمين بأطراف أصابعه)[٢] وقال العزيزي: (أي مساويًا لها)[٣].

قال العظيم آبادي: (ويجمع بين هذه الروايات وبين حديث الباب إما بالحمل على تعدد القميص، أو بحمل رواية الكتاب على رواية التخمين[٤]، أو يحمل الرسغ على بيان الأفضل وحمل الرؤوس على بيان الجواز، وقيل يحتمل أن يكون الاختلاف باختلاف أحوال الكم، فعقيب غسل الكم لم يكن فيه تثنٍ فيكون أطول، وإذا بعد عن الغسل ورفع فيه التثني كان أقصر)[٥].

ومن الجدير بالذكر أن النووي قال في المجموع: (يستحب تقصير الكم واستدل بحديث أسماء رضي الله عنها)[٦].

---

(١) أخرجه أبو الشيخ ٢٤٨، والبغوي في شرح السنة ١٢/٧-٨.

(٢) أخرجه أبو الشيخ ٢٤٧، والحاكم ١٩٥/٤ رقم ٧٤٩٧. وإسناده ضعيف جدًا. قاله الألباني في ضعيف الجامع الصغير ٤٦٢٦.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٢٩.

(٤) كذا في المطبوع من عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ولم أهتد لفهم هذه العبارة، ويغلب على الظن أن هناك تصحيفاً وصواب العبارة "أو بحمل رواية الكتاب على رؤية التشمير" والله أعلم.

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٢٩، وانظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٣٩/٢-١٥٤٠، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ١٧٣/٥.

(٦) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٣٦/٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في لبس القميص.

ثالثًا: من آداب المدعو: التأسي برسول الله ﷺ.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد جاء في هذا الحديث: "كان كم قميص رسول الله ﷺ إلى الرسغ"، فقد أخبرت أسماء بنت يزيد أن كم قميص رسول الله ﷺ إلى الرسغ، وأسلوب الإخبار من أهم الأساليب الدعوية، إذ أن الدعوة تقوم على الإخبار في الأصل، وأهم ما يتميز به أسلوب الإخبار: الصدق حيث إن أخبار القرآن والسنة كلها صادقة، والصدق يحقق الثقة والقبول لدى المدعو، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[2]، وبأسلوب الإخبار تقوم الحجة على المدعوين بالبلاغ والبيان ومن أجل هذا كانت مهمة الرسل عليهم السلام ما جاء في قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في لبس القميص:

إن هدي النبي ﷺ هو أكمل الهدى وأحسنه وأتمه، وهذا الحديث يبين هدي النبي ﷺ في لبس القميص وحجم كمه، حيث جاء فيه: (كان كم قميص رسول الله ﷺ إلى الرصغ)، قال المباركفوري: "قال في النهاية: الرسغ بالسين المهملة والصاد لغة فيه وهو مفصل ما بين الكف والساعد، قال الجزري: فيه دليل على أن

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١٩.

(٢) سورة الزمر، آية: ٣٣.

(٣) سورة النساء، آية: ١٦٥.

السنة أن لا يتجاوز كم القميص الرسغ وأما غير القميص فقالوا: السنة فيه أن لا يتجاوز رءوس الأصابع من جبة وغيرها"[١].

وقال ابن علان: (وحكمة الاقتصار على كم القميص إلى الرسغ أنه متى تجاوز اليد شق على لابسه ومنعه سرعة الحركة والبطش، ومتى قصر عنه تأذى الساعد ببروزه للحر والبرد فكان جعله إليه أمرًا وسطًا، وخير الأمور أوساطها، والرسغ: هو من الإنسان مفصل ما بين الكف والساعد والقدم أي مشترك بينهما)[٢].

وقال د. الحسيني عبدالمجيد هاشم: (كان كم قميص الرسول ﷺ قصيرًا لا يغطي كل ساعده لتتحقق له حرية الحركة وليوفر من طول الثياب ما لا حاجة إليه، ولاعتنائه بالضرورات دون ما عداها مما لا حاجة إليه)[٣].

وجاء في عون المعبود: (الحديث يدل على أن السنة في الأكمام أن لا تجاوز الرسغ).

وأخرج ابن حبان أيضًا من طريق مسلم بن يسار عن مجاهد عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يلبس قميصًا فوق الكعبين، مستوى الكمين بأطراف أصابعه.

ثالثًا - من آداب المدعو: التأسي برسول الله ﷺ:

إن المؤمن الحق هو من يتأسى برسول الله ﷺ ويتبع سمته وهديه ودله في كل شيء ولذا كان من آداب المدعو التأسي برسول الله ﷺ، ويفهم هذا من سياق الحديث، وبيان هيئة كم قميص رسول الله ﷺ، ولقد كان من توجيهات القرآن للمسلم أن يهتدي بهدي النبي ﷺ ويتأسى به، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾[٤].

قال الطاهر بن عاشور: (الأسوة اسم لما يؤتسى به أي يقتدى به ويعمل مثل عمله

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٣٩/٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٧٧٦.

(٣) شرح رياض الصالحين ٣٣٧

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

وحق الأسوة أن يكون المؤتسى به هو القدوة، وجعل متعلق الائتساء ذات الرسول ﷺ دون وصف خاص ليشمل الائتساء به في أقواله بامتثال أوامره، واجتناب ما ينهى عنه والائتساء بأفعاله من الصبر والشجاعة والثبات، وفي الآية دلالة على فضل الاقتداء بالنبي ﷺ وأنه الأسوة الحسنة لا محالة، واصطلاح أهل الأصول على جعل التأسي لقبًا لاتباع الرسول ﷺ في أعماله التي لم يطالب بها الأمة على وجه التشريع)[1].

قال ابن القيم: (ولبس ﷺ القميص وكان أحب الثياب إليه، وكان كمه إلى الرسغ، وكان قميصه من قطن وكان قصير الطول، قصير الكمين، وأما هذه الأكمام الواسعة الطوال التي هي كالأخراج فلم يلبسها النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه ألبتة وهي مخالفة لسنته، وفي جوازها نظر فإنها من جنس الخيلاء، ولا شك أن الصواب في أن أفضل الطرق طريق رسول الله ﷺ التي سنها وأمر بها ورغب فيها، وداوم عليها)[2].

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٨/٢١/٢٠٢ - ٢٠٣.

(٢) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية ١/١٣٧.

الحديث رقم (٥١٩)

٥١٩ - وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: إنَّا كُنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاؤُوا إلَى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: هذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ. فَقَالَ: ((**أنَا نَازِلٌ**)) ثُمَّ قَامَ، وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النبي صلى الله عليه وسلم المِعْوَلَ، فَضَرَبَ[1] فَعَادَ كَثيبًا أهْيَلَ (أَو: أهْيَمَ)، فقلت: يَا رسول الله، ائْذَنْ لي إلَى البَيْتِ، فقلتُ لامْرَأتِي: رَأيْتُ بالنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم شَيئًا مَا[2] فِي ذَلِكَ صَبْرٌ فَعِنْدَكِ شَيءٌ؟ فقالت: عِنْدي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحْتُ العَنَاقَ وَطَحَنْتُ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي البُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النبي صلى الله عليه وسلم، وَالعَجِينُ قَدِ انْكَسَرَ، وَالبُرْمَةُ بَيْنَ الأثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ[3] تَنْضِجُ، فقلتُ: طُعَيْمٌ لي، فَقُمْ أنْتَ يَا رسول اللهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلانِ، قَالَ: ((**كَمْ هُوَ؟**)) فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: ((**كثيرٌ طَيِّبٌ، قُلْ لَهَا لاَ تَنْزَعِ البُرْمَةَ، وَلاَ الخُبْزَ مِنَ التَّنُورِ حتى آتِي**)) فَقَالَ: ((**قُومُوا**))، فقام المُهَاجِرُونَ وَالأنْصَارُ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا فقلتُ: وَيْحَكِ قَدْ جَاءَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وَالمُهَاجِرُونَ وَالأنْصَارُ وَمَنْ مَعَهُمْ! قالت: هَلْ سَألَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: ((**ادْخُلُوا وَلاَ تَضَاغَطُوا**)) فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ[4] وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبعُوا، وَبَقِيَ مِنْهُ[5]، فَقَالَ: ((**كُلِي هَذَا وَأهْدِي، فَإنَّ النَّاسَ أصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[6].

وفي رواية[7]: قَالَ جابر: لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأيْتُ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم خَمَصًا، فَانْكَفَأْتُ إِلَى

---

(١) عند البخاري زيادة: (في الكدية)، وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه ٢٥٨/٢، رقم ١٥٧٩.

(٢) عند البخاري زيادة: (كان).

(٣) عند البخاري زيادة: (أن).

(٤) عند البخاري زيادة: (الكسرة)، وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه.

(٥) لفظ البخاري: (وبقي بقيّة) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٦) أخرجه البخاري ٤١٠١ من حديث عبد الواحد بن أيمن، عن أبيه، ولم يخرجه مسلم بهذا اللفظ.

(٧) أخرجه البخاري واللفظ له ٤١٠٢، ومسلم: ٢٠٣٩/١٤١ عن سعيد بن ميناء، عن جابر.

تنبيه: الحديث باللفظ الأول، انفرد البخاري بإخراجه، وباللفظ الثاني متفق عليه، واللفظ للبخاري، أورده الحميدي في جمعه ٢٥٧/٢، رقم ١٥٧٩ في المتفق عليه، وساق أولًا لفظ المتفق عليه، ثمَّ ساق لفظ البخاري لفظ البخاري، فعكسه المؤلف، فانعكس معه العزو.

امْرَأتِي، فقلت: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإنِّي رَأيْتُ برسول الله ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا، فَأخْرَجَتْ إلَيَّ جِرَابًا فِيه صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بَهِيمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إلَى فَرَاغي، وَقَطَعْتُهَا في بُرْمَتها، ثُمَّ وَلَّيْتُ إلَى رسول الله ﷺ، فقالت: لاَ تَفْضَحْنِي برسول الله ﷺ وَمَنْ مَعَهُ، فَجِئتهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رسول الله، ذَبَحْنَا بهيمَة لَنَا، وَطَحَنْتُ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ[1]، فَتَعَالَ أنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ رسول الله ﷺ، فَقَالَ: ((**يَا أهلَ الخَنْدَقِ: إنَّ جَابرًا قَدْ صَنَعَ سُؤْرًا فَحَيَّهَلا بِكُمْ**)) فَقَالَ النبي ﷺ: ((**لاَ تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلاَ تَخْبزنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أجِيءَ**)) فَجِئْتُ، وَجَاءَ النبي ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ، حَتَّى جِئْتُ امْرَأتِي، فقالَتْ: بِكَ وَبِكَ! فقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ. فَأخْرَجَتْ[2] عَجِينًا، فَبسَقَ[3] فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إلَى بُرْمَتِنا فَبصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: ((**ادْعِي خَابزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ، وَلاَ تُنْزِلُوها**)) وَهُم ألْفٌ، فَأُقْسِمُ بالله لأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يوم الخندق: غزوة الأحزاب، في شوال ٥هـ[4].

عَرَضتْ كُدية: قطعة غليظة صُلبةٌ من الأرض، لا يعملُ فيها الفأسُ[5].

لا نذوق ذوقًا: أي لا نطعم فيها شيئًا[6].

المعوَلَ: الفأسُ[7].

---

(١) عند البخاري ومسلم زيادة: (كان عندنا).

(٢) عند البخاري ومسلم زيادة: (له).

(٣) لفظ البخاري، ومسلم: (فبصق) بالصاد المهملة.

(٤) انظر: أطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ١٣٦.

(٥) رياض الصالحين ٢٤٣.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ذ و ق).

(٧) المرجع السابق في (ع و ل).

كثيبًا: الكثيب: تل الرمال[١].

أهْيل: صار تُرابًا ناعمًا[٢].

عَناقٌ: هي الأنثى من المعز[٣].

البرمة: القِدر وجمعها برام[٤].

والعجين قد انكسر: أي لان ورطب وتمكن منه الخمير[٥].

الآثافي: الأحجار التي يكون عليها القِدْرُ[٦].

التنور: الفرن يخبز فيه[٧].

تضاغطوا: تزاحموا[٨].

ويخمر البرمة والتنور: يغطيهما[٩].

الخمصُ: الجوع[١٠].

انكفأتُ: انقلبتُ ورجعتُ[١١].

جرابًا: وعاءً من جلد[١٢].

---

(١) رياض الصالحين ٢٤٣.

(٢) رياض الصالحين ٢٤٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٩/٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ر م).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٩/٧.

(٦) رياض الصالحين ٢٤٣.

(٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ت ف ر).

(٨) رياض الصالحين ٢٤٣.

(٩) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٩/٧.

(١٠) رياض الصالحين ٢٤٣.

(١١) المرجع السابق ٢٤٣.

(١٢) المرجع السابق ٢٤١.

الصاعُ: هو وحدة من وحدات المكاييل[(١)].

بُهيمةٌ: تصغير بهَمْة، وهي العناق[(٢)].

داجنٌ: هي التي ألفت البيتَ[(٣)].

فسارزتُه: كتمته قولاً[(٤)].

السُّؤرُ: الطعام الذي يدعى الناس إليه، وَهُو بالفارسية[(٥)].

حيهلا: تعالوا[(٦)].

بكَ وبكَ: أي خاصمتْهُ وَسَبَّتْهُ لأنها اعتقدت أن الذي عندها لا يكفيهم؛ فاستحيت وخفى عليها ما أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيه ﷺ من هذه المعجزة الظاهرة والآية الباهرة[(٧)].

بسق: بصق، ويقال أيضًا: بزق، ثلاث لغات[(٨)].

عَمَدَ: بفتح الميم أي قصَدَ[(٩)].

اقدحي: اغرفي، والمقدحة: المغرفة[(١٠)].

انحرفوا: انصرفوا[(١١)].

لَتَغطّ: أي لغليانها صوتٌ[(١٢)].

---

(١) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٤١، ٤١٩.

(٢) رياض الصالحين ٢٤٣.

(٣) رياض الصالحين ٢٤٣.

(٤) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، الفيروز آبادي ٤٠٦.

(٥) رياض الصالحين ٢٤٣.

(٦) المرجع السابق.

(٧) المرجع السابق.

(٨) المرجع السابق.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) المرجع السابق.

(١١) المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ر ف).

(١٢) رياض الصالحين ٣٤٤.

الشرح الأدبي

هذا الحديث من الأحاديث القصصية الواقعية الطويلة التي اشتملت على عناصر القصة، وقول جابر رضي الله عنه، قَالَ: إنَّا كُنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ) يعرض تفاصيلها من الشخصيات التي دل عليها بضمير الجماعة المتصل بالفعل (كنا) والحدث، وزمانه، ومكانه؛ لأن لفظ اليوم يشير إلى الزمان، وإضافته للخندق تشير إلى المكان، والحدث هو الحفر، وناء الفاعلين تشير إلى فريق العمل الذي شمل الصحابة، والتعبير بكنا يشير إلى العودة إلى الماضي الذي وقعت فيه القصة، والعقدة التي أشار إليها قوله (فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ) قطعة صعبة من الأرض مع قلة أدوات الحفر وعدم ملاءمتها كما عرض للحل في قوله (فَجَاؤُوا إلَى النبي - صلى الله عليه وسلم) وقوله (قَامَ، وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بحَجَرٍ) كناية عن شدة الجوع، وقوله (وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقاً) يشير إلى الشدة التي ترفع مستوى العقدة في النص، والتعبير بنفي الذوق يفيد المبالغة في نفي الأكل، وقوله (فَأَخَذَ النبي صلى الله عليه وسلم المِعْوَلَ، فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيباً أهْيَلَ أَو أهْيَمَ) الفاء التي عطفت الأفعال الثلاثة تشير إلى تسارع الأحداث التي تعرض لوجه الإعجاز في الفعل لأن قوله (فعاد كثيبا) يشير إلى تفتت الأرض الصلبة كما يوحي بضخامتها التي دل عليها لفظ الكثيب، والتعبير بأهيل يشير إلى حل المشكلة لأنها صارت غير متماسكة وقوله (قُومُوا)، فقام المُهَاجِرُونَ وَالأنْصَارُ) الأمر العام شمل الجميع مع أن الطعام الذي دعي إليه قليل،وهو ما يسمى بالحبكة القصصية التي يتبعها بحث عن الحل، والذي تمثل في فعل الرسول صلى الله عليه وسلم المعجز في قوله (فَجَعَلَ يَكْسرُ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ وَالتَّنُّور إذَا أخَذَ مِنْهُ) والتعبير بالجعل للإشارة إلى الشروع في الفعل، والأفعال المضارعة تصور حركة يد النبي صلى الله عليه وسلم بين البرمة، والتنور، وقلب الصحابي يخفق خوفا من نفاد الطعام، مع بقاء بقية الضيفان وهو أمر ثقيل على نفس العربي أن يرد ضيفه، وقوله (فَلَمْ يَزَلْ يكْسِرُ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبعُوا، وَبَقِيَ مِنْهُ) التعبير بالفعل زال المنفي يشير إلى الاستمرارية في الإطعام مع البركة في الطعام التي أحدثت توازنا بين كمية الطعام، وعدد المدعوين بل وفاضت عن حاجة أهل البيت ببركة الرسول صلى الله عليه وسلم فأمرها بقوله (كُلِي هَذَا وَأَهدِي) وهو أمر توجيه، وإرشاد رعاية لحالها، وحال الناس، علله بقوله

(فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ) لحملها على الامتثال للأمر حيث أكد الخبر بأكثر من مؤكد، وأشار إلى عمومه بالمفهوم من دلالة لفظ الناس، والتعبير بالإصابة الذي يشير إلى التحقق مع قوة الأثر مع لفظ المجاعة الذي يدل على المبالغة في حالة الجوع العامة، وهذا يستلزم مزيد البذل، والعطاء.

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه ما يلي:

١ - جواز المساررة بالحاجة بحضرة الجماعة: قال النووي: ("قوله فجئته فساررته فقلت يا رسول الله" فيه جواز المساررة بالحاجة بحضرة الجماعة، وإنما "نهى أن يتناجى اثنان دون الثالث"[١])[٢].

٢ - جواز التكلم بألفاظ غير عربية: قال النووي: (قوله ﷺ "إن جابرًا قد صنع لكم سورًا فحي هلا بكم" أما السور -فبضم السين وإسكان الواو غير مهموز، وهو الطعام الذي يدعى إليه، وقيل: الطعام مطلقًا وهي لفظة فارسية وقد تظاهرت أحاديث صحيحة بأن رسول الله ﷺ تكلم بألفاظ غير العربية، فيدل على جوازه)[٣].

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استشارة الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان الحالة التي كان عليها النبي ﷺ من الجوع.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان كرم وجود الصحابة رضي الله عنهم وإيثارهم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: من دلائل النبوة تكثير الطعام بين يديه.

---

(١) أخرج البخاري ٦٢٩٠، ومسلم ٢١٨٤ عن ابن مسعود > مرفوعًا: "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن يحزنه".

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ١٨٤/١٢/٧.

(٣) المرجع السابق، ١٨٤/١٢/٧-١٨٥.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥١٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٥٢٠).

سادسًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

سابعًا: من واجبات المدعو: التضحية والإيثار خاصة عند اشتداد الأزمات.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

حيث جاء في الحديث "إنا كنا" ولاشك أن أسلوب التوكيد يبين للمدعو مدى صدق الداعية فيما يقول ووثوقه به، وهذا مما يساعد في إقناع المدعو، وقد تكرر في القرآن الكريم استخدام هذا الأسلوب ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾[1] وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[2]. قال القاسمي: (واعلم أنه لا تؤكد العرب إلا ما تهتم به؛ فإن من اهتم بشيء أكثر ذكره، وكلما عظم الاهتمام كثر التأكيد وكلما خفَّ، خفَّ التأكيد، وإن توسط الاهتمام، توسط التأكيد فإذا قال القائل: زيد قائم فقد أخبر بقيامه فإن أراد تأكيد ذلك عند من شك فيه أو يكذبه أو ينازعه فيه أكده فقال: إن زيدًا قائم فإن زاد في التأكيد قال: إن زيدًا لقائم)[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: استشارة الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ:

إن الإنسان العاقل هو من يستشير الحكماء فيما يعرض له من أمور فكيف إذا كان المستشار هو رسول الله ﷺ، ولذا كان من ديدن الصحابة رضي الله عنهم الرجوع إلى النبي ﷺ ومشاورته لعلمهم بتنزل الوحي عليه، ويتضح هذا من الحديث "فجاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق" ولقد كان مبدأ المشاورة مما علَّمه رسول الله ﷺ لأصحابه وبهذا أمره الله تعالى في القرآن قال تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[4] ومدح الله الجماعة المؤمنة بقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[5].

---

(١) سورة الكوثر، آية: ١.

(٢) سورة النبأ، آية: ٣١.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٥٧/١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٥) سورة الشورى، آية: ٣٨.

قال القرطبي: (أي يتشاورون في الأمور وقال الحسن: أي إنهم لانقيادهم إلى الرأي في أمورهم متفقون لا يختلفون فمدحوا باتفاق كلمتهم قال الحسن ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم وقال ابن العربي: الشورى ألفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب.

فمدح الله المشاورة في الأمور بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك)[١]. وقال الماوردي: (اعلم أن من الحزم لكل ذي لب ألا يبرم أمرًا، ولا يمضي عزمًا إلا بمشورة ذي الرأي الناصح ومطالعة ذي العقل الراجح فإن الله عز وجل أمر بالمشورة نبيه ﷺ مع ما تكفل به من إرشاده، ووعد به من تأييده قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الرجال ثلاثة: رجل ترد عليه الأمور فيسددها برأيه؛ ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأي، ورجل حائر بائر لا يأتمر رشدًا، ولا يطيع مرشدًا وقال عمر بن عبدالعزيز: إن المشورة والمناظرة بابا رحمة، ومفتاحا بركة لا يضل معهما رأي، ولا يفقد معهما حَزْم. وقال بعض البلغاء: من حق العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العقلاء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفذ ربما زلَّ، والعقل الفرد ربما ضلَّ وقال بشار بن برد:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... برأي نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضةً ... فإن الخوافي قوةٌ للقوادم)[٢]

ولقد كان ديدن الصحابة رضي الله عنهم، مشاورة النبي والرجوع إليه فيما يعرض لهم من أمور صعاب وجسام، وذلك لما أكرمه الله به من النبوة وتنزل الوحي الكريم عليه.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ٣٦/١٦/٨، ٣٧، ومسبار العقول أي محل اختبارها وبيان ذكائها، انظر: الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله بن محمد الحماد في (س ب ر) بتصرف يسير.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٢٨٩، ومعنى "بائر" أي رجل غير موفق لم يحقق المقصود المطلوب، الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله بن محمد الحماد في (ب ا ر) بتصرف.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: بيان الحالة التي كان عليها النبي ﷺ من الجوع:

إن النبي ﷺ صبر وصابر وتحمّل، وجاهد؛ لأجل نشر الدعوة، ولم ترغب نفسه إلى التلذذ بأنواع الطعام والتمتع بصنوف الطيبات وسيرته ﷺ تشهد بما تحمَّل من الجوع أيامًا وما لاقى من الشدة ألوانًا ولا أدل على ذلك مما جاء في الحديث: "وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا" وقوله "سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع" قال ابن حجر: (وفائدة ربط الحجر على البطن أنها تضمر من الجوع فيخشى على انحناء الصلب بواسطة ذلك فإذا وضع فوقها الحجر وشد عليها العصابة استقام الظهر وقال الكرماني: لعله لتسكين حرارة الجوع ببرد الحجر، ولأنها حجارة رقاق قدر البطن تشد الأمعاء فلا يتحلل شيء مما في البطن فلا يحصل ضعف زائد بسبب التحلل)(١). ولا شك أن هذا يدلل على ما لقيه رسول الله ﷺ من الجوع فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: ((لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللّهِ، وَمَا شَبِعَ مِنْ خُبْزٍ وَزَيْتٍ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، مَرَّتَيْنِ))(٢) وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه قال: ((أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شِئْتُمْ؟ لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ، مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ))(٣) وعن أنس رضي الله عنه قال: ((مَا أَكَلَ رَسُولُ اللّه عَلَى خِوَانٍ وَلاَ أَكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا حَتَّى مَاتَ))(٤).

إن النبي ﷺ هو القدوة والأسوة الحسنة للمؤمنين، وإذا ما كان يدعو الجماعة المؤمنة إلى التقليل من الطعام، وعدم التشبع فإنه أول من يطبق ذلك على نفسه، وأول من يصيبه ما أصابهم من الجوع وعدم وجود الملذات والمطاعم والمشارب.

وفي هذا الحديث ما كان يتميز به الرسول ﷺ عندما يتحدث حيث كان يعطي الكلام حقه، بحيث يبدو ذلك على قسمات وجهه، وفي نبرة صوته كأنه النذير العريان... فلما كانت حاله هنا، كما بينها أنس رضي الله عنه في الحديث، مخالفة لما هو

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٨/٧.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٧٤.

(٣) أخرجه مسلم ٢٩٧٧.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣٦٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٢٦).

مألوف منه في سائر أحواله، عرف أن سبب ذلك راجع إلى ضعفه في تلك الحال بسبب شدة الجوع، قال ابن حجر: (في حديث أنس عن أبي طلحة كان صوت النبي ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع، كأنه لم يسمع في صوته - لما تكلم إذ ذاك - الفخامة المألوفة منه، فحمل ذلك على الجوع بقرينة الحال التي كانوا فيها)(١).

كان من أحوال الرسول ﷺ أنه تمر عليه الأيام ولا يأكل فيها، فيصيبه الجوع، وتبدو آثاره ظاهرة على العيان، بالرغم مما ورد عنه من أن الله تعالى يطعمه ويسقيه، وذلك حتى يكون أسوة لأصحابه في كل حال). قال ابن حجر: (وفيه رد على دعوى ابن حبان أنه لم يكن يجوع، واحتج بحديث: ((أبيت يطعمني ربي ويسقيني))(٢). وتعقب بالحمل على تعدد الحال، فكان يجوع أحيانًا ليتأسى به أصحابه لا سيما من لا يجد مددًا وأدركه ألم الجوع صبر فضوعف له)(٣).

ويبين ما كان عليه القوم من المجاعة في ذلك الوقت، وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (ما شبعنا حتى فتحنا خيبر)(٤).

ويؤخذ من قصة أبي طلحة: أن من أدب من يضيف أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار تكرمة له، وهذا ما ورد عن أبي طلحة، أنه انطلق حتى لقي رسول الله ﷺ حتى دخلا.

قال ابن حجر: (قال ابن بطال في هذه الأحاديث جواز الشبع وأن تركه أحيانًا أفضل. وقد ورد عن سلمان وأبي جحيفة أن النبي ﷺ قال: إن أكثر الناس شبعًا في الدنيا أطولهم جوعًا في الآخرة، قال إن الشبع وإن كان مباحًا فإنه له حدًا ينتهي إليه وما زاد على ذلك فهو سرف، والمطلق منه ما أعان الآكل على طاعة ربه ولم يشغله ثقله عن أداء ما وجب عليه)(٥).

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٨/٩.

(٢) أخرجه الترمذي ٧٧٨.

(٣) المرجع السابق ٥٢٨/٩.

(٤) المرجع السابق ٥٢٧/٩.

(٥) المرجع السابق ٥٢٨/٩.

قال ابن حجر: (وفيه دليل على جواز الشبع وما جاء من النهي عنه محمول على الشبع الذي يثقل المعدة ويثبط صاحبه عن القيام للعبادة إلى البطر والأشر والنوم والكسل، وقد تنتهي كراهته إلى التحريم بحسب ما يترتب عليه من المفسدة وذكر الكرماني تبعًا لابن المنير أن الشبع المذكور محمول على شبعهم المعتاد منهم وهو أن الثلث للطعام والثلث للشراب والثلث للنفس)(١).

قال أبو الحسن الندوي: (ولم تكن دعوة الرسل إلى الآخرة وإيثارها على الدنيا والاستهانة بقيمة الدنيا ومتاعها دعوة باللسان فقط ودعوة لأمتهم فقط بل كان ذلك مبدًا ومنهاجًا لحياتهم وكانوا من أول المؤمنين بها، السائرين عليها في حياتهم وخواصهم وعشيرتهم وقد قيل لسيد الرسل ﷺ ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٢) وكان من تأثير صحبته أن أزواجه رضي الله عنهن كلهن آثرن الله ورسوله، وآثرن الفقر والضيق مع الرسول ﷺ على الرخاء وخفض العيش مع غيره، ومعيشة النبي ﷺ وحياته وحياة أهل بيته تثير العجب وتسحر النفوس، وتملأ القلوب عظمة ومهابة، وتنصب للدعاة والسائرين على منهاج النبوة منارًا عاليًا من نور)(٣).

رابعًا - من موضوعات الدعوة: بيان كرم وجود الصحابة رضي الله عنهم وإيثارهم:

إن الصحابة الكرام رضي الله عنهم بلغوا في الكرم والجود والإيثار درجة عالية ومكانة سامقة، ويتضح هذا من الحديث "فقلت يا رسول الله ائذن لي إلى البيت فقلت لامرأتي رأيت بالنبي شيئًا ما كان في ذلك صبر فعندك شيء فقالت عندي شعير وعناق" وقوله: "فأخرجت أقراصًا من شعير".

---

(١) المرجع السابق ٥٢٨/٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٨ - ٢٩.

(٣) النبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم ٦٩-٧٠.

ففي هذا الحديث بيان ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ من توقير الرسول وتعظيمه، والشعور والإحساس بما يؤذيه أو يؤلمه، وحرصهم على سلامته، واقتدائه بأنفسهم، وبما يملكون، لئلا يصيبه أدنى أذى، وهذا ما نلحظه من قول جابر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: ائذن لي إلى البيت. وقوله بعد ذلك لامرأته: رأيت بالنبي ﷺ شيئًا ما في ذلك صبر فعندك شيء؟

ما كان يتصف به أصحاب رسول الله ﷺ من الإيثار، بحيث يجود أحدهم بكل ما عنده ليطعم غيره. وهذا نراه في قول جابر رضي الله عنه لامرأته: فعندك شيء؟ فقالت: عندي شعير وعناق، فذبح العناق وطحن الشعير، ولم يبق شيئًا عنده.

ويشير الحديث إلى التوكل على الله، وهذا من اليقين التام بأمر الله، حيث أنفق كل ما عنده دون أن يكون في حسبانه أن يبقى شيئًا بالرغم من شدة الحال، وقلة ذات اليد.

والصحابة رضي الله عنهم هم أجود الناس وأكرم الناس ولقد بلغوا الثريا في هذا الأمر حتى مدحهم الله بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] قال الكاندهلوي: (ولقد كان النبي ﷺ وأصحابه ينفقون الأموال، وما أعطاهم الله تبارك وتعالى في سبيل الله ومواقع رضاه، وكان ذلك أحب إليهم من الإنفاق على أنفسهم ولقد كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)[2] وقد أخرج البخاري ومسلم قصة الرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ وطلب ضيافة فلم يجد النبي ﷺ في بيوت أزواجه إلا ماء فقال ﷺ ((مَنْ يُضِيفُ هذا، اللَّيْلَةَ، رَحِمَهُ اللهِ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا. يَا رَسُولَ اللهِ فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ. فَقَالَ لاِمْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لاَ. إلاَّ قُوتُ صِبْيَانِي. قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ. فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ. فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ

---

(١) سورة الحشر، آية: ٩.

(٢) حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي ٣٧١.

حَتَّىٰ تُطْفِئِيهِ. قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ. فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِي. فَقَالَ: قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ))[١].

ولا شك أن في صنيع جابر رضي الله عنه وذهابه إلى بيته لإحضار طعام للنبي ﷺ دليل على كرم وجود الصحابة رضي الله عنهم وإيثارهم.

قال محمد الغزالي: (الإسلام دين يقوم على البذل والإنفاق ويضيق على الشح والإمساك، ولذلك حبب إلى نبيه أن تكون نفوسهم سخية وأكفهم ندية، ووصاهم بالمسارعة إلى دواعي الإحسان ووجوه البر، وأن يجعلوا تقديم الخير إلى الناس شغلهم الدائم، لا ينفكون عنه في صباح أو مساء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢].

ومن الواجب على المسلم أن يقتصد في مطالب نفسه حتى لا تستنفد ماله كله فإن عليه أن يشرك غيره فيما آتاه الله من فضله وأن يجعل في ثروته متسعًا يسعف به المنكوبين ويريح المتعبين. ومع النهي عن التبذير أمر الإسلام بالإنفاق على القرابة والمساكين فإن المبذر متلاف سفيه يضيع في شهواته الخاصة زبدة ماله فماذا يبقى بعد للحقوق الواجبة والعون المفروض؟ إن دعوة الإسلام إلى الجود والإنفاق مستفيضة مطردة، وحربه على الكزازة والبخل موصولة متقدة ولم يوجد في الدنيا - ولن يوجد - نظام يستغني البشر فيه عن التعاون والمواساة)[٣].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: من دلائل النبوة تكثير الطعام بين يديه:

إن الله عز وجل أيّد نبيه بكثير من المعجزات والدلائل على نبوته، ومن ذلك تكثير الطعام بين يديه ﷺ، ويتضح هذا من الحديث "فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه" فقال الرسول ﷺ "هلمي ما عندك يا أم سليم

(١) أخرجه البخاري ٣٧٩٨، ومسلم ٢٠٥٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٧٤.

(٣) خلق المسلم ١١٥-١١٦.

ثم قال فيه رسول الله ما شاء الله أن يقول" قال الإمام النووي: (وفي الحديث أنواع من الفوائد وجمل من القواعد فيها الدليل الظاهر والعلم الباهر من أعلام نبوة رسول الله ﷺ وهو انخراق العادة بما أتى به ﷺ من تكثير الطعام القليل الكثرة الظاهرة، وقد تظاهرت أحاديث آحاد بمثل هذا حتى زاد مجموعها على التواتر، وحصل العلم القطعي بالمعنى الذي اشتركت فيه هذه الآحاد فلله الحمد على ما أنعم به على نبينا محمد ﷺ وعلينا بإكرامه ﷺ)[1].

والأحاديث الواردة في تكثير الطعام بين يديه كثيرة حتى قال الإمام البيهقي في الدلائل: (وأبواب دعوات نبينا ﷺ المستجابة في الأطعمة والأشربة وبركاته التي ظهرت فيما دعا فيه وغير ذلك من دعواته كثيرة ولذا سأنقلها باختصار فلا سبيل إلى نقلها جميعًا لما فيه من الإكثار)[2].

ولا أدل على تكثير الطعام بين يديه من حديث أبي أنس بن مالك أن أبا طلحة صنع لرسول الله ﷺ طعامًا فقال الرسول ﷺ للناس: ((قُومُوا فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنَّمَا صَنَعْتُ لَكَ شَيْئًا. قَالَ فَمَسَّهَا رَسُولُ اللّهِ . وَدَعَا فِيهَا بِالْبَرَكَةِ. ثُمَّ قَالَ: أَدْخِلْ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِي، عَشَرَةً وَقَالَ: كُلُوا وَأَخْرَجَ لَهُمْ شَيْئًا مِنْ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا. فَخَرَجُوا. فَقَالَ: أَدْخِلْ عَشَرَةً فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا. فَمَا زَالَ يُدْخِلُ عَشَرَةً وَيُخْرِجُ عَشَرَةً حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَ، فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ. ثُمَّ هَيَّأَهَا. فَإِذَا هِيَ مِثْلُهَا حِينَ أَكَلُوا مِنْهَا))[3].

سادسًا – من أساليب الدعوة: الأمر:

وذلك حيث جاء في الحديث "قوموا" "ادخلوا" "كلي هذا" ومما لاشك فيه أن أسلوب الأمر من أساليب الدعوة، وهو يدل على زيادة الاهتمام بالمأمور به وأهميته وإذا جاءت صيغة الأمر من الأعلى للأدنى فهو أمر صريح وإذا جاءت من المساو للمساو فهو التماس

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٩٠.

(٢) دلائل النبوة ٦/٨٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٤٠.

وإذا جاءت من الأدنى للأعلى فهو دعاء ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾[(١)] ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الأمر قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[(٢)] وقوله جل شأنه: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾[(٣)].

سابعًا - من واجبات المدعو: التضحية والإيثار عند اشتداد الأزمات:

إن المسلم مشارك لإخوانه في السراء والضراء، وباذل ما عنده عند اشتداد البلاء، ومُؤثر لإخوانه على نفسه حين البأساء، وهكذا كان هدي النبي ﷺ وصحابته الكرام الأتقياء رضي الله عنهم، ويتضح هذا من الحديث في قوله ﷺ: "كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة" والمسلمون يتعاونون فيما بينهم في كل وقت خاصة عند الأزمات والملمات قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[(٤)].

وقال ﷺ في الحديث ((إن المؤْمِنَ للمؤْمِنِ كالبنيانِ يَشُدُّ بَعضُهُ بَعضًا» وشَبَّكَ ﷺ أصابعَهُ))[(٥)].ومدح الله صنيع الأنصار مع إخوانهم المهاجرين لما أحسنوا استقبالهم وشاركوهم في الأموال والدور فقال الله سبحانه في حقهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[(٦)].

قال القرطبي: (الإيثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية، رغبة في

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٣) سورة الحجر، آية: ٨٥.

(٤) سورة المائدة، آية: ٢.

(٥) أخرجه البخاري ٤٨١، ومسلم ٢٥٨٥.

(٦) سورة الحشر، آية: ٩.

الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة ومن ترك شيئًا لله لم يجد فقده، ومن وقى شح نفسه فقد أفلح فلاحًا لا خسارة بعده والإيثار بالنفس فوق الإيثار بالمال، وإن عاد إلى النفس، ومن الأمثال السائرة:

يجود بالنفس إذا ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وأفضل الجود بالنفس الجود على حماية رسول الله ﷺ ففي الصحيح أن أبا طلحة ترَّس على النبي ﷺ يوم أحد وكان النبي ﷺ يتطلع ليرى القوم فيقول له أبو طلحة: ((لا تُشرف يا رسول الله لا يصيبونك نحري دون نحرك))(١). قال أبو يزيد البسطامي: ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بَلْخ قدم علينا حاجًا فقال لي: يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم؟ فقلت إن وجدنا أكلنا وإن فقدنا صبرنا فقال: هكذا كلاب بَلْخ عندنا فقلت: وما حد الزهد عندكم؟ قال: إن فقدنا شكرنا وإن وجدنا آثرنا. وسئل ذو النون المصري: ما حد الزاهد المنشرح صدره؟ قال: ثلاث: تفريق المجموع، وترك طلب المفقود، والإيثار عند القوت)(٢).

وقال ابن القيم: (إن الإيثار ضد الشح فإن المؤثر على نفسه تارك لما هو محتاج إليه، والشحيح حريص على ما ليس بيده، فإذا حصل بيده شيء شحَّ عليه وبخل بإخراجه فالبخل ثمرة الشح، والشح يأمر بالبخل، فالبخيل من أجاب داعي الشح، والمؤثر: من أجاب داعي الجود، والناس على مراتب ثلاث فمن لا ينقصه البذل، ولا يصعب عليه فهو منزلة السخاء، ومن يعطي الأكثر ويُبْقي له شيئًا أو يبقى مثل أعطى فهو الجود، ومن يؤثر غيره بالشيء مع حاجته إليه فهو بمرتبة الإيثار)(٣).

---

(١) أخرجه البخاري ٣٨١١، ومسلم ١٨١١.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٠/٢٦٥-٢٦٩.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٤٤-٤٥.

الحديث رقم (٥٢٠)

٥٢٠ - وعن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ أَبو طَلْحَةَ لأُمِّ سُلَيمٍ: قَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَعيفًا أعْرِفُ فيه الجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَأخْرَجَتْ أقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أخَذَتْ خِمَارًا لَهَا، فَلَفَّتِ الخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوْبي وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أرْسَلَتْنِي إلَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فَذَهَبتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، جَالِسًا في المَسْجِدِ، وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**أرْسَلَكَ أَبو طَلْحَةَ؟**)) فقلت: نَعَمْ، فَقَالَ: ((**الِطَعَامٍ؟**)) فقلت: نَعَمْ، فَقَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم[١]: ((**قُومُوا**)) فَانْطَلَقوا[٢] وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أبَا طَلْحَةَ فَأخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أبو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، قَدْ جَاءَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ؟ فَقَالَتْ: الله وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. فَانْطَلَقَ أبو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فَأقْبَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مَعَهُ حَتَّى دَخَلا، فَقَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((**هَلُمِّي مَا عِنْدَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ**)) فَأتَتْ بذلِكَ الخُبْزِ، فَأمَرَ بِهِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ عَلَيْهِ أمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً[٣] فَأدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ فِيهِ رسول الله صلى الله عليه وسلم مَا شَاءَ اللهُ أنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: ((**ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ**)) فأذِنَ لَهُمْ فَأكَلُوا حتى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: ((**ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ**)) فأذِنَ لهم حَتَّى أكَلَ القَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالقَوْمُ سَبْعُونَ رَجُلاً أَو ثَمَانُونَ. متفقٌ عَلَيْهِ[٤].

وفي رواية[٥]: فَمَا زَالَ يَدْخُلُ عَشرَة، وَيخرجُ عشرةٌ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أحَدٌ إلاَّ دَخَلَ، فَأكَلَ حَتَّى شَبعَ، ثُمَّ هَيَّأهَا فَإذَا هِيَ مِثْلُهَا حِيْنَ أكَلُوا مِنْهَا.

وفي رواية[٦]: (فَأَكَلُوا عَشرَةً عَشرةً)[٧]، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ بِثَمَانِينَ رَجُلاً، ثُمَّ أكَلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ ذَلِكَ وَأهْلُ البَيْتِ، وَتَرَكُوا سُؤْرًا.

---

(١) عند مسلم زيادة: (ومن معه).

(٢) لفظ مسلم: (وانطلق).

(٣) عند مسلم زيادة: (لها).

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٨٨، ومسلم ١٤٢/٢٠٤٠ واللفظ له.

(٥) أخرجها مسلم ١٤٣/٢٠٤٠.

(٦) أخرجها مسلم بعد حديث ١٤٣/٢٠٤٠ بحديثين، بدون رقم من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى.

(٧) هذه الزيادة لا توجدُ عند مسلم.

وفي رواية[١]: ثُمَّ أفْضَلُوا مَا بَلَغُوا جيرانَهُمْ.

وفي رواية[٢]: عن أنس، قَالَ: جِئتُ رسولَ الله ﷺ يومًا، فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا مَعَ أصْحَابه، وَقَدْ عَصَبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ[٣]، فقلتُ لِبَعْضِ أصْحَابِهِ: لِمَ عَصَبَ رسولُ الله ﷺ بَطْنَهُ؟ فقالوا: مِنَ الجوعِ، فَذَهَبْتُ إِلَى أَبي طَلْحَةَ، وَهُوَ زَوْجُ أُمِّ سُلَيْمٍ بِنْت مِلْحَانَ، فقلتُ: يَا أبتَاهُ، قَدْ رَأيْتُ رسول الله ﷺ عَصَبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ أصْحَابِهِ، فقالوا: من الجُوعِ. فَدَخَلَ أبو طَلْحَةَ عَلَى أُمِّي، فَقَالَ: هَلْ مِنْ شَيءٍ؟ قالت: نَعَمْ، عِنْدِي كِسَرٌ مِنْ خُبْزٍ وَتَمَرَاتٌ، فَإِنْ جَاءنَا رسول الله ﷺ وَحْدَهُ أشْبَعْنَاهُ، وَإِنْ جَاءَ آخَرُ مَعَهُ قَلَّ عَنْهُمْ... وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الخمار: ثوب تغطي به المرأة رأسها[٤].

دسَّتْهُ: أخفته[٥].

وردَّتني ببعضه، المراد أنها لفت الخبز ببعض الخمار ولفت أنسًا بباقيه[٦].

هلُمي: أحضري ما عندك[٧].

---

(١) أخرجها مسلم بعد حديث ٢٠٤٠/١٤٣ بثلاثة أحاديث بدون رقم من حديث عبد الله بن عبد الله بن أبي طلحة.

(٢) عند مسلم زيادة: (قال أسامة: وأنا اشكُّ على حجر).

(٣) أخرجها مسلم بعد حديث ٢٠٤٠/١٤٣، بخمسة أحاديث، بدون رقم.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ م ر).

(٥) القاموس المحيط، الفيروز آبادي ، الفيروز آبادي في (د س س).

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٨٦.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٨٣/٦، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٨٧.

العُكَّة: إناء من جلد مستدير يجعل فيه السمن غالبًا والعسل[١].

فآدمتهُ: أي جعلت فيه إدامًا، وهو ما يُستَمْرَأُ به الخُبْزُ[٢].

هيأها: جمعها بعد الأكل[٣].

وتركوا سؤرًا: أي البقية[٤].

أفضلُوا: أبقوا. وفي رواية عند مسلم ١٤٣ - ٢٠٤٠: وفضلت فضلة فأهديناه لجيراننا[٥].

عَصَبَ بطنه: شد على بطنه[٦].

العصابة: الخرقة التي تُوضع على البطن من الجوع[٧].

الشرح الأدبي

قول أَبي طَلْحَةَ لأُمِّ سُلَيمٍ (قَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رسول الله ﷺ ضَعيفاً أعْرِفُ فيه الجُوعَ) يشير إلى محبتهم للرسول ﷺ ورفقهم به، وهو شيء تعلموه منه حيث كان يتفرسهم، ويعرف أحوالهم، ويتفاعل معهم تفاعلا بناءً وقد تفاعلوا معه بقدر ما استطاعوا يدل على ذلك قوله: (فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ ؟) وهو استفهام على حقيقته لسؤال الطعام وقوله (فَأَخْرَجَتْ أقْراصاً مِنْ شَعِيرٍ) يدل على قلة الطعام يدل على ذلك جمع القلة (أقراصا) وتنكيره، واستفهام الرسول ﷺ (أرْسَلَكَ أبو طَلْحَةَ ؟) فقلت: نَعَمْ، فَقَالَ: ((ألِطَعَامٍ؟) استفهام تقرير للتحقيق والتثبيت فلما أقرت له بذلك أمر الناس

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ د م).

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٨٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٩٢.

(٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٨٣، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٨٨.

(٦) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ع ص ب).

(٧) انظر: المرجع السابق في (ع ص ب).

بالقيام، وقوله (فَانْطَلَقُوا وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) الربط بالفاء، والتعبير بالانطلاق يشيران إلى السرعة في الحركة التي توحي بكرم المضيف، ورغبة الضيوف أو مسارعتهم إلى أمر رسول الله ﷺ، وقول الرسول ﷺ (هَلُمِّي مَا عِنْدَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ !) أي هات ما عندك، والنداء نداء تكريم، وقول الراوي (، ثُمَّ قَالَ فِيهِ رسول الله ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ) كناية عن الدعاء، والذكر، وقول الرسول ﷺ (ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ) فأذنَ لَهُمْ فَأكَلُوا حتى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا) أي ادعو عشرة عشرة إلى الطعام، والتعبير بالفاء العاطفة في الإذن، والأكل إيذانا بالسرعة، وحتى بيان للغاية وهي الشبع، وعطف الخروج ب(ثم) يشير إلى فترة قضوها في الطعام تحقق معها الشبع مع قلة الطعام، ثم أذن لعشرة آخرين، وما زال يأذن لعشرة حتى أكل الجميع (حَتَّى أكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا وَالقَوْمُ سَبْعُونَ رَجُلاً أَو ثَمَانُونَ)، والعدد المذكور يشير إلى أنها من معجزاته ﷺ لأن المعتاد في الواقع أن هذا العدد من الناس يستحيل أن يشبعه هذا القدر من الطعام، ولكنها معجزة من جملة معجزات النبي ﷺ يؤكد ذلك ما ورد في الرواية الثانية (مَا زَالَ يَدْخُلُ عَشَرَة، وَيخرجُ عشرةٌ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أحَدٌ إِلاَّ دَخَلَ، فَأَكَلَ حَتَّى شَبعَ، ثُمَّ هَيَّأَهَا فَإِذَا هِيَ مِثْلُهَا حِينَ أَكَلُوا مِنْهَا).

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه ما يلي:

١ - استحباب بعث الهدية وإن كانت قليلة بالنسبة إلى مرتبة المبعوث إليه؛ لأنها وإن قلت فهي خير من العدم، ودليله: "فأخرجت أقراصًا من شعير ... ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ".

٢ - جلوس العالم لأصحابه يفيدهم ويؤدبهم. واستحباب ذلك في المساجد. ودليله: "فوجدت رسول الله ﷺ جالسًا في المسجد ومعه الناس".

٣ - انطلاق صاحب الطعام بين يدي الضيفان وخروجه ليتلقاهم. دليله: "فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ".

٤ - استحباب فت الطعام واختيار الثريد على الغمس باللقم. ودليله: "فأتت بذلك

الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففتّ".

٥ - يستحب لصاحب الطعام وأهله أن يكون أكلهم بعد فراغ الضيفان. دليله: (ثم أكل رسول الله ﷺ وأكل أهل البيت)[١].

المضامين الدعوية[٢]

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧/١٣/١٨٧.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الدنيا ليست غاية المسلم، بل هي وسيلة إلى غاية (الجنة) والرسول ﷺ قد ضرب المثل للزهد في الدنيا بنفسه، فهو قليل الطعام، كثير الصيام رافض للصدقة، مكثر للعطاء، يرضى بالأدنى من سبل العيش يكفيه تمر وماء وكسرة خبز ولبن، يطوى اليوم بلا طعام، وينوي كثيراً الصيام لعدم وجود ما يطعمه، فإن وجد ما يطعمه لم يكثر منه... وأهل بيته على شاكلته. إن هذا مدعاة إلى شكر المنعم على ما نحن فيه من نعم، فالأكل أنواع والشر أصناف والموائد فارهة، والأثاثات فاخرة، والثياب مبهرة، والحلي ظاهرة ورغد العيش عند كثيرين لا يحد، والمال لا يعد، والشكر لم يرد لزعم بعضهم القول: "إنما أوتيته على علم عندي".

إن هذه ليست الغاية والدنيا دار بداية لا دار نهاية، وإنها غاية غير المسلمين ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ﴾ [سورة محمد:١٢]، إن أحاديث هذا الباب تنبئ عن مفاهيم تربوية عدة منها:

أولاً - التربية على الزهد والتقلل من الدنيا:

إن مما ينبغي الاهتمام والتركيز عليه في أمور التربية الحث على الزهد في الدنيا والتقلل منها، وجعل الهمة عالية في تحصيل الثواب والأجر من الله تعالى.

وقد ورد في أحاديث الباب صور حية تطبيقية من الرسول ﷺ وأصحابه للتعالي على الدنيا وملذاتها، فلقد أراد رسول الله ﷺ أن يفهم الذين في قلوبهم مرض من منافقين وأعداء وكفار... أنه ما أراد من دعوته التي يدعو الناس إليها جمع المال ولا المظاهر الفانية ولا الدنيا الزائلة، ولا النعيم ولا الترف، وإنما مراده بذلك التماس الأجر من الله وحده، وشعاره وشعار الأنبياء من قبله: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾[1].

(١) سورة هود، آية: ٢٩.

لقد أراد ﷺ أن تتأسى الأجيال المسلمة بالعيش الكفاف القنوع... مخافة أن تقعدهم زهرة الحياة الدنيا وفتنتها عن واجب الدعوة وإعلاء كلمة الله، ومخافة أن تبسط عليهم الدنيا فتهلكهم كما أهلكت مَنْ كان قبلهم[1].

لقد كان ﷺ مشغولاً بالدعوة وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولاشتغاله بعظائم الأمور أعرض عن الدنيا وما فيها من مغريات ومفاتن فكان في غاية البساطة في عيشته، في ملبسه ومطعمه ومشربه، بل لقد كانت تمر عليه الليالي والأيام هو وأهله وما يُطْبَخ في بيوته ولا يوقد فيها نار، كما نرى ذلك في حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في نقلها لصورة من صور حياة رسول الله ﷺ وأهله، فعن عروة عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها كانت تقول: «وَاللّهِ يَا ابْنَ أُخْتِي. إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَىٰ الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ. ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ. وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ نَارٌ.....»، وما كان هذا منه ﷺ ضعفاً أو عجزًا، وإنما كان إعراضًا منه ﷺ عن الدنيا وزهدًا فيها لانشغاله بما هو أكبر وأعظم وأسمى منها، أَلا وهو انشغاله بالحقيقة الكبرى وهي الدعوة إلى توحيد الله تعالى وإخراج الناس من ظلمات الشرك والجهل إلى نور التوحيد والعلم.

إن التربية على الزهد والخشونة لا يقصد بها تعذيب النفس أو حرمان الجسد من متاع الدنيا، وإنما يقصد به ويراد من ورائه تمكين المتربي من تلك الشخصية القوية التي تتعالى على كل الشهوات والغرائز، "فإن المؤمن إذا زهد في الدنيا وعرف حقارتها وعرف الآخرة وخطرها فإنه يبادر ببذل نفسه وماله رغبة في رضا الله عز وجل والفوز بجنته ورضوانه"[2].

وقد جاءت أحاديث الباب ضاربة لنا أروع المثل في تحمل خشونة العيش وغيره من حظوظ النفس وترك الشهوات والاستعلاء عليها "إلى تحقيق الآمال بالعلم والعمل لا إلى تحقيق الشهوات بالأكل والكسل، فإن قيمة الإنسان ليست بأكله وملبسه بل بعمله وقدرته على التحكم في نفسه ومواجهة مشاكل الحياة"[3].

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٦٣٩، ٦٤٠.

(٢) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص٢٦٤.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٣٢٦.

فها هي أفضل أسرة في تاريخ البشرية على الإطلاق تتحمل الجوع وشظف العيش، حيث اختار قيِّمُها ﷺ "لنفسه وأهل بيته معيشة الكفاف لا عجزًا عن حياة المتاع، فقد عاش حتى فتحت له الأرض وكثرت غنائمها وعَمَّ فَيْؤُها، ومع ذلك كان يمضي الشهران ولا توقد في بيوته نار، مع جوده بالصدقات والهبات والهدايا"[١].

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لابن أختها عروة بن الزبير رضي الله عنهما: «وَاللّهِ يَا ابْنَ أُخْتِي. إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَىٰ الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ. ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ. وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ نَارٌ.....»، وتوفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي ثَلاَثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ»، وكان فراشه ﷺ بسيطًا فهو لا يعدو كونه من جلد مدبوغ محشو بليف خشن، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان فِراشُ رسولُ الله ﷺ من أدَم حَشْوُهُ لِيف»، كما كان ملبسه بسيطًا لا تكلف فيه، فعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: «كَانَ كُمُّ قَمِيصِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِلَى الرُّصْغِ».

وكان ﷺ يدعو لنفسه ولأهله بالعيشة الكفاف التي بها يسد الرمق وتستر العورة ولا تدخل في عداد المظاهر والترف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا».

إن الزهد وسيلة مهمة من وسائل التربية والتوجيه في المجتمع الإسلامي، لما له من فوائد تربوية جمة والتي منها:

أ - أن الزهد ينقي النفس مما يعتريها من أمراض القلوب، كالحسد والغرور والعجب والرياء، وحب الرياسة وذياع الصيت وحب المدح والتصدر، فالزهد حاجز بين المؤمن وهذه الأمراض، متى زال هذا الحاجز لم نأمن من تسربها إلى القلب فتفسده.

ب - في الزهد صفاء للروح والنفس، وارتقاء لها في سُلَّم الكمال الروحي، وفيه صلاح للقلب لخلوه من هم الدنيا وإقباله على هموم الآخرة، وطلب النجاة والانشغال بالعبادة وصالح الأعمال.

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٣٤٥، ٣٤٦.

ج - كما أن في الزهد تهذيباً للأخلاق وصلاحاً لها، لأن الزاهد رقيق المشاعر بعيد عن اهتمامات عوام الناس وتوجهاتهم، وعن الانتصار لنفسه وأذية غيره[١].

د - التربية على الرجولة والخشونة والبعد عن الترف، إذ أن من إفرازات الحضارة المعاصرة اليوم أن غدت بعض مجتمعات المسلمين تعاني من انتشار مظاهر الترف، مما وَلَّد جيلاً من المترفين لا يطيق العزيمة والجد، وهو جيل يبحث عن الراحة والكسل والتقاعس عن معالي الأمور.

ومن ثَمَّ أصبح على التربية عبء أكثر من ذي قبل، وصارت بحاجة إلى أن تجعل غرس معاني الرجولة والبعد عن حياة الترف والترهل هدفًا من أهدافها التربوية[٢].

ثانيًا - التربية على الخشونة والرجولة والجد والاجتهاد:

إن مما ينبغي على الآباء والمربين تعويد الأولاد على الخشونة والرجولة والجد والاجتهاد وتجنيبهم الكسل والبطالة والراحة والدَّعة، لأن للكسل والبطالة عواقب سوء ومغبة ندم، وللجد والتعب عواقب حميدة إما في الدنيا وإما في العقبى، وإما فيهما، فأروح الناس أتعب الناس، وأتعب الناس أروح الناس، فالسيادة في الدنيا والسعادة في العقبى لا يوصل إليها إلا على جسر من التعب والمشاق[٣].

وقد جاءت أحاديث الباب مبينة فضل خشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات والتحلي بالصبر والتغلب على متاعب الدنيا وآلام الحياة وما فيها من مصاعب ومشقات، ومن مظاهر ذلك ما جاء في أحاديث الباب من بيان لما ضربه الصحابة رضي الله عنهم من صبر وجَلَد وتحمل ورضا بالقليل إضافة إلى ما كان عندهم من الإيمان الذي أورثهم من القدرات التي مكنتهم من التغلب على كل المشاق والصعاب.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٣٤٤، ٣٤٥.

(٢) تربية الشباب، محمد بن عبدالله الدويش، ١٦٢، ١٦٣.

(٣) انظر: رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٣٩.

ومن تلك الصور حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «بَعَثَنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ. نَتَلَقَّىٰ عِيرًا لِقُرَيْشٍ. وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ. فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً. قَالَ فَقُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ. ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ. فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ. وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الْخَبَطَ. ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالْمَاءِ فَنَأْكُلُهُ....»، وفي ذلك بيان لمدى "تحمل الصحابة رضي الله عنهم وتحملهم أعباء الحياة وتقديمهم رضا الله تعالى على آلام الدنيا وما قابلهم من المشقات"[(١)].

إن غرس معاني الرجولة والبعد عن حياة الترف والترهل هدف أصيل للتربية الإسلامية.

ومن وسائل الوصول إلى هذا الهدف وتحقيقه:

أ - غرس مفهوم الجدية وبيان مساوئ حياة الترف والبطالة.

ب - التقليل من مظاهر الترف في البرامج المقدمة للشباب مع مراعاة الاعتدال والتدرج في ذلك، ولتكن البداية في إيجاد فَرْق بين حياة الولد في المنزل وحياته في مثل هذه البرامج، بل الواجب على الأب أن يخفف من مظاهر الترف في تربيته لأبنائه.

ج - تنظيم بعض البرامج الجادة كالرحلات والبرامج العلمية التي تعوِّد الشباب والأولاد على الجدية والرجولة وعلى التخلي عن بعض ما اعتادوه من حياة مترفة منعمة[(٢)].

ثالثًا - التربية على الاعتدال في الطعام والشراب:

إن من أبرز ما تميزت به التربية الإسلامية الاعتدال في التوجيهات، ومن مظاهر ذلك العناية بأمور الطعام والشراب والتوسط في ذلك لأن الإسلام دين وسط لا يحرم الجسم من إشباع حاجته، وإنما يدعوه إلى التوسط والاعتدال بلا إفراط ولا تفريط[(٣)].

ومن مظاهر اهتمام التربية الإسلامية بصحة الإنسان في أحاديث الباب ما جاء في

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٣٣٧.

(٢) انظر: تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش، ١٦٢، ١٦٣.

(٣) انظر: النظرية التربوية، د. محمد سيف الدين فهمي ص٦٧.

حديث المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه من الإرشاد إلى الاعتدال في المطعم والمشرب، وتوقي الجسد مضارَّ الشبع والإفراط فيه، فعن أبي كريمة المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما مَلأ آدميٌّ وعاءً شرًا منْ بطنِه، بحسبِ ابن آدَم أُكُلاتٌ يُقمنَ صلبَه، فإنْ كانَ لا محالَةَ فثُلُثٌ لطعامه، وثُلثٌ لشرابه، وثُلثٌ لنفسه»، إذ أن الإفراط في المطاعم والمشارب مضرٌّ بصحة الإنسان وبأجهزته الهضمية والتنفسية وغيرهما.

وهكذا نجد أن الحديث تضمن نظامًا لتربية الجسد، ومن مظاهر ذلك تنظيم طعامه وشرابه والإرشاد إلى الاعتدال والتجافي عن الإفراط وكذلك التفريط.

"إنَّ الطعام وكل ما يتناوله الإنسان عن طريق الفم ويصل إلى المعدة هو وسيلة لحفظ الأود، فغاية الطعام هي بناء الجسد والمحافظة عليه قويًا سليمًا ينمو حسب الاستعدادات البيولوجية التي وهبها الله إياه وزوده بها ليقوم بمهامه الدنيوية والدينية، ويجب أن يربى الإنسان على اتباع الطرق الملائمة له في تناول طعامه وشرابه.

إن المسلم يأكل ليتقوى على تحصيل رزقه ومباشرة عمله وعبادة ربه، وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم آدابًا وضوابط للطعام والشراب والتي منها ما ورد في الحديث من الدعوة إلى الاعتدال في الطعام والشراب، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «ما مَلأ آدميٌّ وعاءً شرًا منْ بطنٍ، بحسبِ ابن آدَم أُكُلاتٌ يُقمنَ صلبَه، فإنْ كانَ لا محالَةَ فثُلُثٌ لطعامه، وثُلثٌ لشرابه، وثُلثٌ لنفسه».

ومن خلال ما سبق يتضح أن التربية الإسلامية تؤكد على أن:

أ - الطعام له غايته، وهي بناء الجسد بالقدر الذي يحتاجه الجسد على أن لا يخضع الإنسان لشهوة الطعام ويصير عبدًا لها.

ب - الطعام له آدابه التي يتضافر العقل مع الجسم في التحكم فيها بناء على الضوابط التي يربى عليها الإنسان والتي حددها الإسلام[١].

---

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص٢٧١-٢٧٦، وص٢٧٦.

رابعًا - غرس روح التعاون:

إن التعاون واجب ديني وضرورة اجتماعية، فلقد اقتضت سنة الله تعالى أن لا تقام هذه الحياة إلا على المعاونة والمشاركة، فالتعاون يعتبر بمثابة مستلزم ضروري لا يمكن أن يستغنى عنه الفرد، ولا المجتمع لأنه إذا كان هناك تعاون تمكن الإنسان من القيام بمهمة الاستخلاف وعمارة الأرض التي خلق من أجلها[١].

ومن مظاهر التعاون في أحاديث الباب ما جاء في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما الذي نقل لنا تعاون الصحابة رضي الله عنهم وعلى رأسهم رسول الله ﷺ في حفر الخندق وكان ذلك من أسباب إنجاء الله لهم مما أحاط وأحدق بهم من أخطار، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «كنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق ...».

إن التعاون سبب لبقاء المجموع، فالإنسان محتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته، فإذا لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم حياته، أما إذا كان التعاون حصل له القوت والسلاح للمدافعة، وتمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه[٢].

وللتعاون فوائده التربوية العظيمة التي لا تنكر، والتي منها:

أ - إمكان إنجاز الأعمال الكبيرة التي لا يقدر عليها الأفراد.

ب - شعور الفرد بالقوة ونزع شعور العجز عن نفسه.

ج - دليل حب الخير للآخرين.

د - مواجهة الأخطار المحدقة بالإنسان ممن حوله.

هـ - التعاون ثمرة من ثمار الأخوة الإسلامية، كما أنه أساس التقدم والإنتاج والنجاح والتفوق.

و - التعاون يشعر بالمساواة في الإنسانية، كما أنه ينزع الحقد من القلوب الضعيفة

---

(١) انظر: القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع ص٤٩.

(٢) انظر: المقدمة، لابن خلدون، ١٠١٢/٣، نقلاً عن: كتاب القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع المانع، ص٤٨.

ويزيل أسباب الحسد.

ز - إن التعاون يحقق سنة الله في خلقه ويوافق طبيعة الأشياء، وفي هذا يقول الشاعر:

النّاسُ للنّاسِ من بَدْوٍ وحَاضِرة بعضٌ لبعضٍ، وإن لم يَشعُروا خدَم[(١)]

خامسًا: التربية على الكرم وحسن الضيافة وغيرها من مكارم الأخلاق:

إن الكرم والسخاء والجود من الصفات المحمودة التي تعد من مقومات الشخصية وأساسياتها، وقد كان العرب يعدون هذه الصفة من المفاخر التي يفاخرون بها غيرهم بل إنها عامل مهم من عوامل السيادة عندهم، وقد جاء الإسلام لينمي هذه الصفة ويوجهها التوجيه الصحيح، ويحث على اكتسابها لكن دون تفاخر ولا مباهاة.

إن الكرم يَنمُّ عن طيب نفس وبذل للموجود، وإثبات عملي للمخاطب، والمراد تربيته على الزهد بالقدوة في العَرَض الزائل وعلو همته واحتقاره للمتاع الفاني مما جعل الناس تقبل على الأخذ عنه والتلقي منه، لمطابقة فعله قوله، قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[(٢)]، كما أن فيه استمالة للنفوس وكسبًا لودها، وتطهيرًا لنفس الكريم من الشح والبخل، وإعدادًا له على البذل والعطاء والإنفاق في سبيل الله تعالى[(٣)].

وقد وردت صور كثيرة في أحاديث الباب تنقل لنا ما كان عليه رسول الله ﷺ من كريم الأخلاق وحميد الصفات، ومن ذلك:

أ - استضافته ﷺ لأبي هريرة وأهل الصفة جميعهم رضي الله عنهم، فعنه رضي الله عنه قال من حديث طويل: «... قال: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللّهِ، قَالَ: «الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون. ١٠٢٧/٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

(٣) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٢٤٧.

فَادْعُهُمْ لِي» ، قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلاَمِ لاَ يَأْوُونَ عَلَى أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ وَلاَ عَلَى أَحَدٍ، وكَانَ إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَأَصَابَ مِنْهَا، وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا ...».

ب - وقد تربى الصحابة الكرام على هذه الأخلاق الكريمة ونشأوا عليها، ومن دلائل ذلك ما كان عليه الأنصار رضي الله عنهم من إكرام لرسول الله ﷺ، ومن دلائل ذلك قول عائشة رضي الله عنها: «... إلاَّ أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ. وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ. وَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا، فَيَسْقِينَا».

كذلك ما كان من شأن جابر بن عبدالله وزوجته رضي الله عنهما في غزوة الخندق، قال رضي الله عنه: «فَقُلْتُ لامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحَتِ الْعَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ، ...».

كذلك ما كان من أبي طلحة وزوجته أم سليم رضي الله عنهما، قال أبو طلحة لأم سليم: «قَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ضَعِيفًا. أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ. فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ ...» وبارك الله تعالى في طعام أم سليم حتى أكل منه ثمانون رجلاً وبقي منه الكثير لأهل البيت.

بل لقد كان الواحد منهم يفرح أشد الفرح إذا نزل به أضياف، لاسيما إذا كان بينهم رسول الله ﷺ، كما نرى ذلك واضحًا جليًا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، فعنه أنه قال: «خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ. فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما. فَقَالَ «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَـٰذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالاَ: الْجُوعُ. يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: «وَأَنَا. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا. قُومَا» فَقَامَا مَعَهُ. فَأَتَىٰ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ. فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ. فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلاً فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللّهِ «أَيْنَ فُلاَنٌ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ. إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَىٰ رَسُولِ اللّهِ وَصَاحِبَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ للّهِ. مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي ...».

إنها صورة رائعة من الجود والكرم إضافة إلى ما صاحبها من فرح لهذا الأنصاري فنجده قد هش وبش وحمد الله تعالى على ما أكرمه وتفضل به عليه من قصد رسول الله ﷺ وصاحبيه إليه وزيارتهم له.

إن الجود بالمال وبذله في وجوه البر والتي منها الهبة والهدية وإكرام الضيف والجار وغير ذلك محمود ومطلوب في التربية والتنشئة على مكارم الأخلاق، ونفيس الصفات، وهو أمر محمود ومطلوب، وهو من أعظم الأسس والأصول التي يبني عليها سلوك الإنسان المحمود(١).

سادسًا - التربية على التأدب بالآداب الإسلامية في الضيافة والتعامل مع الكبار:

إن مما ينبغي تعويد الأولاد وتربيتهم عليه تعليمهم الأمور المستحسنة، وتدريبهم عليها كتشميت العاطس وكتمان التثاؤب والأكل باليمين وآداب السلام ورده واستقبال الضيوف ونحو ذلك.

فإذا تدرب الولد على هذه الآداب والأخلاق والأمور المستحسنة منذ الصغر ألفها وأصبحت سجية له(٢).

وقد ورد في أحاديث الباب الإلماح إلى عدة آداب للمجالس والمطاعم منها:

أ - حسن استقبال الضيوف وإكرامهم، كما نرى في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وما كان من الرجل الأنصاري من ترحيب وهش وبش لاستضافة رسول الله ﷺ وصاحبيه: "إذا جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافًا مني، فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب ...".

ب - التأدب بآداب الطعام والشراب ككون ساقي القوم آخرهم والقيام على خدمة الأصحاب والإخوان، كما نرى في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وَأمْرِ رسول الله ﷺ له بخدمة إخوانه من أهل الصفة: «فأتيتُهم فدَعَوتهم، فأقبَلوا فاستَأذنوا فأذِنَ لهم،

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص١٦٠-١٦٣، ورسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ص٦٦.

(٢) انظر: رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٣٦.

وأخذوا مجالِسَهم من البيت. قال: يا أبا هرّ، قلت: لبيك يا رسولَ الله، قال: خذ فأعطهم، فأخَذتُ القدح فجعلتُ أعطيه الرجلَ فيَشرَبُ حتى يَروىَ، ...»، حتى انتهى أبو هريرة رضي الله عنه من سقي القوم جميعًا ولم يبق إلا رسول الله ﷺ وهو «فأخذَ القدَحَ فوَضعهُ على يدهِ، فنظرَ إليَّ فتبسمَ فقال: أبا هرٍّ، قلت: لبيك يا رسول الله. قال: بَقيتُ أنا وأنت. قلتُ: صدَقتَ يا رسول الله، قال: اقعد فاشرَب، فقعدتُ فشربت، فقال: اشرَبْ، فشربت، فما زال يقول: اشرب، حتى قلتُ: لاوالذي بَعثك بالحق، ماأجدُ له مَسلكًا. قال: فأرني، فأعطيتُه القدح، فحمدَ الله وسمَّى وشربَ الفَضْلَة».

ج - التأدب مع الأكابر في المجالس، كما نرى في حديث ابن عمر رضي الله عنه الذي نقل لنا عيادة رسول الله ﷺ ونفر من أصحابه لسعد بن عبادة رضي الله عنه، وإفساح قوم سعد بن عبادة لرسول الله ﷺ ومَنْ معه، ففي الحديث: «فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حَوْلِهِ. حَتَّىٰ دَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ».

إنَّ للمجالس وما تحتويه من مطاعم ومشارب آداب لابد من رعايتها والاعتناء بها وتدريب الأولاد والمتربين عليها، فإنه مهما قام المربي بتوجيه مَنْ يربيه، وتعليمه آداب المجالس فإنه ما لم يشارك في هذه المجالس فيحضر فيها ويقول رأيه ويشارك في الحديث ... ما لم يُوضع أمام التجربة العملية فلن يكفي البناء المعرفي المجرد.

ولذا كان الصغار والشباب يحضرون مجالس النبي ﷺ، بل ويقتربون منه، ولم يُعَدَّ ذلك سوء أدب أو مدعاة له.

ومما يعين على ذلك أيضًا تدارس آداب المجالس والتعرف عليها، والاعتناء بالمجالس التي يجلسها الولد ولو مع زملائه وأقرانه، فتراعى فيها آداب المجالس ليكون ذلك سلوكًا وسمتًا لهم لا يحتاجون إلى تكلفة.

وربما أدت الخلطة وزوال الكلفة بينهم إلى الإخلال ببعض هذه الآداب، فلابد حينئذ من تصحيح ذلك، والتأكيد على أن الأدب لا ينبغي أن يتجاوز بحجة ذلك(١).

---

(١) انظر: تربية الشباب، محمد بن عبدالله الدويش، ص١٦١، ١٦٢.

سابعًا - التربية على التواضع:

إن من أهم الأخلاق التي تهتم التربية الإسلامية بغرسها خلق التواضع، "إذ أن التواضع مطلوب من المسلمين عامة ومن الموجهين والمرشدين والمربين خاصة، فالتكبر والتعالي على الآخرين والنظر إليهم بعين الاستصغار يعد عقبة كأداء بين المربي وتلميذه، إذ كيف يسمع الأخير لمن ميَّز نفسه عنه وتعالى عليه وتطاول حتى بدا وكأنه ليس من بني جنسه.

إن التواضع مطلوب من القدوة سواء كان حاكمًا أو عالمًا أو مربيًا أو عابدًا أكثر مما هو مطلوب من غيره"[١].

ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم أنبل الأمثلة وأعظمها تطبيقًا لخلق التواضع وتمثلاً به، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تُحصى، ومنها ما ورد في أحاديث الباب التي نقلت لنا تواضع رسول الله ﷺ في معيشته وحياته ومطعمه ومشربه ونحو ذلك، فكان ﷺ بسيطًا في ملبسه ومشربه وطريقة حياته، فما أكل ﷺ على خوان قط تواضعًا منه ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لَمْ يَأْكُلِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خِوَانٍ حَتَّى مَاتَ، وَمَا أَكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا حَتَّى مَاتَ»، فقد كان ﷺ مثلاً حيًا لعدم التقيد بالمظاهر والأشكال.

كما كان صحبه الكرام رضي الله عنهم أرفع الأمثلة في التواضع، ومن مظاهر ذلك في أحاديث الباب ما قام به أبو هريرة رضي الله عنه من خدمة مَنْ كانوا معه من أهل الصفة في ضيافة رسول الله ﷺ، فعنه رضي الله عنه من حديث طويل: قال ﷺ: يا أبا هرّ، قلت: لبيك يا رسولَ الله، قال: خذ فأعطهم، فأخذتُ القدح فجعلتُ أعطيه الرجلَ فيَشرَبُ حتى يَروىَ، ...».

إن التواضع وخدمة أهل الصلاح وسيلتان من وسائل تزكية النفس وتربيتها، وهما علامتان على أن النفس مزكاة، لذلك ندب الله تعالى رسوله ﷺ إلى التواضع، قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢][٣]، وجعله سبحانه شرطًا مهمًا في دخول الجنة

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٣٤٩، ٣٥٠.

(٢) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٣) انظر: المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوَّى، ص١٣٥.

والفوز في الآخرة، فقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١).

إن التواضع دليل على كبر النفس، وعلو الهمة، وهو سبيل لاكتساب المعالي، والترقي في الكمالات، فهو خلق يرفع من قدر صاحبه، ويكسبه رضا أهل الفضل ومودتهم، ويبعثه على الاستفادة من كل أحد، وينأى عن الكبر والتعالي(٢).

ثامنًا - من صفات المربي: الفطنة والذكاء:

إن المعلم القدير هو الذي يتمتع بحضور البديهة وصحة القريحة وسرعة الخاطر والتفكير اللماح، وقد وردت الإشارة إلى ذلك في مواطن كثيرة في أحاديث الباب، ومن الدلائل على ذلك إدراك رسول الله ﷺ وتفطنه لجوع أبي هريرة رضي الله عنه وحاجته إلى الطعام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «وَالَّذِي لاَ إِلهَ إِلاَّ هُو إِنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِم الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ بِي أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلاَّ لِيُشْبِعَنِي فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ عُمَرُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلاَّ لِيُشْبِعَنِي، ثُمَّ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرفَ مَا فِي وَجْهِي وَمَا فِي نَفْسِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا هِرّ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: «الحَقْ» وَمَضَى فَأَتْبَعْتُهُ، ...»، وفي ذلك من الدلالة الواضحة على ما كان يتمتع به ﷺ من حضورٍ للبديهة وسرعة الخاطر والتفكير اللماح.

إن مما يزيد في رصيد المعلم العلمي والفكري والتوجيهي فطنته وذكاؤه، وأن يحسن التصرف في كل الأمور مما يمكنه من اتخاذ القرار المناسب في المآزق والمشكلات الطارئة، والمواقف المفاجئة والأمور الآنية، التي لم تكن في الحسبان، ومعالجة الأمور بحكمة وروية وهدوء واتزان: مثل حدوث شجار بين الطلبة أو إصابة

(١) سورة القصص، آية: ٨٣.

(٢) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ص٥٣١.

طالب ما بمرض مفاجئ، أو انطفاء التيار الكهربائي، أو ظهور حشرة سامة في الصف، أو سقوط السبورة من مكانها.

إن حسن تصرف المعلم دليل على ألمعيته وبراعته، مما يزيد من ثقة الطلبة فيه ويرغبهم فيه وفيما يعلمه، وبالتالي يكون أقدر على السيطرة على الموقف التعليمي[(١)].

تاسعًا - من أساليب التربية: التشبيه:

ورد استخدام أسلوب التشبيه في مواطن عدة من أحاديث الباب ومنها:

أ - تشبيه النبي ﷺ لبطن الإنسان بالوعاء بجامع احتواء الطعام في كلٍ، فقال ﷺ: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، ...».

ب - تشبيه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ما رُفع لهم على ساحل البحر من دابة العنبر كهيئة الكثيب، فقال رضي الله عنهما: «... وَانْطَلَقْنَا عَلَىٰ سَاحِلِ الْبَحْرِ. فَرُفِعَ لَنَا عَلَىٰ سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ الضَّخْمِ. فَأَتَيْنَاهُ فَإذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرَ...».

وتأتي أهمية أسلوب التشبيه في التربية الإسلامية في تقريبه للصور وتبيينه للأفهام، إذ أن "الصورة المحسوسة أقرب تصورًا وأسرع فهمًا وأثبت بقاءً، لأنها تحدد الأبعاد وتبرز الأجزاء وتوضح منها ما يخفى، قد تراها بالعين أو تتخيلها بالخاطر أو تتحسسها باليد، أو تستوعبها بالأذن، وقد يشترك كل أولئك في التقاطها فترتسم واضحة المعالم محددة الأجزاء، زاهية الألوان، نابضة بالحركة.

ولهذا كان أسلوب التشبيه من أساليب البلاغة القرآنية والبلاغة النبوية.

إن الصورة التشبيهية تدع بين يديك، وأمام عينيك حالتين متشابهتين لتتفحص كل حالة وتدرسها وتحللها، فإذا حكمت بعد ذلك لإحداهما أو على إحداهما كان حُكْمُك بعيدًا عن الخطأ قريبًا من الصواب.

تسمع قائلاً يقول الكلمة الطيبة خفيفة الوقع على الأذن، والكلمة الخبيثة شديدة الوقع على الأذن، فلا تدرك إلا حقيقة محدودة لا تقف طويلاً عندها ولا تلتفت كثيرًا لما تحدثه من الأثر.

---

(١) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي جان، ص٥١، ٥٢.

وتسمع قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[1]، فترتسم في مخيلتك صورة واضحة كل الوضوح، حولت المعنى المجرد إلى صورة قريبة منك تراها كل يوم، هي صورة شجرة من الأشجار المظلة المثمرة تتملاها العين لما يشيع فيها من الحياة ولما تتميز به من جذور ضاربة، تُقَوِّي صمودها، وأغصان وأوراق تفرش ظلالها، يتفيؤه الناس، وتخرج ثمارها يطعمونه، إنها عظيمة الفائدة بقيَّةُ الأثر، أو صورة لشجرة تشغل حيزًا وتعطل مساحة وتتغلغل جذورها هنا وهناك، تشارك النبات غذاءه وماءه، فيضعف عوده، ويقل نتاجه، وإنها لعقيمة لا تثمر أو تزهر فلا قيمة لها ولا نفع من وجودها فأولى أن تزول[2].

عاشرًا - التربية الاقتصادية:

إن الاعتناء بالتربية الاقتصادية والاهتمام بتحقيق قدر من الفهم للنواحي الاقتصادية والاجتماعية أمر له أثره في إعداد المتربين للعمل والحياة المادية[3].

وقد وردت في أحاديث الباب عدة إشارات اقتصادية من أظهرها ما يلي:

أ - الحفاظ على الأصول المنتجة:

ونرى ذلك واضحًا جليًا في قول رسول الله ﷺ لذلك الرجل الأنصاري الذي أراد أن يكرم ضيافة رسول الله ﷺ ومَنْ معه فأخذ السكين ليذبح لهم شيئًا، فقال له الرسول ﷺ: «إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ» وذلك لما تدره من خير ونفع ينقطع بذبحها.

ب - العدد والإحصاء:

---

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤-٢٦.

(٢) انظر: التربية الإسلامية، دراسة مقارنة، د. محمد أحمد جاد صبح، ١/١٢٥، ١٢٦.

(٣) انظر: تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش، ص١٨٥.

وقد تكررت الإشارة إلى ذلك في مواطن كثيرة من أحاديث الباب منها: «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَىٰ الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ. ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ».

في حديث عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ... «وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ».

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ ...».

- حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ، ...».

- حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: «وَلَقَدْ أَخَذَ مِنَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ رَجُلاً...».

- حديث أنس بن مالك في الخندق: «فأكلوا عشرة عشرة حتى فعل ذلك بثمانين رجلاً، ...».

وغير ذلك من الإشارات إلى أهمية التربية الاقتصادية وضرورة الاعتناء بها، إذ أن الإسلام "ينظم شئون الحياة كلها على أساس من الفطرة والواقعية والعبودية لله، والنشاط الاقتصادي في الإسلام وسيلة لتحقيق استخلاف الإنسان في الأرض على وجهها الصحيح، وقد وضع الإسلام من المبادئ والقواعد التي توجه هذا النشاط وتسمو به من مجرد كونه نشاطًا ماديًا بحتًا يُطلب لذاته إلى مجال واسع من مجالات العبادة ووسيلة يتقرب بها العبد إلى ربه، وتبرز هذه المبادئ والقواعد في موقف الإسلام من العمل ورأس المال وتنمية الإنتاج ورفع الكفاية الإنتاجية وتحسين مستوى المعيشة.

إن الإسلام يرى أن المال في يد مالكه لا يخرج عن كونه مال الله، وأن الإنسان مستخلف فيه وأمين عليه ومأمور بالمحافظة عليه وإنمائه ومنهي عن إضاعته وتبديده، كما جعل الإسلام في المال وفي ثماره حقًا لأصحاب الحاجة والمصالح العامة، لذا أقر الإسلام مبدأ الملكية الفردية للمال ولمختلف وسائل الإنتاج وجعلها أساسًا للنظام الاقتصادي، وفي ذلك أكبر دافع للإنسان للعمل وإشباع حاجته للتملك إلا أنه في المقابل يضع حدودًا وقيودًا على هذا المبدأ حتى لا يتحول إلى معول هدم في يد المحتكرين وأصحاب المصالح الضيقة والنفوس الضعيفة.

لقد تضمن القرآن الكريم والسنة المطهرة قواعد أساسية وأوامر وتوجيهات تتعلق بالسلوك الواجب اتباعه في التعامل الاقتصادي ومنها: الأمر بإقامة القسط ورعاية العدل

في كافة المعاملات والأمر بالوفاء بالعهود والعقود وأداء الأمانات وتحريم أكل الأموال بالباطل وتحريم بخس الناس أشياءهم وتحريم الخيانة والغش والتطفيف في الميزان، هذا كله وكثير مثله، من شأنه أن يجعل التعامل الاقتصادي على اختلاف ضروبه مسألة محكومة بإطار مرجعي هو دائرة الحلال والحرام في الإسلام(١).

حادي عشر – التربية الصحية:

كما في حديث ((مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ...))الحديث، فقد تضمن هذا الحديث بعض جوانب التربية الصحية للمسلم من خلال بيان واستنباط بعض الأضرار الناجمة عن الإكثار في تناول الطعام، مع بيان كيفية حفاظ الإنسان على صحته من خلال تنظيمه لتناول الوجبات الغذائية المختلفة.

وقد وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يستفاد منها في العملية التعليمية، ومن هذه الأساليب ما يلي:

أ – القصة: وهي بكثرة في هذا الباب، ومنها حديث أبي هريرة ﵁: ((خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ. فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ﵄ ...)) الحديث. ويمكن للمعلم استخدام هذا الأسلوب في الفصل لتشويق المتعلمين إلى الموقف التعليمي واستثارة دافعيتهم ودفع الملل عنهم، لأن القصة أمر محبب للناس، وتترك أثرها في النفوس.

ب – الحوار والمناقشة: كحديث أبي هريرة ﵁: ((والله الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ ...)) الحديث. وهو من الأساليب التي تتميز بتفعيل دور المتعلم في العملية التعليمية وتدفع عنه الملل وتعمل على استثارة دافعيته للتعلم.

ج – الممارسة العملية: كقول أنس بن مالك ﵁: ((رَهَنَ النَّبيُّ ﷺ درعَهُ بشَعِيرٍ، ومَشيتُ إلى النَّبيِّ ﷺ بخُبزِ شعيرٍ ...))الحديث. والممارسة العملية من الأساليب التي تُفَعِّل دور المتعلم في العملية التعليمية ويعد أسلوب الحوار والمناقشة والممارسة العملية من أبرز الاستراتيجيات الحديثة التي تنادي بها الاتجاهات التربوية المختلفة والتي من شأنها

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٢١١-٢١٤.

أن تفعل دور المتعلم في العملية التعليمية كما أنها تتميز بقوة بقاء أثر التعلم.

د - التربية بالأحداث والمواقف: كحديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَٰذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ. ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّىٰ أَصَابَكُمْ هَٰذَا النَّعِيمُ)) والمربي البارع لا يترك أحداث الحياة تمر أمامه دون أن يستفيد منها وإبراز ما فيها من عبر ومواعظ ودروس، وتمتاز التربية بالمواقف والأحداث بأنها تحدث في النفس أثرًا كبيرًا وتتفعل معها انفعالاً خاصًا، ولقد قامت التربية النبوية باستثمار الأحداث في التوجيه والتعليم وتصويب الأخطاء.

وتستطيع الوسائل التربوية المختلفة أن تستغل التربية بالمواقف والأحداث من خلال إبرازها بمصداقية تامة، فوسائل الإعلام لابد أن تقوم بدورها في هذا المجال، وعلى الأسرة أن تستخدم هذه الوسيلة في توجيه المتعلمين لما فيه النفع في دينهم ودنياهم.

هـ - استخدام الأسئلة: كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: ((من يعوده منكم؟))، أي يعودون سعد بن عبادة رضي الله عنه، وهذا الأسلوب يستخدم في توجيه بعض أفكار المتعلمين وقياس مدى تعلم المتعلمين للنقاط المختلفة، وفي التعرف على مدى تحقق الأهداف التربوية.

و - الإلقاء: كما في حديث ((خيركم قرني، ثم الذين يلونهم....))، وهذا أسلوب تربوي يمكن للمعلم استخدامه في حجرة الدراسة، وذلك بإلقاء بعض المعلومات على المتعلمين، ويقوم المعلم بدور المرسل والمتعلمون بدور المرسل إليه، وبينهما قناة اتصال تتمثل في المادة العلمية التي يقوم المعلم بتعليمهم إياها.

ز - الوصية: كما في حديث ((يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ. وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ ...))الحديث، وأسلوب الوصية من الأساليب التي يمكن لكل من يقع على عاتقه مجال تربية الأبناء استخدامه في مواقف الحياة المختلفة، فالأب يمكن له استخدام الوصية في توجيه أبنائه لما فيه النفع لهم في دينهم ودنياهم، وكذلك الأمر للمعلم فإنه يمكن له استخدام الوصية مع طلابه في حجرة الدراسة وخارجها وخاصة في توجيههم إلى الأمور المهمة والتي تحتاج إلى تذكير واهتمام.



فهرس المحتويات

فهرس المحتويات